جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

السيرة النبوية

سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

الجزء الثاني

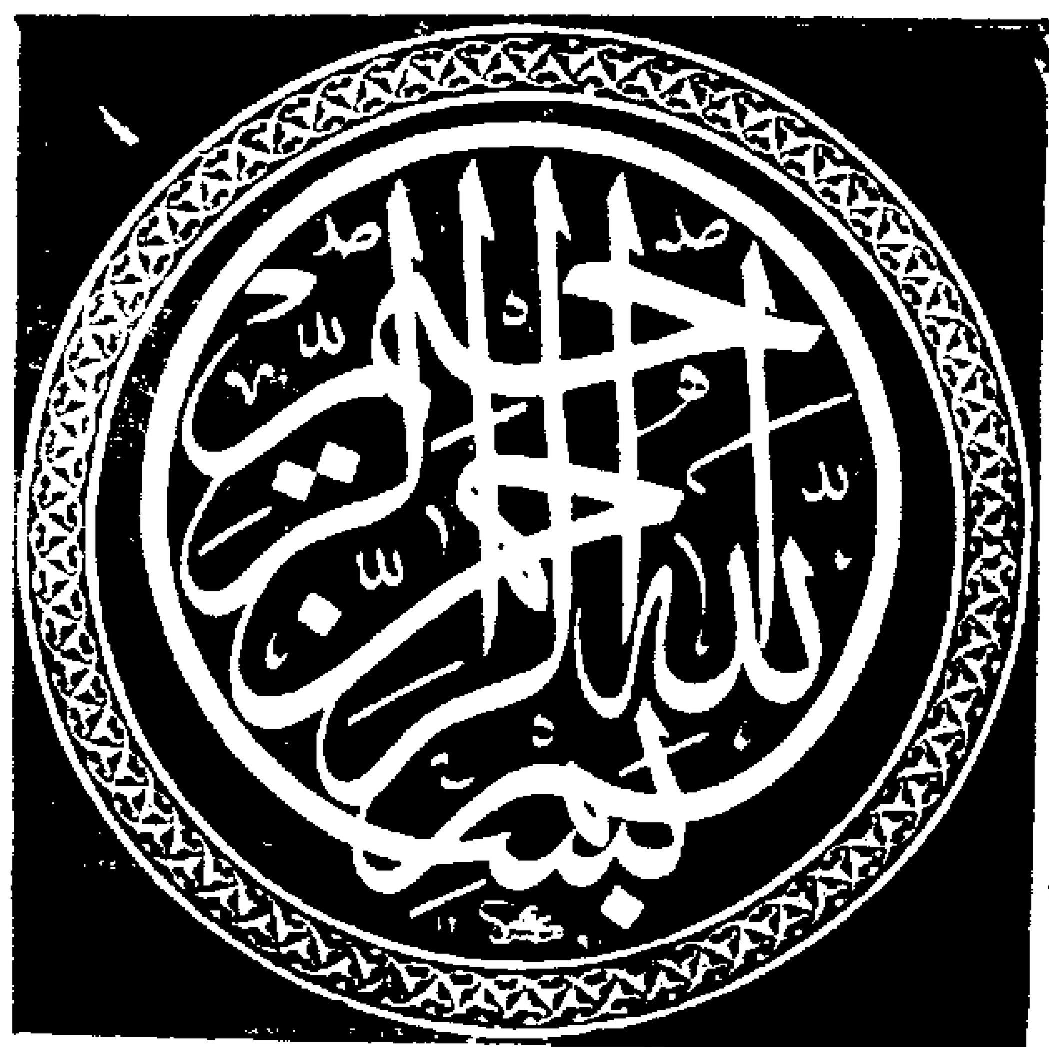
تحقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

القاهرة
١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب
السابع والعشرون


بسم الله الرحمن الرحيم

جماعُ أبوابِ صفةِ جسدِهِ الشّريفِ
صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ

أفرد الحافظ أبو الخطاب ابن دِحْية كتابا سماه : « الآيات البيّنات فيما فى أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات » وسأذكر خلاصته فى المعجزات مع زوائد كثيرة ، والمقصود منه هنا بيان صفة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم فقط وقد أذكر شيئا من الآيات لزيادة الفائدة

الباب الأول

فى حُسْنه صلى الله عليه وسلم

اعلم رحمنى الله وإياك أن الله سبحانه وتعالى أنشأ النفوس مختلفة ، فمنها الغاية فى جَوْدة الجَوْهر . ومنها المتوسط . ومنها الكَدِر . وفى كل مرتبة درجات . فالأنبياء صلى الله عليهم وسلم هم الغاية . خلقت أبدانهم سليمة من العَيْب فصَلحت لحُلول النفس الكاملة . ثم يتفاوتون . فكان نبينا صلى الله عليه وسلم أصلح [(١)] الأنبياء مزَاجا وأكملهم بدَنا وأصْفاهم رُوحاً . وبمعرفة ما نذكره من صفاته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه يَتبين ذلك إن شاء الله تعالى .

روى الشيخان عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنهما قال : لم أرَ شيئا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٢)]

البَرَاء بفتحتين مخفَّفا .

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجلٌ حسَن الجسم [(٣)] .

وقالت أمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجملَ الناس [وأبْهَاهُ] [(٤)] من بعيد وأحْلاَهُ وأحسنه من قريب [(٤)] .

رواهما البيهقى .

---

(١) ط : أصح .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢١٩ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ونصه : «ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم» .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٩٧ (تحقيق السيد صقر) والرواية عن رجل من بلعدوية قال حدثنى جدى .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠

وقال جابر ابن سَمُرة – بسين مهملة مفتوحة فميم مضمومة فراء – رضى الله تعالى عنه : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة إضْحيان وعليه حُلَّة حَمْراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر [1] فلهو [2] أحسن فى عينى من القمر .

رواه الترمذى والنسائى [3] .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : ما رأيتُ من ذى لِمّة فى حُلة حَمْراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواه مسلم وأبو داود[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس صفةً وأَجْمَلَها .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال طارق بن عُبَيْد رضى الله تعالى عنه : أقبلنا ومعنا ظَعِينة حتى نزلنا قريبا من المدينة ، فأتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الظَّعِينة : مارأيت وجهًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه صلى الله عليه وسلم

رواه إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وأبو الحسن ابن الضحاك فى الشمائل وابن عساكر .

وقال أبو إسحاق الهَمْدانى – وهو بفتح الهاء وسكون الميم ودال مهملة – لامرأة حجَّتْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : شبِّهيه لى : قالت : كالقمر ليلة البَدْر ولم أرَ قبله ولا بعده مِثْله .

رواه يعقوب بن سفيان[5] .

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضى الله تعالى عنها : صِفِى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا بنىّ لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

---

(١) غير ط : والقمر .

(٢) ص : فإذا هو . و ت م : فهو . وما أثبته من ط .

(٣) شرح شمائل الترمذى للقارى ١ ٥٦

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٢ وسنن أبى داود كتاب اللباس باب رقم ١٧

(٥) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨

رواه الدارمي ويعقوب(١) .

قال الطِّيبيّ رحمه الله تعالى : عوها : « لعلت الشمس طالعة » اى لرايت شمسا طالعة ، جرَّدتْ من نفسه الشريفة شَمْسا(٢) وهي هي ، نحو قولك لئن لَقِيتَه لتَلْقَينَّ أَسَدا ، وإذا نظرت إليه لم تر (٣) إلا أسدا .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : ما رأيت شيئًا قط أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَنَّ الشمس تجرى . وفى لفظ : تخرج . من وجهه .

رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حِبّان وبَقِيّ بن مَخْلَد . وسنده على شرط صحيح مسلم(٤) .

قال الطِّيبيّ : شبَّه جرَيان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم . ومنه قول الشاعر :

يَزِيدك وجهُه حُسْنًا إذا ما زِدْتَه نَظَرا

وفيه أيضا عكس التشبيه للمبالغة . ويجوز أن يقدَّر الخبر الاستقرار(٥) ، فيكون من باب تناسي التشبيه ، فجعل وجهه صلى الله عليه وسلم مقرا ومكانا لها . ويحتمل أن يكون فيه تناهى التشبيه جعل وجهه مقرًّا ومكانا للتشبيه(٦) .

ولله در القائل

لِمَ لا يضيء بك الوجودُ وليله فيه صَباحٌ من جمالك مُسْفِرُ
فبشَمْس حُسْنك كلَّ يوم مُشْرِقٌ وببدر وجهك كلَّ ليلٍ مُقْمِرُ

(١) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨ . قال : ورواه البيهقى من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد الله بن موسى التيمى بسنده .هـ
(٢) كذا فى ط وفى بقية النسخ : نفسا .
(٣) ص ، ت م : لم أر .
(٤) مسند أحمد ٣٥٠/٢ ، ٣٨٠ وشمائل الرسول لابن كثير ص ١٥ . وشمائل الترمذى (بشرح ابن جسوس) ١٤٣/١ .
(٥) ط : ويجوز أن يكون محل الاستقرار .
(٦) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : للشمس .

قاسوه جَهْلا بالغـــزال تغزلا — هيهات يُشْبِهه الغزال الأَحْوَرُ
هـــذا وحقِّك ماله من مُشْبِه — وأرى المشبِّه بالغزالة يكفرُ
يأْتى عظيمَ الذنب فى تشبيهه — لولا لِرَبٍّ جمالِه يَسْتغفــِرُ
فخرِ المِلَاحُ بحُسْنهم وجمَالهم — وبحسنه كلُّ المحاسن تفخــرُ
فجماله مَجْلىً لــكل جميــلة — وله مُنَار كل وجـــه نَيِّرُ
جنات عَدْن فى جَنى وجنــاته — ودليله أن المراشف كوثـــرُ
هيهات أَلهو عن هواه بغيره — والغير فى حشر الأَجانب يُحْشَرُ
كتَب الغَرامُ علىَّ فى أَسفاره — كُتُبا تُؤَوِّل بالهوَى وتُفسَّــرُ
فدَع الدَّعىَّ وما ادّعاه من الهوى — فدَعِيُّه بالهُجْر فيه يُهْجَـــرُ
وعليك بالعَلَم العليم فإنــــه — لخطيبه فى كل خَطْب مِنْبَـــرُ

* * *

الثانى : فى تفسير غريب ما سبق .

إضحيان ـ بهمزة مكسورة فضاد معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية : أى مقمرة مضيئة من أولها إلى آخرها .

اللِّمَّة : بالكسرشعر الرأس المجاوز شَحْمة الأُذن فإذا بلغ المنكبين فهوالجمّة والجمع لِمَم . الظَّعينة : قال فى النهاية : أَصل الظَّعينة الراحلة التى تُرْحل ويُظْعَن عليها أَى يسار . وقيل للمرأَة ظعينة لأَنها تَظْعن مع الزوج حيثما ظعَن ، أَو لأَنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت . وقيل : الظعينة المرأَة فى الهودج ، ثم قيل للهودج بلا امرأَة ، أَو للمرأَة بلاهودج : ظعينة .

الرُّبَيِّع : بالتصغير والتشديد . مُعَوِّذ : بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو .

الوَسِيم : المشهور بالحسن كأَن الحسن صار له علامة . وقال فى النهاية : رجل قَسِيم الوجه أى جميل كله كأَن كل موضع منه أخذ قسما (١) من الجمال .

والوسيم : الحسَن الوَضِىء الثابت .

(١) ط : أخذ شيئا .

الباب الثانى

فى صفة لونه صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللَّون ليس بالآدَم ولا بالأبيض الأمْهَق .

متفق عليه [1] .

وفى رواية لمسلم : كان صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحُمْرة .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صِيغ من فضة .

رواه الترمذى [2] ورواه ابن عساكر من حديث أنس .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمْرة .

رواه الإمام أحمد [3] والترمذى والبيهقى من طرق .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمرة .

رواه ابن عساكر .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالأبْيَض الأمْهق [4]

---

(١) صحيح البخارى ٢ ٢١٩ (من حديث طويل) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ ،

(٢) شمائل الترمذى ١ ٥٨ بشرح القارى . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٩/١

(٣) مسند أحمد ١ ١١٦ وشرح شمائل الترمذى ٣١/١ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٠/١ .

رواه ابن عساكر من طرق .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مُشْربا حُمْرة.

رواه ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن عساكر .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحمرة .

رواه ابن سعد وابن عساكر .

وقال أبو أُمَامة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض[1] تخالطه حمرة.

رواه ابن عساكر[2] .

وقال أبو الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيح الوجه .

رواه الإمام أحمد ومسلم ويعقوب بن سفيان .

وفى رواية لأحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيحا مُقَصَّدا .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون.

رواه البيهقى[3]

---

(١) ص ت م : رجل أبيض . ولعله تحريف . وما أثبتناه من ط .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ ونصه : « تعلوه حمرة » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٣

الباب الثانى

فى صفة لونه صلى الله عليه وسلم

قال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللَّون ليس بالآدَم ولا بالأَبيض الأَمْهَق .

متفق عليه (١) .

وفى رواية لمسلم : كان صلى الله عليه وسلم أَبيض مُشْربا بحُمْرة .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض كأَنما صِيغ من فضة .

رواه الترمذى (٢) ورواه ابن عساكر من حديث أَنس .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض مُشْربا حُمْرة .

رواه الإمام أَحمد (٣) والترمذى والبيهقى من طرق .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض مُشْربا حُمرة .

رواه ابن عساكر .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالأَبْيَض الأَمْهق (٤)

---

(١) صحيح البخارى ٢ ٢١٩ (من حديث طويل) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ ،

(٢) شمائل الترمذى ١ ٥٨ بشرح القارى . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٩/١

(٣) مسند أحمد ١ ١١٦ وشرح شمائل الترمذى ٣١/١ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٠/١ .

رواه ابن عساكر من طرق .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض اللون مُشْربا حُمْرة.

رواه ابن عساكر .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن عساكر .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض مُشْربا بحمرة .

رواه ابن سعد وابن عساكر .

وقال أَبو أُمَامة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض(١) تخالطه حمرة.

رواه ابن عساكر(٢) .

وقال أَبو الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض مَلِيح الوجه .

رواه الإمام أَحمد ومسلم ويعقوب بن سفيان .

وفى رواية لأَحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض مَلِيحا مُقَصَّدا .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون .

رواه البيهقى(٣)

---

(١) ص ت م : رجل أبيض . ولعله تحريف . وما أثبته من ط .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ ونصه : « تعلوه حمرة » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٣

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن الجوزى [1] .

وقالت أمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الوضاءة

رواه البيهقى .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْوَر المتجرَّد .

رواه الترمذى[2] والبيهقى .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أُهدِىَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم شَمْلَة سوداء فلبسها ، وقال : كيف تَرَيْنها علىّ يا عائشة ؟ قلت ؛ ما أَحْسَنَها عليك يا رسول الله ! يَنُوب سوادَها بياضُك وبياضُك سوادَها .

رواه ابن عساكر[3] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والبزار وابن حبان والحاكم وصححه الحافظ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَر اللون [4] .

ورواه البيهقى من وجه آخر بلفظ : كان بياضه إلى سُمْرة [5] وعند الإمام أحمد بسند حسن : أبيض إلى سُمْرة[5] .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢/٤٠٥

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ١/٤٨ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٤ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٠ وقال : تفرد به خالد الطحان عن أنس .

(٥) ط : إلى السمرة .

وروى ابن أبي شَيْبة عن شيخه هَوْذة والإمام أحمد عن شيخه محمد بن جعفر وأبو نُعَيْم عن رَوْح قالوا أنبأنا عوف بن أبي جميلة عن يزيد[1] الفارسي رحمه الله تعالى قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فذكرتُ ذلك لابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال : صِفْه لى . فذكر الحديث : وفيه : أَسْمَر إلى البياض . قال ابن عباس : لو رأيته فى اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا[2] .

وروى أبو بكر بن أبي خَيْثمة عن شيخه هَوْذة ، وأبو نُعيم من طريق الحارث بن أبي أُسامة عن شيخه رَوْح ، كلاهما عن عوف عن يزيد . وذكر الحديث ولفظه : أحمر إلى البياض.

قال الحافظ : وتبيَّن من مجموع الروايات أن المراد بالسُّمْرة : الحمرةُ التى تخالط البياضَ، وأن المراد بالبياض المُثْبَت : ما تخالطه الحمرة . والمَنْفِىّ ما لا تخالطه . وهو الذى تكره العرب لوَنه وتسميه أَمْهَق .

وقال ابن أبي خيثمة : ولَوْنه صلى الله عليه وسلم الذى لاشك فيه : الأَبيض الأَزهر ، المشْرَب من حُمْرة وإلى[3] السمرة ما ضحَى منه للشمس والريح . وأما ما تحت الثياب فهو الأَبيض الأَزْهر .

وتعقَّبه بعضهم بأَن أَنَسًا لا يخفى عليه أَمرُه حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقُرْبه منه ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ملازما للشمس . نعم لو وصفه بذلك بعضُ القادمين ممن صادَفه فى وقت غيَّرته الشمس لأَمكن ، فالأَوْلى حَمْلُ السُّمْرة فى هذه الرواية على الحُمْرة التى تخالط البياض ، أى كما سبق فى كلام الحافظ .

قلت . قوله إن أَنسًا لا يخفى عليه . إلخ يقال عليه : قد وصفه أنس بأَنه صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالآدَم ، كما تقدم أَول الباب ، وهو حديث أَصح من هذه الروايات . وتابعه غيره على هذه الرواية .

---

(١) ص ت م : عند زيد . وما أثبته من ط .
(٢) مجمع الزوائد ٨/٢٧٢ . قال : ورجاله ثقات .
(٣) ص ت م : إلى السمرة . وما أثبته من ط .

وقال الحافظ أبو الفضل العِراقى : فى قوله : « أسمر اللون » : هذه اللفظة تفرَّد بها حُمَيْد عن أنس ، ورواها غيره عنه بلفظ « أزْهَر اللون » .ثم نظَرْنا من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس ، فكلُّهم وصَفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض دون السُّمرة ، وهم خمسة عشر صحابيًّا .

قلت : سمَّى أبو الحسن ابن الضحاك فى كتاب الشمائل منهم : أبا بكر وعمر وعليًّا وأبا جُحَيْفَة وابن عمر وابن عباس وهند بن أبى هالَة والحسن بن على وأبا الطُّفَيْل ومُخَرِّش[1] الكَعْبى وابن مسعود والبرَاء بن عازِب وسعد بن أبى وقَّاص وعائشة وأبا هريرة وذكر أحاديثهم وأسانيدهم[2] العشرة . ثم قال : وما رواه أنس مما يوافق الجمهور أَوْلَى وأصح وهو الذى ينبغى أن يُرْجع إليه ويعَوَّل عليه .

وأما رواية أبى يزيد الفارسى : أنه صلى الله عليه وسلم أسمر إلى البياض : فخطأ فى الرواية ، والصواب الرواية الثانية .

* * *

الثانى : وقع فى زيادات المسْنَد لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : عن على رضى الله تعالى عنه : أبيض شديد الوضَح . وفى حديث أبى هريرة عند البزَّار ويعقوب بن سفيان بسند قوى : كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض . وهذا مخالف لقول أنس أول الباب : وليس بالأَمْهَق . ولرواية مسلم عنه : أبيض مُشْربا بحُمْرة : وهما أصح منهما . ويمكن الجمع بحَمْل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يَلْقَى الشمس .

الثالث : وقع عند أبى زيد الْمَرْوَزِىّ أحد رواة الصحيح عن أنس : أَمْهَق ليس بالأَبيض

---

(١) هو مخرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى . ومخرش بالخاء والحاء . قال الزمخشرى : الصواب بالخاء . وانظر شرح المواهب للزرقانى ٤/٢٢٠ .

(٢) ط : بأسانيدهم .

واعترض الداودىّ الشارح هذه الرواية . وقال القاضى إنها وَهْم . وقال : لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدَم .

قال الحافظ : وهذا ليس بجيّد لأن ؛ المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم[1] الشديد الأدمة وإنما يخالط بياض الحمرة . والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر . ولهذا جاء فى حديث أنس أى السابق : كان صلى الله عليه وسلم أسمر .

قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزى : أمهق ليس بالأبيض» مقلوبة : على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سُمْرته ولا حمرته . فقد نُقل عن رُؤْبة أن المهَق[2] خُضْرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

* * *

الرابع : نقل القاضى عن أحمد بن أبى سليمان صاحب سحْنُون رحمهما الله تعالى أن من قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أسود . يُقْتل . انتهى .

قال بعضهم : وهذا يقتضى أن مجرد الكذب عليه فى صفةٍ من صفاته كُفْر يوجب القتل . وليس كذلك ، بل لابد من ضَمِيمة ما تشعر بنقص كما فى مسألتنا هذه فإن السواد مَفْضول .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق : الأَزْهَر : الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أى ليس بالشديد البياض .

الآدم : الشديد السمرة .

---

(١) ط : أو الآدم .

(٢) ص ت م : أن الأمهق . وما أثبته من ط .

الأمْهق : الشديد البياض الذى لا يخالطه شيءٌ من الحمرة وليس بنيِّر كلون الجصّ أو نحوه .

الإشراب : خَلْط لون بلون كأن أحد اللونين سقى الآخر لونه ، يقال : بياض مُشْرب حُمْرة بالتخفيف . فإذا شُدِّد كان للتكثير والمبالغة .

المُقَصَّد : من الرجال الذى ليس بجسيم ولا طويل .

ظاهر الوَضَاءة : أى الحسن والجمال .

أنْوَر المتجرِّد : بجيم وراء مشددة مفتوحتين : ما كشف عنه الثوب من البدن ؛ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان مشرق الجسد نيِّر اللون فوضع الأنور موضع النير .

الباب الثالث

فى صفة رأسه وشعره صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس .

رواه البخارى[1] . ورواه أبو الحسن ابن الضحّاك عن جبير بن مُطْعِم . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر . من طرق عن على رضى الله تعالى عنه . ورواه من طريق عنه بلفظ : عظيم الرأس .

وروى الترمذى عن هند بن أبى هالة والبيهقى عن على رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة رَجْل الشعر إن افترقت عَقِيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمة أُذنه إذا هو وفّره[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجَعْدٍ قَطط ولا سَبْط ، كان رَجْلا .

رواه الشيخان[3] والترمذى والنسائى .

وقال جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس رَجْله .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : ولا تُزْرِيه صُعْلة .

---

(١) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى مسند أحمد ١/٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ورواه الترمذى فى شمائله عن البخارى شرح الشمائل ١/١٩

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ١/٤٢ .

(٣) صحيح البخارى ٢/٢١٩ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه الحارث ابن أبي أسامة[1].

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقةَ أهل الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه لشيء وكان أهل الكتاب يَسْدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم . فسدَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم فرَق بعده .

رواه الستة [2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرًا بين شعْرين ، لارَجْل سَبْط ولا جَعْد قَطَط ، وكان بين أُذنيه وعاتقه .

وفى رواية : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَنصَاف أُذنيه .

متفق [3] عليه .

وقال على [بن حُجْر] [4] رضى الله تعالى عنه : لم يكن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَعْد القَطط ولا السَّبْط كان جَعْدًا رَجلا .

رواه مسلم والبيهقى [5]

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « أنا فرَقْت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأْسَه صدَعْت فَرْقه عن يافوخه وأَرسلت ناصيته بين عينيه .

رواه[6] ابن إسحاق وأَبو داود ، وابن ماجه ولفظه : « كنت أَفْرق خَلْف يافوخ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم أَسْدِل ناصيتَه» .

---

(١) مجمع الزوائد ٥٧/٦ ، ٢٧٩/٨ قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه عبد العزيز بن يحيى المدينى ونسبه البخارى وغيره إلى الكذب . وقال الحاكم : صدوق . فالعجب منه . وفيه مجاهيل .

(٢) صحيح البخارى ٢٢٠/٢ (ط الأميرية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب اللباس ٤ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٦ .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١٦٧/١

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ١٦٧/١ .

(٦) سند أبى داود (١٢٦/٢ ط الهورينى) كتاب الترجل باب رقم ١٠ ومسند أحمد ٩٠/٦ ، ٢٧٥ . وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٦٣٣ (ط عبد الباقى) .

وقال البَراء رضى الله تعالى عنه : كان شُعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منكبيه .

رواه الشيخان [1].

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوَفْرة ودون الجُمَّة .

رواه أبو داود والترمذى [2] .

وقالت أُم هانئ رضى الله تعالى عنها : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعُ غدائر : يعنى ضفائر .

رواه الترمذى وأبو داود بسند جيد[3] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط كأنه حُبُك الرِّمال.

رواه أبو نُعَيْم .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أُذنيه وعاتقه .

رواه مسلم [4] .

وروى عبد المجيد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوةً له يوم اليَرْموك فطلَبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأْسه فابتدر الناسُ جوانبَ شَعْرِه فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رُزِقْت النَّصْر .

---

(١) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ونصه : «شعره يضرب منكبيه» .

(٢) سنن أبى داود كتاب الترجل باب رقم ١٠ وصحيح الترمذى ١/٣٢٦ كتاب اللباس . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو فى شمائل الترمذى أيضا . شرح الشمائل ١ ٩٢ .

(٣) شرح شمائل الترمذى ١/٩٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه سعيد بن منصور

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رمىَ جَمْرة العَقَبة[1] نحَر نُسكه ثم ناول الحالق شقَّه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فقال : اقسمه بَيْن الناس .

رواه الشيخان [2] .

وفى رواية لمسلم : « فلقد رأيته والحلاق يحلقه فطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شَعْرةٌ إلا فى يد رجل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا وَفْرة .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الشعر .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدَ سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[5] . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وغيره عن رجل من الصحابة من بنى كنانة .

وروى إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهب : أرسلنى أهلى إلى أُمِّ سَلَمة زَوْج النبى صلى الله عليه وسلم بقدَح من ماء – وقبض إسرائيلُ ثلاثَ أصابع – فجاءت بِجُلْجُل من فضة[6] فيها شَعْر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أصاب أحدًا

---

(١) ط : لما رمى الجمرة . وهى موافقة لرواية مسلم والترمذى .
(٢) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٢٦ . وصحيح الترمذى ١٧٢/١ كتاب الحج .
(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .
(٤) تهذيب ابن عساكر ١ ٣١٦ .
(٥) ليس فى تهذيب ابن عساكر المطبوع : وفيه عن أبى قرصافة : كان شديد سواد الشعر .
(٦) كذا ويأتى فى تفسير الغريب : من قصة . بالقاف والصاد .

من الناس عين أو شيء بعث إليها بخضِّه[1] ، فاطلعتُ فى الجُلْجل[2] فرأيت شعرات حُمْرا[3] .

رواه البخارى[4] واللفظ للحميدىّ فى جَمْعه

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : حاصل الأَحاديث السابقة : أَن شَعْره صلى الله عليه وسلم كان جُمَّة وَفْرة لِمَّة ، فوق الجُمَّة ودون الوفرة عَكْسُه . فالوَفْرة – بفتح الواو وإسكان الفاء : مابلَغ شحمةَ الأُذن . واللِّمة – بكسر اللام : ما نزَل عن شَحْمة الأُذن ، والجُمَّة – بضم الجيم وتشديد الميم – قال الجوهرى رحمه الله تعالى : هى مُجْتَمع شعر الرأس وهى أَكثر من الوَفْرة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .

هذا قول جمهور أَهل اللغة وهو الذى ذكره أَصحاب المُحْكَم والنهاية والمَشارق وغيرهم . واختلف فيه كلام الجوهرى . فذكره على الصواب فى مادة « لَمَم » فقال : واللِّمة – بالكسر : الشعر . المتجاوز شحمة الأُذن . فإذا بلَغت المنكبين فهى الجُمّة . وخالف ذلك فى مادّة « وَفَر » فقال : والوفرة إلى شحمة الأُذن ثم الجُمّة ثم اللّمة . وهى التى أَلمّت بالمنكبين[5] . انتهى .

قال الحافظ أَبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى : وما قاله فى باب الميم هو الصواب وهو الموافق لقول غيره من أَهل اللغة . ولا جَمْع بين رواية : (فوق الجمة . ودون الوفرة) وهى عند الترمذى ، والعكس رواية أَبى داود وابن‌ماجة . وهى الموافقة لقول أَهل اللغة ، إلا على المحمل الذى تؤول عليه رواية الترمذى . وذلك أَنه قد يراد بقوله : « دون » بالنسبة إلى محل وصول الشعر . فرواية الترمذى محمولة على هذا التأويل : أَن شعره كان فوق الجمّة أَى أَرفع فى المحل . فعلى هذا يكون شعره لَمَّة ، وهو ما بين الوَفْرَة ،

---

(١) كذا والذى فى صحيح البخارى ٤/٣٣ (كتاب اللباس) : بعث إليها مخضبة .

(٢) البخارى : فاطلعت فى الحجل . بفتح فسكون .

(٣) ص ت م : شعرا أحمر . وما أثبته من ط موافقا لرواية البخارى .

(٤) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) كتاب اللباس .

(٥) ص ت م : لمت المنكبين .

والجُمة ، وتكون رواية أبي داود وابن ماجة معناها : « كان شعره فوق الوفرة » أي أكثر من الوفرة ودون الجُمة أي في الكثرة .

وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين . فروى كل راوٍ ما فهمه من الفوق والدُّون،

وقال القاضي : والجمع بين هذه الروايات أن ما يلى الأُذن هو الذى يبلغ شحمة أُذنيه والذى يلى[1] أُذنيه وعاتقيه وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه . وقيل بل لاختلاف الأَوقات فإذا غفل عن تقصير شعره بلَغ المِنْكب وإذا قصره كان إلى أَنصاف أُذنيه فكان يَقصُر ويَطُول بحسب ذلك .

الثانى : قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى فى زاد المعاد[2] : لم يَحْلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف إلا أَربع مرات . ولهذا مزيد بيان فى أَبواب زينته صلى الله عليه وسلم ويأْتى الكلام على ما شابَ من شَعره صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع .

* * *

الثالث : روى ابن عساكر من طريقين غير ثابتين عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْطا . وقد تقدم من طريق صحيحة أنه لم يكن بالسَّبْط ولا بالجعْد القطَط .

الرابع : قال ابن أَبى خَيْثمة فى تاريخه : إنما جُعل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه غدائر أَربعا ليخرج الأُذنَ اليمنى من بين غديرتين يَكْتنفانها ويخرج الأُذن اليسرى من بين غَدِيرتين يكتنفانها ويخرج الأُذنان بياضهما من بين تلك الغدائر كأَنهما توقد الكواكب الدرِّية بين سواد شعره وكان أَكثر شَيْبه صلى الله عليه وسلم فى الرأس فى فَوْدى رأْسه ، والفَوْدان حَرْفا الفَرْق ، وكان أَكثر شيبه صلى الله عليه وسلم فى لحيته فوق الذقن وكان شيبه كأَنه خيوط الفضة يتلألأُ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه ، إذا مسّ ذلك

---

(١) ط : بين أذنيه :

(٢) زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١/١٥٨ : ولم يحفظ عنه حلقه إلا فى نسك .

الشيبَ الصُّفْرة – وكان كثيرا مايفعل – صار كأنه خيوط ذهب يتلألأ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق.

الهامة – بالتخفيف : الرأس.

رَجل الشعر – بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وسكونها ، ثلاث لغات ذكرها فى المفْهم أى لا شديد الجعُودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما . قال القرطبى : وكان شعره صلى الله عليه وسلم بأَصل الخِلْقة مُسَرَّحا .

العقيقة : بقافين على المشهور : شَعْر الرأْس ، سمِّى عَقِيقة تشبيها بشعر المولود قبل أَن يحلق فإذا حلق ونبت ثانيا فقد زال عنه اسم العَقِيقة ، وربما سمِّى الشعر عقيقةً بعد الحلق على الاستعارة . ومنه هذا الحديث . والمراد إن انفرقت عقيقته من ذات نفسها وإلاتركها معقوصة . وروى : عَقِيصته – بقاف وصاد مهملة – وهى اسم للشعر المعقوص ، مشتق من العَقْص وهو اللَّىُّ .

وَفَّره : بفتح الفاء المشدَّدة أَى جعله وَفْرة .

الجَعْد – بفتح الجيم وسكون المهملة . والجعودة فى الشعر أَن لا يتكسَّر ولا يسترسل .

القَطَط – بفتحتين : الشديد الجعودة الشبيه بشعر السودان .

السَّبْط – بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وهو المنْبَسِط المسترسِل الذى لا تكسير فيه ، أَى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما .

الصَّعْلة – بصاد فعَيْن مهملتين : صِغر الرأْس . ويروى بالقاف . ويأْتى بيانه فى صفة إبطه الشريف صلى الله عليه وسلم .

يَسْدِل – بفتح المثناة التحتية وسكون السين وكسر الدال المهملتين ، ويجوز ضم الدال أَى يترك شعر ناصيته على جبهته . قال النووى . قال العلماء : والمراد إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصَّة أَى بضم القاف وبعدها صاد مهملة وهو شعر الناصية

يَفْرقون – بضم الراء وكسرها : أى يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئا على جبهتهم .

فَرَق – بفتح الفاء والراء : تقدم معناه قَبْله .

العاتِق : ما بين المَنْكِب والعُنق وهو موضع الرداء يذكر ويؤنث ، والجمع عواتق[1]

صدَغْتُ – بالتخفيف : نحَّيْت . اليأْفوخ : بَهمْز ، وهو أَحسن وأَصوب ، ولايُهمز ، وهو وسط الرأس ، ولا يقال يافوخ حتى يَصْلُب ويشتد بعد الولادة .

الناصية والناصاة :مَنْبت الشعر فى مقدّم الرأْس ، ويطلق على الشعر .

المنْكِب : مجتمع رأْس العَضُد والكتف .

الغدائِر : بغين معجمة ودال مهملة .

حُبُك الرِّمال – بضم أَوله وثانيه جمع حَبِيكة وهى الطريق[2] فى الرمل وقال الفرَّاء : الحبك تكسُّر كل شىء[3] كالرَّمْل إذا مرَّت به الريح الساكنة والماء الدائم إذا مَرَّت به الريح والشَّعرة الجيدة تكسُّرها[4] حبكٌ .

القلَنْسُوَة – بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين وفتح الواو . والجمع : القلانس والقلاسى .

اليَرْموك – بفتح الياء : مكان قرب دمشق .

قوله : « وقبض إسرائيل ثلاث أَصابع » . أَشار بذلك إلى صِغَر القَدَح .

قصة – بضم القاف وصاد مهملة لأَكثر رواة الصحيح . قال ابن دُرَيْد : كلُّ خصلة من الشعر قُصَّة . قال ابن دِحْية والصحيح عند المتْقنين[5] : « من فِضَّة » بالفاء بواحدة وضاد معجمة وهو الأَشبه والأَوْلى لقوله بعد ذلك : « فاطَّلعت فى الجُلْجل » وقد بيَّنه وَكِيع فى مصنَّفه فقال : كان جُلْجلا من فضة صُنع صَوْنًا لشَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فى الأصل بعدها كلمة « أنصاف أذنيه » ولا معنى لها .
(٢) ط : وهى الطريقة .
(٣) ص : الحبك كل شىء كالرمل .
(٤) ص ت م : تكسر حبك . وما أثبته من ط .
(٥) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : والصواب عند التفتيش .

الباب الرابع

فى صفة جبينه وحاجبيه صلى الله عليه وسلم

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض الجبين . رواه البيهقى وابن عساكر[1] .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعَ الجبين أَزَجَّ الحَواجِب سوابغَ فى غير قَرَن ، بينهما عِرْق يُدرُّه الغضب .
رواه الترمذى[2] .

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق الحاجبين .
رواه البيهقى[3] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان جَبينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلْتًا .
رواه ابن عساكر[4] .

وقال الحافظ أبو أحمد بن أبى خيثمة رحمهما الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْلَى الجبين إذا طلَع جبينه من بين الشَّعْر أو طلع من فَلَق الشَّعْر أو عند الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينُه كأنه السِّراج[5] المتوقِّد يتلألأُ . كانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم . كما قال شاعره حسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦١ .
(٢) شرح شمائل الترمذى ١/٤٣ .
(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .
(٤) لم يرد هذا الخبر فى تهذيب ابن عساكر .
(٥) ط : كأنه هو السراج .

متى يَبْدُ فى الليل[1] البهيم جبينُه   يَلُحْ مثل مصباح[2] الدُّجَى المتوقِّدِ
فمن كان أَو مَنْ قد يكون كأحمدٍ   نِظَامًا لحقٍّ أو نَكالا لمُلْحِدِ[3]

قال أبو الحسن بن قانع عن سويد بن [غفلة[4]] رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحَ الجبين أَهْدَب مَقْرُون الحاجبين .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : فى حديث أُم مَعْبَد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزجَّ أَقْرَن . قال ابن قتيبة وابن عساكر : ولا أراه إلا كما وصف هند وصحَّحه ابن الأَثير والقُطْب رحمه الله تعالى .

قلت : وروى البيهقى وابن عساكر عن مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزِل إلى أن قال : صَدِّقوا النبيَّ العربِى الصَّلْت الجبين المقْرون الحاجبين[5] .

وروى ابن عساكر من طرق عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْرون الحاجبين[6] . ويمكن الجمع بأَنه صلى الله عليه وسلم كان أولاً بغير قَرَن أو من جهة الرائى من قُرب ومن بُعْد . وبأنه لم يكن بالأَقْرَن حقيقةً ولا بالأَزَجِّ[7] حقيقةً بل كان بين الحاجبين فُرْجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقَّق النظر إليها . كما ذكر فى صفة أنفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال : يحسبه من لم يتأَمله أَشَمَّ ولم يكن أَشم .

---

(١) ط : فى الدجى .

(٢) ص ت م : مثل أهياج الدجى . وما أثبته من ط .

(٣) ديوانه ص ١٠١ (ط البرقوقى).

(٤) بياض بالأصول وهى مثبتة بهامش ط .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .

(٦) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٥ .

(٧) ط : ولا بالأبلج . وفى ت م . ولا بالأفلج . وما أثبته من ص .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق.

مُفَاض الجبين – بميم مضمومة ففاء فألف فضاد معجمة مخففة أى واسِعَه ، يقال دِرْع مفاضة أى واسعة . الجبين مافوق الصُّدغ . والصُّدغ ما بين العين إلى الأُذن ، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة .

الزَّجَج : تقوُّس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد . قاله فى النهاية . وقال غيره : الزَّجَج دِقَّة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوّس .

سَوابغ – حال من المجرور وهو الحواجب جمع سابغ وهو التامّ الطويل أى أنها دقّت فى حال سُبوغها . وضع الحواجب موضع الحاجبين لأن التثنية جمع .

القَرَن – بالتحريك : اتصال شعر الحاجبين .

يُدِرُّه – بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه : أى يحرِّكه ويظهره ، كان صلى الله عليه وسلم إذا غضب امتلأ ذلك العِرْق دمًا كما يمتلئ الضَّرْع لبنًا إذا دَرَّ فيَظْهر ويرتفع .

الصَّلْت الجبين : أى واسعه ، وقيل الصلت الأملس وقيل البارز .

الباب الخامس

فى صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وبعض ما فيها من الآيات.

قال عليّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعج العينين وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار .

رواه الإمام أحمد ومسلم [(١)]

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار مُشْرَب العين بحُمْرة .

رواه البيهقى [(٢)] وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر من طرق .

وقال سِمَاك بن حَرْب : قال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَشْكَل العين [(٣)] .

قال الراوى له [(٤)] عن سِمَاك : ما أَشْكَلُ العين ؟ قال : طويل شِقّ العَيْن[(٥)] .

رواه مسلم وغيره[(٦)] . ورواه أبو داود بلفظ : أَشْهَل العين .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : فى أَشْفاره غطَف وفى لفظ : وَطف[(٧)]

رواه الحارث بن أبى أسامة .

---

(١) مسند أحمد ١/٨٩ . من حديث طويل وفيه : هدب الأشفار . ولم أجده فى صحيح مسلم .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٩ .

(٣) كذا بالأصل . موافقا لصحيح مسلم والذى فى دلائل النبوة للبيهقى : أشكل العينين .

(٤) هو شعبة .

(٥) فى دلائل النبوة للبيهقى : قال : باد أم جشم . ولا معنى لها . ونقل المحقق عن مصحح المستدرك : معناه فى عينه شىء من الحمرة . وهو مخالف لما هنا .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٨ . ومسند أحمد ٥/٨٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٣ .

(٧) سبق تخريج حديث أم معبد فى ص ٧ من هذا الجزء .

وقال أَنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْحَر العينين .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْرج العينين .

رواهما أَبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم أَكْحَل العينين أَهْدَب الأَشفار .

رواه محمد بن يحيي الذُّهْلى فى الزُّهْرِيّات .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كنت إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أَكحل وليس بأَكحل .

رواه الإمام أَحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان[1] .

وقال مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى : أَوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم جِدَّ فى أَمرى ولا تَهْزل إلى أَن قال : صدِّقوا النبىَّ العربى الأَنْجَل[2] العينين .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَدَ الحدقة أَهْدَب الأَشفار .

رواه الترمذى[4] .

وقال أَيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين مُشْرب العين حُمْرةً أَهْدَب الأَشْفار كَثّ اللحية .

---

(١) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ص ٣٨٩ .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الأكحل .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١ /: ٣٤ .

(٤) شرح الشمائل ١ ٣١ .

رواه ابن عساكر[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعَج العينين .

رواه ابن عساكر[2] .

فصل :

روى ابن عَدِىّ والبيهقى وابن عساكر عن عائشة رضى الله تعالى عنها . والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرى بالليل فى الظُّلْمة[3] كما يرى بالنهار فى الضَّوْء[4]

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبْلَتى ها هنا . فوالله ما يخفى علىَّ ركوعُكم ولا سجودكم . إنى لَأَراكم من وراء ظَهْرى .

متفق عليه[5] .

وقال الحافظ أبو بكر بن أَبى خَيْثمة وتبعه أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الشمائل اه : كان فيه صلى الله عليه وسلم شىء من صَوَر . والصَّوَر : الرجل الذى كأنه يَلْمح الشىء ببعض وجهه .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فإنى أراكم من أمامى ومن خَلْفى .

رواه مسلم[6] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَنظر إلى ما وراء ظهرى كما أنظر إلى أمامى » .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٤ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .
(٣) ت م : بالظلمة .
(٤) الوفا لابن الجوزى ص ٣٤٤ عن عائشة .
(٥) صحيح البخارى ١ ٦٠ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٠٩ ،
(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٢ .

رواه عبد الرزّاق فى الجامع وأبو زُرْعة الرازى فى دلائله .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مَنْ خلفه من الصفوف[1] كما يرى من بين يديه .

رواه الحُمَيْدىّ وأبو زرعة الرازى فى دلائله .

فائدة : ذكر القاضى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريّا أحد عشر نجما .

وذكر السُّهيلى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما . وبالأول جَزَمَ أبو عبد الله القرطبى فى كتاب « أسماء النبى صلى الله عليه وسلم » حيث نظم ذلك فقال رحمه الله تعالى :

وهو الذى يرى النجوم الخافيه مُبَيَّناتٍ فى السماء العاليه

إحدى عشر قد عدَّ فى الثريّا[2] لناظرٍ سِوَاه ما تَهيَّا

قال فى « القول المكرم » وهذا لم أقف له على أصل يستند إليه . والناس يذكرون أن الثريا لا تزيد على تسعة أنجم فيما يَرَوْن . انتهى .

تَنْبيهات

الأول : قال القاضى : إنما حدَثت هذه الآية له صلى الله عليه وسلم بعد ليلة الإسراءِ كما أن موسى صلى الله عليه وسلم كان يرى النَّمْلة السوداء فى الليلة الظَّلْماء من مَسِيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطُّور .

الثانى : هذه الرؤية رؤية إدراكٍ . والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التى هى العَيْن عند أهل الحقِّ ولا شُعَاعٍ ولا مُقَابَلة ، وهذا بالنسبة إلى البارى تعالى. أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية فى حقه صلى الله عليه وسلم عليه[3] . وخالق البصر فى العين قادر على خَلْقه فى غيرها .

(١) ط : فى الصفوف .
(٢) ط : إحدى عشر عد فى السماء .
(٣) أى على وجود آلة الرؤية .

قال الحرَّانى رحمه الله تعالى : وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالةً على ما فى حقيقة أمره من الاطلاع[1] الباطن، لسعة علمه ومعرفته، لما عَرف بربه لا بنفسه أطلعه الله تعالى على ما بَيْن يديه[2] مما تقدم من أمر الله وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من أمر الله تعالى . فلما كان على ذلك من الإحاطة فى إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثلَ ذلك فى مُدْركات العيون ، فكان يرى المحسوساتِ من وراء ظهره كما يراها مِنْ بين يديْه .

ومن الغرائب ما ذكره بختيار[3] محب بن محمود الزاهد شارح القدوريّ فى رسالته الناصريّة أنه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسَمّ الخِيَاط يُبْصر بهما لا تحجبهما الثياب . وقيل : بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما تنطبع فى المرآة أمثلتهم فيها فيشاهِد أفعالَهم .

قال الحافظ : وهذا إن كان نقلا عن الشارع بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رَأْى ، على أن الأَقْعَد فى إثبات كونها معجزة حملُها على الإدراك من غير آلة .

وقال ابن المنيِّر رحمه الله تعالى : لا حاجة إلى تأويله لأنه فى معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة .

وقال القرطبي : حَمْله على ظاهره أولى؛ لأن فيه زيادة كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

الدَّعَج : شدة سواد العين فى شدة بياضها .

---

(١) ط : فى الاطلاع .

(٢) غير ط : على ما فى يديه .

(٣) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : مختار محب .

الأَهْدَب ـ بالدال المهملة : الطويل الأَشفار .

الأَشفار : جمع شُفْر وزن قُفْل وهو حرف الجَفْن الذى ينبت عليه الهدْب . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : والعامة تجعل أَشفار العين : الشَّعْرَ وهو غلط، وإنما الأَشفار حروف العين التى يَنْبت عليها الشعر .

الحَدَقة : بالتحريك : سواد العين والجمع حَدَق وحدقات . مثل قَصبة ، وقصَب ، وقصَبات .وربما قيل حِدَاق محل رَقَبة ورِقَاب .

قوله : مُشْرَب العين بحُمْرة : هى عروق حُمْر رِقَاق وهى من علاماته صلى الله عليه وسلم التى فى الكتب السالفة .

وقول سِمَاك رحمه الله تعالى : إن الشُّكْلَة طول شِقّ العين : قال القاضى : إنه وَهْم من سِمَاك باتفاق العلماء وغلطٌ ظاهر . فقد اتفق العلماء وأَصحاب الغَريب أَن الشُّهْلَة[1] حُمْرة فى سواد العين كالشُّكْلة فى البيَاض .

الغَطَف : بغين معجمة وتُهْمل هو أَن يطول شعر الأَجفان ثم ينعطف . الوطَف : الطويل أَيضا .

الكَحَل : بالتحريك : سواد يكون فى مفاوز أَجفان العين خِلْقة .

الأَنْجَل : يقال عين نجلاء أَى واسعة .

الأَبْرَج العين : بهمزة فموحدة فراء فجيم : من البَرَج بالتحريك وهو بياض العين مُحْدِقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شىء . والله تعالى أَعلم .

---

(١) الأصل : أن الشكلة . وهو تحريف وصوابه من الوفا لابن الجوزى ص ٣٨٩ قال : « قال أبو عبيدة : الشكلة حمرة فى بياض العين . والشهلة : حمرة فى سوادها والكحل : سواد هدب العين خلقة » .

الباب السادس

فى سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يَسْمع ما لايسمعه الحاضرون مع سلامة حواسّهم من مثل الذى سمعه .

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تامَّ الأُذنين[1] .

وروى الترمذى وابن ماجة عن أبي ذر . وأبو نُعَيْم عن حكيم بن حِزام رضى الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمعون ما أسمع ؟ »قالوا ما نسمع من شيء قال إنى لأَرى ما لا ترون وأَسمع ما لا تسمعون . إنى أَسمع أَطِيط السماء وما تُلَام أَن تَئِطَّ وما فيها موضع شِبْر إلا وعليه مَلَك ساجد أَو قائم[2] »

وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه : بَيْنا النبى صلى الله عليه وسلم على بغلة له إذ حادت به فكادت تُلْقيه وإذا أَقْبُرُ ستة أَو خمسة أَو أَربعة . فقال من يعرف أَصحاب هذه الأَقبر ؟ فقال رجل : أَنا . فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فأَعجبه ذلك فقال : « إن هذه الأُمة تُبْتَلى فى قبورها . فلولا أَن لا تدَافنوا لدعوتُ الله عز وجل أَن يُسْمعكم من عذاب القبر الذى أَسمع » .

رواه مسلم[3] .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حائطاً من حيطان المدينة لبنى النجار فسمع أَصوات قوم يعذَّبون فى قبورهم فحاصت البغلةُ ، فسأَل النبىُّ

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٢) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب ٩ وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ١٩ . ومسند أحمد ٥/١٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم : متى دُفن هذا ؟ قالوا : يا رسول الله دفن هذا فى الجاهلية فأعجبه ذلك وذكر نحو الذى قبله .

رواه الإمام أحمد[1] .

وقد ثبت أن الوحى كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا فى مثل صلصلة الجرس ويسمعه ويَعِيه ولا يَسْمعه أحدٌ من الصحابة .

تنبيهات

الأول : إن قيل : كيف يكون صوتٌ مسموعٌ لسامع فى محَلّ لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحاسَّة عن آفة الإدراك ؟

أُجيب : بأَن الإدراك معنًى يخلقه الله تعالى لمن يشاء ويمنعه لمن يشاء وليس بطبيعة ولا وتيرة واحدة .

الثانى : فى بيان غريب ما تقدم :

الأَطِيط : صوت الأقتاب وأَطيط الإِبل أصواتها وحَنينها . أَى أَن كثرة ما فى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أَطَّتْ .

قال فى النهاية : وهذا مثَل وإيذانٌ بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أَطِيط ، وإنما هو كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تعالى .

قلت : وفيه نظر لقوله : « إنى لأَسمع أَطيط السماء » .

حادت : مالت عند نِفَارها عن سَنَن طريقها .

حاصت : بحاء فصاد مهملتين : نَفَرَتْ وكرَّت راجعةً من خوف ما سمعت .

---

(١) مسند أحمد ٣ ١٠٣ وعن زيد بن ثابت ٥ ١٩٠ .

الباب السابع

فى صفة أنفه الشريف وخدّيه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبي هالة وابن عساكر عن عليّ رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقْنَى العِرْنين. زاد هند : له نور يَعْلوه ، يَحْسبه من لم يتأَمله أشمَّ وليس بأَشَم[1].

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقيق الأَنف . رواه البيهقى .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين .

رواه الترمذى .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسِيل الخدَّيْن .

رواه محمد بن يحيي الذُّهْلى فى الزهريات وابن عساكر.

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين دقيق العِرْنين .

رواه ابن عساكر من طرق[2].

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح الخد .

رواه ابن عساكر[3].

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٣) لم أجده فى تهذيب ابن عساكر .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبيض الخدين، رواه أَبو الحسن بن الضحاك .

العِرْنين . بكسر العين وسكون الراءِ المهملة وكسر النون : الأَنف. والقَنَى فيه : طوله ودقة أَرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

الشَّمَم: ارتفاع قصبة الأَنف واستواء أَعلاها وإشراف الأَرنبة قليلا، والمعنى أَنه صلى الله عليه وسلم لحُسْن قَنَى أَنفه واعتدال ذلك يُحْسَب[1] قبل التأَمل أَنه أَشمّ وليس كذلك . قاله فى النهاية .

سَهْل الخدين : أَى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع . وقيل أَراد أَن خديه صلى الله عليه وسلم أَسِيلان قليلا اللحم رقيقا الجلد ، كما فى حديث أَبى هريرة .

(١) ط : يحسبه

الباب الثامن

فى صفة فمه صلى الله عليه وسلم وأسنانه وطيب ريقه وبعض الآيات فيه

قال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم ضَايعَ الفم ، أَشْنَب ، مُفَلَّج الأَسنان ، يَفتر عن مثل حَبِّ الغَمام .

رواه الترمذى[1] وأبو الشيخ .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الفم .

رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم[2] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرَّاق الثنايا .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الثَّغْر .

رواه البيهقى[4] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله عليه وسلم مُفَلَّج الثنايا .

رواه ابن سعد[5] وأبو الشيخ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : شَمَمْتُ العطر كله فلم أَشمّ نَكْهةً أَطْيَبَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٥ .

(٢) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل ٩٧ .
ومسند أحمد ٥/٩٧ وصحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٣) ليس فى تهذيب ابن عساكر .

(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .

(٥) الذى فى طبقات ابن سعد ١ ١٢٩ (القسم الثانى) ط ليدن : مفلج الأسنان .

رواه ابن سعد[1] وأبو الشيخ .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صَبَّ فى البئر أو قال ثم مَجَّ فى البئر . ففاح منها مثل رائحة المسك .

رواه الإمام أحمد وابن ماجة[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ : أُتِى بدلو فتوضأ منه فتمضمض ومَجَّ مسكاً أو أطْيبَ من المسك وانتشر خارجا منه .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألأ فى الجُدر لم أرَ قَبْله ولا بعده مثله .

رواه محمد بن يحيي الذهلى فى الزهريات . وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر[3] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : بزَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بئر فى دارنا فلم يكن بالمدينة بئر أعْذبَ منها .

رواه أبو نعيم[4] .

وقالت عُمَيْرة[5] بنت مسعود الأنصارية رضى الله تعالى عنها : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخواتى وهن خَمْس فوجدناه يأكل قَدِيدًا فمضغ لهن قَدِيدة ثم ناولنى القديدة فقسمتها بينهن فمضغت كلٌّ واحدة قطعةً فلَقين الله وما وُجد لأفواههن خُلُوف .

رواه الطبرانى[6] .

وقالت أُم عاصم امرأة عتبة بن فَرْقد رضى الله تعالى عنها : كنا نتطيَّب ونَجْهد لعتبة ابن فرقد أن نَبْلغه فما نَبْلغه وربما لم يمس عُتْبة طِيبًا. فقلنا له فقال : أخذنى البَثْرُ على عَهْد

(١) طبقات ابن سعد ١٢٣/١ (القسم الثانى) ط أوربا .
(٢) مسند أحمد ٤ ٣١٦ وابن ماجه كتاب الطهارة باب المج فى الإناء .
(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٦/١ .
(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٥٣ .
(٥) كذا فى ط موافقا لأسد الغابة ٥١٢/٥ . وفى بقية النسخ : عمره . ولعله تحريف .
(٦) أسد الغابة ٥١٢/٥ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته ، فتَفل فى كفِّه ثم مسَح جلدى ، فكنت من أطْيَب الناسِ ريحًا .

رواه البخارى فى [[1]] والطبرانى وأبو الحسن بن الضحاك[2] .

وقال أبو أُمَامة رضى الله تعالى عنه : جاءت امرأة بذيئة اللسان إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدًا ، فقالت: ألا تُطْعمنى؟ فناولها مما بين يديه ، فقالت: لا إلا الذى فى فيك. فأخرجه فأعطاها فألقته فى فمها فأكلته فلم يُعْلَم منها بعد ذلك الأمر الذى كانت عليه من البذاء والذرابة .

رواه الطبرانى[3] .

وقال محمد بن ثابت بن قيس بن شمَّاس: إن أباه فارق أُمه وهى حامل به . فلما ولدتْه حلفتْ أن لا تُلْبِنه من لبنها . فدعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى فيه وقال اختلفْ به فإن الله رازقه فأتيته به اليوم الأول والثانى والثالث .

رواه البيهقى[4] .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

بحرٌ من الشَّهْد فى فيه مَراشِفُه ... يا قوت من صدف فيه جواهرُه[5]

ويرحم الله تعالى القائل أيضا :

جَنَى النَّحْل فى فِيه وفيه حَياتُنا ... ولكنَّــه مَنْ لى بِلَثْم لِثــامِهِ
رحيق الثنايــا والمثــانِ تنفَّسَتْ ... إذا قال عن فتحٍ بطيب ختامِه

---

(١) بياض بالأصول . ولعله فى التاريخ الكبير .

(٢) مجمع الزوائد ٢٨٢/٨ . قال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه . ورجال الأوسط رجال الصحيح غير أم عاصم فإنى لم أعرفها .

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٨ . وقال : وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف . والخصائص الكبرى ١٥٤/١ (ط الهراس) .

(٤) الخصائص الكبرى ١٥٤/١ وبقية الخبر : فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس فقلت لها : ما تريدين؟ قالت : رأيت فى منامى هذه الليلة كأنى أرضع ابنا يقال له محمد . قال : فأنا ثابت وهذا ابنى محمد .

(٥) ط : ياقوتة صدف فيه جواهره .

وقال أبو جعفر محمد بن على رحمه الله تعالى : بينما الحسن بن على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمؤه فطلب له النبي صلى الله عليه وسلم ماءً فلم يجدْ فأعطاه لسانه فمصَّه حتى رَوِى .

رواه ابن عساكر . وهو منقطع . ورواه عن أبي هريرة وزاد : الحسين[1] .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفْلج الثنيّتين . زاد أبو الحسن بن الضحاك : والرَّبَاعيّتين . انتهى .

إذا تكلَّم رُئِى كالنور يخرج من بين ثناياه .

رواه أبو زُرْعه الرازىّ فى دلائِله والدارمىّ والترمذى وأبو الحسن بن الضحاك وسنده جيّد[2] .

وقال سهل بن سعيد رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه . يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسوله . فلما أصبح الناسُ غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعْطاها . قال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يشتكى عَيْنيه . قال : فأَرسِلوا إليه . فأتى به فبصَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . الحديث رواه الشيخان[3] .

وقال أبو قِرْصافة ـ بكسر القاف رضى الله تعالى عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأُمى وخالتى[4] فلما رجعنا قالت أُمى وخالتى يا بنىّ ما رأينا مثلَ هذا الرجل لا أحسنَ وجهاً ولا أنْقَى ثوبا[5] ولا ألْيَن كلاماً . ورأينا كالنور يَخْرج من فيه . رواه البيهقى[6] .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٥٥ عن ابن عساكر .

(٢) شرح شمائل الترمذى ١/٦٧ والخصائص الكبرى ١/٦٢ وهو فى مجمع الزوائد من قوله : « إذا تكلم رئى كالنور » الخ . ٨/٢٧٩ . قال : وفيه عبد العزيز بن أبى ثابت وهو ضعيف .

(٣) صحيح البخارى كتاب الجهاد وكتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٢ — ٣٥ .

(٤) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : أنا وابنى وخالى .

(٥) غير ط : لوناً .

(٦) ليس فى دلائل النبوة للبيهقى .

تنبيه فى بيان غريب ما سبق

الضَّليع : بضاد معجمة وعين مهملة ـ قال فى النهاية : أى عظيم الفم وقيل واسعة والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

قال الإمام النووى : وهذا قولُ الأكثر وهو الأظهر . والضَّليع : العظيم الخَلْق ، الشديد . وقال غيره : الضليع : المهزول الذابل . وهو فى صفته صلى الله عليه وسلم ذبول شفتيه ورِقَّتهما وحُسْنهما .

الشَّنَب : بشين معجمة فنون مفتوحة فموحدة : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان وقيل هوْ بَرْدها وعذوبتها .

الفَلَجَ بالتحريك : تباعد ما بين الثنايا والرَّباعيات .

يَفْترُ ـ بمثناة تحتية ففاء ففوقية مضمومة أى يُظْهر أسنانه .

حَبّ الغمام : الْبَرَد بفتحتين شبه به ثَغْره فى بياضه وصفائه وبَرده : الثَّغَر هنا : الثنايا .

مَجَّ الماء من فيه : مجاز من باب رمى : رمى به : الخُلوف : كالقُعود تغيُّر رائحة الفم .

الذَّرابة : الفُحْش .

البَذاء فى المنْطق . بالفتح والمد والذال المعجمة : السَّفَهُ والفحش .

تلبِنُه : بالمثناة الفوقية فلام فموحدة فنون : ترضعه .

الثَّنَايا : جمع ثَنِيّة وهى أربع من الأسنان.

بَصق بالصاد المهملة ويقال بالسين أيضا .

الباب التاسع

فى صفة لحيته الشريفة وشَيْبه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثَّ اللِّحْية .

رواه الترمذى ورواه ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه[1].

وقال على رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر وابن الجوزى[2].

وقال جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اللحية . رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] . .

وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[4].

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٥ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٣ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٤ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٤) ليس فى تهذيب ابن عساكر . والذى فيه : سئل سعد بن أبي وقاص : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ولا هم به .

وهذا الخبر فى طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٢٦ (ط ليدن) .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كانت لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا . رواه ابن عساكر[1] .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة رحمه الله تعالى : كانت عَنْفَقَتُهُ صلى الله عليه وسلم بارزة ونبكاه[2] حول العنفقة كأنهما بياض اللؤلؤة ، فى أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها .

وقال أبو ضَمْضَم رحمه الله تعالى : نزلتُ بالرُّجَيْج[3] فقيل هاهنا رجل يقال له أسعد ابن خالد رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت: رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم رأيته كان رجلاً مربوعا حسن السَّبْلة .

رواه الدينورى وابن عساكر[4] .

وقال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس واللحية .

رواه مسلم وابن أبي خيثمة واللفظ له[5] .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : شَمِط مُقَدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته وكان إذا ادَّهن لم يتبين فإذا لم يدهن تبيَّن .

رواه مسلم[6]

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس رضي الله تعالي عنه : ليس فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته عشرون شَعْرة بيضاء .

رواه الشيخان[7] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ .

(٢) كذا بالأصول • ولعلها : وفكاه . والنبك : المرتفع .

(٣) الأصل بالرجيح – بالحاء – وما أثبته من معجم البلدان ٩/٢٩

قال : والرجيج تصغير رج موضع ببلاد العرب .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٥ .

(٥) ليس فى صحيح مسلم كتاب الفضائل .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٧) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه ٤/٨٢٤ ط استامبول .

وقال ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لحيته[1] إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة بيضاء .

رواه ابن سعد بسند صحيح[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ أربع عشرة بيضا .

وقال حُمَيْد عنه : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء قال حميد : كن سبع عشرة .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقال قتادة عنه : لم يَخْضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما كان فى عَنْفَقته وفى الصدغين وفى الرأس نَبْذٌ[3] .

رواه مسلم[4] .

وقال أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله تعالى : قلت لربيعة : جالستَ أنسا ؟ قال: نعم . وسمعته يقول : شاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين شيبة ها هنا . يعنى العَنْفَقة .

رواه ابن خيثمة .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : كان شيب رسول الله صلى الله عليه نحواً من عشرين شعرةً بيضاء فى مُقَدَّمه .

رواه ابن إسحاق وابن حبان والبيهقى[5] .

وقال أبو جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورأيت بياضاً تحت شفته السُّفْلى العَنْفَقة .

رواه البخارى[6] .

ورواه الإسماعيلى بلفظ : من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنفقة .

---

(١) ط : ولحيته .

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ (ط أوربا) .

(٣) كذا فى ط موافقا لصحيح مسلم . وفى بقية النسخ : وفى الرأس شعرات تبذو .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٤ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٨٦ . وشمائل الرسول لابن كثير .

(٦) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وفى لفظ له : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنفقته .

وقال عبد الله بن بُسْر ـ بضم الموحدة وسكون المهملة ـ المازنى رضى الله تعالى عنه ـ: كان فى عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراتٌ بِيضٌ .

رواه البخارى[1] .

وفى رواية عند الإسماعيلى : إنما كانت شعراتٍ بِيضاً .

وقال أبو إياس رحمه الله تعالى : سئل أنس عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما شانَه الله تعالى ببيضاء .

رواه ابن عساكر . وقال : لعل أنساً أراد بلحية بيضاء . فقد روى عنه وعن غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه شاب بعضُ شعره صلى الله عليه وسلم وأشار إلى العَنْفَقة .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : سئل أنسٌ رضى الله تعالى عنه عن خِضَاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شابَ إلا يسيرا ولكن أبا بكر وعمر خضَباه بعدُ بالحِنَّاء والكَتْمَ[2] .

وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفَّر لحيته وما فيها عشرون شعرة بيضاء .

وقال قتادة : سألت أنساً : هل خضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا إنما كان شىء فى صدغيه .

رواه البخارى[3] ولفظه : قال : لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان البياض فى عنفقته وفى صدغيه[4]. نَبْذ: أى متفرِّق .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) بل هو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثانى ص ١٣٥ وما بعدها .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وكتاب اللباس باب رقم ٦٦ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : سألت أنساً أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْضب ؟ قال : لم يَبْلغ الخِضَاب .

رواه الشيخان[1] .

ولمسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه . لو شئت أن أعدَّ شَمَطاتٍ كنّ فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت[2] » .

فائــدة

روى ابن سعد عن يونس بن طلق بن حبيب رحمه الله تعالى أن حجَّاماً أخذ من شارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة فى لحيته فأهوى إليها ، فأمسك النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من شابَ شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة[3] » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ رحمه الله تعالى : عُرف من مجموع الروايات أن الذى شاب فى عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب فى غيرها . وقول أنس لما سأله قتادة هل خضب ؟ : « إنما كان شئ فى صدغيه » أراد أنه لم يكن فى شعره ما يحتاج إلى الخضاب . وقد صرَّح بذلك فى رواية محمد بن سيرين السابقة .

الثانى : اختلف فى عدد الشعرات التى شابت فى رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته . فمقتضى حديث عبد الله بن بُسْر أنَّ شيبه صلى الله عليه وسلم كان لايزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة القلة . وفى رواية ابن سعد : لم يَبْلغ ما فى لحيته من الشعر عشرين شعرة[4]. قال حميد : وأومأ إلى عنفقته سبع عشرة[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب اللباس باب رقم ٨٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٣ .

(٣) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٦ (ط أوربا) .

(٤) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ .

(٥) الطبقات ؛ قال زهير : وأصغى حميد إلى رجل عن يمينه قال سبع عشرة . ووضع يده على عنفقته .

وروى أيضا عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة[1].

وروى ابن أبى خيثمة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة .

وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لو عددت ما أقْبَل من شيبه صلى الله عليه وسلم فى رأسه[2] ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة .

وجمَع العلامة البُلْقينى[3] بين هذه الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة، والرواية الثانية[4] توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فيكون كما ذكرنا : العشرة فى عنفقته[5] والزائد عليها يكون فى بقية لحيته لأنه قال فى الرواية الثالثة : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء ، واللحية تشمل العنفقة وغيرها . وكون العشرة فى[6] العنفقة بحديث عبد الله بن بُسْر والبقية بالأحاديث الأخر فى بقية لحيته . وكَوْن حُمَيْد أشار إلى عنفقته سبع عشرة ليس يُعْلم[7] ذلك من نفس الحديث ، والحديث لايدل إلا على ما ذكرنا من التوفيق . وأما الرواية الرابعة فلا تنافى كونَ العشرة على العنفقة والزائد[8] على غيرها . وهذا الموضع موضع تأمل . انتهى .

الثالث : سيأتى الكلام فى خصائصه صلى الله عليه وسلم فى أبواب زينته .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق .

---

(١) الطبقات ١/١٣٥ (القسم الثانى) .
(٢) ص ، ت ، م : ورأسه .
(٣) ط : العينى .
(٤) ط : الثابتة .
(٥) ط : على عنفقته .
(٦) ط : على العنفقة .
(٧) ط : يفهم .
(٨) ط : والواحد .

الكُثَّة : بفتح الكاف وثاء مثلثة ــ أى فيها كثاثة واستدارةٌ وليست بطويلة .

السَّبَلة : بالتحريك ــ مقدَّم اللحية وما انحدر منها على الصدر . وقيل: هى الشعرات التى تحت اللَّحْى الأسفل . وقيل : الشاربُ[1] .

الرُّجَيْج[2] :

شَمِط : بالكسر شَمطاً : خالط سوادَ لحيته بياضٌ فهو أَشْمط ، والمرأة فى رأْسها كذلك فهى شمطاء .

أبو جُحَيْفة : بجيم مضمومة فحاء مهملة ومثناة تحتية ساكنة ففاء ــ واسمه وهب بن عبد الله السُّوائى بضم السين .

العَنْفقة : ما بين الذقن والشفة السفلى ، سواء كان عليه شعر أم لا . ويطلق على الشعر أيضا . وقوله : « تحت شفته السفلى العنفقة » بجرّ العنفقة بدلٌ من الشفة . وبنصبها وإعراب[3] عنفقة كما تقدم .

الصُّدْغ : بالضم : ما بين لَحْظ العين إلى أصل الأُذن ويطلق على الشعر المتدلِّى عليه والجمع أصداغ ، مثل قُفْل وأَقفال .

---

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : والسبلة محركة : الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة .

(٢) بياض بالأصول والرجيج : تصغير رج : موضع ببلاد العرب . معجم البلدان ٩/٢٩ .

(٣) ص ت م : وهو إعراب . وما أثبته من ط .

الباب العاشر

فى صفة وجهه صلى الله عليه وسلم

سئل البرَاء بن عازِب رضى الله تعالى عنه أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر .

رواه البخارى والترمذى[1] .

وسئل جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل[2] مثل الشمس والقمر مستديراً .

رواه مسلم[3] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحسنَ الناس وَجْهًا وأحسنهم خُلقا .

رواه الشيخان[4] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثَمَ ، وكان فى وجهه تَدْوير .

رواه البيهقى وابن عساكر من طرق[5].

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم (٢١٩/٢) (ط الأميرية) . وشرح شمائل الترمذى للقارى ٢ /٥٧ .

(٢) ص : لا ولكن مثل القمر .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٣ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢٢١/١ وتهذيب ابن عساكر ١ ٣١٧ .

وقال هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا مفخَّما يتلألأ وجهه وجه القمر ليلة البدر .

رواه الترمذى وغيره[1] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوير .

رواه مسلم والبيهقى[2] .

وقال أبوعبيد[3] : يريد ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه سُهولة وهى أَحْلَى عند العرب .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاءة متبلِّج الوجه .

رواه الحارث بن أُسامة وغيره[4] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وَجْها وأَنْوَرهم لونًا .

رواه ابن الجوزى[5] .

وقال أَبو بكر رضى الله تعالى عنه : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارَة القمر .

رواه أَبو نعيم .

وقال أَبو هريرة رضى الله عنه : ما رأَيت أَحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن الشمس تخرج[6] من وجهه .

رواه ابن الجوزى[7] .

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٠ .

(٢) لم أجده فى صحيح مسلم كتاب الفضائل وهو فى صحيح الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ . والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١ ١٦٠ .

(٣) ص ، ت ، م : أبو عبيدة .

(٤) سبق تخريج حديث أم معبد .

(٥) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٦ .

(٦) كذا فى ط موافقا لابن الجوزى وفى بقية النسخ : تجرى .

(٧) الوفا ص ٤٠٦ .

وقالت امرأة حجَّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أبو إسحاق الهَمْدانى : شبِّهيه لى . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

رواه البيهقى[1] .

ويروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أخيط الثوبَ فسقطت الإبرة فطلبتْها فلم أقْدر عليها ، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتبيَّنتُ الإبرة بشعاع وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

ويروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظِلّ ولم يقم مع شمسٍ إلا غلَب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج إلا غلب ضوؤه ضوء السِّراج .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر فكنا نعرف ذلك منه .

رواه الشيخان وأبو داود والنسائى[4] .

وقالت عائِشة رضى الله تعالى عنها : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تَبْرق أساريرُ وجهه .

رواه الشيخان[5] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٤٦ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ .
(٣) الوفا ص ٤٠٧ .
(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب المغازى باب غزوة تبوك وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم ٥٣ والترمذى كتاب التفسير « سورة التوبة » .
(٥) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم ٣٨ .

وقال أَنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ كأَن وجهه المرآة ، وكأَن الجدُر تَلاَحكُ وجهُه .

أَورده ابن الأَثير فى النهاية[1] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : قوله : « كأنه قطعة قمرٍ » لعله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ متلثّماً ، والموضع الذى يتبين فيه السرور هو جبينه وفيه يظهر السرور ، وكأَن الشبه وقع على بعض الوجه فناسب أَن يشبَّه ببعض القمر .

وقال فى المغازى فى قصة توبة كعب : ويُسْأَل عن السرّ فى التقييد بالقطعة مع كثرة . ماورد فى كلام البُلَغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد[2] . وقد تقدم تشبيههم له بالشمس طالعةً وغير ذلك . وكان كعب قائل هذا من شعراء الصحابة وحاله فى ذلك مشهور ، وما قيل فى ذلك من الاحتراز من السواد الذى فى القمر ليس بقوىّ ؛ لأَن المراد بتشبيهه ما فى القمر من الضياء[3] والاستنارة وهو فى تمامه لا يكون فيها أَقل مما فى القطعة المجردة . ويحتمل أَن يكون أَراد بقوله « قطعة قمر » القمر نفسه .

وقد روى الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها : « كأَنه دارة قمر » .

وروى النسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قصة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وسؤاله ربَّه تبارك وتعالى قال : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن شِقَّة وجهه القمر فقال : هذه مصارع القوم العشيَّةَ .

ووقع فى حديث جُبَيْر بن مُطْعِم عند الطبرانى : التفت إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقّة القمر . فهذا محمول على صفته صلى الله عليه وسلم عند الالتفات .

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤|٥٥ .

(٢) ص ، ت ، م : بغير تقديم ، وما أثبته من ط .

(٣) ت م : من الضوء .

الثانى : هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم إنما هى على عادة الشعراء العرب ، وإلا فلا شىء من هذه المحْدَثات يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

كالبَدْرِ والكافُ إن أنصفتَ زائدةٌ   فلا تَظنَّنْها كافاً لِتَشْبيهِ

ويرحم الله تعالى القائِل أيضا :

يقولون يَحْكى البدرَ فى الحُسْنِ وجْهُه   وبَدْرُ الدُّجَى عن ذلك الحسن مُنْحطُّ

كما شبهُّوا غُصْنَ النَّقَا بقَوامِه   لقد بالغوا بالمدحِ للغُصْن[1]واشتطُّوا

وقد تقدم فى أبيات سيدى على وَفَا إشارة إلى هذا[2] .

* * *

الثالث : قال الحافظ أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديرا فأراد البَراء أن يزيل ما توهَّمه القائل من معنى الطُّول الذى فى السيف إلى معنى الاستدارة التى فى القمر ، لأن القمر يُؤْنس كلَّ من شاهده ويَجْمع النور من غير أذى حرّ ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التى تُغْشى البصرَ فتمنع من الرؤية .

وقال الحافظ فى الفتح : ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللَّمعان والصقالة فقال البرَاء : لا بل مثل القمر الذى فوق السيف فى ذلك ، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان بل التشبيه به أبْلغ وأشهر . وإنما قال جابر بن سَمُرة « كان مستديرا » لينبِّه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به السائل الطُّولَ واللمعان، فرده المسئول ردًّا بليغا ، ولما جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق ، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرها أتى بقوله « وكان مستديرا » إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً : الحسن والاستدارة[3] .

---

(١) غير ط : بالغصن .

(٢) سبق ذلك فى ص ١١ من هذا الجزء وانظر ترجمة على وفا فى طبقات الشعرانى ٢١ ٢٠ .

(٣) فتح البارى ٦/٤٤٥ .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق :

المطَهَّم : بميم مضمومة فطاء مهملة فهاء مشددة مفتوحتين : وهو المنتفخ الوجه .

المُكَلْثَم : بميم مضمومة فكاف مفتوحة فلام ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة – وهى من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم[1] .

فَخْما : بفاء مفتوحة فخاء معجمة ساكنة : أى عظيما .

مُفَخَّما : بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة مشددة اسم مفعول : أى معظَّما فى الصدور والعيون .

المتبلِّج والأَبْلَج : الحسَن المشْرق المضىء ، ولم تُرد به بلَج الحواجب لأَنها وصفتها بالقَرَن .

دارة القمر : الهالة حَوْله .

سُرَّ : بضم أوله مبنيا للمفعول من السرور .

استنار : أضاء وتنوَّر .

الأَسَارِير : جمع أَسْرار : وهى جمع السِّرر[2] ، وهى الخطوط التى تكون فى الجبهة . وبَرقانها يكون عند الفرح .

المُلاَحكة . شدة الملاءمة[3] ، أى يُرَى شخص الجدُر فى وجهه صلى الله عليه وسلم .

والله تعالى أعلم .

---

(١) غير ط : اللحية .

(٢) فى القاموس : السرر والسرار ، ويضمان ، والسرار بالكسر ، واحد أسرار الكف ، لخطوطها ، وجمع الجمع أسارير .

(٣) كذا فى ط موافقا للنهاية ٤/٥٥ وفى بقية النسخ : شدة اللماعة .

الباب الحادى عشر

فى صفة عنقه صلى الله عليه وسلم ، وبُعْد ما بين مَنْكبيه وغِلَظ كتده

قالت أُم معبد رضى الله تعالى عنها : كان فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم سَطع .

رواه الحارث بن أَبى أُسامة [١]

وقال هند بن أَبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم كجِيد دُمْية فى صفاء الفضة .

رواه الترمذى[٢] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيما رواه ابن عساكر ، وعلى بن أَبى طالب فيما رواه ابن سعد وأَبو نعيم والبيهقى : كأَن عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة[٣] .

وروى الإمام أَحمد والشيخان عن البرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه : والإمام أَحمد والبيهقى عن أَبى هريرة ، والترمذى عن هند رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدَ ما بين المَنْكبين[٤] .

وروى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلِيل المشَاش والكتد[٥] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠ .
(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ١/٣١ .
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .
(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ، ٩٢
(٥) شرح الشمائل ١/٢١ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله الناس فأعطاهم الحديث وفيه : فجذَبوا ثوبه حتى بدا مِنْكبه فكأنما أنظر حين بدا منكبه إلى شقة القمر من بياضه صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عن منكبَيْه فكأنه سَبِيكة فضة .

رواه البزّار والبيهقى وابن عساكر[1] .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبى خيثمة فى تاريخه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس عُنقا ، ما ظهرَ من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مُشْرَب ذهباً يتلألأ فى بياض الفضة وحُمْرَة الذهب ، وما غيَّبَتْ الثيابُ من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر .

[تفسير الغريب]

السَّطَع : بالتحريك طول العنق .

الجيد . بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية : العنق .

الدُّمْية- بضم الدال المهملة وإسكان الميم ومثناة تحتية مفتوحة- الصورة المصوَّرة سميت بذلك لأن الصانع يتفوَّق فى صنعها وتحسينها ، شبّه عنقه صلى الله عليه وسلم بالفضة فى صفائها .

المَنْكِب : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه : مُجْتَمع رأس العَضُد والكتف . وبُعْد ما بين المنكبين يدل على سعة الصدر والظهر .

المُشَاش : بضم الميم وشينين معجمتين : رءوس العظام : المرفقين والكعبين والركبتين وقال الجوهرى . رءوس العظام اللَّينة التى يمكن مضغها .

الكَتَد : بكاف فمثناة مفتوحتين فدال مهملة مُجْتمع الكتفين .

والله تعالى أعلم .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

الباب الثانى عشر

فى صفة ظهره صلى الله عليه وسلم وما جاء فى صفة خاتم النبوّة

قال مُحَرِّش - بضم الميم وفتح المهملة وقيل معجمة وكسر الراء بعدها معجمة، ابن عبدالله الكَعْبي رضى الله تعالى عنه : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعْرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سَبيكة فضة .

رواه الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان(١) .

فصل :

اختلف فى صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقاربة المعنى .

أحدها : أنه مثل زرّ الحَجَلة .

روى الشيخان عن السائب بن يزيد رضى الله تعالى عنه قال : قمت خلف ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة(٢) .

الثانى : أنه كالجُمْع :

روى مسلم عن عبد الله بن سَرْجس - بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم بعدها مهملة - رضى الله تعالى عنه قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفه عند نُغْض كتفه اليسرى جُمْعاً عليه (٣) خِيلاَن كأمثال الثَّآليل(٤) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٣٨٠ تحت عنوان : حديث رجل من خزاعة رضى الله عنه . فرواه عن سفيان بن عيينة ، عن اسماعيل بن أمية . عن رجل من خزاعة يقال له محرش أو مخرش لم يكن سفيان يقف على اسمه . وهو كذلك فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٥ عن محرش بالحاء المهملة وفى الخصائص الكبرى للسيوطى ١/٧٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبوة .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وسنن الترمذى كتاب المناقب باب خاتم النبوة . وهو فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٩ . والخصائص الكبرى ١/١٤٧ .

(٣) غير ط : على خيلان .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .

الثالث : أنه كبيضة الحمامة .

روى مسلم والبيهقى عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال: رأيت خاتم النبوة بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[1] .

وروى أبو الحسن ابن الضَحاك عن سَلْمان رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة .

الرابع : أنه شَعْرٌ مجتمع .

روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصحَّحه وأبو يَعْلى والطبرانى من طريق عِلْباء- بكسر المهملة وسكون اللام بعدها موحدة- ابن أَحْمر- بحاء مهملة وآخره راء- عن أبى يزيد عمرو بن أَخْطب ، بالخاء المعجمة ، الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادْنُ فامسح ظهرى . فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم . فقيل له[2] : ما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع عند كتفه[3] .

ورواه أبو سعد النيسابورى بلفظ شعرات سود .

الخامس : أنه كالسِّلْعة .

روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقى من طرق عن أبى رِمْثة- بكسر الراء وسكون الميم فثاء مثلثة- رضى الله تعالى عنه قال : انطلقت مع أبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السِّلعة بين كتفيه[4] .

السادس : أنه بضعة ناشزة .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة ناشزة[5] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .
ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٢ .

(٢) غير ط : فقيل لى .

(٣) الخصائص الكبرى ١/١٤٩ .

(٤) مسند أحمد ٢ ٢٢٦ . ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٤ والخصائص الكبرى ٢/١٤٨ . وشمائل الرسول لابن كثير ص ٤١ وروايته : عن أبى ربيعة أو رمثة .

(٥) شرح شمائل الترمذى (جمع الوسائل) ١/٧١ .

وفى لفظ عند البخارى فى التاريخ والبيهقى : لحمة ناتئة[1] ولأحمد : لحمٌ ناشز بين كتفيه[2] .

السابع : أنه مثل البندقة .

روى ابن حبّان فى صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضى سمرقند : حدثنا ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب[3] فيها : محمد رسول الله[4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى « مَوْرد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » بعد أن أورد الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به الكتب[5] . انتهى .

ومن خطه نقلت وبخط تلميذه الحافظ على الهامش : البعضُ المذكور هو إسحاق ــ ابن إبراهيم قاضى سمرقند . وهو ضعيف .

وذكر الحافظ ابن كثير نحو ما قال الهيثمى . ولهذا مزيد بيان يأتى فى ثامن التنبيهات .

الثامن : أنه مثل التفاحة .

روى الترمذى عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضْروف كتفه صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة[6] .

التاسع : أنه كأثر المِحْجَم .

روى الإمام أحمد والبيهقى عن التَّنُوخىّ رسول هرقل رضى الله تعالى عنه فى حديثه الطويل قال : فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضْروف الكتف[7] مثل المِحْجَمة الضخمة .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٢١٥ .
(٢) مسند أحمد ٣/٦٩ .
(٣) فى مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمى : عليه مكتوب .
(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ (ط السلفية) .
(٥) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣ ومسند أحمد ٤/١٦٣ .
(٦) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .
(٧) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

العاشر : أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة .

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصُّفْرة حولها شعرات متراكبات كأنَّها عُرْف الفَرَس[1] رواه أبوبكر بن أبى خيثمة من طريق صبح بن عبد الله الفَرْغانى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الحادى عشر : أنه كشامة [2] خضراء مُحْتضرة فى اللَّحم ، قليلا .

نقله ابن أبى خيثمة فى تاريخه عن بعضهم . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الثانى عشر : أنه كرُكْبة عَنْز :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة عن عَبّاد بن عمر رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتف النبى صلى الله عليه وسلم الأيسر كأنه رُكْبة عَنْز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يُرَى الخاتم .

سنده ضعيف .

الثالث عشر : أنه كبيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده لا شريك له . وفى ظاهره : توجَّه حيث شئت فإنك منصور .

رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم، قال فى المورد : وهو حديث باطل . ولهذا مزيد بيان فى ثامن التنبيهات .

الرابع عشر : أنه كنور يتلألأ .

رواه ابن عائذ – بعين مهملة ومثناة تحتية وذال معجمة .

الخامس عشر : أنه ثلاث شعرات مجتمعات .

ذكره أبو عبد الله محمد القُضَاعى – بضم القاف وبضاد معجمة وعين مهملة – رحمه الله تعالى فى تاريخه .

---

(١) س : كأنها مثل عرف الفرس . والعبارة ساقطة فى ت م .

(٢) غير ط : أنه شامة .

السادس عشر : أنه عذرة[1] كعذرة الحمامة . قال أبو أيوب : يعنى قرطمة[2] الحمامة .

رواه ابن أبي عاصم فى سيرته .

السابع عشر : أنه كتينة صغيرة تَضْرب إلى الدُّهْمة[3] .

رُوى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

الثامن عشر : أنه كشىء يُخْتم به .

روى ابن أبي شيبة عن عمرو بن أخطب أبي زيد الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا بظُفره . كأنه يَخْتم .

التاسع عشر : أنه كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كدارة القمر مكتوب فيها سطران : السطر الأول : لا إله إلا الله . وفى السطر الأسفل : محمد رسول الله . رواه أبو الدَّحْدَاح أحمد بن إسماعيل الدمشقى رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من سيرته . قال فى « المَوْرِد » و « الغُرَر » وهو باطل بيِّن البطلان .

العشرون : أنه كبيضة نعامة . روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال : رأيت خاتمَ النبوّة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كبيضة النعامة يشبه جسده[4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى «مَوْرد الظمآن » روى هذا فى حديث الصحيح[5] فى صفته صلى الله عليه وسلم ولفظه : مثل بيضة الحمامة وهو الصواب .

قال الحافظ : تبيَّن من رواية مسلم « كرُكْبة عنز » أن رواية ابن حبان غلط من بعض الرواة .

---

(١) ص : أنه غدة . وما أثبته من ط ، ت ، م .

(٢) ص : يعنى فى طهرة الحمامة . وفى الهامش : قرطمة الحمامة .

(٣) الدهمة : السواد .

(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ .

(٥) مورد الظمآن ص ٥١٤ : فى حديث فى الصحيح .

قلت : ورأيت فى « إتحاف المهَرَة » للحافظ شهاب الدين البوصيرى رحمه الله تعالى بخطه : « كركبة البعير » وبيَّض لاسم الصحابى وعَزاه لمسند أبى يَعْلى وهو وَهْم من بعض رواته كأنه تصحَّف عليه كركبة عَنْز بركبة بعير .

ثم رأيت ابن عساكر روى الحديث فى تاريخه من طريق أبى يعلى وسمَّى الصحابى عبَّاد بن عَمْرو .

وقال الحافظ فى الإصابة فى سنده من لا يُعْرف . قلت : وقد تقدَّم عنه فى الثانى عشر أنه كركبة عنز . ولم أظفر به فى مجمع الزوائد للهَيْثمى .

الحادى والعشرون : أنه غُدة [1] حمراء .

روى أبو الحسن ابن الضحاك عن جابر بن سمُرة رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدةً حمراء مثل بيضة الحمامة

***

تنبيهات

الأول : اختلف فى موضع الخاتم من جسده صلى الله عليه وسلم : فنى صحيح مسلم : أنه عند نُغْض كتفه الأيسر . وفى رواية شاذة عن سلمان أنه عند غُضْروف كتفه اليمنى . عزَى هذه الرواية الشيخُ فى الخصائص الكبرى والسخاوى فى جَمْع طُرق قصة سلمان من رواية أبى قُرّة الكِنْدى عنه لدلائل البيهقى ولم أر ذلك فى نسختين منها ، لا فى الكلام على خاتم النبوة ولا فى قصة سَلْمان ، فكأنه فى موضع آخر غيرهما .

الثانى : قال العلماء : هذه الروايات متقاربة فى المعنى وليس ذلك باختلاف بل كل راوٍ شبَّه بما نسخ له ، فواحد قال كِزرّ الحَجَلة [2] وهو بَيْض الطائِر المعروف أو أزرار البشخاناه . وآخر كبيضة الحمامة . وآخر كالتفاحة وآخر بَضْعة لحم ناشزة . وآخر لحمة ناتئة . وآخر كالمِحْجمة. وآخر كرُكْبة العنز . وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم .

(١) غيرط : كغدة .

(٢) غيرط : كزر الحجل .

ومن قال : شُعْر . فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأُخرى .

قال أبو العباس القرطبي فى « المفهم » : دلت الأَحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزًا أحمر عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأَيسر إذا قُلِّل قَدْر بيضة الحمامة ، وإذا كبِّر قدر جُمْع اليد .

وذكر نحوه القاضى وزاد : وأما رواية جمع اليد[1] فظاهرها المخالفَة ، فتُتَأَوَّل على وفْق الروايات الكثيرة ، ويكون معناها : على هيئة جُمْع الكف لكنه أَصغر منه فى قدر بيضة الحمامة .

* * *

الثالث : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم .

قلت : روى أبو عُمَر بسند قوى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلا سأَل ربَّه[2] أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرِى جسدا مُمْهًى[3] يُرى داخله من خارجه ، وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه حِذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله فى مَنْكبه الأَيسر إلى قلبه يُوَسْوس إليه فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خَنس[4]

قال السُّهيلى : والحكمةُ فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار[5] أنه صلى الله عليه وسلم لمّا مُلِىء قلبُه إيمانا خُتم عليه كما يُخْتَم على الوعاء المملوء مِسْكاً أودُرًّا ، فجمع الله تعالى أَجزاء النبوة لسيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتممَّه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسُه ولا عدوُّه سبيلا إليه من أَجل ذلك الختم ، لأَن الشىء المختومَ محروسٌ ، وكذلك تدبير الله تعالى لنا فى هذه الدار إذا وجد أَحدنا الشىء بختمه زال الشكُّ وانقطع الخصام فيما

---

(١) ط : جمع الكف .

(٢) فى ط : سأل ربه سنة .. الخ .

(٣) فى اللسان عن الليث : المهى إرخاء الحبل ونحوه . وأنشد لطرفة : .. لكالطول الممهى وثنياه فى اليد .

(٤) ذكره فى جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٧٢ وقال إنه خبر مقطوع . وقال : أخرجه عبد البر – يقصد أبا عمر ابن عبد البر – بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز . وذكره أيضا صاحب الفائق .

(٥) غيرط على جهة اليسار . وهو تحريف .

بين الآدميّين ، فلذلك ختَم رب العالمين فى قلبه ختْما يطمئن له القلبُ وألقى فيه النور ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة[1] .

* * *

الرابع : قال الحافظ : مقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، وإنما وضِع لما شُقَّ صدره عند حليمة وفيه تعقُّب على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم ولِد به ، وهو قولٌ نقله أبو الفتح بلفظ : قيل ولد به وقيل حين وضع . ونقله مُغَلْطاى عن ابن عائِذ .

قال الحافظ : وما تقدم أثْبت .

قلت : وصححه فى « الغُرَر » وتقدمت الأحاديث التى فيها ذِكْر الختم فى باب شَقَّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم فراجعها[2] .

ومقتضاها والحديث السابق أول هذا الباب أن الختم تكرر ثلاث مرات : الأول وهو فى بلاد بنى سعد . والثانية : عند المبعث . والثالثة: ليلة الإسراء ، ولم أقفْ فى شيء من أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم . فالله تعالى أعلم .

* * *

الخامس : سئل الحافظ برهان الدين الحلبى رحمه الله تعالى : هل خاتم النبوة من خصائِص النبى صلى الله عليه وسلم ؟ أو كلّ نبى مختوم بخاتم النبوة ؟ فأجاب : لا أستحضر فى ذلك شيئًا ولكن الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم خُصَّ بذلك لمعان منها : أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره . ولأن باب النبوة خُتم به فلا يُفتح بعده أبدًا .

وروى الحاكم عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالى قال : لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى ، إلا أن يكون نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ شامةَ النبوّة كانت بين كتفيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الروض الأنف ١/١٠٩ .

(٢) سبق ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي صلى الله عليه وسلم مما اختص به عن الأنبياء وجزم به الشيخ رحمه الله تعالى فى « أنموذج اللبيب» كما فى النسخ الصحيحة خلافاً[1] لما وقع فى غيرها مما يخالف ذلك .

* * *

السادس : قال القاضى رحمه الله تعالى : إن الختم هو أثر شَقّ الملَكيْن لما بين كتفيه. وتعقبه النووى فقال : هذا باطل لأن الشق إنما كان فى صدره صلى الله عليه وسلم وبطنه ، وقال القرطبي أثره ـ أى الشق ـ إنما كان خطًّا واضحًا من صدره إلى مَراقّ بطنه كما فى الصحيح . ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفَذ من وراء ظهره ، ولو ثبت لزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى بطنه أى أسفل بطنه لأنه الذى يحاذى الصدر من مَسْربته إلى مراقّ البطن . قال : فهذه غفلة من القاضى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : كذا قال . وقد وقفت على مستند القاضى وهو حديث عتبة بن عَبْد السُّلَمىّ وفيه أن الملكين لما شقَّا صدره صلى الله عليه وسلم قال أحدهما للآخر خطْه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة. انتهى . فلما ثبت أن خاتم النبوة بين كتفيه كان ذلك أثر الخَتْم[2]

وفهم النووى وغيره أن قوله : «بين كتفيه » متعلق بالشق ، وليس كذلك بل هو متعلق بالختم ويؤيّده ما فى حديث شدَّاد بن أَوْس عند أبى يعلى وأبى نُعَيْم فى الدلائل أن الملَك لما أخرج قلبه وغسَله ثم أعاده ختم عليه بخاتم فى يده من نور فامتلأ نورًا وذلك نور النبوة . فيحتمل أن يكون ظهَر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب فى تلك الجهة .

وفى حديث عائشة عند أبى داود الطيالسى وابن أبى أسامة وأبى نعيم فى الدلائل أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث « هبط جبريل فسَلقنى لِحلاوةِ القفَا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقانى

---

(١) ط : خلافا لغيرها .
(٢) غيرط : أثر الخاتم .

وختم فى ظهرى[1] حتى وجدت بَرْد[2] الخاتم فى قلبى وقال: اقرأْ » وذكر الحديث[3]. هذا مستند القاضى رحمه الله تعالى وليس بباطل .

قلت : وقد تقدم فى التنبيه الثالث من كلام السُّهَيْلى ما يوضِّح ما ذكره القاضى فراجعه .

السابع : وقع فى حديث شدَّاد بن أوس فى مَغازى ابن عائذ فى قصة شقّ صَدْره صلى الله عليه وسلم وهو فى بلاد بنى سعد بن بكر « وأقبل وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه » وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع فى موضعين من جسده صلى الله عليه وسلم والعلم عند الله تعالى .

الثامن : قال الحافظ : ما قيل إن الخاتم كان كأَثر مِحْجم[4] أو كالشامة السوداء أو الخضراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله أو سِرْ فإنك المنصور . ونحو ذلك فلم يَثْبت من ذلك شىء ولا يُغتَر بما وقع فى صحيح ابن حبان فإنه غَفَل حيث صحح ذلك .

وقال القطب فى « المورْد » والمحب ابن الشهاب بن الهائم فى « الغُرَر»: إنه حديث باطل . ونقل أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى عن الحكيم الترمذى أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده . وفى ظاهرها : تَوجَّه حيث شئت فإنك منصور . قال ابن دحية : وهذا غريب واستنكروه .

وتقدم لهذا مزيد بيان فى فصل : اختُلف فى صفة خاتم النبوة فراجعه .

التاسع : قيل إن الخاتم النبوى الذى كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم رُفع عند وفاته فكان بهذا عُرف موته صلى الله عليه وسلم . فروى أبو نعيم والبيهقى من طريق الواقدى

---

(١) ط : فى صدرى .

(٢) ط : مس الخاتم .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٥ .

(٤) غيرط : كأثر المحجم .

عن شيوخه قالوا: شكوا فى موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : قد مات . وقال بعضهم : لم يمت . فوضعت أسماء بنت عُمَيْس رضى الله تعالى عنها يَدها بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : قد مات ، قد رُفع الخاتم من بين كتفيه . وكان بهذا عرف موتُه صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن سعد عن الواقدى عن أم معاوية أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره [1] .

والواقدى متروك بل كذَّبه جماعة .

وذكر فى « الزهر » أن الحاكم روى فى تاريخه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها لمست الخاتم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رُفع . انتهى .

ووقع لى نِصْف تاريخ الحاكم فطالعته فلم أر فيه ذلك وكأنه فيما لم يقع لى . فلينظر سنده ، وما أخاله صحيحا . وعلى تقدير كونه صحيحا قال فى « الاصطفـــاء » فإن قيل : النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة كما يبقى وصفُ الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو[2] الروح وهى باقية لا تتغير بموت البدن كما صرح به النسفى فلم رُفع ما هو علامة على ذلك ؟

قلت : لأنه لمـــا وضع لحكمة وهى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الأمن منه بالموت فلم يبق لبقائه فى جسده فائدة . وما ذكره النسفى من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى وعامة أصحابه ، لا لمـــا قال النسفى بل لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم كما وردت به الأخبار وسيأتى تحقيق ذلك فى باب حياته فى قبره صلى الله عليه وسلم .

العاشر : روى الحافظ إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وابن عساكر فى تاريخه ،عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : أَرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفه فالتقمت خاتم النبوة بفِيَّ فكان ينمّ علىَّ مسْكا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٧٢ (ط بيروت) .

(٢) ت م : هى الروح .

الحادى عشر : فى بيان غريب ما سبق : زرّ الحَجَلة : اختلف فى ضبط زُرّ وفى الحجلة ومعنييهما . فقيل فى « زر » إنه بتقديم الزاى على الراء المشددة والحَجلة بفتح الحاء المهملة والجيم وعلى هذا فقيل المراد بالزِّر الذى يعقد به النساءُ عُرَى حجُولهن كأَزرار القميص والحجلة بيتٌ من ثياب كالقُبّة يُجعل بابه من جنبه [١] يُجعل فيه الزِّر والعُرْوة . وقيل : المراد بالزر البَيْض والحجَلة الطائر المعروف . قال الترمذى رحمه الله تعالى : ويساعده فى ذلك رواية كبيضة حمامة . قال النووى : والصحيح المشهور هو الأَول . وقيل المراد بالحجلة من حجَل الفرس . نقله البخارى فى الصحيح عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أَبى زيد [٢]

قال فى المطالع وقيَّده بعضهم بضم الحاء وفتح الجيم . قال فى المطالع : إن كان سمِّى البياض الذى بين عينى الفرس حُجْلة لكونه بياضا كما سمى بياض القوائم تحجيلا فما معنى الزرّ مع هذا [٣] ؟ لا يتجه لى فيه وَجْه .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : واستبعد السُّهيلىّ قولَ ابن عبيد الله بأَنها من حجل الفرس الذى بين عينيه بأَن التحجيل إنما يكون فى القوائم وأَما الذى فى الوجه فهو الغُرَّة وهو كما قال ، إلا أَن منهم من يطلق على ذلك مجازًا وكأَنه أَراد أَنها قَدْر الزر وإلا فالغُرة لا زِرّ لها .

وضبطه بعضهم بتقديم الراء على الزاى . حكاه الخطَّابى وفسره بأَنه البيض من قولهم أَرَزَّت الجرادةُ بفتح الراء وتشديد الزاى إذا أَدخلت ذَنبها فى الأَرض لتبيض . فاستعار له الطائر. قال فى « المفهم »: لا يسمى العربُ البيضة « رُزَّة [٤] » ولا تؤخذ اللغة بالقياس .

النُّغْض ـ بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد معجمتين ـ قال الجمهور : النغض والناغض : أَعلى الكتف . وقيل هو العَظْم الدقيق الذى على طرفه [٥] وقيل : ما يظهر عند التحرُّك .

---

(١) ط : من جنسه .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : ابن محمد بن يزيد . والذى فى صحيح البخارى : قال ابن عبيدالله : الحجلة من حجل الفرس الذى بين عينيه . قال ابن حجر هكذا وقع وكأنه سقط منه شىء ، لأنه يبعد عن شيخه – يريد شيخ البخارى ابن عبيد الله – أن يفسر الحجلة ولم يقع لها فى سياقه ذكر ، وكأنه كان فيه : مثل زر الحجلة ثم فسرها . فتح البارى ٦/٤٣٩ (ط عبد الرحمن محمد) .

(٣) غير ط : فى هذه .

(٤) غير ط : الرزة .

(٥) ص : على كتفه .

السِّلْعَة . بكسر السين وسكون اللام وفتح العين : وهى هنا خُرَّاج كهيئة الغُدّة يتحرك بالتحريك .

البَضْعة : القطعة من اللحم والجمع بَضْع وبَضَعات. وبِضَع وبِضَاع . مثل تَمْرَة وتَمْر وسَجَدات وبِدَر وصِحَاف .

ناشِزة : بنون وشين مكسورة فزاى معجمتين : مرتفعة .

ناتئة – بالهمز وتَرْكه : أى خارجة من موضعها من غير أن تَبِين .

جُمْع – بضم الجيم ، وحكى ابن الجوزى وابن دحية كَسْرها وبه جزم فى « المفْهم » بإسكان الميم أى مَجْمَع الكف وهو صورته بعد أن تَجمع الأَصابع وتضمها يقال ضربه بجُمْع كفه .

خِيلان – بخاء معجمة مكسورة فمثناة ساكنة : جمع خال وهو الشامة فى الجسد .

الثَّآليل – بالثاء المثلثة – جمع ثُؤْلول بهمزة ساكنة وِزَان عُصْفور ويجوز التخفيف : حَبٌّ يظهر فى الجسد كالحمصة فما دونها . قال القرطبى فى المفهم :نقط سود كانت على الخاتم شبَّهها بها لسعتها لا أنها كانت ثآليل .

الغُضْروف : رأس لوح الكتف . متراكبات[1] : مجتمعات .

سَلَقنى . ألقانى على ظهرى . قال فى النهاية : ويروى بالصاد أيضا وبالسين أكثر

---

(١) ط : متراكات .

الباب الثالث عشر

فى صفة صدره وبطنه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر سواء البطن والصّدر مشيح الصَّدْر .

رواه الترمذى [1] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : لم تَعِبْه ثَجْلة ولا تُزْرِيه [2] صُعْلة .

رواه الحارث بن أبى أسامة.

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها ؛ ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلا تذكرت القراطيس المثنىّ بعضها على بعض .

رواه أبو داود الطيالسي وابن سعد [3]

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة فى تاريخه : كانت له صلى الله عليه وسلم عُكَن ثلاث يغطى الإزارُ منها واحدةً ويظهر ثنتان ، ومنهم من قال : يغطى الإزارُ منها ثنتين ويظهر واحدة ـ تلك العُكَن أبيض من القباطىّ المطواة وأليْنَ مسًّا .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض البطن .

رواه الترمذى والبيهقى [4] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ . والرواية فيه : سواء البطن والصدر عريض الصدر .

(٢) كذا والرواية : ولم تزر به صعلة . الوفا لابن الجوزى ص ٢٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٤١٩ (ط بيروت) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٨٨ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنور المتجرَّد دقيق المسْربة مَوْصول ما بين اللبّة والسّرة بشعرٍ يجرى كالخط[1] عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

رواه الترمذى[2] .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفتق الخاصرة[3] .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الكَشْحين .

رواه ابن عساكر[5] .

وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل المَسْرُبَة .

رواه الترمذى وصححه[6] .

وقال أيضا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يجرى من لَبَّته إلى سُرَّته كالقضيب ليس فى صدره ولا بطنه شعر غيره .

رواه ابن سعد وابن عساكر[7] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق المَسْرُبة له شعرات من لَبَّته إلى سُرَّته كأنهن قضيب مِسْك أذْفر ، ولم يكن فى جسده ولا صدره شعرات غيرهن .

رواه ابن عساكر[8] .

---

(١) كذا ولعلها : كالخيط ، كما فى شمائل الترمذى .

(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ١/٣١ ، ٣٢ .

(٣) غير ص : مفتق . وفى تاريخ ابن عساكر : منفتق .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٦) شرح الشمائل ١/١٩ .

(٧) طبقات ابن سعد ١/٤١٠ (ط بيروت) .
وتاريخ ابن عساكر ١ ٣١٦ .

(٨) تاريخ ابن عساكر ١ ٣١٧ نحو هذا .

[تفسير الغريب]

سَوَاء : بالمد أى مستوى البطن والصدر يعنى أن يظنه غير خارج فهو مساوٍ لصدره. وصدره عريض فهو مُسَاوٍ لبطنه .

مُشِيح – بميم مضمومة فشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة . أى بادِىَ الصدر غير قَعَسٍ ، والقَعَسُ : نتوءُ الصّدر خِلْقة .

ويروى : فَسِيح الصدر بالفاء ومهملتين أى واسع الصدر .

الثُّجْلة – بثاء مثلثة وجيم ساكنة فلام مفتوحة : عِظَم البطن ويروى بالنون والحاء المهملة وهو النحول وهو الدقة وضعف التركيب .

ولا تُزْرِيه . بضم أوّله .

الصُّقْلة . بالصاد المهملة والقاف[1] : الدقة والنحول . وقيل أرادت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا .

القراطيس : جمع قِرْطاس .

مُفَاض البطن : أى واسعه . وقيل مستوى البطن مع الصدر .

أنْوَر : من النور [2] تريد شدة بياضه وحُسْنه .

المتجرَّد–بضم الميم وفتح التاء والجيم والراء المشددة : ما جرّد[3] عنه الثوب من بدنه وهو المجدَّد أيضا .

المَسْرُبَة – بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وفتح الباء الموحدة فتاء تأنيث : الشعر المُسْتَدقّ ما بين اللبّة إلى السّرة .

---

(١) كذا والذى فى المراجع : صحلة . بالعين المهملة .
(٢) ت م : من التنوير .
(٣) ت م : ما جهد .

اللَّبَّة – بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة : المَنْحَر وهى التَّطامُن الذى فوق الصدر وأسفل الحلق بين الترقوتين وفيها تُنْحر الإبل .

عارى الثَّدْيَيْن إلى آخره : أى أن ثدييه وبطنه – ليس عليهما شعر سوى المَسْرُبة المتقدم ذكرها الذى جعله جاريًا كالخطّ .

الأَشعر : الذى عليه الشعر من البدن .

الكَشْح : الخصْر .

الباب الرابع عشر

فيما جاء فى شق صدره وقلبه ألشريفين صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « أَلم نَشْرح لك صَدْرَك » قال فى الكشاف : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار مبالغة فى إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شرَحْنا لك صدرك . ولذلك عطف عليه « ووضَعْنا » اعتبارا للمعنى[1] .

قال الطيبى : أى أنكر عدم الشرح فإذا أنكر ذلك ثبت الشرح لأن الهمزة للإنكار ، والإنكار نَفْى ، والنفى إذا دخل على النفى عاد إثباتا ، ولا يجوز جعل الهمز للتقرير .

قال الراغب رحمه الله تعالى : أصل الشرح بَسْط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شَرْحَ الصدر وهو بَسْطه بنور إلهى وسكينة من جهة الله وروح منه[2] .

النقّاش[3] : الشرح التّوسعة وكلُّ ما وسَّعته فقد شرحته .

الراغب : الصدر الجارحة وجمعه صدور . قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلبَ فإشارة إلى العقل والعلم نحو : « إنَّ فى ذلك لَذِكْرَى لمن كان له قَلْبٌ »[4] وحيثما ذكر الصَّدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى ونحوهما وقوله : تعالى : « ربِّ اشرحْ لى صَدْرى[5] » سؤال لإصلاح قواه وكذا : « ويَشْفِ صدور قوْمٍ مُؤْمنين[6] » فإشارة إلى ذلك .

مكّى : المراد بالصدر القلب ، لأنه وعاء الفهم والعلم وإنما ذكر الصدر لقربه من القلب وامتزاجه به .

---

(١) تفسير الكشاف ٦١٤/٤ (ط الاستقامة) .

(٢) مفردات الراغب ص ٢٥٨ (ط الحلبى) .

(٣) كذا فى ط وفى بقية النسخ : الشاسى .

(٤) سورة ق ٣٧ .

(٥) سورة طه ٢٥ .

(٦) سورة التوبة ١٤ .

الحكيم الترمذى : ذكر الصدر دون القلب لأن[1] محل الوسوسة فى الصدر ، فأزال الله تلك الوسوسة وأبْدَلها بدواعى الخير وهى الشَّرْح . وقيل القلب محلّ العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فإن الشيطان يجىء الصدر الذى هو حصن القلب فإذا وجد مَسْلكًا أغار عليه فيضيق القلب ولا يجدُ للطاعة لذةً ولا للإسلام حلاوة فإذا طرد العدوّ فى الابتداء حصل الأمن وزال الضِّيق وانشرح الصدر وتيسّر له القيام بأداء العبوديّة .

الأستاذ أبو على الدَّقاق رحمه الله تعالى : كان موسى صلى الله عليه وسلم مريدًا إذ قال : « ربّ اشرحْ لى صَدْرى » وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مُرَادًا إذ قيل له : «ألم نَشْرحْ لك صدرك » .

الإمام الرازى رحمه الله تعالى : وإنمّا لم يقل : ألم نشرح صدرك دون « لك » لوجهين : أحدهما : أراد شرحَه لأجلك كما تفعل أنت الطاعة لأجْلى . الثانى : أن فيه تنبيهًا على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه الصلاة والسلام . كأنه قيل إنمّا شرحنا [لك] صدرك لأجلك لا لأجلى .

وإنما قال « نَشْرح » بنون العظمة لأن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من مُنَازعة الجن والإنس فآتاه الله تعالى من آياته ما اتسع لكل ما حمله صلى الله عليه وسلم .

واختلف المفسرون فى معنى الآية على أقوال : فقال الإمام البيضاوى رحمه الله تعالى : ألم نُفْسحه حتى وَسِع مناجاةَ الحق ودعوة الخَلْق وكان غائبا حاضرا أو : ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحِكَم وأزَلْنا عنه ضيق الجهل . أو : بما يسَّرناه لك من تلقِّى الوحى بعد ما كان يشق عليك[2] .

وقيل : إنه إشارة إلى ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صِبَاه أو يوم أَخْذ الميثاق فاستخرج قلبه فغسله فملأه إيمانا وعِلما[3] ولعله إشارة إلى نحو ما سبق انتهى .

---

(١) ص : لأنه محل الوسوسة فى الصدر .

(٢) تفسير البيضاوى ٢/٣٧٥ (ط الميمنية) .

(٣) غيرط : وحلما .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى حواشيه : إن أراد بقوله « يوم الميثاق » يوم أخذه فى عالم الذَّرّ فلا أصل له . وإن أراد به يوم بُعث ونُبِّئ . وبيّض الشيخ هنا . قلت : وكأنه أراد : فله أصل . كما سيأتى فى المرة الثالثة .

ولا منافاة بين هذه الأقوال السابقة وبين شق صدره صلى الله عليه وسلم فإن من جملة شَرْح صدره شقه وإخراج ما فيه من أذى كما أشار إلى ذلك الحافظان أبو جعفر محمد ابن جَرِير الطَّبَرى وابن كَثِير رحمهما الله تعالى .

* * *

وقد تكرَّر شقُّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أربع مرّات : الأُولى : وهو صلى الله عليه وسلم صغير فى بنى سعد .

روى البيهقى عن إبراهيم بن طَهْمان - بفتح الطاء المهملة رحمه الله تعالى : قال : سألت سعدً عن قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » فحدثنى عن قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : شُقَّ بطنه صلى الله عليه وسلم من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبه إلخ .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشَقَّ عن قلبه واستخرج القلبَ ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ثم لأَمه فأعاده مكانه . وجعل الغلمان يَسْعون إلى أُمّه - يعنى ظِئره - فقالوا : إن محمدًا قد قُتل فجاءوه وهو مُنْتقع اللون . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المِخْيط فى صدره صلى الله عليه وسلم

وروى الإمام أحمد والدارمى والحاكم وصححه والطبرانى والبيهقى وأبو نُعَيْم . عن عُتْبة ابن عَبْدٍ - بغير إضافة - السُّلَمى رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقتُ أنا وابن لها فى بَهْم لنا ولم نأخذ معنا زادًا فقلت : يا أخى اذهب فائتنا بزادٍ من عند أُمنا . فانطلق أخى ومكثتُ عند البَهْم فأقبل إلىّ طائران كأنهما نَسْران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم فأقبلا . يبتدرانى فأخذانى فبطَحانى للقفا فشقَّا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقَّاه فأخرجا منه علقتين سَوْداوَيْن

فقال أحدهما لصاحبه : إيتنى بماء ثَلْج فغسلا به جَوْفى ـ ثم قال : إيتنى بماء بَرَد فغسلا به قلبي . ثم قال : ايتنى بالسَّكينة فذرَّاها فى قلبي . ثم قال أحدهما لصاحبه حُصْه . فحاصه وختم عليه[1] بخاتم النبوّة . وذكر الحديث .

[تفسير الغريب]

الظُّئْر ومُنْتقع اللَّون . تقدما فى شرح غريب قصة الرضاع . المِخْيط بكسر الميم : ما يخاط به . البَهْم وَزْن فَلْس ـ جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الغنم .

نَسْران : تثنية نَسر ـ طائر معروف والجمع أَنْسُر ونُسور مثل فَلْس وأَفْلس وفُلوس .

ذَرَّاها بذال معجمة : حَشياهَا[2]

حُصْه بحاء مهملة مضمومة : أى خِطْه يقال حاص الثوبَ يَحُوصه حوصًا إذا خاطه

***

المرة الثانية : وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين .

روى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المُسْند بسندٍ رجَاله ثقات ، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء ، فى « المُخْتارة » عن أُبَيّ بن كعب رضى الله تعالى عنه أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال يارسول الله ما أولُ ما ابتُدئتَ به من أمر النبوة ؟ قال : إنى لفى صحراء أَمْشِى ابن عشر حِجَج إذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم . فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخَلْق قط وأرواح لم أرها من خَلْق قط ، وثياب لم أرَها على أحد قط ، فأقبلاَ إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدى لا أجد لأخذهما مَسًّا . فقال أحدهما لصاحبه : أَضْجعه . فأضجعانى بلا قَصْر ولا هَصْر وفى لفظ : فقلبانى[3] لِحَلاوة القفا ثم شقَّا بطني . وفى لفظ فقال أحدهما

---

(١) ط : وختمه .

(٢) مجمع الزوائد : ٨/٢٢٢ وهو فى دلائل النبوة للبيهقى ١/٣٥٢ .
وقال : رواه أحمد والطبرانى وإسناد أحمد حسن .

(٣) ط : فصلقانى وفوقها : فلصقانى . وما أثبته من ص ، ت ، م .

لصاحبه : افلق صدره . فخَوَى أحدهما إلى صدْرى ففلقه [1] فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء فى طَسْت من ذهب والآخر يغسل جَوفى فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فإذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعًا . ثم قال : شق قلبه فشق قلبى فقال : أخرج الغِلَّ والحسد منه . فأخرج شبه العَلَقة فنبَذ به . ثم قال : أدخل الرأفَةَ والرحمةَ فى قلبه . فأدخل شيئا كهيئة الفضَّة . ثم أخرج ذَرُورا كان معه فذَرَّه عليه ثم نقَر إبْهَامى ثم قال : اغْدُ واسْلَم . فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير [2] .

[تفسير الغريب]

الحِجَج : بكسر الحاء وفتح الجيم الأولى السِّنُون .

الأرواح : جمع رِيح بمعنى الرائحة وهى عَرَض يدرك بحاسة الشم وهى مؤنثة يقال ريح [3] ذكية .

بلا قَصْر : قصرتُ الثوبَ أى أرخيته بلا استرخاء . ولا هَصْر : قال فى النهاية : هصَر ظَهْرَه أى ثناه إلى الأرض . وأصل الهَصْر أن تأخذ برأس العود فتَثْنيه إليك وتَعْطفه .

حلاوة القفا : يأتى بيانه فى بيان غريب المرة الثالثة .

خَوى أحدُهما إلى صدرى : أى مال إليه .

ذَرُورًا : بفتح الذال المعجمة

---

(١) ط : ففلقاه .

(٢) ط : ورقتى على الكبير . والحديث فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ . وقال : رواه عبد الله – أى ابن الإمام أحمد – ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان .

(٣) غير ط : رائحة .

المرة الثالثة : عند المبعث

روى أبو داود الطيالسى والحارث ابن أبى أسامة فى مسنديهما ، والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نذَر أن يعتكف شهرًا هو وخديجة . فوافق ذلك شهرَ رمضان فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليك . قال : فظننت أنها فُجَاءة الجن . فجئت مسرعًا حتى دخلت على خديجة فقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها فقالت : أبْشر فإنَّ السلام خير . ثم خرجت مرة أُخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس له جناحٌ – بالمشرق وجناح بالمغرب فهِلْت منه فجئت مسرعا فإذا هو بينى وبين الباب فكلَّمنى حتى أَنِسْت منه ثم وعَدنى مَوْعدا فجئت له فأَبطأ علىّ فأَردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدَّ الأُفق فهبط جبريلُ وبقى ميكائيل بَيْن السماء والأَرض . فأَخذنى جبريل فأَلقانى لحلاوة القفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأَمه ثم أكفأنى كما يُكْفَأ الإناء ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مَسَّ الخاتم فى قلبى . وذكر الحديث[1] .

فُجَاءة الجن بالضم والمدّ ، وفى لغة بوزن تَمْرة : بَغْتة .

هِلْت منه : خِفْت وزنًا ومعنىً .

الأُفق . بضم الهمزة والفاء : الناحية والجمع آفاق .

حَلَاوة القفا : بتثليث الحاء المهملة وحُلَاواه . فإن ضمَمْت قَصرْت وهى وسط القفَا .

أكفأنى : قَلَبنى .

***

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٧١ .

روى مسلم والبَرْقانى بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبالقاف والنون ، وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُتيت وأنا فى أهلى فانطُلق بى إلى زمزم فشُرح صدرى ، ثم أُتيت بطَسْت من ذهب ممتلئا حكمة وإيمانا فحشِى بهما صدرى . قال أنس والنبى صلى الله عليه وسلم يُرِينا صدره . فعرج بى الملَك إلى سماء الدنيا . وذكر حديث المعراج[1] .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن مالك بن صَعْصعة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حدَّثهم عن ليلة أُسْرِى به قال : بينما أنا فى الحَطِيم وربما قال قتادة : فى الحِجْر . مُضْطجعًا إذ أتانى[2] آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة . فأتانى فشقَّ ما بين هذه إلى هذه . يعنى من ثغرة نحره إلى شِعْرته . فاستخرج قلبى . فأُتيت بطَسْت من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبى ثم حُشِى ثم أُعيد . ثم أُتيت بدابة دُون البغل وفوق الحمار . ورواه البخارى من طريق شُرَيْك عن أنس رضى الله تعالى عنه[3] . والله أعلم .

ذكر احاديث فيها شق صدره صلى الله عليه وسلم من غير تعيين زمان

عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله كيف عَلمت أنك نبىّ حتى علمت ذلك واستيقنت أنك نبىّ ؟ قال : يا أبا ذر أتانى ملَكان وأنا فى بعض بطحاء مكة فوقع أحدُهما بالأرض[4] وكان الآخر بَيْن السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : هو هو ؟ فقال : هو هو . فقال : زِنْه برجل فوزِنْتُ برجُل فرجَحْت . فقال[5] : زنه بعشرة فوزنني بعشرة فوزنتهم . فقال : زنه بمائة فوزَنني بمائة فرجحتهم . ثم قال : زنه

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شرح النووى على مسلم ٢١٧/٢ ، ٢١٨ .

(٢) ط : إذأتاه .

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب رقم ٦ وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٩ ، ٢٦٤ . ومسند أحمد ٢٠٧/٤ ، ٢٠٨ .

(٤) ط : على الأرض :

(٥) ط : ثم قال .

بألف . فوزنني بألف فرجحتهم فجعلوا يَنْتَثِرونَ عليَّ من كِفَّة الميزان . فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأُمته رَجَحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنَه فشقَّ بطني ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل قلبَه[1] فشَقَّ قلبي[2] فأخرج منه مَغْمز الشيطان وعَلَق الدم فطرحهما ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غَسْلَ الإناء واغسل قلبه غسل المُلَاءة ، ثم دعا بسكِّينة كأنها برهرة بيضاء فأُدخلتْ قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه . فخاط بطني فجعلا الخاتم بين كتفيّ فما هو إلا أن ولَّيا عنيِّ فكأنما أُعَاين الأمر معاينة .

رواه الدارمي والبزّار والرّوياني وابن عساكر والضِّيَاء في المختارة .

وروى البيهقي عن يحيي بن جَعْدة [3] رحمه الله تعالى مُرْسَلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ملكين جاءاني في صورة كُرْكِيَّيْنِ معهما ثلج وبَرَد وماء بارد فشقَّ [4] أحدهما صدري ومجّ الآخر بمنقاره فيه فغسله[5] .

وروى أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس بمهملتين في طرفيه وموحدة وزن جَعْفر رحمه الله تعالى - مرسلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني مَلك بطَسْت من ذهب فشق بطني فاستخرج حُشوة جوفي فغسلها ثم ذرَّ عليه ذَرُورا ثم قال : قلبٌ وَكِيع يعي ما وضع[6] فيه عينان[7] بصيرتان وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفِّي الحاشِر ، قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخُلقك قيِّم وأنت قُثَم[8] .

وروى الدارميّ وابن عساكر ، عن ابن غَنْم - بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة - وهو مختلف في صحبته رضي الله تعالى عنه قال : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه

---

(1) ط : أخرج قلبه .

(2) غير ط : فشق بطني .

(3) تابعي ثقة روى عن جدته لأبيه أم هانئ بنت أبي طالب ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٢/١١ .

(4) دلائل النبوة للبيهقي : فشرح أحدهما صدري .

(5) دلائل النبوة للبيهقي ٨٦/١ وقال : هذا مرسل ، وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول . وهو في الخصائص الكبرى للسيوطي ١٦٠/١ (ط الهراس) .

(6) كذا في ط وفي ص ، ت ، م : ما وقع فيه . وهو كذلك في الخصائص الكبرى .

(7) ص ، ت ، م : عيناك بصيرتان وأذناك سميعتان .

وفي الخصائص : عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان . وما أثبته من ط .

(8) الخصائص الكبرى ١٦٢/١ .

وسلم فشقَّ قلبه[1] ثم قال جبريل : قلبك[2] وكِيع فيه أُذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفِّى الحاشر خُلقك قيِّم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

ذكر غريب ما تقدم

ثُغْرة النَّحْر : بالضم : وهى النقرة التى بين الترقوتين .

شِعْرته بكسر الشين المعجمة : العانَة .

كَفَّة الميزان : بتثليث الكاف والكسر أشهر .

مَغمِز الشيطان : بفتح الميم الأُولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره زاى ، وهو الذى يَغْمزه الشيطان من كل مولود ، إلا عيسى بن مريم وأُمه لقول أمّها حَنَّة : « وإنى أُعيذُها بك وذُريَّتها من الشيطانِ الرجيم[3] » قال السُّهيلى : ولا يدل هذا على أفضلية عيسى على نبينا صلى الله عليه وسلم فقد نُزِع ذلك منه ومُلئَ حكمةً وإيماناً بعد أَن غسله روحُ القُدس بالثلج والبَرَد .

المُلاءة بالضم والمد : الإزار .

سكينة وبرهرة . سيأْتى الكلام عليها .

حُشْوة بضم الحاء وكسرها : الأَمعاء .

وكيع قال فى النهاية : قلبٌ وكيع : واع : أَى متين مُحْكَم ومنه قولهم : سِقَاء وكيع إذا كان مُحْكَم الخَرْز .

قيِّم بمثناة تحتية . وقثم : بمثلثة . وتقدم الكلام عليهما فى الأَسماء[4] .

---

(١) ط : بطنه .

(٢) ط : قلب وكيع .

(٣) سورة آل عمـران ٣٦ .

(٤) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٦١٦ ، ٦١٨ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى فى أوّل شرحه لتقريبه :قد أنكر صحّة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابنُ حَزْم وعِيَاض وادَّعَيا أنه تخليط من شُرَيْك . وليس كذلك فقد[1] ثبت فى الصحيحين من غير طريق شريك .

وقال الإمام أبو العباس القرطبى فى المفْهِم : لا يُلْتفت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء لأن رواته ثِقَات مشاهير .

وقال الحافظ : قد أنكر شقَّ الصدر ليلة الإسراء بعضُهم ولا إنكار فى ذلك ، فقد تواترت به الروايات .

الثانى : قال القرطبى فى المُفهم والتُّورَبِشْتى – بضم المثناة الفوقية وفتح الراء وكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة بعدها مثناة فوقية – فى شرح المصابيح والطِّيبىّ فى شرح المشكاة والحافظ والشيخ وغيرهم رحمهم الله تعالى أن جميع ما وَرَدَ فى شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون تعرّض لصَرْفه عن حقيقته لصَلاحية القدرة فلا يستحيل شىء من ذلك . ويؤيّده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر الْمَخِيط فى صدره صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحَمْله على الأمر المعنوى وإلزام قائله القولَ بقَلْب الحقائق ، فهو جهل صريح وخطأٌ قبيح نشَأَ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبُعْدهم عن دقائِق السُّنة . عافانا الله تعالى من ذلك .

الثالث : قال العلامة ابن المنيِّر – بضم الميم وفتح النون وكسر التحتية المشددة رحمة الله تعالى : وشَقُّ الصدر له صلى الله عليه وسلم وصَبْره عليه من جنس ما ابتلى به الله الذَّبيحَ وصبَر

---

(١) ص ، ت ، م : بل ثبت .

(٢) غير ط : من شق الصدر .

عليه ، بل هذا أَشَقُّ وأَجَلُّ لأَن تلك مَعاريض وهذه حقيقة ، وأيضا فقد تكرَّرَ ووقع له صلى الله عليه وسلم وهو صغير يتيم بعيدٌ[1] من أهله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا .

الرابع : سُئل شيخ الإسلام أبو الحسن السُّبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أُخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شُقَّ فؤاده وقول المَلَك : هذا حَظُّ الشيطان منك .

فأَجاب رحمه الله تعالى : بأَن تلك العلقة خَلَقها الله تعالى فى قلوب البَشر قابلةً لما يُلْقيه الشيطان فيها فأُزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لأَن يُلْقِى الشيطان فيه شيئا . هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ . وأَما الذى نَفاه المَلَك هو أَمْرٌ فى الجِبلَّات[2] البشرية فأُزيل القابلُ الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القَذْف فى القلب .

قيل له : فلمَ خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأَجزاء الإنسانية فخَلْقه تكملة للخَلْق الإنسانى ولابد منه ونَزْعه كرامةٌ ربّانية طرأَت .

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم سليما فيها لم يكن للآدميين اطِّلاع على حقيقته ، فأَظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا[3] كمالَ باطنه كما برز لهم مُكَمَّل الظاهر .

الخامس : قال الشيخ أبو محمد بن أَبى جَمْرة — وهو بجيم مفتوحة فراء مهملة رحمه الله تعالى : الحكمة فى شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أَن يمتلئ قلبُه إيمانا وحكمة من غير شق : الزيادة فى قوة اليقين لأَنه[4] أُعطى برؤية شق بطنه وعدم تأَثره بذلك ما أَمِن معه من جميع المخاوف العادية . فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أَشجَع الناس حالاً ومقالاً ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البَصرُ وما طَغَى[5] »

---

(١) غير ط : بعيدا .
(٢) غير ط : فى الجبليات .
(٣) غير ط : ليتحقق .
(٤) ت ، م : كأنه .
(٥) سورة النجم ١٧ .

السادس : اختُلف: هل كان شق الصّدر وغسله مختصًّا به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره ؟ صحح الشيخ رحمه الله تعالى عدمَ المشاركة . وسيأتى فى الخصائص أن الصحيح المشاركة .

السابع : فى الحكمة فى تكرّره . قال الحافظ رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر الأُولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأُولى كان فى زمن الطفوليّة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند المبعث زيادة فى الكرامة ليتلقَّى ما يُلْقَى إليه بقلب قوىّ فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهّب للمناجاة .

قلت : وسكت عن حكمة المرّة الثانية مع ذكره للمرة [1] الثانية فى كتاب التوحيد جازمًا بها ويحتمل أن يقال لمّا كان العَشْر قريبا من سِنّ التكليف شُقَّ صدرُه صلى الله عليه وسلم وقُدِّس حتى لا يلتبس[2] بشئ مما يعاب على الرجال . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هى فى شَرْعه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبى جَمْرة رحمه الله تعالى : وإنما غُسل قلبه [3] صلى الله عليه وسلم وقد كان مقدَّسًا وقابلا لما يُلْقَى فيه من الخير . وقد غسل أولا وهو صغير السّن وأُخرجت منه العلَقة [4] إعظامًا وتأهبًا لما يُلْقَى هناك . يعنى فى المعراج . وقد جرت الحكمة بذلك فى غير ما مَوْضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئًا لأن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته . وكذلك أيضًا الزيادة على الواحدة والثِّنتين إذا أَسْبغ بالأُولى لأن الإجزاء قد حصَل وبقى ما بعدَ الإسباغ إلى الثلاث إعظامًا لما يُقْدِم عليه . وكذلك

---

(١) غير ط : فى المرة الثانية .

(٢) ط : لا يتلبس .

(٣) ط : بطنه .

(٤) ط : من قلبه العلقة .

غسل الباطن[1] هنا وقد قال تعالى : «ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تَقْوى القُلوب[2]» فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل وإشارة لأُمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نصّ عليه بالقول .

وقال البرهان النعمانى رحمه الله تعالى فى سراجه : قد سُنّ لداخل الحرم الشريف الغُسْل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدَّسَة ؟ ! فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أُنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالَم المعاملات ، ولما كانت الحضرة القدسيّة[3] من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أُنيط الغسل بباطن البدن فى التحقيقات ، وقد عُرِج به صلى الله عليه وسلم لتُفْرض عليه الصلاة وليصلّى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطُّهُور فقدِّس ظاهرا وباطنا .

فإن قلت : إن الله تعالى خلقه نورًا متنقِّلا من الأَنبياء وفى صفاء النور ما يُغنى عن التطهير الحسِّى ، ثم إن المرة الأُولى لم تكن كافية فى تطهير الباطن ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شيء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزَّه عن أَدران البشرية .

قلت : الغسلة الأُولى لعَيْن اليقين والثانية لعِلْم اليقين ، والثالثة لحَقّ اليقين.

***

الثامن : اختُلف هل وقع له صلى الله عليه وسلم مع ذلك مشقة أم لا ؟

قال الحافظ : من غير مشقة وبه جزَم ابنُ الجَوْزى فقال : شَقَّه وما شَقَّ عليه . وقال ابن دِحْية : بمشقة عظيمة ولهذا انتُقِع لونُه صلى الله عليه وسلم أى صار كلون النقع وهو الغبار ، وهذه صفة أَلوان الموتى .

---

(١) ط : غسل البطن .
(٢) سوره الحج ٣٢ .
(٣) ط : الحضرة الشريفة .

قلت : رواية « انتقع لونُه » حكاية » وقع فى المرة الأُولى وهو صغير فى بنى سعد ، وأمّا ما وقع بعدها فلم يُنْقَل أنه صلى الله عليه وسلم تأَثَّر لذلك . وقد تقدم فى حديث أَبى هريرة فى المرة الثانية ما يؤيد ذلك فراجعه .

التاسع : وقع السؤال هل كان شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم بآلة أم لا : ولم يجب عنه أَحد ولم أَر من تعرَّض له بعد التتبع . وظاهر قوله : « فشقّ » أنه كان بآلة ، ويدل لذلكَ قول المَلَك فى حديث أَبى ذر . « خِطْ بطنَه فخاطَه » وفى لفظ عن عتبة ابن عبد : « حُصه فحَاصه » ؛ وفى حديث أَنس « كانوا يرون أَثر المَخِيط فى صدره صلى الله عليه وسلم » .

العاشر : فى حديث أَبى ذرّ « وأُتيت بالسِّكِّينة كأَنها بَرهرَهة فوضعْت فى صدرى » قال ابن الأَنبارى : « بَرَهْرهة » وهى السِّكينة المعوجّه الرأس التى تسميها العامة « المِنْجل » بالجيم .

وقال الخطابى : عثرت على رواية وفيها : أَنه شُقَّ عن قلبه قال : فدُعى بسِكِّينة [1] كأَنها درهمة بيضاء ، فوقع لى أَنه أَراد بالبَرْهرهة سِكِّينة بيضاء صافية الحديد تشبيهًا بالبَرْهرهة من النساء فى بياضها وصفائها .

ثم قال ابن دِحْية والصواب فى هذه اللفظة السَّكِينة - أَى بالتخفيف لأَنه قال بعد شق البطن ، ثم أُتيت بالسَّكينة كأنها بَرهْرهة فوضعت فى صدرى ، فإنما عنَى بها السَّكينة التى هى فى أَصل اللغة فَعِيلة من السكون وهى أَكثر ما تأْتى فى القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأْنينة .

الحادى عشر : خص الطست بما ذكر لكونه أَشهر [2] آلات الغَسل عُرْفًا .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : وفى [3] ذِكْر الطست أَيضا وحروف اسمه حِكَم تنظر إلى قوله تعالى « طسم تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبين [4] »

---

(١) غير ط : فأتى بالسكينة .
(٢) غير ط : أشرف .
(٣) الروض الأنف ٢/١١١ .
(٤) سورة النمل : ١ .

الثانى عشر : قال السهيلى : خصّ الذهب لكونه مناسبًا للمعنى الذى أُريد به فإن نظرت إلى لفظ الذّهب فمطابِق للذّهاب ، فإن الله تعالى أَراد أَن يُذْهب عنه الرجس ويطهِّره تطهيرًا وإن نظرت إلى معنى الذّهب وأَوصافه وجدته أَنْقى شيء وأَصْفَاه يقال فى المثَل : « أَنْقَى من الذهب » وقالت بَرِيرةُ فى عائشة رضى الله تعالى عنها : ما أَعْلَم عليها إلا ما يَعْلم الصّائِغُ على الذهب الأَحمر . وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه فى صِلَة ـ بكسر الصّاد المهملة ـ ابن أَشْيَم ـ بالشين المعجمة ـ وَزْن أَعلَم : إنما قَلْبُه ذَهب . وقال جَرير بن حازم رحمه الله تعالى ، وهو بالحاء المهملة والزاى ، فى الخليل بن أَحمد : إنه لرَجلٌ مِن ذهب . يريد النقاء من العُيوب .

فقد طابق طَسْت الذهب ما أُريدَ بالنبى صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا المطابِقة لهذا المقام : ثِقله ورسوبُه فإنه يُجعل فى الزئبق الذى هو أَثقل الأَشياء فيَرْسب . والله سبحانه وتعالى يقول : « إِنَّا سنُلْقِى عليك قَوْلا ثَقِيلا »(١) وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إنما ثَقُلت موازين المحِقِّين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا . وقال فى أهل الباطل بعكس ذلك .

وقد روى أَنه صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثَقُل عليها حتى ساخَتْ قوائمها فى الأَرض . فقد طابقت الصفةُ المعقولة الصفةَ المحسوسة .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا : أَنه لا تأْكله النّار ، وكذلك القرآن لا تأْكل النارُ يوم القيامة قلبًا وعَاهُ ولا بَدَنًا عمِل به . قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان القرآن فى إهَابٍ ثم طُرح فى النار ما احترق(٢) »

ومِن أَوصاف الذهب المناسبة لأَوصاف القرآن والوحى : أَن الأَرض لا تُبْليه وأَن الهواء لا يُذْريه وكذلك القرآن لا يَخْلَق على كثرة الردّ ولا يستطاع تغييره ولا تَبْديله .

---

(١) سورة المزمل ٥ . وهذا النص كله عن الروض الأنف ١/١١١ .

(٢) الحديث فى تذكرة الموضوعات للحافظ المقدسى ص ٩٨ بها مش الموضوعات الكبير لعلى القارى (ط الهند) بلفظ : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » . وقال فيه عبد الوهاب بن الضحاك ، قال البخاري : عنده عجائب .

ومن أوصافه أيضًا : نفَاستُه وعزته عند الناس . وكذلك القرآن والحق عزيزان . قال تعالى : « وإنَّه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ[1] » .

فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه[2] فإن نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزنتها ، وقد فُتح بالقرآن والوحى على النبي صلى الله عليه وسلم وأُمته خزائن الملوك وتصيير ذلك إلى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها . ثم وعد[3] باتباع الوحى والقرآن قصورَ الذهب فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : جَنَّتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما[4] » وفى التنزيل : « يُطافُ عليهم بِصِحَاف مِن ذَهب[5] » فكأن ذلك الذهب يُشْعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق والقرآن ، وأوصافُه تُشْعر بأوصاف . الحق[6] والقرآن ، ولفظُه يُشْعر بإذهاب الرِّجْس . كما تقدم .

فهذه حِكَم بالغة لمن تأمَّل ، واعتبار صحيح لمن تدبَّر .

وزاد غيره أن الذهب مِن جَوَالب السرور . وقال الشاعر :

صَفْراء لا تَنْزِل الأَحزانُ ساحتَها لو مسَّها حَجَرٌ مسَّته سرَّاءُ[7]

***

الثالث عشر : قال النووى رحمه الله تعالى : ليس فى هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب والفضة لأن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلازم أن يكون حُكْمُهم حُكْمَنا ولأنه كان قَبْل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم أوانىَ الذهب والفضة . انتهى .

---

(١) سورة فصلت ٤١ .

(٢) غير ط : إلى أوصاف لفظه . والضمير عائد إلى الذهب .

(٣) ت ، م : ثم أتبع باتباع .

(٤) صحيح البخارى كتاب التوحيد وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٦ ، وسنن الترمذى كتاب الجنة ، وسنن ابن ماجة فى المقدمة ومسند أحمد ٤/٤١١ ، ٤١٦ .

(٥) سورة الزخرف ٧١ .

(٦) غير ط : بأوصاف من اتبع الحق والقرآن .

(٧) البيت لأبى نواس من قصيدته التى مطلعها :

دع عنك لومى فإن اللــوم إغــراء وداونى بالتى كانت هى الداء

وفى هذا الاستشهاد نظر فإن المؤلف يستشهد بهذ البيت على أن الذهب من جوالب السرور ، مع أن المقصود بالصفراء هنا الخمر وأنها تبعث النشوة فى شاربها وتنسيه أحزانه ، وليس فى البيت تعرض للذهب .

أى لأن التحريم إنما وقع بالمدينة كما نبّه عليه الحافظ

الرابع عشر : يؤخذ من غَسْل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جَزَم الإمام البُلْقينى قال ابن أبى جَمْرة : إنما لم يُغْسل بماء الجنة لِمَا اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأُريد بذلك بقاء بركته صلى الله عليه وسلم فى الأرض .

وقال غيره : لمّا كان ماء زمزم أصل حياة أبيه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم وقد ربِّى عليه ونما عليه قلبُه وجَسدُه وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسَب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك . ولِمَا فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفَتْح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابةَ البيت لعثمان بن شيبة وعَقِبه إلى يوم القيامة .

الخامس عشر : الحكمة فى غسل صدره صلى الله عليه وسلم بماء الثلج والبَرد هى مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدّر بالأجزاء الترابيّة التى هى محلّ الأرجاس وعنصر الأكدار ، الإيماء إلى أن الوقت يَصْفُو له صلى الله عليه وسلم ولأُمته ويَرُوق بشريعته الغرّاء وسُنّته ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفَر بهم والإيذان ببرودة قلبه ، أى طمأْنينته على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيآتهم .

وقال ابن دِحْية : إنما غُسل قلبُه صلى الله عليه وسلم بالثلج لِمَا يُشْعر به الثلجُ من ثلج اليقين إلى قلبه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلنى من خطاياىَ بالثَّلْج والبَرد(١) » وأراد تعالى أن يغسل قلبه فيما حُمل من الجنة فى طست ملئ حكمة وإيماناً ليعْرف قلبُه طِيبَ الجنّة ويجد حلاوتها فيكون فى الدنيا أزْهدَ وعلى دعوة الخَلْق إلى الجنة أحْرَص . ولأنه صلى الله عليه وسلم كان له أعداء يتقوّلون عليه فأَراد

---

(١) الحديث بنحوه فى صحيح البخارى كتاب الدعوات والأذان وفى صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٤٨ وسنن ابن ماجه كتاب الدعاء ومسند أحمد ٥٧/٦ .

الله تعالى أن يَنْفِى عنه طبعَ البشرية من ضِيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدرَه سعةً ويفارقه الضيق . كما قال تعالى : « ولَقد نَعْلم أنَّك يَضيق صَدْرُك بما يَقُولون[1] » . فغُسل قلبه غير مرّةٍ فصار بحيث إذا ضُرب أو شُجَّ رأسه أو كُسِرت رَباعيته كما فى يوم أحد يقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يَعْلمون .

* * *

السادس عشر : جاء فى رواية : أن المغسول البطن . فقيل : المراد بالبطن هنا ما بَطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء فى روايةٍ ذكرُ القلب ولم يذكر البطن . ويحتمل أن تُحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يقال : أَخْبر صلى الله عليه وسلم مرة بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بذِكر القلب ولم يتعرض لذكر البطن ، فيكون قد حصل فيهما معاً مبالغة فى تنظيف المحلّ .

قلت : تقدم التصريح بذلك فى الأحاديث السابقة .

السابع عشر : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : فإن قيل كيف يكون الإيمان والحكمة فى طست من ذهب ، والإيمانُ عرَض من الأعراض لا يوصف بها إلا محلُّها والذى يقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام لا من صفة الأعراض ؟ قلنا : إنما عُبِّر عما فى الطست ـ بالحكمة والإيمان كما عبّر عن اللَّبَن الذى شربه وأعطى فَضْلَه عمرَ ابن الخطاب بالعلم ، فكان تأويل ما أُفْرِغ فى قلبه صلى الله عليه وسلم إيماناً[2] وحكمة ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجا وبَرَدا كما ذكر فى الحديث الأول ، فعبّر فى المرة الثانية بما يَؤول إليه وعبِّر عنه فى المرة[3] الأُولى بصورته التى رآها ، لأنه فى المرة الأُولى كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عَرف تأويله بعدُ . وفى المرة

---

(1) سورة الحجر ٩٧ .
(2) ط : إيمـان .
(3) غير ط : فى الصورة الأولى .

الأُخرى كان نبيًّا فلما رأى طست الذهب مملوءًا ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده فى ذلك المقام حكمةً وإيمانا ، فكان لفظه فى الحديثين[1] على حسب اعتقاده فى المقامين[2] . انتهى

وقال النووى والحافظ : المعنى جُعل فى الطست شيء يحصل به الزيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة ، وهذا المملوء يحتمل أن يكون على الحقيقة ، وتجسُّد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يومَ القيامة كأنها الظُّلَّة والموت فى صورة كَبْش وكذلك وَزْن الأعمال ، وغير ذلك من أحوال الغَيْب .

وقال البَيْضاوى رحمه الله فى شرح المصابيح : لعل ذلك من باب التمثيل ، إذ تمثيل المعانى وقع كثيرا كما مُثِّلت له الجنة والنار فى عُرْض الحائط - بضم العين المهملة ، وفائدته كشف المعنوى بالمحسوس .

وأشار النووى بقوله : جُعل فيه شيء يحصل به زيادة فى كمال الإيمان إلى آخره : أنه صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بأقوى الإيمان .

* * *

الثامن عشر : المملوء الصدر أو البطن ففى رواية ذكر البطن وفى غيرها القلب . والظاهر أنهما مُلئا معاً وأخبر صلى الله عليه وسلم فى رواية بالبطن وأخبر فى أُخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلبَ وذكَر البطن توسعة لأن العرب تسمى الشيء بما قارَبه وبما كان فيه . وقد قال تعالى : « فمن يُرِد اللهُ أن يَهْديه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسلام[3] » والمراد بالصّدر فى الآية القلب فسمّاه باسم ما هو فيه وهو الصدر .

التاسع عشر : اختلف فى تفسير الحكمة فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفَاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكفّ عن ضده ، والحكيمُ

---

(١) غير ط : فى الحديث .
(٢) الروض الأنف ١ /١١٠ (ط الجمالية) .
(٣) سورة الأنعام ١٢٥ .

من حاز ذلك . قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : هذا ما صفَا لنا من أقوال كثيرة . انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذكر ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك . وقد تُطْلق على العِلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ : أصحُّ ما قِيل فيها : أنها وَضْع الشيء فى محله والفهم فى كتاب الله تعالى . وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لاتوجد . وعلى الأول فقد يتلازمان لأن الإيمان يدلُّ على الحِكْمة[1] .

العشرون: قال بعض العلماء : المراد بالوزن فى قوله «زِنْه بعشرة من أُمته» الوزنُ الاعتبارى ، فيكون المراد الرجحانَ فى الفضل وهو كذلك . وفائدة فِعْل الملكين ذلك ليعْلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يُخْبِر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأُمور الاعتقادية .

وسألتُ شيخَ الإسلام برهانَ الدين ابن أبى شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السّابق فكتب لى بخطه : هذا الحديث يقتضى أن المعانى جعلها الله تعالى ذواتاً فعند ذلك قال الملَك لصاحبه : اجعله فى كِفّة واجعل ألفاً من أمته فى كفة . ففعل فَرَجَح مالَه صلى الله عليه وسَلّم رجحانا طاش معه ما لِلألف بحيث يخيَّل إليه أنه يَسْقط بعضُهم عليه ، ولمّا عرف الملَكان منه الرجحان وأنه معنًى لو اجتمعت المعانى كلها للأُمة ووضعت فى كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لَرجح على الأُمة ، قالا : لو أن أُمته وزنت به مالَ بهم، لأن مآثر خَيْر الخلق صلى الله عليه وسلم وما وهبه الله تعالى له من الفضائِل يستحيل أن يساويها غيرها . والله أعلم .

(١) ط : تدل عليه الحكمة .

الباب الخامس عشر

فى صفة يديه وإبطيه صلى الله عليه وسلم

قال عليٌّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثن الكفّين سائل الأَطراف سَبْط القَصب

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الكفين .

رواه أبو يعلى وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسْطَ[2] الكفين .

رواه البخارى[3] .

وقال الحافظ أبو بكر ابن أبى خَيْثمة رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل العَضُدين والذراعين طويلَ الزَّنْدين ، وكان معمر الأَوصال سَبْط القصَب كأَن أصابعه قُضْبان الفَضة .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل الذراعين

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

---

(١) شرح الشمائل لابن جسوس ١/١٩ بنحوه . ونحوه أيضا عن هند بن أبى هالة ص ٣٣ من شرح الشمائل .

(٢) غير ط : سبط الكفين . ورواية ط موافقة لرواية البخارى فى الصحيح .

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب رقم ٦٨ .

وقال هند بن أبى هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين طويل الزَّنْدين رَحْب الراحة .

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَبْح الذراعين .

رواه ابن سعد[2] وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : ما مَسَسْت حريرا ولا ديباجاً قط ألْيَن من كفّ رسول الله صلى الله عايه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان[3] .

وقال المستورد بن شدَّاد عن أبيه رضى الله تعالى عنه : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هى ألْيَن من الحرير وأبْرَد من الثلج .

رواه الطبرانى[4] .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : لقد كنت أصافح النبيَّ صلى الله عليه وسلم أو يمسُّ جلدى جلده فأتعرَّفه بعدُ فى يدى فإنه لأَطْيَب رائحةً من المسك .

رواه الطبرانى والبيهقى .

وقال يزيد بن الأسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلمْ يدَه فإذا هى أبْرَد[5] من الثلج وأطيبُ ريحاً من المِسك .

رواه الشيخان[6] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ – ٣٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٤١٤ (ط بيروت) .

والذى فى تهذيب ابن عساكر ١/١٣٩ عن أبى هريرة : كان أشعر الذراعين . ولعله تحريف .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ .

ومسند أحمد ٣/٢٢٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٨٤ .

(٥) ط : أبيض من الثلج .

(٦) لم أجده فى الصحيحين وهو فى مسند أحمد ٤/٤٢٤ والخصائص الكبرى للسيوطى ١/١٨٤ (ط الهراس) .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَدِّى فوجدتُ لِيده بَرْداً وريحاً كأنما أُخرجت من جُؤْنَة عطَّار .

رواه مسلم[1] .

وقال المثنىّ بن صالح عن جدته رضى الله تعالى عنها قالت: صافحت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فلم أرَ والله كفًّا ألْيَن من كفه صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال سعد بن أبى وقَّاص رضى الله تعالى عنه : اشتكيت بمكة فدخل علَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودنى فوضع يده على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فمازلت يخيَّل إلى أنى أجد بَرْدَ يده على كبدى حتى السَّاعة .

رواه الإمام أحمد[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدّعاء حتى يرى[3] بياض إبطيه .

رواه البخارى وغيره[4] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد يُرَى بياضُ إبطيه .

رواه ابن سعد[5] .

وقال رجل من بنى حريش رضى الله تعالى عنه : ضمَّنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال علَّى من عرق إبطيه مثلُ ريح المسك .

رواه البزار[6] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٠ . (٢) مسند أحمد ١٦١/٤ وهو فى الخصائص الكبرى ١٨٥/١ .

(٣) ط : حتى رأيت .

(٤) صحيح البخارى كتاب الاستسقاء وكتاب الأحكام وكتاب المغازى . وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم ٥ ، ٧ . (٥) الخصائص الكبرى ١٥٧/١ .

(٦) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ وذكر فى روايته أن ذلك كان حين رجم النبى صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك وكان ذلك الرجل حينئذ صغيرا مع أبيه ، فلمـا رأى الحجارة أخذت ما عزاً أرعب ، فضمه النبى صلى الله عليه وسلم إليه تطمينا له . وهو أيضا فى الخصائص الكبرى ١٦٨/١ .

قال الحافظ محب الدين الطبرى رحمه الله تعالى : من خصائِص النبي صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره صلى الله عليه وسلم .

وذكر القرطبي مثله وزاد: أنه لاشَعْر عليه. وجرى على ذلك الإمام الإِسْنَوى رحمه الله تعالى . وسيأتى الكلام على ذلك فى الخصائِص إن شاء الله تعالى .

تَنْبيهاتٌ

الأول : وَصَف أنسٌ وغيره كفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليونة ، وهو مخالف لوصف هند له بالشَّثَن وهو الغِلَظ مع الخشونة كما قال الأَصمعى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والجمع بينهما : أن المراد بالِّلين فى الجلد والغِلَظ فى العظام ، فيجتمع له نُعومة البدَن وقوَّته .

قال ابن بطَّال رحمه الله تعالى : كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئةً لحما غير أنها مع ضخامتها كانت ليِّنة كما فى حديث المستورِدِ . وأما قول الأَصمعىّ : الشَّثَن غلظ الكف مع خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة ، والذى فسّر به الخليل أوْلى . وعلى تسليم ما فسَّر به الأَصمعى يحتمل أن يكون وَصف كف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا عمل فى الجهاد أَو مهنة أَهله صار[1] كفُّه خشنا للعارض المذكور ، وإذا ترك ذلك رجع إلى أَصل جِبلَّته من النعومة .

وقال القاضى : فَسَّر أَبو عُبَيْد الشَّثَن بالغِلْظ مع القِصْر وتُعقِّب بأَنه ثبت فى وصفه صلى الله عليه وسلم أَنه كان سائل الأَطراف . انتهى.

وقال الحافظ : ويؤيد كونَ كفه صلى الله عليه وسلم ليِّنا قولُه فى رواية النعمان : كان سَبْط الكفين بتقديم المهملة على الموحّدة فإنه موافق لوصفها باللين .

والتحقيق فى الشَّثن أَنه غلظ من غير قِصَر ولا خشونة .

---

(١) ط : كان .

الثانى : زعم الحكيم الترمذى وتبعه أبو عبد الله القرطبي والدَّمِيرى فى شرح المنهاج أن سَبّابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أطْول من الوسطى . قال ابن دحية : وهذا باطل بيقين ولم ينقله أحدمن ثقات المسلمين مع إشارته صلى الله عليه وسلم بإصبعه فى كل وقت وحين ، ولم يَحْكِ ذلك عنه أحدٌ من الناظرين .

وفى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعثت أنا والساعة كهاتين[1] » وفى رواية : فقرَن شُعْبة بين إصبعيه المسبِّحة والوسطى كليهما [2] .

وروى الترمذى وحَسَّنه عن المستورد بن شدّاد يرفعه : «بُعثت فى نَفَس الساعة فسبقتُها كما سبقَتْ هذه هذه » . لإصبعه السبَّابة والوسطى[3] .

وقال الحافظ فى فتاويه : ماقاله الترمذى الحكيم خطأٌ نَشأ عن اعتماد رواية مُطْلقة ، ولكن الحديث فى مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن ميمونة بنت كَرْدَم رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبى . فذكرت الحديث إلى قولَها : فدنا منه أبى فأخذ بقدمه فأقرَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : فما نسيت فيما نسيت طولَ إصبع قدمه السَّبابة على سائر أصابعه . الحديث[4] . انتهى .

وقد جزم الإمام العلامة فتح الدين ابن الشهيد رحمه الله تعالى بأن ذلك كان فى سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم فقال فى سيرته المنظومة التى لا نظير لها فى بابها :

ووصْف زينب بنت كَرْدَمِ فيما رأتْه عينُها فى القَدم

فإنها[5] سميت فى الرواية ميمونة . وكذا فى الباب بعده :

سبَّابة النبى كانت أطْولْ أصابع النبى فاحفظ واسألْ

كَرْدَم بوزن جعفر .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث رقم ٤٣ وكتاب الفتن ١٣٢ – ١٣٥ .
(٢) ط : يحكيه .
(٣) سنن الترمذى كتاب الفتن باب رقم ٣٩ .
(٤) مسند أحمد ٦ ٣٦٦ .
(٥) كذا بالأصول .

الثالث : فى بيان غريب ماسَبَقَ :

شَثْن الكَّفين : بشين معجمة فثاء مثلثة ساكنة فنون : هو الذى فى أنامله غلظ بلاقِصَر، ويُحْمد ذلك فى الرجال لأَنه أشد لقبضتهم ويُذَم فى النساء .

سائل الأَطراف : بسين مهملة وآخره لام ، من السَّيَلان أى ممتدها ، يعنى أنها طِوَال ليست بمتعقدة ولا منقبضة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال سائن . قال ابن الأنبارى : وهما بمعنًى تُبْدل اللام من النون ، أى طويل الأَصابع .

سَبْط بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وحكى الفتح أيضا وبالطاء المهملة : الممتد الذى ليس فيه تعقد ولا نُتوء .

والقصب بقاف فصاد مهملة فباء موحدة جمع قصبة وهى كل عظم أجوف فيه مخ وأما العريض فيسمى لَوْحا ، يريد بهما ساعديه وساقيه . وفى لفظٍ : العَصَب بالعين المهملة بدل القاف .

الزَّنْدان : بفتح الزاى : عَظْما الذراعين .

رَحْب الراحة : أى واسع الكف . وقال فى النهاية : يكنون بذلك عن السخاء والكرم .

فسيح ـ بفاء فسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أى بعيدُ مابينهما لسعة صدره .

شَبْح الذراعين : بشين معجمة فباء موحّدة فحاء مهملة أى عريض الذراعين .

مَسِيْت : بسينين الأُولى مكسورة وتفتح والثانية ساكنة .

ولا دِيباجاً : من عطف الخاص على العام لأَن الديباج نوع من الحرير .

أَلْين : أنْعَم .

الجُؤْنة : يأْتى الكلام عليها فى طيب عرقه وريحِه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

الباب السادس عشر

فى صفة ساقيه وفخذيه وقدميه صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : كان فى ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حُموشة .

رواه مسلم(١) .

وقال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم – بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة – رضى الله تعالى عنه : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرأيت ساقه كأنها جُمَّارة نَخْلٍ .

رواه يعقوب ابن سفيان وإبراهيم الحربى(٢) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فى غزوة خيبر فإنى لأرى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن أبى خَيْثمة .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم القدمين .

رواه الشيخان والبيهقى(٣) .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْهوس العَقب.

رواه مسلم(٤) .

---

(١) لم أجده فى صحيح مسلم وهو فى سنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ١٢ ومسند أحمد ٥/٩٧ ، ١٠٥ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٦ .

(٢) الوفــا لابن الجوزى ص ٤٠٠ .

(٣) الذى فى صحيح البخارى كتاب اللباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين . وفى مسند أحمد ٣ ١٢٥ : « كان صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين ضخم الكفين » . وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ .

وقال أبو جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إلى وَبيص ساقيه .

رواه البخارى [1] .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين والقدمين سائل الأطراف[2] سَبْط القصب[3] خمصان الإخمصَيْن فَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء .

رواه الترمذى [4] .

وتقدم تفسير غريبه إلا قوله « خَمْصَان » فسيتى .

وقال عبد الله بن بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشَر قَدما .

رواه ابن عساكر[5] .

وقالت ميمونة بنت كَرْدَمَ بوزن جَعْفر - رضى الله تعالى عنها : إنها رأت سبَّابة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أطولَ من سائِر أصابعه .

رواه الإمام أحمد وغيره[6] .

ورحم الله تعالى القائل .

يارب بالقدم التى أوْطَأتَها ... من قاب قوسين المحلَّ الأعظَمَا
وبُحرْمة القدم التى جُعلت لها ... كَتِف البريّة فى الرسالة سُلَّمَا
ثبِّت على مَتْن الصراط تكَرُّماً ... قدمى وكُنْ لى مُنْقذا ومُسَلِّماً
واجعلهما ذُخْرى ومن كانَا له ... أمِن العذابَ ولا يخاف جَهنَّمَا [7]

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) زاد فى شمائل الترمذى : أو قال شائل الأطراف . بالشين المعجمة .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى رواية هند بن أبى هالة فى شمائل الترمذى .

(٤) شرح الشمائل ١/٣٣ .

(٥) لم يرد فى تهذيب ابن عساكر صفة خلقه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سبق تخريجه فى مسند أحمد وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٤ و مجمع الزوائد ٨/٢٨٠ عن الطبرانى . قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفهم .

(٧) الأبيات ذكرها ابن الجوزى فى الوفا ص ٤٠٠ . ونسبها لبعض البلغاء .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكرَ كثير من المُدَّاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشَى على الصَّخْر غاصَت قدماه فيــه .

ولا وجود لذلك فى كتب الحديث البتة . وقد أنكره الإمام برهان الدين النَّاجِى بالنون[1] ـ الدمشقى رحمه الله تعالى وجزم بَعدَم وروده ، والشيخُ رحمه الله تعالى فى فتاويه وقال إنه لم يقف له على أصل ولا سنَد ولا رأى من خرَّجه فى شىء من كتب الحديث وناهيك باطلاع الشيخ رحمه الله تعالى . وقد راجعت الكتب اللاَّتى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر مَن ذكَر ذلك ، فشىء لايوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف تسوغ نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ !

الثانى : فى حديث جابر بن سَمُرة قال : كانت خِنْصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة[2] . رواه البيهقى[3] . وفى سنده سلمة بن حَفْص السَّعْدى . قال ابن حِبَّان كان يضع الحديث لا يحل الاحتجاج به ولا الرِّواية عنه ، وحديثه هذا باطل لا أصل له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتدل الخَلْق .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما تقدَّم .

الحُموشة : بضم الحاء المهملة وشين معجمة : الدقَّة .

الجُمَّار ـ كُرمَّانٍ : قَلْب النخل حين يقطع يكون رطبة بَيْضَاء .

---

(١) انظر هذه النسبة فى اللباب لابن الأثير ٣/٢٠٥ .

(٢) غير ط : متظافرة . وما فى ط هو الموافق لرواية البيهقى فى الدلائل .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٦ . وروايته فيه : « كانت إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خنصرة من رجليــه متظــاهرة » .

وهو أيضا فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣١ (ط الحلبى) وروايته فيه :

« كانت إصبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم خنصر من رجله متظاهرة » . ثم قــال : وهذا حديث غريب .

مَنْهوس : بإعجام السين وإهمالها أى قليل لحم العَقِب .

الوبيص : البريق واللمعَان .

خُمصَان . بضم الخاء المعجمة كما وجدته مضبوطاً بالقلم فى نسخة صحيحة من الصِّحاح والنهاية ، لكن فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة بالفتح . قال فى النهاية : الإخمص من القدم الموضع الذى لايلصق بالأرض منها عند الوطء والخَمْصَان المبالغ فيه . أى ذلك الموضع من أسفَل قدميه كان شديد التجافى عن الأرض جدا .

وسئل ابن الأعرابى رحمه الله تعالى عنه فقال : إذا كان خَمَص الإخمص بقَدْر لم يرتفع عن الأرض جدًّا ولم يَسْتو أسفل القدم جدًّا ، فهو أحسن الخَمص بخلاف الأوّل[1] .

مَسِيح القدمين : بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة أى مَلْساوان ليِّنتان ليس فيهما تكسُّر ولاشقاق فإذا أصابهما الماء نَبا عنهما سريعاً لملاستهما فينبو عنهما ولا يقف ، يقال نبا الشيء يَنْبو إذا تباعد . وأمّا رواية عبد الرزاق والبزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَطأُ بقدمه جميعاً . وفى لفظ كلها ليس له إخمص فيحتمل[2] .

---

(١) لعله يريد بالأول ما ذكره من قبل من أن المقصود بالخمصان المبالغ فى الخمص . وهذا من كلام المؤلف وليس من كلام ابن الأعرابى .

(٢) فى هامش ط : « هكذا بيض له المؤلف رحمه الله تعالى . قال أقل تلامذته محمد القيسى لطف الله تعالى به : لعله أراد : فيحتمل أنه فى هذه الحالة وطئ وطئا شديداً فظهر موضع قدمه جميعا بخلاف الأول فإنه عند خفة الوطء لا يرى أثر خمصائه . وبه يحصل الجمع . فليتأمل » .

الباب السابع عشر

فى ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبى هالة ، والبيهقى وابن عساكر وابن الجوزى عن على ، وأبو الحسن ابن الضحاك عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم الكراديس[1] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَليل المُشَاش . رواه الترمذى والبيهقى[2] .

الكَراديس : رءوس العظام واحدها كُرْدُوس قيل هو ملتقى كل عظمَيْن كالرُّكبتين والمرفقين والمنكبين ، أراد أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء .

المُشَاش بضم الميم وبشينين معجمتين : رءوس العظام كالمِرْفقين والكفين والركبتين . وقال الجوهرى : رءوس العظَام اللَّيِّنة التى يمكن مَضْغها .

جليلهما : عظيمهما .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٢ وشرح شمائل الترمذى ١/١٩ . والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٢) شرح الشمائل ١ ٢١ .

الباب الثامن عشر

فى طوله واعتدال خلقه ورقَّة بَشَرته صلى الله عليه وسلم

قال البَراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير .

رواه الشيخان [1]

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْبوعاً .

رواه الخمسة [2] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبعة وهو إلى الطول أقْرَب [3] .

رواه محمَّد بن يحيى الذُّهْلى فى الزُّهْريات وأبو الحسن بن الضحاك بسند حسن .

وقال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْتدل الخلق بادِنَ متماسك أطولَ من المرْبوع وأقصر من المشذَّب .

رواه الترمذى [4] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قَواماً وأحسن الناس وجهاً وأحسن الناس لوناً وأطيب الناس ريحاً وألين الناس كفًّا .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر [5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ .
وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اللباس .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ . ومسند أحمد ٤ /٢٨١ .

(٣) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبى) ص ٣٢ .

(٤) شرح الشمائل ١/ ٣١ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/ ٣٢٠ .

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

متفق عليه[1] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة لا بائن من طوله ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر غُصْنا بين غصنين فهو أَنْضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قَدْراً .

رواه البيهقى[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : أَرْدَفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفرٍ فما مسَسْت شيئا قط أَلْين من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار والطبرانى .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل المُمَّغِط ولا بالقصير المتردِّد كان ربعة من القوم .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحد إلا طَاله .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أَبو الطفيل عامر بن واثِلة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقَصَّداً .

رواه مسلم[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ .

(٢) سبق تخريج حديث أم معبد فى أول هذا الجزء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ . والرواية فيه محرفة : لم يكن بالطويل القطط .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ٩٩ ومسند أحمد ٤٥٤/٥ .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وجهاً وأحْسَنهم خَلْقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

رواه الشيخان[1] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردّد ، وكان يُنْسب إلى الرَّبْعة إذا مشى وحده ، ولم يكن يُمَاشِيه أحدٌ من الناس يُنْسب إلى الطُّول إلاَّ طالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفَه الرَّجُلان الطويلان فيَطُولُهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارَقاه نُسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرَّبْعة .

رواه ابن أبى خيثمة فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر[2] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طُولاً وفوق الربعة إذا جامع القوم غَمَرهم .

رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المسندُ والبيهقى ولفظه : إذا جامع القَوْم .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشَرة .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يكون كتفه أعْلَى من جميع الجالسين صلى الله عليه وسلم[4] .

تنبيه فى بيان غريب ما سبق :

اعتدال الخَلْق : يناسب الأعضاء والأطراف ، أى لاتكون مُتَباينة فى الدِّقة والغِلَظ والصغر والكبر والطول والقصر .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٣ .

(٢) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٣ والخصائص الكبرى ١/١٦٩ (ط الهراس) .

(٣) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٤ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

البادِن : بكسر الدال المهملة : الضخم الكثير اللحم . ولمّا قال ذلك أردَفه بقوله مُتَماسك و هو الذى يمسك بعضه بعضًا فليس هو بمُسْترخ ولا متهدِّل ، كأَن لحمه لاكتنازه واصطحابه يُمْسك بعضه بعضًا لأَن الغالب على السِّمَن الاسترخاء .

المربوع : الذى بَيْن الطويل والقصير .

المشذَّب : بميم مضمومة فشين فذال مشددة معجمتين مفتوحتين فباء موحّدة : البائن طُولاً مع نقصٍ فى لحمه ، أى ليس بنحيف طويل ، بل طولُه صلى الله عليه وسلم وعرْضه[1] متناسبان على أتمّ صفة .

رَبْعة : براءٍ مفتوحة فموحّدة ساكنة أى مربوع الخَلْق لا طويل ولا قصير . والتأْنيث باعتبار النفس : يقال رجل رَبْعَة وامرأَة ربْعَة وقد فسره فى الحديث بقوله : ليس بالطَّويل البائن المفْرط فى الطول مع اضطراب القامة .

البائن : الطويل فى نحافة اسم فاعل من بان أى ظَهر على غيره . قاله الحافظ وفى النهاية : أى المفْرط طولاً الذى بَعُد عن قَدْر الرجال الطِّوَال[2] .

الغُصْن والأَغصان : أَطراف الشجر ما دامت فيها نابتة .

النَّضَارة : حُسْن الوجه والبريق .

الثلاثة : النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فُهَيْرة .

المُمَّغِط : بميمين الأُولى مضمومة والثانية مفتوحة مشددة فغين معجمة مكسورة المتناهى فى الطول ، وامتغط النهارُ امتدّ ومغطتُ الحَبْلَ إذا مددته وأَصله مُنْمَغِط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأُدغمت فى الميم ويقال بالعين المهملة بمعنَاه .

القصير المتردِّد : وهو الذى تردّد بعضُ خَلْقه على بعض فهو المجتمع الخَلْق الذى يَضْرب إلى القصر جدا .

---

(١) ت ، م : وقصره .
(٢) غير ط : طوله .

مُقَصَّداً : بميم مضمومة فقاف فصاد مشدّدة مفتوحتين أى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ، كأَنَّ خَلْقه صلى الله عليه وسلم يجىء به القَصْد من الأُمور .

اكتنفَه الرَّجُلان : أَحاطَا به من جانبيه .

غمَرهم : أى كان فوق كلّ من معه .

سَهمهم : طالَهم .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب التاسع عشر

فى عَرقه صلى الله عليه وسلم وطِيبه

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أيضًا : ما شمَمْت ريحاً قط أو عَرقا قط أطْيَبَ من ريح أو عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذى . وزاد : ولا شَمْمت مِسْكاً - ولا عطراً أطْيبَ مِن ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كأن ريحَ عرقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحُ المسك بأبى وأمى ! لم أر قَبْله ولا بَعْده مثلَه .

رواه ابن عساكر[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى أمَّ سُلَيْم فيَقِيلُ عندها فتبسط له نِطْعاً فيقيل عليه وكان كثير العَرق وكانت تجمع عَرقه صلى الله عليه وسلم فتجعله فى الطِّيب والقوارير . فيستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : ما هذا الذى تضعين يا أم سليم ؟ فتقول : هذا عَرقك نجعله لِطيبنا وهو أطْيب الطِّيب . وفى رواية قالت : هذا عَرقك أدُوف به طيبى .

رواه مسلم وغيره[3] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ ، ٨٢ .
ومسند أحمد ١٠٧/٣ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٥ ومسند أحمد ١٤٦/٣ .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحاً من المسك الأذْفَر وكأن كفه كف عطَّار مسَّها طِيبٌ أو لم يمسَّها به ، يصافحه[1] المصافح فيظل يومَها يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبيِّ فيُعرف من بَيْن الصبيان من ريحها على رأسه .

رواه أبو بكر بن أبى خيثمة وأبو نعيم مختصرا.

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزْهَر اللون كأنَّ عَرقه اللؤلؤ .

رواه أبو بكر ابن أبى خيثمة[2] .

وقالت أم عاصم امرأة عُتْبة بن فَرْقَد السُّلَمى له : إنا لنَجْهد[3] فى الطِّيب ولأنت أطْيب ريحاً منا فِممَّ ذلك ؟ فقال : أخذنى الشَّرَى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت ذلك إليه فأمرنى أن أتجرَّد فتجردْتُ وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبى على فَرْجى فنَفث فى يده ومسح ظهرى وبطنى بيده فعَبِق بى هذا الطِّيب[4] من يومئذ .

رواه الطبرانى .

ورُوى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى زوَّجت ابنتى وأحبّ أن تعيننى بشىء فقال : ما عندى شىء ولكن ايتنى بقارورة واسعة الرأْس وعُود شجرة . فأتاه بهما فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَسْلت له فيها من عَرَقه حتى امتلأت القارورة . فقال خذها وأْمر بنتك أن تغمس هذا العُود فى القارورة وتطيَّب به. فكانت إذا تطيبت به يشم أهلُ المدينة رائحة ذلك الطيب .

رواه الطبرانى وأبو يعلى وابن عدى[5] .

---

(١) ط : يصافح .

(٢) الـوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .

(٣) ت ، م : لنجتهـد .

(٤) غير ط : فعقب بى ذلك الطيب .

(٥) هذا الحديث موضوع كما ذكر السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ١/٢٧٤ (طالمنيرية) وقال : آفته جليس بن غالب الكلبى . قال فى الميزان : هذا منكر جدا . وجليس : قال ابن عدى : منكر الحديث . وقال الدار قطنى متروك .

وقال وائِل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : كنت أُصافح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأَتعرَّفه بعدُ فى يدى وإنه لأَطيب من ريح المسك .

رواه الطبرانى .

وقال يزيد بن الأَسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هى أَبْرَد من الثلج وأَطْيَب ريحًا من المسك .

رواه البيهقى[1] .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كلّ ريح طيِّب قد شمَمْت ، فما شممت قط أَطْيَب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلّ شىءٍ ليِّن قد مسَسْت فما مسست شيئا قط أَلْيَن من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسَح رسول الله صلى الله عليه وسلم خدِّى فوجدت ليده بَرْدًا وريحا كأَنما أَخرج يده من جُؤْنة عطَّار .

رواه مسلم[3] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كأَن عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه اللؤلؤ . ولَريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أَطْيَب من ريح المسك الأَذْفر .

رواه ابن سعد وابن عساكر[4] .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللَّون كأَنَّ عَرَقه اللُّؤلؤ .

رواه مسلم[5] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢٠٥١ . والخصائص الكبرى ١٨٤/١ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ ، ٣٢١ بمعناه .
(٣) سبق تخريج هذا الحديث قريبا
(٤) الخصائص الكبرى ١٨٥/١ .
(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

وقال رجل من قريش[1] كنت مع أبي حين رَجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزً بن مالك ، فلما أخَذَته الحجارة أُرْعِبْت ، فضمَّني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثلُ ريح المسْك .

رواه الدارميّ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كنا نَعْرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أَدْنُ منى فدنوت منه فما شممت مِسْكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار[3] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال : لم يكن يمرّ فى طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرقه أو عَرْفه .

رواه البخارى فى تاريخه والدارمى[4].

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطِّيب فيقال مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الطريق.

رواه أبو يعلى والبزار[5] .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

ولو آن رَكْبًا يمَّمُوك لقَادهم ... نَسِيمُك حتى يستدِلَّ بـه الركْبُ

---

(١) كذا وقد سبق أنه من بنى حريش ، وكذلك جاء فى الخصائص الكبرى ١ /١٦٨ والوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .

(٢) الخصائص الكبرى ١ /١٦٧ .

(٣) الخصائص الكبرى ١ /١٦٩ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ /١٦٦ .

(٥) الخصائص الكبرى ١ /١٦٧ .

والقائل :

يرُوح على تلك الطريقالتى غـدًا[1] عليها فلا يَنْهى عُلَاه نُهَـاتُـه
تنَفُّسُـه فى الوقتِ[2] أنفاسُ عِطْره فمِنْ طِيبه طابَتْ لـه طُرقاتُـه
تَروح لـه الأَرواحُ حيث تنسَّمتْ لهـا سَحرا من حُبِّـه نَسماتُـه

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق . رواه مسلم[3] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فيما رواه ابن عساكر وأبو نعيم : كنت قاعدة أغْزل والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصف نعلَه فجعل جبينه يَعْرق وجعل عَرقه يتولَّد نورًا فبهتُّ ، فقال : مالكِ بُهت ؟ قلت : جعل جبينُك يعرق وجعل عرقك يتولَّد نورًا ولو رآك أبو كَبِير الهُذَلى لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول فى شعره :

ومُبَرَّأً عن كل غُبَّـر حَيْضـة وفَساد مُرْضعـة وداءٍ مُعْضِل[4]
وإذا نظرتَ إلى أسرة وجهـه برقَتْ بروقَ العارِض المُتَهَلِّلِ[5]

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال إسحق بن راهويه رحمه الله تعالى : إن هذه الرائحة الطيبة كانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير طيب .

---

(١) ط : على غير الطريق الذى غدا .
(٢) غير ط : ينفس فى ذا الوقت .
(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .
(٤) كذا والرواية فى ابن عساكر والخصائص الكبرى : وداء مغيل ، يقال : غالت المرأة ولدها إذا أرضعته وهى حامل .
(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ والخصائص الكبرى ١/١٦٧ .
وقال السيوطى فى الخصائص بعد أن ذكره : قال أبو على صالح بن محمد البغدادى : لا أعلم أن أبا عبيدة – يقصد معمر ابن المثنى راوى الحديث عن هشام بن عروة – حدث عن هشام بن عروة شيئا . قال : لكن الحديث حسن عندى . حين صار مخرجه محمد بن إسماعيل البخارى .

وقال النووى رحمه الله تعالى : وهذا مما أكرمه الله تعالى به .

قالوا : وكانت الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمسّ طيبًا ، ومع هذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى ومجالسة المسلمين .

الثانى : مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده صلى الله عليه وسلم من ليلة الإسراء . روى ابن مَرْدَوَيْه عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسْرِى به ريحُه ريح عروس وأطيب من ريح عروس .

الثالث : ما اشتهر على ألسنة بعض العوام أن الورد خُلق من عَرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أبو زكريا يحيى النووى والحافظ والشيخ وغيرهم : إنه باطل لا أصل له . والحديث رواه الدّيْلمى فى مسند الفردوس من طريق مكى بن بنْدار وقد اتهمه الدارقطنى بوضع الحديث . وله طرق بيَّنْت بُطْلانها فى كتابى «إتحاف اللبيب فى بيان ما وضع فى معراج الحبيب» .

الرابع : فى بيان غريب ما تقدم :

شَمِمْت : بكسر الميم فى الماضى وفتحها فى المضارع ويجوز فتحها فى الماضى وضمها فى المضارع .

أو عَرْفًا : شكّ من الراوى لأن العَرْف ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها فاء ـ هو الريح الطيب .

ومن ريح : بكسر الحاء بلا تنوين لأنه فى حكم المضاف تقديره من ريح النبى صلى الله عليه وسلم أو عرقه . ووقع فى بعض الرّوايات بفتح الراء وبالقاف فأو على هذا للتنويع .

قال الحافظ : والأول هو المعروف . وفى رواية ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ رحمه الله تعالى : ضبط هذا اللفظ[1] بوجهين أحدهما بسكون

(١) يريد قوله : ولا عنبرة .

النون بعدها موحدة . والآخر بكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية[1]. والأول هو المعروف ، والثانى طِيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران ، وقيل هو الزعفران . ووقع عند البيهقى ولا شممت مِسْكا ولا عنبرًا ولا عَبيرا ذكرهما جميعًا .

يقيل : ينام فى القائلة وهى شدة الحرّ.

القوارير : آنية من زجاج . أدُوف بالدال المهملة أى أخلط. يقال : داف الشيء يَدُوفه دوفا وأدافه : خلطه . الأذْفر بذالٍ معجمة أى طيب الرائحة والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيِّب والكريه ويفرّق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به .

السَّرَى : بفتحتين — خُرَاج[2] صِغَار لها لَذْع شديد.

عَبِق به الطِّيب عَبقًا من باب تَعِب — ظهرت ريحُه بثوبه أو بدنه فهو عَبِق . قلت[3]: ولا يكون العَبق إلا للرائِحة الطيبة الزكية .

جُؤنة — بضم الجيم وهمزة ساكنة ، ويجوز تسهيلها : سَفَطٌ[4] مُغَشًّى بجلْد يَجْعل فيه العطار طيبَه .

(١) أى عبيرة .
(٢) الخراج كغراب : القروح .
(٣) ط : قـالوا .
(٤) السفط : وعاء كالجوالق .

الباب العشرون

فى مشيه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن يُرى له ظِلّ

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى، فالتفت إلىّ رجل إلى جنبى فقلت : تُطْوى له الأَرض وخليل إبراهيم .

رواه الإمام أحمد وابن سعد (١) .

وقال يزيد بن مَرْثَد – بميم مفتوحة فراء ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة فدال مهملة – وهو من التابعين رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

رواه ابن سعد (٢) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحدًا أسْرع فى مِشْيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن الأَرض تُطْوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مُكْترث .

رواه الإمام أحمد والترمذى فى الشمائل والبيهقى وابن عساكر من طرق (٣) .

وقال ذَكْوان رحمه الله تعالى : لم يُرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظلّ فى شمس ولا قمر .

رواه الحكيم الترمذى (٤) . وقال : معناه لئلا يطأ عليه كافرٌ فيكون مذلةً لهُ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ (ط بيروت) . ومسند أحمد ٢٥٨/٢ ، ٢٩٥ ،
(٢) سقط من الأصل وأثبته من طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .
(٣) مسند أحمد ٣٥٠/٢ ، ٣٨٠ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .
(٤) الخصائص الكبرى ١٦٩/١ .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : فى خصائصه : إن ظلّه صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على الأرض وإنه كان نورًا وكان إذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل[1] .

قال بعض العلماء : ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : «واجعلنى نورًا[2]» وستأتى صفة مشيه صلى الله عليه وسلم فى باب آدابه .

نَجْهد ـ بفتح النون وضمّها ، يقال : جَهد دابتّه وأَجْهدها إذا حمل عليها فوق طاقتها .

مُكْترث : أى غير مبالٍ . ولا يستعمل إلا فى النفى وأما استعماله فى الإثبات فشاذ .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٧٠ .

الباب الحادى والعشرون

فى الآية فى صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوتُ غيره

روى ابن سعد عن قتادة وابن عساكر عنه ، عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما بعَثَ الله نبيًّا إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيَّكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسَن الوجه حسَن الصوت(1) .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : ما بَعث الله تعالى نبيًّا قط إلا بعثه صَبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت ، إن نبيكم كان صبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت .

رواه ابن عساكر .

وقال جبير بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن النَّغمة .

رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال البَرَاء رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أَسْمع العَواتق فى خدورهن .

رواه أبو نعيم والبيهقى(2) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمعه عبد الله بن روَاحة وهو فى بنى غَنْم(3) فجلَس مكانه

رواه أبو نعيم والبيهقى(4) .

---

(1) طبقات ابن سعد ٣٧٦/١ (ط بيروت) .

(2) الخصائص الكبرى ١٦٤/١ .

(3) كذا فى ط موافقا لما فى الخصائص ، وفى بقية النسخ : فى بنى تميم .

(4) الخصائص ١٦٥/١ .

وقال عبد الرحمن بن معاذ التميمى رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ففُتحت أسماعنا . وفى لفظ : ففتح الله أسماعنا حتى أنا كنا لَنسمع ما يقول ونحن فى منازلنا .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[1] .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها : كنا نسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل وأنا على عريشى .

رواه ابن ماجه[2] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العِشاء « والتين والزيتون » فلم أسمع صوتا أحسَن منه .

متفق عليه[3] .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان فى صوته صلى الله عليه وسلم صَحَلٌ .

رواه ابن عساكر وغيره[4] .

[تفسير الغريب]

العواتق : جمع عاتق، يقال : عَتَقت الجاريةُ عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوجٌ فهى عاتق .

وفى البارع : العَاتق التى لم تَبِنْ عن أهلها والتى لم تتزوج .

---

(١) الخصائص ١/١٦٥ .
(٢) سنن ابن ماجة كتاب الإقامة باب رقم ١٧٩ . ومسند أحمد ٦/٣٤٢ ، ٣٤٣ والخصائص ١/١٦٥ .
(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة « والتين » .
وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٧٧ .
(٤) تهذيب ابن عساكر ١/٤٢٦ . وقد سبق تخريج حديث أم معبد فى مواضع متفرقة من هذا الجزء .

وقال أبو زيد رحمه الله تعالى : هى التى أدركت ما لم تَعْنَس[1]. وقال الأصمعى : هى فوق المُعْصر[2].

صَحَل – بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام – شبه البُحَّة وهى غِلَظ الصوت . وفى رواية : صَهَل بالهاء بدل الحاء وهو قريب منه لأن الصهل صوت الفرس ، وهو يَصْهل بشدة وقوّة .

وستأتى صفة كلامه صلى الله عليه وسلم فى أبواب آدابه .

---

(١) عنست الجارية – كسمع ونصر وضرب – عنوسا وعناسا : طال مكثها فى أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج قط . (القاموس المحيط) .

(٢) المعصر : التى ادركت وبلغت شبابها .

الباب الثانى والعشرون

فى فصاحته صلى الله عليه وسلم

الفصاحة لغةً : البيانُ .

واصطلاحاً : خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

هذا باعتبار المعنى . وأمّا باعتبار اللفظ فهى كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَر [1] واستعمالهم له أكْثر .

والفرق بينها وبين البلاغة : أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم ، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط .

ففصاحة المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس .

وفصاحة الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

وبلاغته : مطابقته لمقتضَى الحال مع فصاحته .

وفصاحة المتكلم : ملَكة يقْتدر بها على التعبير عن المقصود . وبلاغته : ملكة يقتدرُ بها على وجوه تأليف الكلام البليغ . فالبلاغة أخصُّ مطلقًا ، فكلٌّ بليغ فصيح ولا عكس ، والبليغ الذى يَبْلغ بعبارته كُنْه ضميره .

وقال الإمام العلامة أبو سليمان أحمد الخطابى رحمه الله تعالى: اعلم أن الله تعالى لمّا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعَ البلاغ [2] من وَحْيه ونصَبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعْذَبها [3] ومن الألسن أفصحها وأبْينها ، ثم أمدَّه بجَوامع الكَلِم التى جعلها رِدْءًا

---

(١) غير ط : إذا ورد استعمالهم له .

(٢) ط ، ص : موضع البلاغة . وما أثبته من ت ، م .

(٣) ط : أعربها .

لنبوّته وعلّما لرسالته ، لينتظم فى القليل منها عِلْمٌ كثير يسهل على السامعين حفظه ولا يَئُودهم حَمْله ، ومن تتبع الجوامع من كلامه صلى الله عليه وسلم لم يَعْدَم بيانها .

وقال الإمام أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير رحمهم الله تعالى فى أول النهاية : قد عرفت أيَّدك الله تعالى وإيانا بلطفه وتوفيقه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصحَ العرب لسانا وأوضحَهم بيانا وأعذبهم نطْقًا وأسَدَّهم لفظًا وأبْيَنَهم لَهْجة وأقومَهم حُجة ، وأعْرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق[1] الصواب ، تأْييدًا إلَهِيًّا ولفظا سَمائِيًّا وعناية رَبانية ورعاية رُوحانية ، حتى لقد قال له علىٌّ رضى الله تعالى عنه وسَمِعه يخاطب وفد بنى نَهْد : يا رسول الله نحن بنو أبٍ واحدٍ ، ونراك تكلم وفودَ العرب بما لا نَفْهم أكثره فقال : «أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى وربِّيت فى بنى سعد» .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العربَ[2] على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم يخاطب كلاًّ منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يَعْلمون ، ولذلك قال صدَّق الله تعالى قوله : «أمرت أن أُخاطب الناسَ على قَدْر عقولهم» فكأنَّ الله تعالى قد أعْلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بنى أبيه وجمع فيه ما تفرَّق[3] ولم يوجد فى قاصى العرب ودانِيه ، وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم ومن يفد إليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيوضحه لهم .

قلت : قوله : «ولذلك قال : أُمِرتُ أن أُخاطِب الناسَ على قَدْر عقولهم» .

رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بسند ضعيف وله طرق تقوِّيه .

وقال القاضى أبو الفضل عِيَاض رحمه الله تعالى : وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذى لا يُجْهَل ، سَلاسة[4] طَبْع وبراعة مَنْزع وإيجاز مَقْطع ونَصاعة[5] لفظ وجَزالة[6] قولٍ وصحة معانٍ وقِلة تكلُّف ، أُوتى

---

(١) ط : طرق .

(٢) ص ، ت ، م : يخاطب آلوفا . وما أثبته من ط .

(٣) ص : ما لا يعرف . وفى ت م : ما يعرف . وأظنه محرفا . وما أثبته

(٤) ت ، م : سلامة طبع .

(٥) كذا فى ط موافقا للشفاء . وفى غيرها : وفصاحة لفظ .

(٦) ص : وحلاوة قول .

صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم وخُصّ ببدائِع الحكم وعَلِم ألسنة العرب ، يخاطب كلَّ أمة بلسانها ويُحَاوِرها بلغتها[1] ويُبَارِيها فى مَنْزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه صلى الله عليه وسلم يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمَّلَ حديثَه وسِيرَه[2] عَلِم ذلك وتحققه[3] .

ففصاحة[4] لسانه صلى الله عليه وسلم غاية لا يدرك مدَاها ومنزلَة لا يدانى منتهاها وكيف يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانَه سيفًا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إليه عبادَه، فهو ينطق بحكمة عن أمره ، ويبين عن مراده بحقيقة[5] ذكره ، أفصح خَلْق الله إذا لفظ وأنصحهم إذا وعظ ، لا يقول هُجْرا ولا ينطق هَذَرًا ، كلامه كله يُثْمر عِلْما ويُمْتَثل شرعا وحُكْما لا يتفوّه بشَرٌ بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجْزَل منه فى عذوبته ، وخليقٌ بمن عبَّر عن مراد الله بلسانه وأقام[6] الحجة على عباده ببيانه ، وبيَّن مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ، أن يكون أحْكَم الخلق تِبْيانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيَانًا ، وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافقٌ ولا معاند .

* * *

قال القاضى رحمه الله تعالى : أمّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلُومة وجوامع حِكَمه المأثورة فقد ألَّف الناس فيها الدواوين وجُمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب . ومنها ما لا يُوازَى فصاحةً ولا يبارى بلاغةً . كقوله صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأُ دماؤهم ويَسْعى بذمتهم أدْناهم وهم يدٌ على من سواهم» .

رواه أبو داود والنسائى عن على رضى الله تعالى عنه[7] .

---

(١) ص : بلغاتها . (٢) فى نسخة من الشفاء : وسيره .

(٣) إلى هنا انتهى كلام القاضى عياض فى الشفاء ص ٥٨ (الطبعة العثمانية) وبعده فى ت م فقط :

ينظم ذا الشعر نثر بقــوله فأحسنه فى نثره ونظامه
يناجى منجى من يناجى فى الجوى وكل علم يرود فى كلامه

ولم ترد فى ط ، ص . ولعلها مقحمة محرفة .

(٤) ت م ص : فقد أوتى لسانه صلى الله عليه وسلم . وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط وفى بقية النسخ : تحقيق ذكره .

(٦) ط : وأقام به الحجة .

(٧) سنن أبى داود كتاب الديات باب ١١ وكتاب الجهاد باب ١٤٧ . وسنن ابن ماجة كتاب الديات باب ٣١ . ومسند أحمد ٢/١٨٠ ، ١٩٢ .

«المسلمون[1] كأسنان المشط» .

ابن لآل فى مكارم الأخلاق عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه .

«المرءُ مع من أحبَّ» .

الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه[2] .

«لا خَيْر فى صُحْبة من لا يرى لك مثلَ ما ترى له» .

ابن عَدِىّ عن أنس رضى الله تعالى عنه .

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خِيَارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فَقِهوا» .

الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه[3] .

« ما هلك امرؤٌ عَرف قَدْر نفسه» .

ابن السمعانى فى تاريخه عن على رضى الله تعالى عنه .

« المستشار مُؤْتمن ، وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت» .

أحمد عن أبى[4] مسعود عُقْبة بن عمرو[5] وصَدره عند الأربعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

« رحم الله عبدًا قال خيرًا فغَنِم أو سكَت عن شر فسَلِم» .

أبو الشيخ فى الثواب عن أبى أمامة والدَّيْلمىّ عن أنس رضى الله تعالى عنهما .

«أَسْلم تَسْلم يُؤْتك الله أجرَك مرتين» .

الشيخان فى قصة هرقل[6] .

---

(١) ط : الناس كأسنان المشط .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٩٦ . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأنبياء وكتاب المناقب وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦٨ .

(٤) كذا فى ط وفى بقية النسخ : عن ابن مسعود .

(٥) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة ، أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو مشهور بكنيته ويعرف بأبى مسعود البدرى لأنه رضى الله عنه كان يسكن بدرا . الاستيعاب ١٠٧٤/٣ .

(٦) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٤ . وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير .

« إن أحبكم[1] إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطّأون أكنافًا الذين يألفون ويُؤْلفون » .

الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه[2] .

« لعله كان يتكلم بما لا[3] يَعْنيه ويبخل بما لا يُغنيه » .

البيهقى فى الشُّعَب عن أنس رضى الله تعالى عنه والترمذى نحوه[4] .

« ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا » .

أبو داود بلفظ : ذو الوجهين فى الدنيا ذو لسانين فى النار[5] .

نَهْيه عن قِيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنَع وهات ، وعقوق الأُمّهات ووأْدِ البنات » .

رواه الشيخان[6] » .

اتّق الله حيثما كنت[7] وأتبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِق النّاسَ بخُلق حسن » .

رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى ذر رضي الله تعالى عنه[8] .

« خير الأُمور أوساطها » .

ابن السمعانى فى الذيل عن على .

« أَحْبِبْ حبيبَك هَوْنًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما » .

البخارى فى الأدب المفرد والترمذى[9] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

---

(١) ت م : إن أدناكم .
(٢) صحيح الترمذى كتاب البر ، باب رقم ٧١ .
(٣) ص ، ت ، م : فيما .
(٤) سنن الترمذى كتاب الزهد باب ١١ ولفظه : أو بخل بما لا ينقصه .
(٥) سنن أبى داود كتاب الأدب باب ٣٤ .
(٦) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٢٢ وكتاب الزكاة باب ٥٣ وصحيح مسلم كتاب الأقضية حديث رقم ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ .
(٧) ص : حيث كنت .
(٨) مسند الإمام أحمد ٣ /٥ . وسنن الترمذى كتاب البر باب ٥٥ ، وسنن الدارمى كتاب الرقاق .
(٩) صحيح الترمذى كتاب البر باب ٦٠ .

«الظُّلْم ظلماتٌ يومَ القيامة .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[1] .

« اللهم إنى أسأَلك رحمةً تَهْدى بها قلبى وتجمع بها شَمْلى وتَلُمُّ بها شعَثى وتُصْلح بها غائبى وترفع بها شاهِدى وتزكِّى بها عملى وتُلْهمنى بها رُشْدى وتردّ بها أُلْفَتى وتعصمنى بها من كل سوء ، اللهم إنى أسأَلك الفَوْز فى القضاء ومنازل[2] الشهداء وعيش السّعداء والنَّصْر على الأَعداء» .

الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما[3] .

إلى غير ذلك ممّا روته الكافةُ عن الكافة من مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه وأَدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبةً لا يقاس بها غيره وحاز منها سبقًا لا يُقْدَر قَدْره .

* * *

وقد جَمعْتُ من كلماته صلى الله عليه وسلم التى لم يُسْبَق إليها ولا يَقْدر أَحد أَن يُفْرغ فى قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم «حَمِىَ الوطيس» قاله صلى الله عليه وسلم يومْ حنين .

مُسْلم عن جابر رضى الله تعالى عنه[4] .

« مات حَتْف أنفه » .

البيهقى عن عبد الله بن عتيك رضى الله تعالى عنه . وقال : والله إنها كلمة ما سمعتها من أحدٍ من العرب قبلَه صلى الله عليه وسلم .

«لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين» .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المظالم باب ٨ .

(٢) ط : ونزل .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الدعاء باب ٣٠ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٦ . هذا وتخريج هذه الأحاديث ليس من كلام القاضى عياض فى الشفاء ، وإنما هو من المصنف .

(٥) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٨٣ وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٦٣ .

«السعيدُ مَنْ وعِظ بغيره» .

الدَّيْلمى عن عُقْبة بن عامر القضاعى عن ابن مسعود مرفوعًا . ومُسْلم عن ابن مسعود موقوفًا وزاد : والشقىُّ من شَقِى فى بطن أُمه[1] » .

هذا ماذكره القاضى[2] .

وزاد الثعالبىّ : كلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفِرا» الرامهُرْمزى فى الأمثال عن[3] وهو مُرْسَل سنده جيد .

«لا يَنْتطح فيها عَنْزان» .

« هُدْنة على دَخن» .

«جَماعة على قَذى» .

« إنَّ المُنْبَتَّ لا أَرضًا قَطَع ولا ظهرًا أَبْقَى» .

« نُصِرتُ بالرُّعب» .

«أُوتيت جوامعَ الكَلِم» .

«إنَّ مِمَّا أَنْبَتَ الربيعُ[4] يَقْتل حَبطا أو يُلمّ» .

رواه البخارى[5] .

قال ابن دُرَيْد : إنه من الكلام الفَرْد الوجيز الذى لم يُسْبق إلى مثله[6] .

«الإيمانُ قَيَّد الفَتْكَ»[7] .

« يا خَيْل الله اركبى » .

«اشتدِّى أَزْمةُ تَنْفرجى» انتهى .

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ .

(٢) الشفا القاضى عياض ص ٦٠ – ٦١ .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) ط : البقل :

(٥) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب ٣٧ وكتاب الرقاق باب ٧ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ، حديث ١٢١ .

(٦) ط : إلى معناه .

(٧) سنن أبى داود كتاب الجهاد باب ١٥٧ ومسند أحمد ٩٢/٤ .

قال القاضى : إلى غير ذلك مما يدرك الناظر العجب فى مُضَمَّنها ويذهب به الفكر فى أدنَى[1] حِكَمها .

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم «أنا النبىُّ لا كَذِب أنا ابن عبد المطلب أنا أعْرَب العرب ولدتنى قريش ونشأْت فى بنى سعد بن بكر ، فأنَّى يأْتينى اللحن» .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك[2] .

وقد قال له أصحابه فيما رواه ابن أبى حاتم والبيهقى عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى والعسكري والرامهُرْمزى معا فى الأمثال عنه عن أبيه عن جده قال : ما رأينا الذى هو أفصح منك . فقال : « ومايمنعنى وإنما أُنزل القرآن بلسانى لسان[3]عربى مبين وإنى من قريش ونشأْت فى بنى سعد بن بكر[4]» .

قال : فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة[5] ألفاظ الحاضرة ورَوْنق كلامها .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله ما لَك أفْصَحنا ولم تَخْرج من بين أظْهُرنا ؟ قال : «كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها[6]» .

رواه أبو نعيم والبيهقى[7] .

وقالت برَّة [8] بنت عامر الثقفية سيِّدة نساء قوْمها لإخوتها : يا بنى عامر أفيكم من أبصر محمدًا صلىَّ الله عليه وسلم ؟ فقالوا : كلُّنا قد رأيناه أيام الموْسِم . فقالت : أفيكم من سمعه

---

(١) الشفا : فى أدانى حكمها .
(٢) الخصائص الكبرى ١٥٨/١ . وذكر أن الطبرانى أخرجه .
(٣) ص ، ت ، م : بلسان عربى .
(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وابن أبى الدنيا فى كتاب المطر وابن أبى حاتم والخطيب فى كتاب النجوم وابن عساكر . الخصائص الكبرى ١٥٨/١ .
(٥) ط : ونصاعة ألفـاظ .
(٦) ط : فحفظنيها .
(٧) الخصائص الكبرى ١٥٧/١ .
(٨) ط : مرة .

يتكلم ؟ قالوا : نعم. فقالت : كيف هو فى فصاحته ؟ قالوا يا أُختاه إن أقبح مَثالب العرب الكذِب ، أمّا فصاحته فما ولدت العربُ فيما مضى ولا تلد فيما بَقَى أفصح منه ولا أَذْرَب منه إذا تكلم يُعْجز اللبيبَ كلامَه ويخرس الخطيبَ خطَابه .

رواه أبو الحسن أحمد بن عبد الله محمد البكرى فى كتابه« أُنْس الواحش وريّ العاطش » .

وقال محمد بن عبد الرحمن الزُّهْرى عن أبيه عن جدّه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُدَالك الرجلُ امرأته ؟ قال : نعم . إذا كان مُلْقِحًا . فقال له أبو بكر : يا رسول الله لقد طُفْت فى العرب وسمعت فِصَاحهم[1] فما سمعت أفصح منك .فقال : أَدَّبنى ربى ونشأْت فى بنى سعد بن بكر .

رواه ابن عساكر[2] » .

دالكه : ماطَله .

مُلْقحًا - بضم الميم وفتح القاف اسم فاعل من أَلْقَح الرجلُ فهو مُلْقِح إذا كان فقيراً . وهو غير مَقِيس . قاله فى القاموس . وقال غيره : معناه أيداعب الرجل امرأته يعنى قبل الجماع وسمّاه مَطْلا لكون غرضها الجماع - قال : إذا كان عاجزا فيكون ذلك محركاً لشهوته ولعجزه يسمىّ مُفْلسًا .

وقال زكريا بن يحي بن يزيد السَّعْدى رحمه الله تعالى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أَعْرَبُ العربِ ولِدْتُ فى قريش ونشأْت فى بنى سَعْد فأَنَّى يأْتينى اللحن »

رواه ابن سعد[3] .

---

(١) فصاحتهم .

(٢) الخصائص الكبرى ١٥٨/١ .

(٣) لم أجده فى طبقات ابن سعد فى باب نسبه ولا فى باب رضاعه ولا فى باب صفة كلامه . ويبدو أن المؤلف لم ينقله عن ابن سعد مباشرة وإنما نقله عن السيوطى فى الخصائص ، إذ أن السيوطى كان شيخه وهو ينقل عنه أكثر ما فى كتابه . والذى فى الخصائص : وأخرج ابن سعد عن يحى بن يزيد السعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم أنا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر » .

ثم قال : « وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعرب العرب ولدت فى قريش » إلخ . فلعل هنا سقطا فى الأصل .

وقال بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وكان يتكلم بالكلام لا يَدْرون ما هو حتى يخبرهم » رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن الجوْزى[1]

[معرفته صلى الله عليه وسلم بلهجات العرب]

وليس كلامه صلى الله عليه وسلم مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع غيرهم ، فانظر دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبنى [2] نَهْد وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم فى جملة الوفود فقام طهفة ابن رهْم النَّهْدى يشكو الجدْب فقال : أتيناك يا رسول الله من غَوْر تِهامة بأكوار الميس ترتمى بها العِيس ، نَسْتحْلب الصَّبير ، ونَسْتَجْلِب الخَبِير ونَسْتعضِد البَرير ، ونَسْتخيل الرِّهَام ، ونَسْتجيل الجهَام ، من أرض غائِلة[3] النِّطَاء ، غليظة الوِطَاء ، قد نَشف المُدْهُن ويَبِس الجِعْثِن ، وسقط الأملوج ، ومات العُسْلُوج ، وهلك الهَدِىّ ، ومات الوَدِىّ ، برِئْنا إليك يا رسول الله من الوثن ، والعَنَن ، وما يحدث به الزمن ، لنا دعوة السلام . وشريعة الإسلام ، ماطمًا البحر ، وقام يَعار ، وكنا نَعَم هَمل أغْفال . ما تبل بَبِلَال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم باركْ لهم فى مَحْضها ومَخْضها ومَذْقها . وابعث رعاتها[4] فى الدّثْر بيانع الثّمر وافْجُر لهم الثّمد ، وبارك لهم فى المال والولد ، من أقام الصلاة ، كان مسلما ، ومن آتى الزكاة كان مُحْسنا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخْلصا ، لكم يا بنى نَهْد ودائع الشِّرْك ووضائع الملك لا تُلْطِطْ فى الزكاة ولا تُلْحِد فى الحياة ولا تَثَاقل عن الصَّلاة » .

ثم كتب معهم كتابا إلى بنى نهد : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بنى نهدبن زيد : السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله . لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارِض والفَرِيش . وذو العِنان الرَّكُوب والفلق الضَّبِيس ، لا يُمْنع سَرْحكم ، ولا يُعْضَد طَلْحكم ، ولا يُحْبس دَرّكم ، ما لم تُضْمِروا الرِّمَاق. وفى لفظ : الأرْماق .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ص ٤٥٦ .

(٢) ص ، ت ، م : بنى نهد .

(٣) ط : عـالية .

(٤) ط : راعيها .

وتأكلوا الرِّبَاق ، من أقرَّ بما فى هذا الكتاب ، فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبَىَ فعليه الرِّبْوة .

رواه أبو نعيم فى المعرفة والدَّيْلمى فى مسند الفردوس عن عمران بن حصين ، وأبو نعيم عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهم مختصراً[1] .

وكتابه صلى الله عليه وسلم لذى الْمِشْفَار[2] مالك بن نمط[3] لما لقيه وفد هَمْدان مَقْدَمَه من تبوك فقال مالك بن نمط : يا رسول الله نَصِيَّةٌ من هَمْدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُص نَوَاج ، متصلة بحبَائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلاف خارِف ويام ، لا يُنْقَض عَهْدُهم عن سُنَّة ماحِل ، ولا سوداء عَنْقَفير ، ما أقام[4] لَعْلَع ، وما جَرى يَعْفورٌ بصَلَّع .

فكتب إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلاف خارف وأهل جِنَاب الهَضْب وحِقَاف الرَّمْل ، مع وافدهَا ذى المعشار مالك بن نمط ومن أسلَم من قومه ، على أن لهم فِرَاعها ووِهَاطَها وعِزَازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلاَفها ويرعون عَفَاءهَا لنا من دِفْئِهم وصِرَامهم ما سلَّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصَّدقة الثَّلْبُ والناب والفَصِيل والفارِض والداجن[5] والكبش الحَوَرِىّ ، وعليهم فيه الصالغ[6] والقارح .

رواه أبو القاسم الزجَّاجى فى أماليه عن[7] . . . مُعْضَلا .

* * *

---

(١) الشفا للقاضى عياض ٥٨ .

(٢) ط ، لذى المعشار . وانظر ضبط المؤلف للكلمة ص ١٤٧ .

(٣) ط : ابن نبط .

(٤) ط : ما قام .

(٥) ص : الفسيل الداجن . ولم يرد فى تفسير الغريب ذكر لكلمة الفسيل .

(٦) ط : الضارع . وص ، ت ، م : الصابغ وما أثبته من تنبيهات المصنف الآتية بعد .

(٧) بياض بالأصول .

وكتابه صلى الله عليه وسلم لقَطن بن حارثة ويقال حارثة بن قطن قال الشيخ فى « مناهل الصَّفَا » وهو المعروف : العليمى بن كلب : « هذا كتابٌ من محمد لعمائر كَلْبٍ وأَحْلافها ومن ظأَّره الإسلامُ من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمىّ بإقام الصلاة لوقتها وأداء الزكاة بحقها فى شدة عَقْدها ووفاء عهدها بمَحْضر[1] من شهود المسلمين وسمّى جماعةً منهم دِحْية بن خليفة الكَلْبى . عليهم من الهَمُولة الراعية البساط الظُّئار ، فى كل خمسين ناقةٌ غير ذات عَوار ، والحُمُولةُ المائِرةُ لهم لاغية ، وفى الشَّوِىّ الوَرِىّ مُسِنَّة حامل أو حائل[2] وفيما سِوى الجدْول من العين المعِين العُشْر ، وفى العترى شطره بقيمة الأوسط[3] ، لايُزاد عليهم وَظِيفةٌ ولا يُفرَّق . شهد على ذلك الله ورسولُه وكتب ثابتُ بن قيس بن شَمَّاس .

رواه ابن سَعْد عن ربيعة بن إبراهيم الدمشقى رحمه الله تعالى[4] .

* * *

وكتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حُجْر : « إلى الأَقْيَال العَبَاهِلَة والأَرْوَاع المَشَابيب من أهل حضرموت بإقام الصلاة المفروضة وأداء الزكاة المعلُومَة عندمَحلِّها، فى التِّيعة شاة لا مُقَوَّرَة الأَلْيَاط ولا ضِنَاك وأَنْطُوا الثَّبَجة ، وفى السُّيُوب الخُمْس ، ومن زنَى مِمْ بَكْرٍ فاصْقَعُوه مائةً واستَوْفِضُوه عامًا ، ومن زنى مِمْ ثيِّب فضَرِّجُوه بالأَضَامِيم ولا تَوْصِيم فى الدِّين ولا غُمَّة فى فرائض الله ، وكل مُسْكر حرام ، ووائِل بن حُجْر يترفَّل على الأَقْيَال أميرًا أَمَّره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » .

رواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى غريبه .

قال القاضى رحمه الله تعالى : وأين هذه الألفاظ من كتابه صلى الله عليه وسلم فى الصَّدَقة لأَنس المشهور ، فإنه بمَحلٍّ من جَزالة ألفاظ مألوفة وسلاَسة تراكيب مأْنوسة ،

---

(١) ت م : لنفر من شهود المسلمين .

(٢) ط : خامل أو حامل .

(٣) ط : بقيمة الأمين .

(٤) الذى فى طبقات ابن سعد ٣٣٤/١ (ط بيروت) عن ربيعة ابن إبراهيم الدمشقى قال : وفد حارثة بن قطن بن زائر بن حصن بن كعب بن عليم الكعى وحمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم إلى رسول الله (ص) إلخ ثم ذكر نصا للكتاب الذى كتبه رسول الله (ص) لحارثة بن قطن يخالف ما ذكره المؤلف هنا .

وذلك بمحل من غلاقة ألفاظ غريبة وقلالة أساليب فى النطق عَسِرة ، لأنه لمّا كان كلامُ هؤلاء على هذا الحد أي غريبًا غير مألوف وكانت بلاغتهم على هذا النمط وحشيا غير مأنوس ، وكان أكثر استعمالهم هذه الألفاظ التى ليست بمألوفة ولا مأنوسة ، استعملها معهم ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم وليحدِّث الناس بما يعلمون ليفهموه .

وقد كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلِّم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كَلِمها ، وكان أحدهم لا يجاوز لغته وإن سمع لغةَ غيرِه فكالعجمية يَسْمَعها العربىُّ وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية ومَوْهِبة ربَّانية ، لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الكافَّة طُرًّا وإلى الخليقة سُودًا وحُمْرا ، ولا يوجد متكلِّم بغير لغته إلا قاصرًا فى تلك الترجمة نازلا عن صاحب الأصالة فى تلك ، إلا هو صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان إذا تكلم فى كل لغة من لغة العرب أفْصح وأنْصَع بلغاتها مِنها بلغة نفسها وجدير به ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أُوتِى جميع القوى البشرية المحمودة ومزيّةً على الناس بأشياء كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عطية السَّعْدى رضى الله تعالى عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال : « ما أغْناك [1] الله فلا تسأل الناسَ فإن اليد العليا خير هى[2] المنْطِية واليد السفلى هى المُنْطَاة وإن مال الله مسئول [3] ومُنْطَى » . قال : فكلَّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا .

رواه الحاكم وصححه البيهقى .

وقوله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عاصم الأشعرى رضى الله تعالى عنه : « ليس من اَم برٌّ اَم صيامٌ فى ام سَفَر »

رواه عبد الرزاق والحميدى ، وابن القاسم البغوى . أى ليس من البر الصيام فى السفر ، وهذه لغة صحيحة وأكثر ما يتكلم بها الأشعريون وهى فى الغالب يمنية والأشعريون من اليمن ، وإنما تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبةً فى البيان وحسن التعلم والإفْهام لهم بلغتهم .

---

(١) غير ص : ما أعتاك الله .

(٢) ط : فإن اليد العليا هى المنطية .

(٣) ط : ميسول .

وقوله فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « سَلْ عنك » رواه أبو نعيم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه .

أى اسأل[1] عما شئت . وهى لغة بنى عامر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما اشتهر على ألسنة كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أفْصَح من نطَق بالضاد » فقال الحافظ عماد الدين ابن كثير – وتابعه تلميذه الزركشى – وابن الجوزى والشيخُ والسخاويُّ : إنه لا أصل له ومعناه صحيح ، والمعنى أنه[2] صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بها ولا توجد فى لغةِ غيرهم .

الثانى : فى شرح غريب ما سبق .

قول القاضى رحمه الله تعالى « سَلَاسَة طَبْع » : قال العلامة شمس الدين الدّلجى فى شرحه على « الشِّفا » – وهو فرد فى بابه – نُصب سلاسة بنزع الخافض أى مع أو بسهولة جِبلَّة وانقياد طبيعة .

بَرَاعة مَنْزَع : أى ومَنْزَعا بارعًا ، من برَع الرجلُ بفتح رائه وضمها ، أى فاق أقرانه ، والمنْزَع – بفتح أوله وثالثه : المأخذ .

وإيجاز مَقْطَع : أى ومَقْطَعًا موجزا ، من أوْجَز : أتى بكلام قَلَّ لفظُه وكثرت معانيه . والمقْطَع – بفتح ميمه وطائه : تمامُ الكلام .

ونصَاعة لفظ : أى ولفظًا ناصعًا – أى خالصًا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس .

وجزَالة قولٍ : أى قولاً جزْلا[3] سالمًا من شوائب الرّكّة وضعف التأليف قد نُسجت حِبَره على مِنْوال تراكيب العربية .

---

(١) ط : أى سل .

(٢) ط : والمعنى أنا أفصح العرب .

(٣) ط : جازلا .

وصحة معان : أى ومعان صحيحة لا يتطرق إلى ألفاظها احتمال غير لائق .

وقِلَّة تكلُّف: لو قال : وعدم تكلف كان أَلْيَق وأحسن .

أُوتى جوامع الكَلِم : كالمؤكِّد لما قبلَهُ أو البدل منه ومن ثم فصّله عنه، لأن من جُبلت طبيعته على ما ذكر من الملكات فجدير أن يَحُوز الكلم الجوامع ، جَمْع جامعة للمعانى الكثيرة .

وخُصّ ببدائِع الحِكَم : جمع حِكمة وهى هنا كمال العلم وإتقان العمل . أى وبالحكمة البديعة ، من أَبْدَع إذا أتى بشىء بديع مُخْتَرع غير مسبوق بمادة وزمان ، ويقابله التكوين لكونه مسبوقا بمادّة ، والإحداث لكونه مسبوقا بزمان .

يحاورها : يجاوبها .

ويُباريها : يعارضها . يقال هو يباريه أى يعارضه ويفعل مثل فعله ، وهما يتباريان.

ومن تأمّل حديثه وسيره صلى الله عليه وسلم : جمع سِيرة وفى رواية : وسَبَره : بباء موحدة أى نظر فى نصاعة أساليبه وصياغة تراكيبه .

تتكافأ : تتساوى . دماؤهم : أى فى العصمة والحرمة فكل مسلم شريفا أو وضيعا أو ضعيفا كبيراً أو صغيراً حُرًّا أو عبدًا فى ذلك سواء . أو فى القصاص والدية لا فضل فيهما لمُسْلم على مسلم: فيقاد الدَّيّن[1] بالوضيع، والكبير بالرضيع، والعالِم بالجاهل ، والذكر بالأُنثى ، وكذا حكم الدية فيُخَصّ منه العبد إذ لا يكافئ حُرًّا .

بذمتهم : بعهدهم وأمانهم : أدْناهم : كعبيد وامرأة فإذا أعطى أحدهم أماناً فليس لأحدهم نَقْض أمانِه .

وهم يدٌ على من سِوَاهم : أى هم مع كثرتهم قد جمعتهم أخوة الإسلام وجعلتهم فى وجوب الإتفاق بينهم تعاونًا وتناصرًا على من ناوأهم وعاداهم كَيَد واحدة لا يسعهم أن يَخْذل

---

(١) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الدنىء بالوضيع . ولا معنى لهـا .

بعضهم بعضا [بل يجب أن ينصر كلٌّ أخاه . قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » كأسنان المشط تماثلا وتساويا][1] أى فهم مستوون فى إجراء الأحكام[2] عليهم .

مَعْدن كل شىء : أصله أى أن أصول بيوتهم الشريفة تُعْقب أمثالها ويَسْرى كَرَم أعراقها إلى فروعها لا يكون فيها خيار لمجرّد ذلك، ومن ثَمَّ قُيِّد بقوله إذا فَقُهُوا -بضم القاف- أى مارسوا الفقه وتعاطوه ، فأرشد أنه لا خيار فيه إلا بالفضل والتقوى فمن اتفق له مع ذلك أصلٌ حميد[3] شريف الأعراق كَمُلت فضيلته وربَّما فضلُه [4] عن غيره .

وهو بالخيار : أى بين أن يشير بالإصلاح[5] وأن لا يشير به ، بشهادة رواية أحمد : إن شاء تكلم وإن شاء سكت فإن تكلم فيجتهد رأيه .

ما لم يتكلم : أى ما لم يعزم المستشار على الإشارة له ، فإذا عزم وجب أن يجتهد رأيه فإن أخطأ فلا غرم عليه .

الموطأون : من التوطئة بمعنى لين الجانب : أكنافا : جمع كَنف أى جانب .

عن قيل وقال : أى عما يتحدث به فى المجالس كقيل كذا وقال كذا . ويجوز بناؤهما على أنهما فعلان ماضيان فى كل منهما ضمير ويجوز إعرابهما إجراء لهما مجرى الأسماء ولا ضمير فيهما .

ووأد البنات -بهمزة ساكنة بعد واو مفتوحة : أى دفنهن حيّات . هَوْنًا مّا : بتشديد ما ، والهَوْن فى الأصل: السَّكينة ، نصب على المصدر لأن المعنى : أحِبْ حبيبك حبًّا قليلاً . فقليلاً صفة لما اشتق منه أحبب . وما مزيدة لتأكيد معنى القِلَّة أو على الظرف لأنه من صفات الأحيان أى أحبب فى حين قليل ولا تُسْرف فى حبه .

---

(١) سقط من ت م وهى مثبتة فى هامش ص .
(٢) ص ت م : فى إجراء الكلام محرفة .
(٣) ص . ت م : جميل .
(٤) ت . م : وربما فضل عن غيره .
(٥) ط : بالصلاح .

شَعَثى : ماتفرّق من أمرى . غائبى : باطنى . أُلْفتى ــ بضم الهمزة وكسرها : مصدر بمعنى المفعول أى آليفى أو مألوفى أى ما كنت آلفه .

الكافة : الجماعة . وعن سيبويه منع استعمال الكافة معرفة ، وهى نكرة منصوبة على الحال .

مرقبة ــ بقاف بعد راء ــ بمعنى مرتبة ــ بتاء بعدها هاء ، كما فى بعض النسخ .

حَمى الوطيس : وهو فى الأصل التنور شبه به الحرب لاستعار نارها وشدة وقدها فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها وقرنها بالحموّ ترشيحًا للمجاز .

مات حَتْف أنفه : أى بلا مباشرة قتال

قوة عارضة : أى جَلَدٍ وصرامة .

الجزالة : ضدّ الركاكة .

النصاعة : الخلوص . الرونق : الحسن .

كل الصّيد ــ بضم الكاف واللام ــ مبتدأ . الفَرا ــ بفتح الفاء : حمار الوحش .

لا ينتطح فيها عنزان : قال فى النهاية : أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز ، وهى إشارة إلى قضيّة مخصوصة لايجرى فيها حلف ولا نزاع .

الهدنة ــ بضم الهاء وسكون الدال المهملة : السّكون . والهدنة الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربَيْن .

على دَخن ــ بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة : أى على فساد واختلاف تشبيهًا بدخان الحطَب الرطب ، لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر .

المُنْبَتّ قال فى النهاية : يقال للرجل إذا انقطع به فى سفره وعَطبت راحلته : قد انبتّ من البتّ وهو القَطْع ، يريد أنه بقى فى طريقه عاجزًا عن مقصده لم يقضِ وطَره وقد أعْطَب ظهره .

حَبطا ــ بفتح الحاء المهملة والموحدة والطاء المهملة : وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل حتى ينتفخ فيموت .

يُلِمّ : بضم المثناة التحتية أى يَقْرب من الهلاك ، وهو مثَل للمُنهمك فى جَمْع الدنيا المانع من إخراجها فى[1] وجهها.

الفَتْك – بفتح الفاء وسكون المثناة الفوقية– قال فى النهاية : هو أن يأتى الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل فيَشُدُّ عليه فيقتله . والغِيلة أن يخدعه ثم يقتله فى موضع خفىّ .

شرح غريب الحديث الاول

طَهْفة – بطاء مهملة فهاء ساكنة ففاء أخت القاف مفتوحة .

المَيْس – بفتح الميم وسكون المثناة التحتية : شجر صُلْب يعمل منه أكوار الإبل ورِحَالها .

نَهدْ – بفتح النون وإسكان الهاء ودال مهملة : قبيلة من اليمن .

نَسْتحلب : بحاء مهملة . الصَّبير : بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدرّ السحابَ . نَستخلب : بالخاء المعجمة .

الخَبير – بخاء معجمة فموحدة: النبات والعشب ، شبَّه بخَبير الإبل وهو وبَرها ، واستخلابُه احتشاشه[2] بالمِخْلب وهو المنجل . والخبير يقع على الوبر والزرع والأكّار[3] .

نستَعضد البَرير – بفتح الموحدة والراء بينهما مثناة تحتية : ثمر الأراك إذا اسود وبلغَ ، وقيل هو اسم له فى كل حال . أى نجنيه ونقطعه من شجره للأكل وكانوا يأكلونه فى الجَدْب .

نَسْتخيل : بالخاء المعجمة من أخال إذا ظن .

الرِّهَام – بكسر الراء : الأمطار الضعيفة ، واحدتها رِهْمة ، أى نتخيَّل الماء فى السحاب القليل، وقيل : الرِّهمة أشد دَفْعًا من الدِّيمة .

---

(١) غير ط : إلى وجهها .

(٢) غير ط : استحشاشه .

(٣) كذا فى ت ، وفى ط : الأكال . وفى ص : الإكاف .
قال فى القاموس : والخبير : الأكار – أى الحراث – والعالم بالله تعالى ، والوبر والنبات والعشب .

نسْتجيل : بالجيم أى نراه جائلا تذهب به الريح هاهنا وهاهنا .

الجَهام - بفتح الجيم : السحاب الذى فرغ ماؤه . ومن رواه: نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلْت أخال إذا ظننت ، أراد لا نتخيَّل فى السحاب خيالا إلا المطر وإن كان جَهاما لشدة احتياجنا .

ومن رواه بالحاء المهملة وهو الأشهر : أراد أنه لا ننظر من السحاب فى حال إلا إلى جَهام من قلة المطـر .

أَرض غائلة : بالغين المعجمة .

النِّطاَ - بكسر النون أى مُهْلكة للبعيد ، يقال بلدٌ نطىّ أى بعيد . ويروى المَنْطَى وهو مَفْعَل منه .

المُدْهُن - بضم الميم وسكون المهملة وضم الهاء : نُقرة فى الجبل .

الجِعْثِن - بجيم مكسورة فعين مهملة ساكنة فمثلثة مكسورة : أصل النبات ويقال : أصل الصِّلِّيان خاصّة ، وهو نبت معروف .

العُسْلوج - بعين مضمومة فسين ساكنة مهملتين آخره جيم : الغصن إذا يبس فذهبت طراوته ، وقيل هو القضيب الحديث الطلوع ، يريد أن الأغصان يَبست وهلكت من الجدب ، والجمع عَسَاليج .

الأُمْلوج - بضم الهمزة فميم ساكنة فلام مضمومة : ورق شجر يشبه الطّرفاء والسَّرْو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان . وقيل هو نَوَى المقْل . وفى رواية : ونط[1] الأُمْلوج .

هَلك الهَدىّ - بفتح الهاء وكسر الدال وبالتشديد كالهَدْى مخففا ، وهو ما يُهْدَى إلى البيت الحرام ليُنْحر ، فأُطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هَدْيا تسمية للشىء باسم بعضه . يقال : كم هَدْى بنى فلان ؟ أى كم إبلهم .

---

(١) ط : وسط .

مات الوَدِىّ : بفتح الواو وكسر المهملة مشدّدا : فَسيل النخل[1]. يريد هلكت الإبل ويبست النخيل .

الوثن : الصنم

العَنن : بفتح العين المهملة والنون الأُولى : الاعتراض ، يقال عَنّ إلى الشيء : اعترض كأنه قال : برئنا إليك من الشِّرك والظُّلْم وقيل أراد به الخلاف والباطل .

طَمَا البحرُ : ارتفع بأمواجه .

تِعَار : بكسر المثناة الفوقية وبالعين المهملة : اسم جبل يُصْرف ولا يصرف .

نَعمَ هَمل : أى مهملة لا رعاء لهـا ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة .

إبل أغفال : لا لبن فيها .

مَحْضها ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة : أى خالص لبنها .

مَخْضها بالمعجمتين : ما تمخَّض من اللبن ويؤخذ زبده .

مَذْقها ـ بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف : الممزوج بالماء .

الدَّثْر بدال مهملة فثاء مثلثة ساكنة فراء : المال الكثير . وقيل الخصب والنبات الكثير

افْجُرلهم الثَّمَد : بمثلثة مفتوحة : المـاء القليل ، أى صيره كثيرا .

ودائع الشِّرك : قيل المراد بها العهود والمواثيق ، يقال توادَع الفريقان إذا أعطى كلُّ واحد منهم عهدَه للآخر لا يَغْزوه . وقيل : ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا فى الإسلام ، أراد إحلالهـا لهم لأنها مال كافر قد قَدر عليه من غير عهد ولا شرك .

وضائع الملك : جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تكون على الملك ، وهى ما يلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة ، أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم شيئا .

لا تُلْطِطْ : بمثناة فوقية مضمومة فلام ساكنة فطائين مهملتين الأُولى مكسورة والثانية مجزومة على النهى أى لا تمنعها .

---

(١) غير ط : قليل النخل .

لا تُلْحِد : بمثناة فوقية مضمومة فلام ساكنة فحاء مهملة مكسورة فدال مهملة ساكنة : أى لا تحِدْ[١] عن الحق ما دمت حيًّا .

لاتثاقل عن الصلاة : أى لاتتخلف . قال الحافظ أبو موسى المدينى رحمه الله تعالى : هكذا رواه القُتَبِىّ على النهى للواحد أى لاتُلْطِطْ ولا تلحد[٢] . والذى رواه غيره : « ما لم يكن عَهْد ولا مَوْعد ولا تثاقلٌ عن الصلاة ولا تلطُّطٌ فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة » وهو الوَجْه ، لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قَبْله .

الوظيفة : الحق الواجب .

الفريضة : الهرِمة المسنّة ، أى لا تأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا تأخذ خيار الأموال .

الفارض : بفاء فراء فضاد معجمة : المريضة .

الفَريش : بفاء مفتوحة فراء فمثناة تَحتية فشين معجمة ، وهى من الإبل كالنُّفساء من بنات آدم ، أى لكم خيار المال وشراره ، ولنا وَسَطه .

ذو العِنان : بكسر العين المهملة : سَيْر اللجام .

الركوب : بفتح الراء : الفَرس الذَّلُول .

الضَّبيس : بضاد معجمة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة : المهْر العسِر الصعب .

امتنَّ عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها ورديئها .

لا يُمْنَع : بضم المثناة التحتية وفتح النون .

سَرْحُكم : بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة فحاء مهملة مضمومة : ما سَرَّحتم من المواشى ، أى لا يدخل عليكم أحدٌ فى مَراعيكم .

ولا يُعْضَد : لا يقطع .

---

(١) ط : لا تلحد .

(٢) ط : وتلحد .

طَلْحكم : جمع طلحةً وهى شجر عِظَام من شجر العِضاه .

لا يُحْبس دَرّكم : أى لا تُحبَس ذوات الدّر عن المرعى إلى أن تجْتمع الماشية ثُم تُعَد وإنما منعناه[1] أن يأخذها لما فى ذلك من الإضرار .

الإماق : بالميم أى مالم تُضْمِروا الغيْظ والبكاء بما يلزمكم من الصدقة . قاله فى القاموس . وقال الزمخشرى : المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار[2] فى دين الله . وفى رواية الرِّماق ، والمراد النفاق يقال رامَقْته رِماقا وهو أن تنظر إليه شَزرا نظر العداوة ، يعنى ما لم تَضقْ قلوبكم عَنَ الحق ، يقال عيشٌ رِماق أى ضيِّق[3] وعيش رَمِق ومرمق[3]أى يمسك الرُّوح ، والرَّمق بقية الروح وآخر النفس .

تأْكلوا الرِّبَاق : براء مكسورة وموحدة مخففة أى لا تنقضوا العهد ، واستعار الأَكلَ لنقض العهد لأن البهيمة إذا أكلت الرِّبْق ، وهو الحبل الذى تُجعل فيه عُرًى وتُشَدّ ، خلصت من الرِّباط .

الرُّبوة : بتثليث الراء : الزيادة يعنى من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له .

شرح غريب الحديث الثانى

المِشْر : بميم مكسورة فشين معجمة ساكنة فراء مهملة . الهَمْدانى : بهاء مفتوحة فميم ساكنة فدال مهملة اسم قبيلة .

النَّصِيّة بنون مفتوحة ومشددة ، فصادمهملة مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة من يُنْتَصى من القوم أى يختار من نواصيهم وهم الرءوس والأشراف ، ويقال للرؤَساء نواصٍ كما يقال للأَتباع أذناب . وقد انتصيت من القوم رجلا أى اخترته .

---

(١) غير ط . وإنما معنـاه .
(٢) غير ط : الاستنصار .
(٣) كذا فى ط . وفى بقية النسخ ورميق . وما أثبته يتفق مع قوله : يمسك الروح .

القُلُص : بقاف ولام مضمومتين جمع قَلُوص بفتح القاف وهى الناقة الشابة .

النَّواجى : جمع ناجية ، السريعة المشى .

حَبَائل الإسلام : عهوده وأسبابه .

المِخْلاف : بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وآخره فاء وهو فى لغة اليمن الرُسْتاق[1] .

خارف – بخاء معجمة فألف فراء مكسورة ففاء – ويام – بمثناة تحتية : قبيلتان من اليمن .

عن سُنّة ما حل : أى لا ينْقض بسعى ساع بالنميمة والإفساد ، كما يقال : لا أفسد ما بينى وبينك بمذاهب الشرار وطرقهم فى الفساد . والسنة : الطريقة أيضا .

عَنْقَفير : بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة ففاء مكسورة فمثناة تحتية : الداهية أى لا يُنْقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل .

لَعْلع : بلامين مفتوحتين بينهما عين مهملة وآخره أخرى : جبل .

اليَعْفور بمثناة تحتية مفتوحة : الخشن[2] من ولد البقر الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير .

بصَلّع : بباء موحدة هى حرف جر فصاد مهملة مفتوحة فلام مشددة فعين مهملة : الأرض التى لا نبات فيها .

جِناب : بكسر الجيم وبالنون : اسم موضع .

الهَضْب : بفتح الهاء وسكون الصاد المعجمة جمع هضبة . وهى هنا اسم موضع . حِفَاف الرّمل : بحاء مهملة مكسورة ففائين بينهما ألف أسماء بلادهم .

فِرّاعها : بفاء مكسورة فراء فعين مهملتين : ما علا من الجبال والأرض[3] .

وِهَاطها : بكسر الواو وبطاء مهملة : المواضع المطمئنة .

عزازها بعين مهملة فزايين معجمتين مخففتين : ما صلب من الأرض واشتد وخشن وإنما يكون فى أطرافها .

---

(١) الرستاق : السواد والقرى ، كالرزداق والرسداق ، وهو فارسى معرب (القاموس) .

(٢) غير ط : الخشف .

(٣) ط : أو الأرض .

عِلَافها بعين مهملة مكسورة فلام مخففة فقاء جمع عَلَف وهو ما تأكله الماشية .

عَفَاها : بعين مهملة مفتوحة ففاء مخففة وبالمد : المباح ما ليس لأحد فيه مِلْك ولا أثره من عَفا الشيء إذا خَلَص وصفا .

لنا من دِفْئهم: بدال مهملة مكسورة ففاء ساكنة وبالهمز : نتاج الإبل وما ينتفع به منها ، سمّاها دِفئا لأنها يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يستدفأ به ، وفصّله عَمَّا قبله ملتفتا من الخطاب إلى التكلم لِشبه انقطاع بينهما . إذ ذاك مِمَّا خصّهم به من أراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خصَّ به نفسه أو من معه من مواشيهم .

صِرامهم : بصاد مهملة مكسورة : نَخِيلهم : سميت صِرَاماً لأنها تُصرم أى تُقْطع ، واحدتها صِرْمة بكسر أوله وراء ساكنة : أو من ثمرهم .

قال شيخنا الإمام العلامة شمس الدين الدلجى : وعليهما[1] يجوز فتح الصاد وأيضاً لأن الاسم عليهما مصدر ، تقول صرمت النخل أو الثمر صراما بالكسر والفتح .

الثِّلْب : بثاء مثلثة فلام ساكنة فباء موحدة : ما هرم من ذكور الإبل .

النَّاب : بالنون الموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها .

الفَصِيل : أكثر ما يطلق على أولاد الإبل وقد يطلق على أولاد البقر إذ هو ما فصل عن اللبن .

الفارِض بالفاء : المسنُّ من الإبل وقيل من البقر بشهادة « لا فارضٌ ولا بِكْرٌ[2] »

الداجِن : بدال مهملة وجيم : الدابة التى تألف البيوت ولا تُرْسَل إلى المراعى .

الحَوَرىّ : بحاء مهملة فواو مفتوحتين فراء مكسورة منسوب إلى الحَور وهو جلود الضَّأن وقيل ما دُبِغ من الجلود بغير القَرظ .

الصَّالغ : بصاد مهملة فلام فغين معجمة هو من البقر والغنم ما أكمل ستَّ سنين ويقال بالسين[3] .

القارِح بالقاف والراء المكسورة : ما دخل من الخيل فى خامس سنة . وفى القاموس: هو من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل .

---

(١) عليهما : أى على الوجهين السابقين : أن المراد نخيلهم أو ثمراتهم .

(٢) سورة البقرة ٦٨ .

(٣) فى القاموس : صلغت الشاة : لغة فى سلغت ، وهى صالغ ، أو الصالغ منها كالقارح من الخيل ، و دخلت فى الخامسة أو السادسة .

العَمائر : جمع عَمارة بالفتح والكسر وهو فوق البطن من القبائل ، أَوَّلها الشَّعْب ، ثم القبيلة ، ثم العِمَارة ، ثم البطن، ثم الفخذ . وقيل: العمارة الحي العظيم يمكنه الانفراد بنفسه . فمن فتح[1] فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة وهى العمامة . ومَن كسَر فلأَنهم عِمارة الأَرض .

الأَحلاف : جمع حِلْف وهو فى الأَصل المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد .

ظأره الإسلامُ : بالظاء المعجمة والهمز آخره راء أَى عطفه عليه .

الهَمُولة : بفتح الهاء : هى التى ترعى بأنفسها .

البساط : قال الهَروى يروى بالفتح والكسر والضم[2] وقال الجوهرى والقُتَبى هو بالضم جمع بِسْط بكسر الباء كظئر وهى المُرْضِع وجمعها ظئار . وقال الأَزهرى : هو بالكسر جمع بِسْط وهى التى تُر كت[3] وولدها لا يُمنع منها ولا تعطف على غيره .

وبسط بمعنى مبسوطة أَى بسطت على أَولادها التى معها أَولادها .

الظِّئار بكسر الظاء المعجمة وبالهمز آخره راء : أَن تعطف الناقة على غير ولدها .

الحَمُولة المائرة : بفتح الحاء الإبل التى تُحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يُجْلب للبيع .

لم لاغية : أَى لا يؤخذ منها زكاة لأَنها عوامل .

الشَّوِىّ بشين معجمة مفتوحة فواو مكسورة فمثناة تحتية مكسورة مشددة اسم جمع للشاة .

الوَرِىّ : بفتح الواو وكسر الراء وتشديد الباء : السمينة .

---

(١) يريد : فتح العين فى عمـــارة .

(٢) انظر تفسير الهروى لهذه الكلمة فى الغريبين ١٦٦/١ ولم يرد فيه هذا الضبط بالحروف .

(٣) الأصل : تركب وما أثبته عن الغريبين للهروى ١٦٦/١ .

شرح غريب الحديث الرابع

وائل بن حُجْر : بضم المهملة وسكون الجيم .

الأَقيال : بقاف فمثناة تحتية ولام جمع قَيْل وهم رؤساء المِلِك الأعظم ووزراؤه .

العَباهلة : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة جمع عَبْهل هم الملوك الذين أُجْروا على مُلكهم فلم يزالوا عنه وكذا كلُّ شيء لا يُمْنع مما يزيد ولا يؤخذ على يده فيما قصده : عَبْهل .

الأَرْواع : بفتح الهمزة وسكون الراء وآخره عَيْن مهملة جمع رائع وهم الحِسَان الوجوه أو الذين يَرُوّعون النّاسَ أى يفزعونهم بجمالهم ومنظرهم هَيْبَةً لهم .

المَشَابيب : بفتح الميم والشين المعجمة وموحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة : الرءوس السادة الحِسَان المناظر الزُّهْر الأَلوان كأنما وجوهم تتلأْلأ نورًا .

التِّيعة : بمثناة فوقية مكسورة فتحتية ساكنة فعين مهملة : الأَربعون من الغنم أَو أدنى ما تجب فيه الزكاة كالأَربعين منها والخمس من الإِبل .

مُقَوَّرة : بميم مضمومة فقاف مفتوحة فواو مشددة .

الأَلْياط : بهمزة مفتوحة فلام ساكنة آخره طاء مهملة جمع لَيْط وهو فى الأَصل القِشْر اللائط بعود أَى اللازق به شبّه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال ، أَى لا مُسْترخية الجلد لهزالها .

ضِنَاك : بضاد معجمة مكسورة فنون مخففة : المكتنِز اللحم يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أَنْطُوا : بقطع الهمزة أَى أَعطوا .

الثَّبَجة : بمثلثة فباء موحدة فجيم مفتوحات . وقد تكسر الموحدة . ثبجَ كل شيء : وسطه ، أَى أعطوا فى الزكاة الشاة الوسطى التى ليست رديئة ولاخيارا . وأَلحق بها التاء لانتقالها من الاسمية إلى الوصفية .

السُّيوب : بسين مهملة مضمومة وآخره موحدة جمع سَيْب وهو الرِّكَاز . قال أَبوعبيد : ولا أَراه إلا أُخذ من معنى العطيّة ، إذ السَّيْب لغةً العطاء ، والرِّكاز عطَاء من الله تعالى .

وقيل هى عروق الذهب والفضة تسيب فى الأرض أى تكون فيها وتظهر .وقال الزمخشرى هى المعدن والمال المدفون فى الجاهلية لأنه من فضل الله وعطائه لمن أصابه .

ومن زنى مم بِكْر : قال شيخنا الشمس الدلجى : بِكْر نكرة عامة لوقوعها فى سياق الشرط فراؤها منونة وأبدلت فيه نون « من » ميا لكثرة استعمالهم ذلك لفظا نحو « مما أنزلنا » « مما أخرجنا » « مما كانا فيه » سيما إذا كان بعدها باء كما هنا ولو كان مَعْرفة لقال بِلغتهم : ومن زنى من مبكر كما قال : « ليس من امبر امصيام فى امسفر » .

و« من » الجارّة تبعيضية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه ، أى ومن زنى من الابكار .

فاصْقَعُوه : بهمزة وصل فصاد مهملة ساكنة فقاف مفتوحة فعين مهملة وأصله الضرب على الرأس وقيل ببطن الكف . أى اضربوه .

استَوْفِضُوه : بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ، من استوفضت الإبلُ إذا تفرّقت فى رعيها أى اطردوه وانفوه أو غرِّبوه .

فضرِّجوه : بضاد معجمة فراء مشددة مكسورة فجيم أى أدْموه بالضرب بالأضاميم بفتح الضاد المعجمة جمع إضامة لأن بعضها يُضم إلى بعض كالجماعات من الناس ، أى ارجموه بالحجارة حتى تُدْموه بالضرب بجماهير الحجارة .

لا تَوْصِيم فى الدِّين: بمثناة فوقية فصاد مهملة مكسورة أى لا كسل ولا توانى ولا محاباة فى إقامة الحدود .

ولا غُمَّة : بغين معجمة مضمومة فميم مشددة . وفى لفظ ولا عَمَّة بعين مهملة فميم مفتوحتين فهاء . وفى لفظ ولاغِمْدَ بمعجمة مكسورة فميم ساكنة فدال مهملة أى لاستر ولا خفاء ولا إلباس .

يترفَّل على الأَقيال : بفاء مفتوحة مشددة تشبيها لإمْرته بالثوب فهى فى تَلَبُّسه بها كهو ، استعير لها ترفيله وهو إطالته وإسباله فكانه يرفل فيها أى يجر ذيلها عليهم زَهْوًا .

الباب الثالث والعشرون

فى معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تَقْرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم

وهم : آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم . ذكره صاحب « استجلابِ ارتقاء[1] الغُرَف بحب أقرباء الرسول وذَوِى الشَّرفُ » .

وإبراهيم نبيّ الله ورسوله وخليله صلى الله عليه وسلم : جاء فى غير ما حديث صحيح أنه كان يُشْبهه صلى الله عليه وسلم[2] .

ومن أُمّته : أبو محمد الحسن ، وأبو عبد الله الحسين ابنا علىّ رضى الله تعالى عنهم . روى البخارى عن ابن سيرين[3] عن أنس قال : كان الحسن بن على أشْبَهَهم برسول الله صلى الله عليه وسلم[4] .

وروى البخارى أيضا عن الزُّهْرى عن أنس قال : لم يكن أحد أَشْبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الحسين[5] بن على . وفى لفظ لغيره : كان أشبههم وجها بالنبى صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ : قوله أشبههم أى أشبه أهل البيت . وقول أنس فى رواية ابن سيرين يعارض قوله فى رواية الزهرى . ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما قال فى رواية الزهرى فى حياة الحسن لأنه كان يومئذ أشدّ شبها بالنبى صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين . وأما ما وقع فى رواية ابن سيرين فكان بَعْد ذلك كما هو ظاهر من سياقه والمراد : مَنْ

---

(١) ص : إرتفاع .

(٢) انظر كتاب الأنبيـاء فى صحيح البخارى باب ٢٤ ، ٤٨ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٧٢ .

(٣) ط : عن ابن مسعود عن أنس .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحـاب النبى صلى الله عليه وسلم باب ٢٢ .

(٥) ط : من الحسن .

فُضِّل عليه الحسين فى الشَّبَه كان من عدا الحسن . ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به فى بعض أعضائه فقد روى الترمذى وابن حِبَّان من طريق هانئ بن هانئ عن علىّ قال : الحسن أَشْبَه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر ، والحسين أشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك[1] .

وفى رواية عن أنس : كان الحسن أشبههم وجهًا . وهو يؤيّد حديث على انتهى .

- وأمُّ الحسن ، السيدة فاطمة الزهراء أُمهما رضى الله تعالى عنهم .

- وأخوها إبراهيم ابن سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم .

روى الخرائطى فى « اعتلال القلوب » عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية وهى حامل منه بإبراهيم فذكر حديثا فيه أن جبريل صلى الله عليه وسلم بشَّره أنه أَشْبَه الخَلْق به .

- وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : أَشْبهت خَلقى وخُلقى[2] .

- وابناه عَوْن وعبد الله .

روى النسائى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه عَوْن : إنه أَشْبه خَلْقى وخُلقى [3]

- وقُثَم ابن سيدنا العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصَفَه ابن السكن بذلك .

- وأبو سفيان بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنه .

- وابن ابنه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب الملقب فيما ذكر فى « المحبَّر» و « الاستيعاب » بذلك أمير البصرة .

وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال الزبير بن بكَّار : كان يُشْبه النبى[3] صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب ١٠ .

(٣) ط : كان يشبه بالنبى .

● ومحمد ومُسْلم . ذكرهما ابن حبان فى الثقات بذلك ، ابنا عقيل بن أبى طالب .

● والسائِب بن يزيد ، الجد الأَعلى للإمام الشافعى رضى الله تعالى عنهما ، وصفَه الزبير ابن بكّار بذلك .

روى الحاكم فى مناقب الشافعى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى فسطاط إذ جاء السائب بن عبيد الله ومعه ابنه فقال : « من سعادة المرء أن يُشْبه أباه » وهذا الابن هو شافع بن السائب – ويمكن أن يعدَّ هذا الولد فى الأَشْباه أيضا لهذا .

● وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز العَبْشمى .

● وكابس بن ربيعة بن عدى .

● وعلى بن نِجَاد بنون مكسورة فجيم خفيفة – ابن رفاعة الرفاعى اليَشْكرى – بمثناة تحتية مفتوحة ومعجمة ساكنة .

● والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل .

وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب ذكره المزِّى فى ترجمة والده بذلك .

● والقاسم بن محمد . قال عبيد الله بن إسحاق فيما نقله العسكرى كان أَشْبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم .

● ويحيى بن القاسم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم .

● وعبيد الله بن أبى طلحة الخَوْلانى .

● ومسلم بن مُعَتّب بن أبى لهب .

● قيل وعثمان بن عفان رضى الله عنه لكن قال الحافظ[1]: إن الأثر المحكىّ فى ذلك موضوع وإن الثابت فى صفته رضى الله تعالى عنه خلاف ذلك .

● وثابت البُنَانى وقَتادة بن دُعَامة . ذكرهما صاحب استجلاب ارتقاء[2] الغُرق» .

● ومحمد بن عبد الله المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان .

ذكر غالبَ ذلك الحافظُ فى الفتح فى مناقب السَّيدَيْن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما .

وعدُّه المهدىَّ فى الأشباه غلطٌ . فقد روى أبو داود عن علىّ رضى الله عنه فى صفة المهدىّ « يسمَّى باسم نبيكم يشبهه فى الخُلُق ولا يُشْبهه فى الخَلْق[3] » .

وعبد الله بن عَوَانة شريف مَغْرِبىّ قدِم الديار المصرية زمن السلطان الأشْرف قايتباى . أخبرنى غير واحد من الأشياخ[4] الذين كانت لهم معرفة بصفات النبى صلى الله عليه وسلم أن هذا المغربى كانت صفته تَقْرُب من صفة النبى صلى الله عليه وسلم وسألت شيخنا الإمام العلامة شيخ الإقراء بدمشق وإمام جامعها أبا العباس أحمد شهاب الدين الرَّمْلى ثم الدمشقى الشافعى لمَّا قدم الديار المصرية فى آخر عمره أن ينظم أسماء المذكورين قَبْل أن أظفر بجماعة لسوا فى نظمه فأجاب إلى ذلك وسُرَّ بوقوفه على أسمائهم فقال :

بالمصطفى شُبِّه بعضُ النــاسِ ... فاحفظهم ولا تكنْ بالنــاسِى
فاطمةُ الزهراء وابناها الحسَنْ ... ثم حُسَيْن وكلاهما حَسَـنْ
وابن رســول الله إبراهيمُ ... ونَوْفل بن الحــارث العظيمُ
وابن ابنه انشرْ بالجميل ذكْره ... أبو محمد أمير البَصْــــره
وجعفر وابنــــاه عبدُ الله ... وعَوْنًا اذكر لا تكن باللاهِى
وابنـــا عَقِيل وهمـــا محمد ... ومُسْــلم والســـائب الممجَّدُ
ابن يَزيد وهو جَدّ الشافعى ... إمامنا الأعظم نَجْل شـــافع

---

(١) ط : الحفاظ .
(٢) ط ، أربعاء .
(٣) سنن أبى داود كتاب المهدى باب ١ .
(٤) ط : من المشايخ .

والحَبْر عبد الله ذا ابن عامر ابن كُرَيْز العَبْشمى الفـاخرِ

وكابـس والـــده ربيعـه ابن عــدى نِسْــبة رفيعـه

كذا عليّ بن على بن نجاد ابن رفاعة الرفـاعىّ الجواد

اليَشْكرى وعُدّ بعدّ اليشكرى يحيي هو ابن القاسم بن جعفرِ

ابن محمد مولانـــا على ابن حسين بن على الولى

وولـد العباس وهو قُثَم وابن معتّب المسـمّى مُسْلم

والقاسم الثّبْت ابن عبد الله بن محمد عظيم الجـــاه

فجـدُّه عقيـل الكريـمُ كذا ابن عبد الله إبراهـيمُ

وجده فالحسـن بن الحسن ابن على يالـه من مُحْسـنِ

والسيِّد المهدىّ الذى سيظهرُ قُبَيْل عيسى وبـه يُبَشَّـرُ

وابن أَبِى طلحـــة عبد الله وذاك خَوْلانى بلا اشـتباهِ

وابن عوانَةَ الشريف المغربى أَحمـد لُقِّب الشَّبيهَ بالنـبى

قد جاء فى تاسع قَرْنٍ قد مضى ووجهه على البُـدور قد أَضَا

وقد رأيته لطيـف الـذات مُمَـدَّحًا بأَحسـن الصفاتِ

وذكروا عثمان فى التشـبيه بالمصـطفى وليـس بالوجيـهِ

وأَثَرٌ فيـه أَتى موضــوعُ مُخْتلَق فى شـبهه مصـنوعُ

وهوجميل الذِّكر (١) عالى الدرجَهْ وبابنتيه المصطفى قد زوَّجَـهْ

صـلى عليـه ربُّنـا وسلّما والآل والصَّحْب الكرام العُظَما

---

(١) غير ط : جميل الشكل .

وقد تمَّ ما أفاد[1] الناظمُ أقل تلامذة المؤلف ـ هو شيخنا الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن محب الدين أحمد بن أحمد القَيْسى المالكى فسَح الله تعالى فى مدته آمين منبِّها على ما فى النَّظم من مخالفة الأَصل فى تسمية أَبى سفيان بن نوفل بنوفل فقالْ :

وعُـدَّ فى أَشـباهه الخليـلُ ... وآدمُ المعظَّـم الجليـلُ
صـلى عليهمـا الإِلـهُ دائما ... مسلِّما مالاح نجم فى السَّمَا
كذاك عبد اللهْ بن نوفـل ... كذا أَبو سفيان أَخوه المعتلِى
وعَدَّه النـاظم نوفلاً بـلا ... شكٌّ مخالفٌ لمـا قد نُقـلاَ
كذلك المهدىّ أَيضاً مُنْتقَد ... لما مضى فى الأَصل وهو المعتمد
وعُدَّ فى الأَشـباه أَيضاً ثابتٌ ... هو البنـانى وكـذا قتـادة
ابن دعامة كذاك القـاسم ... كذاك عبد الله أَبـوه العـالمُ
وشافع ابن ذى الذكر الجميل ... والفضل والتبجيل مولانا عقيل
وشافع جد الإِمام الشافعى ... لمـا مضى عن صاحب الشرائع
صلى عليه الربُّ ذو الجلاَلْ ... كذا الصِّحابُ جملةً والآلْ

---

(١) فى ط : وقد تم كاتبه أقل تلامذة المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ما فات الناظم ووقف عليه المؤلف بعد النظم فقـال :

وآدم ومثلـه الخليـل ... كلاهمـا ذكـر له جميـل
صلى إلهنا كـذاك سلمـا ... عليهمـا والأنبيـاء دائمـا
بالمصطـفى قـد شبهـا وثابت ... أعنى البنـانى وكـذا قتـادة
ابن دعامـة بـذاك ذكـره ... بعض من الحفـاظ فيما سطـره
كذا أبـوسفيـان بن نـوفـل ... أنعم به يا صـاح من خـير ولى
وابن أخيـه الحـبر عبـد الله ... عداً معـا من جملـة الأشباه
كذاك عبـد الله جـده عقيـل ... والقاسم الحبر كـذاك يا نبيـل
ابن محمـد به ختم النظـام ... والحمـد لله ربنا على التمـام

وقول الناظم : ونوفلِ بنِ الحارث : أى ابن نوفل بن الحارث .

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له

توفيت أمه وهو ابن أربع سنين . وقدّمه فى الإشارة . وقيل ست . وقيل سبع . وقيل تسع . وقيل خَمْس . وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرٍ وعشرة أيام

بالأبواء . وقيل بِشعْب أبى دبّ بالحَجُون . وغلِط قائله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب فى كَلاءة الله وحفظه يُنْبته الله نباتًا حسنًا لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستّ سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة[1] .

قال البلاذُرىّ : وزعم بعض البصريين أنها ماتت بمكة ودفنت فى شعب أبى دُبّ الخُزَاعى وذلك غير ثَبْت[2] .

وقال ابن سعد : هو[3] غلط وليس قبرها بمكة ، قبرها بالأبواء وكانت أمُّه قدِمت به على أخواله من بنى عدىّ بن النجار تُزيره إياهم فماتت وهى راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عمرو النجّارية فهذه الخئولة التى ذكر ابنُ إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم[4] .

وروى ابن سعد عن ابن عباس وغيره قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ستّ سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدىّ بن النجار تزورهم به

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٨ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ١/٩٥ .

(٣) ط ، ص : هذا غلط .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٨ .

ومعه أم أيمن رضى الله تعالى عنها تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به فى دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت فى مقامه ذلك ولما نظر أطمَ بنى عدىّ بن النجار عرفه فقال : كنت ألاَعب أنيسةَ جارية من الأنصار على هذا الأُطُم ، وكنت مع الغلمان من أخوالى نطيِّر طائراً كان يقع عليه . ونظر إلى الدار فقال : ها هنا نزلت بى أمى وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله وأحْسَنْتُ العَوْمَ فى بئر بنى عدىّ ابن النجار .

وكان قوم من اليهود يختلفون إليه ينظرون إليه . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هذا نبىّ هذه الأمة وهذه دار هجرته . فوعيتُ ذلك منه .

ثم رجعت به أمه إلى مكة ، فلما كانت بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه [1] .

وروى أبو نعيم عن محمد بن عمر الأسْلَمىّ عن شيوخه مثله وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنظر إلىّ رجل من اليهود يختلف ينظر إلىّ فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : أحمد ، ونظر إلى ظهرى فأسمعه يقول : هذا نبىٌّ هذه الأُمة ، ثم راح إلى أخوالى فأخبرهم فأخبروا أمى فخافت علىّ فخرجنا من المدينة .

وكانت أم أيمن تحدِّث تقول : أتانى رجلان من يهود يومًا نصف النهار بالمدينة فقالا أخرجى لنا أحمد . فأخرجته فنظرا إليه وقبَّلاه مليًا ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبى هذه الأُمه وهذه دار هجرته وسيكون بهذه البلدة من القتل والسَّبْى أمرٌ عظيم . قالت أم أيمن : ووعيت ذلك كله من كلامهما [2] .

وروى أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبى رُهْم عن أمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب فى عِلتها التى ماتت فيها ومحمد غلام يَفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك اللهُ من غــــلامِ ... يا ابن الذى من حَوْمة الحِمَامِ [3]
نجَـا بعَوْن الملِك المِنْعـامِ ... فوُدِى غَداة الضَّرْب بالسِّهـامِ

(١) طبقات ابن سعد ١١٦/١ (ط بيروت) .
(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ١١٩ (ط حيدر آباد) .
(٣) غير ط : من حرمة الحرام .

بمائة من إبـل سَـــــوامِ ... إنْ صحّ ما أبصرتُ فى مَنامِى
فأنت مبعوث إلى الأنـــام ... من عند ذى الجلال والإكرامْ
تُبْعث فى الحلّ وفى الحرامِ ... تبعث بالتحقيق والإسـلاَم
دِين أبيك البَرّ إبراهــام ... تُبْعث بالتخفيف[1] والإسلام
أن لا تواليها[2] مع الأقوام ... فالله أنهاك عن الأصـــنَامِ

ثم قالت : كلُّ حيٍّ ميت وكل جديد بَالٍ وكل كبير يَفْنى وأنا ميتة وذِكْرى باق وقد تركتُ خيرا وولدت طُهرا . ثم ماتت وكنا نسمع نَوْح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البَرّة الأمينــة ... ذات الجمال العَفّة الـرزينَهْ
زوجـة عبد الله والقــرينه ... أم نبيّ الله ذى السَّـكينَهْ
وصــاحب المِنْبر بالمـدينة ... صـارت لدى حُفْرتهـا رهينَهْ
لو فُوديت لفوديتْ ثمينـــه ... وللمنايَا شَـفْرة سَـنِينهْ
لا تُبْق ظَعّانا ولا ظَعِينـــة ... إلا أتت وقطّعت وَتينـــهْ
أما هلكتِ أيهــــا الحزينة ... عن الذى ذوالعرش يُعْلى دِينَهْ
فكلنــا والهـــة حزينــه ... نبكيــك للعُطْلــة أو للزينه

وللضعيفات وللمسكينة[3]

تنبيـه

روى أبو حفص ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من طريق أحمد بن يحيى الحَضْرمى ، والمحبُّ الطبَرى فى سيرته من طريق القاضى أبى بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر ، والدارقطنى وابن عساكر كلاهما فى غرائب مالك ، والخطيب فى السابق واللاحق من طريق على بن أيوب الكَعْبى ، قالوا : حدثنا أبو غزيّة محمد بن يحيى الزهرى ، حدثنا

---

(١) غير ص : بالتحقيق .
(٢) ط : أن لا تواقعها .
(٣) هامش دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٠ - ١٢١ باختصار فى الأبيات . وهى كذلك فى شرح المواهب ١٦٤/١ والخصائص الكبرى للسيوطى ١٩٦/١ (ط الهراس) .

عبد الوهاب بن موسى الزهرى . قال الحضرمى وابن الأخضر عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد . وقال الكَعْبي : عن مالك بن أنس . قالا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائِشة رضى الله تعالى عنها قالت : حجَّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمَّر بى على عُقبة الحَجُون وهو باكٍ حزين مغتمّ فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنه طَفِق يقول : ياحُمَيْراء استمسِكى . فاستندتُ إلى جَنْب البعير فمكث عنِّى طويلا ثم عاد إلىّ وهو فرح مبتسم فقلت : بأَبِى أنت وأمى يا رسول الله ! نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتمّ فبكيتُ لبكائك ثم إنك عُدْت إلىّ وأنت فَرِح مبتسم فممَّ ذاك ؟ قال : ذهبتُ لقبر أُمى فسأَلت اللهَ أن يحييها فأَحياها فآمنتْ بى وردَّها الله .

تفرَّد بهذا الحديث أبو غَزِيّة وتفرَّد عنه الكعبي بذكر مالك فى إسناده . قال الدار قطنى : هذا كذبٌ على مالك والحَمْل فيه على أَبِى غزيّة والمتهم بوضعه هو أَو من حدَّث به عنه .

وهذا الحديث قد حكم بوضعه الحافظ أبو الفضل بن ناصر والجُوزَقانى وابن الجَوْزى والذهبي وأَقرّه الحافظ فى اللسان ، وحكَم بوضعه جماعة سبق ذكرهم فى ترجمة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم . وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخًا لأَحاديث النهى عن الاستغفار[1] .

قلت : وهذا غير جيِّد لأَن أَحاديث النهى عن الاستغفار لهما بعض طُرقها صحيح . رواه مسلم وابن حبان فى صحيحيهما وهذا الحديث على تسليم ضعفه لايكون ناسخًا للأَحاديث الصحيحة والله تعالى أَعلم .

قال أَبو الخطاب ابن دحْية : الحديث فى إحياء أَبيه وأُمه موضوع يردُّه القرآن والإِجماع قال تعالى : « ولا الذين يَمُوتون وهم كُفَّار[2] » وقال : « فَيمُتْ وهو كافرٌ[3] » فمن مات وهو كافر لم ينفعه الإِيمان بعد الرَّجْعة بل لو آمنَ عند المعايَنة لم ينفعه ، فكيف بعد الإِعادة ؟ وفى التفسير أَنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليت شِعْرى مافعل أَبوَاىَ ؟ » فنزلت « ولا تُسْأَل عن أَصحابِ الجحيمِ[4] » .

---

(١) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطى ٢٦٦/١ (ط الحسينية) .

(٢) سورة النساء ١٨ .

(٣) سورة البقرة ٢١٧ .

(٤) سورة البقرة ١١٩ .

قلت : لو اقتصر أبو الخطاب على الحُكْم بوَضْع الحديث فقط وسكَت عما ذكَره لكان جيّداً وتـأدّبًا مع النبي صلى الله عليه وسلم- فى حق أبويه . وقد تعقبه القرطبيُّ فقال : وفيما ذكره ابن دحية نظر . وذلك أنّ فضائِل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله تعالى وأكرمه به ، وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلا ولا شرعاً ، فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى . وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر فى ذلك ويكون مخصوصاً ممن[1] مات كافراً .

وقوله : « فمن مات كافراً » إلى آخر كلامه مردودٌ بما فى الخبر أن الله ردَّ الشمسَ على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مَغِيبها حتى صلى عليٌّ العصرَ . ذكره الطَّحَاويّ وقال إنه حديث ثابت . فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردَّها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قبل الله تعالى إيمانَ قومِ يونس وتوبتهم مع تلبُّسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما فى العذاب . انتهى كلام القرطبي . ونقله الحافظ فى شرح الدُّرَر ملخِّصا له . وأقرَّه .

قال الشيخ رحمه الله : استدلاله على عدم تجدُّد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسْن ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب . قال : وقد ظفرتُ باستدلال أوضح منه ، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يُبعثون آخر الزمان ويحجُّون ويكونون من هذه الأُمة تشريفًا لهم بذلك .

وورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعًا : أصحابُ الكهف أعوانُ المهدى . رواه ابن مردويه فى التفسير . فقد اعتدّ بما يفعله أصحاب الكهف بعد حياتهم عن الموت .

---

(١) غير ط : فيمن مات .

ولا بدْع فى أن يكون الله تعالى كتبَ لأبوَى النبى صلى الله عليه وسلم عُمْرًا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيُعتدّ به ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان ، من جملة ما أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ، فيَحوزون شرفَ الدخولِ فى هذه الأمة .

وأما حديث : « ليت شعرى ما فعل أبواى » فإنه معْضَل ضعيف لا تقوم به حجة .

وقال الحافظ ابن سيِّد الناس فى « العيون » بعد أن ذكر أنه روى أن الله تعالى أحيا أبويه فآمنا به قال : وهو مخالِف لما أخرجه أحمد عن أبى رزين العقيلى قال : قلت : يارسول الله أين أمى ؟ قال : أمك فى النار . قلت : فأين من مضى من أهلك ؟ قال : أمَا ترضى أن تكون أمك مع أمى . قال : وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزَلْ راقيًا فى المقامات السنية صاعدًا إلى الدرجات العليّة إلى أن قبض الله روحه الطاهرة لديه وأزْلفه بما خصَّه به لديه من كرامة القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه كرامة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث ، فلا تعارُض . انتهى .

فصل

فى الكلام على أحاديث النهى عن استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبويه

حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليت شعرى ما فعل أبواى » فنزل « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسْأل عن أصحاب الجحيم » فما ذكرهما حتى توفاه الله . رواه ابن جَرِير[1] وغيره عن محمد بن كعب القُرَظىّ مرسلا وسنده ضعيف لا تقوم به حجة. وروى أيضاً عن داود ابن أبى عاصم نحوه وهو مُعْضَل وسنده ضعيف لا تقوم به حجة . ثم إن هذا السبب مَرْدود بوجوه أخرى من جهة الأُصول والبلاغة وأسرار البيان ، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآيات ومن بعدها كلها فى اليهود من قوله تعالى « يا بَنِى إسرائيل

(١) تفسير الطبرى ٥١٦/١ (ط الحلبى) .

اذكروا نعْمتى التى أنعمتُ عليكم وأوْفُوا بعَهْدى أُوفِ بعَهْدكم وإياى فارهبون[1] » إلى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات » واختتمت القصة بمثل ما صُدِّرت به وهو قوله « يا بنى إسرائيل اذكروا نِعْمتى التى أنعمتُ عليكم » الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرَّحًا به فى الأثر . روى عَبْد بن حُمَيْد والفرْيابىّ عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات فى نَعْت المؤمنين ، وآيتان فى نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية فى نعت المنافقين ، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة فى بنى إسرائيل .

ومما يؤيد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود ، ويرشِّح ذلك من حيث المناسَبة أن الجحيم اسمٌ لما عَظُم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار ، روى ابن جرير عن مالك[2] فى الآية قال : الجحيم اسمٌ لمَا عَظُم[3] من النار .

وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جُرَيْج فى قوله تعالى « لها سبعةُ أبواب » قال : أولها جهنم ثم لظَى ثم الحُطَمة ثم السَّعير ثم سَقَر ثم الجحيم ، ثم الهاوية . قال : والجحيم فيها أبوجهل[4] .

إسناده صحيح .

فاللائق بهذه المنزلة من عَظُم كفره واشتد وِزْره وعانَد عند الدعوة ، وبدَّل وحَرَّف وجَحد بعد عِلْم ، لا مَنْ هو بمظنَّة التخفيف .

وإذا كان قد صحَّ فى أبى طالب أنه أهْوَن أهلِ النار عَذابًا لقرابته منه صلى الله عليه وسلم وبِرِّه به ، مع إدراكه الدعوةَ وامتناعه من الإجابة وطول عُمْره ، فما ظنك بأبوَيْه اللذين هما أشدُّ منه قُرْبا وآكَدُ منه حبّا ، وأبْسَط عُذْرا وأقْصَر منه عُمْرا ؟ فمعاذ الله أن يُظن بهما أنهما فى طبقة الجحيم وأن يشدَّد عليهما العذاب العظيم هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق .

---

(١) سورة البقرة ٤٠ .

(٢) ط : عن أبى مالك .

(٣) غير ط : الجحيم ما عظم من النـــار .

(٤) تفسير الطبرى ١٤/٣٥ الحلبى .

حديث : أنه صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمّه فضربَ جبريل فى صدره وقال لا تَسْتَغفر لمن مات مُشْركا .

رواه البزّار وفى سنده من لا يُعْرف فلا تقوم به حجة .

وأما ما يُرْوى فى سبب نزول قوله تعالى « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » من أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمه فنزلت الآية . فرواه الحاكم عن ابن مسعود ، وابن جرير من طريق عطية العَوْفى ، والطبرانى من طريق عِكْرمة ، كلاهما عن ابن عباس وابن مردويه عن بُرَيْدة قال : وفيه أن قبرها بمكة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (فأما حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تعقّبه الذهبي فى مختصره فقال : فى سنده أيوب بن هانئ ضعّفه ابن مَعِين . فهذه عِلة تَقْدح فى صحته . وله علة ثانية وهى مخالفته لما فى صحيح البخارى وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له كما سيأتى فى باب موت أبي طالب . وأما حديث ابن عباس فله عِلتان : مخالفته للحديث الصحيح كما سبق وضعف إسناده . وأما حديث بُرَيْدة فله علتان : إحداهما المخالفة فى سبب نزول الآية .

والثانية : قال ابن سعد بعد تخريجه : هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وأصح هذه الطرق أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فى ألْفَى[1] مُقَنَّع فما رئى أكثرباكيًا منذلك اليوم . رواه الحاكم وصححه عن [بُرَيْدة][2] . وهذا القَدْر لا عِلّة له ، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نَهْى عن الاستغفار ، وقد يكون البكاء لمجرد الرِّقة التى تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه .

ثم قال الشيخ : وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهى موحِّدة . فذكر أثر أُم سماعة بنت أبي رُهْم عن أمها ــ السابق ثم قال : فهذا القول من أم النبي صلى الله عليه وسلم صريح فى أنها موحِّدة إذ ذكرت دينَ إبراهيم وبَعْثَ ابنِها صلى الله عليه وسلم بالإسلام من عند ذى

---

(١) غير ط : فى ألف .

(٢) بياض بالأصول . وما أثبته عن سيرة ابن كثير ١/٢٣٦ . وفيها أورد طرق هذا الحديث ونقدها .

الجلال والإكرام ونَهيْه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام وهل التوحيد شيء غير هذا ؟ التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة[1] الأصنام ونحوها . وهذا القَدْر كافٍ فى التبرِّى من الكفر وصفة ثبوت التوحيد فى الجاهلية قبل البعثة . وقد قال العلماء فى حديث الذى أمر بنيه عند موته أن يَحْرقوه ويَسْحقوه ويُذْروه فى الرِّيح وقوله : « إنْ قَدَر اللهُ علىّ » إنَّ هذه الكلمة لا تنافى الحكم بإيمانه لأنه لم يشكَّ فى القدرة ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لايُعَاد.ولا يُظَنّ بكلِّ من كان فى الجاهلية أنه كان كافراً ، فقد كان جماعة تحنَّفُوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسَّكوا بدِين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ، كزيد بن عمرو بن نُفَيْل وقُسّ بن ساعدة وورَقة بن نَوْفل ، فكلهم محكوم بإيمانه فى الحديث ومشهود له بالجنة ، فلا بِدْع أن تكون أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم ، كيف وأكثر من تحنَّف إنما كان سبب تحنّفه ما سمعه من أهل الكتاب قُرْبَ زمنه صلى الله عليه وسلم من أنه قَرُب بَعْث نبىٍّ من الحَرَم صفته كذا ، وأم النبى صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها ، وشاهدت فى حَمْله وولادته من آياته الباهرة ما يَحْمل على التحنف ضرورة ، ورأت[2] النورَ الذى خرج منها أضاءت له قصورُ الشام حتى رأتها كما ترى أمهاتُ النبيين صلى الله عليهم أجمعين وقالت لحليمة حين جاءت بهِ وقد شُقَّ صدره وهى مَذْعورة : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلاَّ والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لَكائن لابنى هذا شأن . فى كلمات أخرى من هذا النمط ، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلامَ اليهود فيه وشهادتَهم له بالنبوة ورجعت به فماتت فى الطريق . فهذا كله مما يؤيد أنها تحنَّفت فى حياتها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإن قلت كيف قررت أنها كانت موحِّدة فى حياتها ومتحنِّفة وقد صح أنه استأذن ربَّه فى الاستغفار لها فلم يؤذَن له . وقوله فى الحديث « أمّى مع أمكما » يُؤْذِن بخلاف ذلك وهَبْك أجبتَ عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ وذاك متأخر فكان ناسخًا ، فما تقول فى هذا ؟ فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب البتة ؟

---

(١) ط : والبراءة من الأصنام .

(٢) ص : إذ رأت .

قلت : أما حديث : « « أمّى مع أمّكما » وإنْ صححه الحاكم ، فقد تقرر فى علوم الحديث أن الحاكم يَتَساهل فى التصحيح . وقال الذهبى بعد قول الحاكم فى هذا الحديث : إنه صحيح : قلت : لا والله فإن عثمان بن عُمَيْر ضعَّفه الدارقطنيُّ . فبيَّن الذهبى ضعفَ الحديث وحلف عليه يمينًا . وعلى تقدير أن يكون صحيحاً فأحسن ما يقرَّر به الجواب أن يقال : إن قوله « أمّى مع أمّكما » صدَر قبل أن يوحَى إليه أنها من أهل الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا أدرى تُبَّعاً كان نبيًّا أم لا » رواه الحاكم وابن شاهين من حديث أبى هريرة . وقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى إليه فى شأنه : « لا تسبُّوا تبعًا فإنه كان قد أسلَم » رواه ابن شاهين فى نُسَخه من حديث سهل بن سعد وابن عباس . وكأنه صلى الله عليه وسلم أولاً لم يُوحَ إليه فى شأنها شىء ولم يَبْلغه الذى قالته عند موتها ولا تذكَّره فإنه كان إذ ذاك ابنَ خمسٍ سنين ، فأطلقَ القولَ بأنها مع أمهما جَرْيًا على قاعدة أهل الجاهلية ، ثم أوحى إليه فى أمرها بعد ذلك .

ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث نفسه « ما سألتُهما ربى » فهذا يدل على أنه لم يكن بعدُ وقعت بينه وبين ربه مراجعةٌ فى أمرها ثم وقع بعد ذلك . وأما عدَم الإذن فى الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعًا فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دَيْن لم يَتْرك وفاءً ومن الاستغفار له وهو من المسلمين ، وعلَّل ذلك بأن استغفاره مجابٌ على الفَوْر ، فمن استغفر له وصلَ عَقب دعائه إلى منزله الكريم فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقْضى دينه كما ورد فى الحديث « نفسُ المؤمن معلَّقة بدَيْنه حتى يُقْضى [1] » فقد تكون أمُّ النبى صلى الله عليه وسلم مع كونها متحنِّفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأمور أخرى غير الكفر اقتضت أن لا يُؤْذن له فى الاستغفار إذ ذاك بسببها إلى أن أذِن الله تعالى فيه بعد ذلك . ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحِّدة غير أنها لم يَبْلغها شأنُ البعْث والنُّشور وذلك أصلٌ كبير ، فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذلك تأخر إحياؤها[2] إلى حجة الوداع

---

(١) سنن الترمذى كتاب الجنائز باب ٧٦ .

(٢) ط : إحياؤهما .

حتى تمت الشريعة[1] ونزل : « اليوم أكملت لكم دِينكم[2] » فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ . وبسط الشيخ رحمه الله تعالى الكلام على ذلك فى كتابيه « الدُّرَر الكامنة فى إسلام[3] السيدة آمنة » وفى « مسالك الحُنَفا فى والدى المصطفى » والذى ذكرتُه خلاصتهما وفيه مناقشات ليس المقام لائقاً لذكرها .

وتقدم فى ترجمة عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم ما فيه مَقْنَع .

وقد وقعتُ على فتوى بخط بعض علماء المغاربة بسَط فيها الكلام على هذا المقام ورجَّح ما مشى عليه الشيخ ، ومن جملة ما ذكره : أن المتكلم فى هذا المقام على ثلاثة أقسام : قسم يوجب تكفيرَ قائله وزَنْدقته وليس فيه إلا القَتْل دون تلعثم ، وهو حيث يتكلم بمثل هذا الكلام المؤذى فى أبويه صلى الله عليه وسلم قاصدًا لأذيّته[4] وتعييره والإزراء به والتجسُّر على جهته العزيزة بما يصادم تعظيمه وتوقيره[5] .

وقسم ليس على المتكلم به وَصْم وهو حيث يدعوه داع ضرورى إلى الكلام به ، كما إذا تكلم على الحديث مفسِّراً له ومقرِّراً ، ونحو ذلك مما يدعو إلى الكلام به من الدواعى الشرعية .

وقسم يَحْرم علينا التكلم فيه ولا يَبْلغ بالتكلم به[6] إلى القتل ، وهو حيث لا يدعوه داع شرعى إلى الكلام به فهذا يؤدَّب على حسب حاله ويشدَّد فى أدبه إن عُلم منه الجرأة وعدم التحفظ فى اللسان ، ويُعْزل عن الوظائف الشرعية . واستدل بعزل عمر بن عبد العزيز عاملَه . وسبق ذلك فى ترجمة عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم[7] .

---

(١) ط : الشرائع .
(٢) سورة المـائدة الآية ٣ .
(٣) ط : فى إيمـان .
(٤) غير ص : لإذايته .
(٥) غير ط : وترفيعـه .
(٦) ت م : ولا يباح بالمتكلم فيـه .
(٧) سبق ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب

ثم قال : ولا ينبغى لعاقل إنكارُ ذلك . أى حديث إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم – فكرامتُه صلى الله عليه وسلم على مَوْلاه أعظمُ من ذلك ، ولا يُتَشاغل فى هذا المقام بكونه صحيحاً ، فقد قال العلماء : أحاديثُ الترغيب والترهيب لايُشْترط فيها الصحة ، فما بالك بهذا المقام ؟ ولا مانع من صحته إن شاء الله تعالى وذلك هو الذى يغلب على ظن كل مُحب للجنَاب الشريف صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى

في كفالة عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بشأنه

لمّا توفيت آمنةُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّه إليه جده عبد المطلب ورقّ عليه رقةً لم يرقّها على ولده .

قال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخّرونه فيقول جده : دَعُوا ابني . فيمسح ظهره ويقول : إنّ لا بني هذا لَشأنا[1] .

ورَوى أبونُعَيْم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مثله . وزاد : دَعُوا ابني يجلس فإنه يحسُّ من نفسه بشيء ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم[2] يبلغه عربي قبله ولا بعده[3] .

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الزُّهْري ومجاهد ونافع وابن جُبَيْر قالوا : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس على فراش جده فيذهب أعمامه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب : دعوا ابني إنه ليؤنس مُلْكا[4] .

وقال قوم من بني مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به فإنا لم نَرَ قدَمًا أشبه بالقدم التي في المقام منه[5] .

وقال عبد المطلب لأُم أيمن : يا بركة احتفظي به لا تَغْفلي عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبيّ هذه الأُمة .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٨ .

(٢) ط : ما لا يبلغه .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٢١ (ط حيدر آباد الثانية) .

(٤) طبقات ابن سعد ١/٧٠ .

(٥) الاكتفاء ١/١٧٨ .

وروى المحَاملىّ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت أبى يقول : كان لعبد المطلب مَفْرش فى الحِجْر لا يجلس عليه غيره وكان حَرْب بن أُمية فمن دونه يجلسون حَوْله دون المفرش ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا وهو غلام لم يبلغ الحلُم فجلس على المفرش فجذَبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عبدالمطلب ـ وذلك بعد ما كُفَّ بصرهُ : ما لابنى يبكى ؟ قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه . فقال عبد المطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربىٌّ قبله ولا بعده[1] .

وروى البَلاذُرىُّ عن الزُّهْرى ومحمد بن السائب أن عبد المطلب كان إذا أُتى بالطعام أجلس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْبه وربما أَقْعده على فخذه فيُؤْثره بأَطْيب طعامه ، وكان رقيقًا عليه بَرًّا به ، فربما أُتى بالطعام وليس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاضراً فلا يمسُّ شيئاً منه حتى يؤتى به . وكان يُفْرش له فى ظل الكعبة ويجلس بَنُوه حول فراشه إلى خروجه فإذا خرج قاموا على رأسه مع عَبِيده إجلالا له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْر فيجلس على الفراش فيأخذه أعمامه ليؤخّروه فيقول عبدُ المطلب : دعوا ابنى ما تريدون منه ؟ إن له لشأنا . ويقبّل رأسه ويمسح صدره ويُسَرّ بكلامه [وما يَرى منه][2]

وروى أبو نُعيم عن محمد بن عمر الأَسلمى عن شيوخه قالوا : بَيْنا عبد المطلب يومًا فى الحِجْر وعنده أسقفُّ نجران وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفة نبىّ بقى من ولد إسماعيل ، هذا البلد مَوْلده ومن صفته كذا وكذا . وأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه الأَسقفُّ وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا ، ماهذا منك ؟ قال : هذا ابنى . قال الأَسقف : لا ، ما نجد أباه حيًا . قال : هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حُبْلى به . قال : صدقتَ . قال عبد المطلب لبنيه : تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون مايقال فيه[3] ؟ .

وروى البخارى فى تاريخه وابن سعد والحاكم وصححه ، عن كنديرِ بن سعيد بن حَيْوة ويقال حَيْدة ، عن أبيه ، والبيهقى عن معاوية بن حيدة قال الأَول : خرجتُ حاجًا

(١) الوفـا ١/١٢٠ .
(٢) من أنساب الأشراف للبلاذرى ١/٨١ .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٢ .

فى الجاهلية . وقال الثانى : خرجت معتمراً فى الجاهلية . قالا : فإذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول :

رُدَّ إلىّ راكبِي محمدا ارْدُدْه ربى واتخذ[1] عندى يدا

فسألا عنه فقيل هذا سيد قريش عبد المطلب له إبل كثيرة فإذا ضل منها شيء بعث فيه بنيه يطلبونها فإذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه فى حاجة إلا أنجح فيها ، وقد بعثه فى حاجة أعيا عنها[2] بنوه وقد أبطأ عليه . قالا : فلم نلبث حتّى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالإبل معه ، فقال له عبد المطلب : يا بنى حزنتُ عليك حزنًا لا تفارقْنى بعدُ أبدًا[3] .

وروى ابن الجوزى عن أم أيمن رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أحْضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يومًا فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسى يقول : يابركة . قلت : لبيك . قال : تَدْرين أين وجدت ابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : وجدته مع غلمان قريبا من السِّدْرة ، لا تغفلى عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأمة وأنا لا آمَنُهم عليه[4] .

---

(١) ط : واصطنع .

(٢) غير ط : منها .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٧٠ القسم الأول .

(٤) الوفا ١/١٢٠ .

الباب الثالث

فى استسقاء أهل مكة بجَدّه وهو معهم وسُقْياهم ببركته

روى ابن سعد والبلاَذُرِىّ وابن أَبِى الدنْيا والطبرانى والبيهقى عن رُقَيْقة بنت أَبِى صَيْفِى ابن هاشم وكانت لِدَة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش سِنُون جدبة أَقْحلت الجلدَ وأَدقَّت العَظْم ، فبينا أنا نائمة أو مهوِّمة إذا هاتف يصرخ بصوت صَحْل يقول : يا معشر قريش إن هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان مَخْرَجه[1] فحىّ هلاً بالحيَا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وَسِيطا عظَاما جسَاما أبيض بَضًّا أَوْطَف الأَهداب سهل الخدين أشمّ العِرْنين له فخر يَكْظِم عليه وسُنَّة يهتدى[2] إليها ، فليَخْلص هو وولده وولد ولده ، وليَدْلف إليه من كل بطن رجلٌ ، فليشنُّوا من الماء[3] وليَمسُّوا من الطِّيب ثم يستلم الركن ، وليطوفوا بالبيت سبعاً ثم ليرتقوا أَبا قُبَيْس فليستق الرجل وليؤمِّن القوم ، ألا وفيهم الطيب الطاهر فغثْتم إذًا ما شئتم .

قالت : فأصبحتُ مَذْعورة قد اقشعرَّ جلدى وولِه عَقْلى واقتصيت رؤياى فنمتُ فى شعاب مكة ، فما بقى أَبطحىٌّ إلا قال : هذا شَيْبة الحَمْد . وتتامَّتْ عنده قريش وانقضَّ إليه من كل بطن رجل فشَنُّوا من الماء ومسُّوا من الطِّيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أَبا قُبَيْس فطفِق القومُ يَدلِفون حوله ما إن يُدْرك سَعْيهم مُهْلة ، حتى قرّ لذروته ، فاستكفُّوا جانبيه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أَيْفَع أَوكرب فقام عبدُ المطلب فقال : اللهم سادَّ الخَلَّة وكاشف الكُرْبة أنت عالم غير مُعَلَّم ومسئول غير مُبَخَّل وهذه عبادك وإماؤك بعَذْرات حَرَمك[4] يَشْكون إليك سنتَهم التى قد أَقْحلت الظِّلْف والخُفَّ فأَمْطِرْنا الله

---

(١) ط : خــروجه .

(٢) ط : نهتدى . وفى أعلام النبوة للمــاوردى والــوفا : وسنه يهدى إليه .

(٣) ط : بالمــاء .

(٤) غير ط : رحمتك .

غيثًا مَرِيعًا مُغْدِقًا . فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائِها وكَظَّ الوادِى بثجيجه فلَسمعت شِيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء بك عاش أهلُ البطحاء .

وفى ذلك تقول رُقَيْقة بنت أبى صَيْفى :

بشيبة الحمْد أسقى الله بلدتَنا ... وقد فقَدْنا الحيَا واجلوَّذَ المطرُ
فجاد بالماء جَوْنِىٌّ لــه سَبَلٌ ... سَحًّا فعاشت به الأنعام والشجرُ
سَيْلٌ من الله بالميمون[1] طائره ... وخَيْر من بشَّرت يومًا بهِ مُضَرُ
مبارَك الأمر يُسْتسقى الغمامُ به ... ما فى الأنام له عِدْل ولا خطَرُ[2]

[تفسير الغريب]

رُقَيْقة : براء مضمومة وقافين مصغرة ، بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية والدة مَخْرمة بن نوفل . ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات[3].

لِدَة الرجل : تِرْبه الذى ولد هو وإياه فى وقت واحد .

التتابع : بمثناتين فوقيتين فألف فمثناة تحتية فعين مهملة قال فى النهاية : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا رويّة والمتابعة عليه ، ولا يكون فى الخير . وقال غيره : التتابع بالموحدة يقال فى الخير ، والمثناة يقال فى الشر .

السِّنون : جمع سَنة وهى الجَدْب بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض الخِصْب .

أقحلت : بقاف فحاء مهملة : أيبست . مُهَوِّمة : بضم الميم وفتح الهاء وكسر الواو المشددة قال فى النهاية : التَّهْويم : أول النوم ، وهو دون النوم الشديد .

الهاتف : ما يُسْمَع صوته ولا يرى شخصه .

بصوت صَحِل : بصاد مفتوحة فحاء مهملتين فلام أى غير[4] حاد الصوت .

---

(١) ط : للميمون .

(٢) أنساب الأشراف ١/٨٢ والوفا ١/١٢٠ وأعلام النبــوة للماوردى ص ١١٥ .

(٣) الذى فى طبقات ابن سعد زينب بنت صيفى ، ولم يرد فيه ذكر لرقيقة ، وقد ذكر فى أول الخبر أن رقيقة كانت لدة عبد المطلب ، فكيف تكون من المسلمات المهاجرات .

(٤) ط : أى حاد الصوت . وفى القاموس : صحل صوته ، كفرح ، فهو أصحل وصحل ...ع أو احتد فى بحح . أو الصحل محركة : خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم .

إبّان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الموحدة : وقته .

حيّ هلاً : اسم فعل بمعنى أقبلوا وأسرعوا ، وهى كلمتان جعلتا كلمة فحَيّ بمعنى أقْبِل وهلا بمعنى أسْرِع .

الحيَا بالقصر : الغَيْث .

الخِصْب بالكسر : نقيض الجدْب .

وَسِيطًا : يقال فلان وسيط قومه إذا كان أوسطهم نسَبًا وأرفعهم محلا .

عُظّاما : بضم العين المهملة بمعنى عظيم . جُسّاما : بضم الجيم بمعنى جسيم .

بَضًّا : بموحدة فضاد معجمة مشددة قال فى النهاية : البضاضة رِقَّةُ اللون وصفاؤه الذى يؤثر فيه أدنى شيء .

الوَطَف : بفتح الواو والطاء المهملة : طول شعر العين مع سعتها .

الشَّمَم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .

العِرْنين بكسر العين المهملة وسكون الراء : الأنف وهذا اللفظ كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس .

يَكْظم عليه : بمثناة تحتية مفتوحة فكاف ساكنة فظاء مشالة مضمومة فميم أى لا يُبْديه ولا يظهره .

يَدْلِفُون : بدال مهملة وفاء : أى يَقْربون منه .

شَنُّوا من الماء : اغتسلوا به . تتامَّ القومُ : جاءُوا كلهم وتموا .

العَذْرات : بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة فراء فتاء تأْنيث جمع عَذِرة بفتح أوله وكسر ثانيه وهى فِنَاء الدار ، وهو سعَة أمامها . وقيل : ما امتد من جوانبها .

الغَدق بفتح الغين المهملة : المطر الكِبار القَطْر ، والمُغْدِق : مُفْعِل منه .

مَرِيعًا بفتح الميم : مُخْصبا .

الحَيَا : هنا[1] بالقصر المطر .

---

(١) ط : هو بالقصر .

اجلوّذ المطر : بجيم فلام مشددة مفتوحتين فذال معجمة قال فى النهاية : امتد وقتُ تأخّره وانقطاعه .

جَوْنى : بفتح الجيم وسكون الواو وتشديد الياء منسوب إلى الجَوْن وهو من الألوان يقع على الأبيض والأسود ، والجمع جُون بضم الجيم ، وقيل الياء فيه للمبالغة كما يقال فى الأحمر أحمرىّ .

السَّبَل : بسين مهملة فباء موحدة مفتوحتين المطر الجَوْد الهاطل يقال أسبَل المطرُ والدمع : إذا هطلا والاسم السَّبَل بالتحريك .

سَحًّا : بسين فحاء مهملة مشددة مفتوحتين : يقال سَحَّ المطر والدمع وغيرهما يَسُحُّ بالضم سُحوحا وسحًّا : سالَ . ويقال السَحُّ : الصبُّ الكثير .

الميمون طائره : أى المبارك حظُّه ويجوز أن يكون أصله من الطير السارح والبارح .

العدْل بكسر العين : المثل . الخِطْر بخاء معجمة : الشبيه والمثل .

الباب الرابع

فيما حصل له فى سنة سبع من مولده

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجَوْزىّ فى « الوفا » فى سنة سَبْع من مولده صلى الله عليه وسلم أصابه رمَد شديد فعولج بمكة فلم يُغْن فقيل لعبد المطلب إن فى ناحية عُكَاظ راهبا يعالج الأَعْين فركب إليه فناداه ودَيْره مُغْلق فلم يجبْه فتنزلزل دَيْره حتى كاد أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال : يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبىّ هذه الأُمة ولو لم أخرج إليك لخرَّ على دَيْرى فارجع به واحفظه لا يقتلْه بعضُ أهل الكتاب . ثم عالجه وأعطاه ما يعالَج به . وأُلقى له[1] المحبةُ فى قلوب قومه وكل من يراه[2] .

عكاظ : بضم العَيْن وآخره ظاء مشالة معجمة : مكان بقرب عرفات .

---

(١) ط : عليــه .

(٢) ط : رآه . والخبر فى الوفــا لابن الجوزى ١/١٠١ .

الباب الخامس

فى وفاة عبد المطلب ووصيته لأبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات

اختلف فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات جده فقيل : وله ثمان سنين وقدَّمه فى الإشارة . وقيل بزيادة شهر وعشرة أيام . وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست .

ولعبد المطلب عَشْر ومائة سنة . وقدَّمه فى الإشارة . وقيل اثنتان وثمانون سنة ويقال بلغ مائة وأربعة وأربعين[1] سنة . ويقال خمسا وتسعين سنة . ويقال مائة وعشرين .

قال الواقدىّ : وليس ذلك بِثَبْت .

وروى محمد بن عمر الأَسْلَمىّ عن أم أيمن أنها حَدَّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى خلفَ سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحَجُون[2] .

وروى ابن سعد عن الواقدى عن شيوخه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موتَ عبد المطلب ؟ قال : نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين[3] .

قال ابن إسحاق وغيره : ولما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحيَاطته والقيام عليه ، وأوصى به إلى أبى طالب ، لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة ، فلما مات عبد المطلب كان أبو طالب هو الذى يلى أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده[4] .

وروى ابن سعد والحسن بن عرفة وابن عساكر عن ابن عباس وغيره قالوا : لما توفى عبدُ المطلب قبض أبو طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه ، وكان

---

(١) ط : مائة وأربعين .

(٢) الوفا ١/١٢٩ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٣ .

(٣) الوفا ١/١٢٩ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٧٩ .

يحبه حبا شديدا لا يحبُّه ولدَه وكان لا ينام إلا إلى جنبه وصبَّ به صبَابةً[1] لم يصبّ مثلَها قط ، وكان يخصه بالطعام وكان عيالُ أبي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم - رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . وكان أبو طالب إذا أراد أن يغدّيهم أو يُعشّيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابنى . فيأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيُفْضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يُشْبعهم ، وإن كان لبنا شرب أولَهم ثم يتناول العيال القَعْبَ فيشربون منه فيَرْوون عن آخرهم من القعب الواحد ، وإن كان أحدُهم لَيشرب قَعْبا وحده فيقول أبو طالب : إنك لَمباركَ . وكان الصبيان يصبحون رُمْصًا شُعْثًا و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهِينا كحيلا[2] .

وروى أبو نعيم عن أم أيمن قالت : ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً ولا عطشا لا فى كِبَره ولا فى صغره ، وكان يَغْدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان [3] .

وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان أبو طالب يقرِّب للصبيان تَصْبيحهم فيضعون أيديهم فينتهبون ويكفُّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه .

[تفسير الغريب]

صَبَّ به : يقال صبّ يَصَبُّ بالفتح صبابةً رَقّ شوقُه .

القعب : قدح من خشب : الرَّمَص بالتحريك وسخ يجتمع فى الموق فإن سال فهو غَمَص وإن جَمد فهو رَمَص .

الشَّعَث : تلبد الشعر لقلة تعهُّده بالدهن .

والله تعالى أعلم .

---

(١) ت م : عليــه .

(٢) الاكتفا ١/١٩٠ والوفا ١/١٣٠ . ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٣ .

(٣) الاكتفا ١/١٩٠ .
ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٤

الباب السادس

فى استسقاء أبى طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعطَش أبى طالب وشكواه ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم

روى ابن عساكر عن جُلْهمة بن عُرْفُطَة قال : قدمْتُ مكة وقريش فى قحط ، فقائل منهم يقول : اعتمدوا واللات والعُزّى .وقائل منهم يقول : اعتمدوا مناة الثالثة الأُخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى : أنّى تؤفكون وفيكم بقية[1] إبراهيم وسُلَالة إسماعيل . قالوا : كأنك عنَيْتَ أبا طالب ؟ قال : إيهًا . فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجلٌ حسن الوجه عليه إزار قد اتّشح به فثاروا إليه فقالوا : يا أبا طالب أقْحط الوادى وأجْدَب العيال فهلم فاسْتَسْقِ[2] لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجُنَّة تجلَّت عليه سحابةٌ قَتْماء وحوله أُغَيْلمة فأخذه أبو طالب فألْصَق ظهره بالكعبة ولاذ بأُضبعه[3] الغلامُ وما فى السماء قَزَعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأَغْدَق واغدوْدَق[3] وانفجر له الوادى وأخْصَب النادى والبادِى . وفى ذلك يقول أبو طالب:

وأبيضَ يُسْتسقى الغَمامُ بوجهه ... ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامـلِ
يلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشمٍ ... فهم عنده فى نعمة وفَواضِلِ[4]

وقال ابن سعد : حدثنا الأزرق ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجَاز مع ابن أخى ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش فشكوت إليه فقال : يا ابن أخى قد عطشت . وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده

---

(١) غير ط : باقية .

(٢) غير ط : فاستق .

(٣) كذا بالأصول . وفى الخصائص : بإصبعه . وهو تحريف . وللإنسان ضبعان فقط ، والضبع : العضد كلها ، أو وسطها ، أو الإبط أوما بين الإبط إلى نصف العضد .

(٤) الخصائص الكبرى عن ابن عساكر ٢١٣/١ .

. وأغدق المطر، وأغدودق : كثر قطـره .

شيئا إلا الجَزع قال : فثنى وَرِكه ثم قال : يا عم عطشتَ ؟ قلت : نعم . فأَهْوى بعقبه إلى الأَرض فإذا أنا بالماء فقال اشرب فشربت .

وله طرق أُخرى رواها الخطيب وابن عساكر[1] .

جُلْهُمة : [بجيم مضمومة ولام ساكنة وهاء مضمومة وميم مفتوحة][2]

أَنّى : بمعنى كيف .

تؤفكون : تصرفون .

ثاروا إليه : بالمثلثة : قاموا .

دُجُنَّة بدال مهملة فجيم مضمومتين : الظُّلّة والجمع دُجُنّات . قَتْماء : بقاف فتاء مثناة فوقية : الغبراء ، من القَتَام بالفتح وهو الغبار .

لاذ به : طاف .

قَزَعة : سحَابة .

أَغْدَق : كَثُر .

اغدودق : كذلك .

الثِّمَال : تقدم الكلام عليه فى أسمائه صلى الله عليه وسلم[3] .

ذو المجاز : مكان على فرسخ من عرفة .

---

(١) الوفا ١٣١/١ . وطبقات ابن سعد ١٥٢/١ (ط بيروت) .

(٢) بياض بالأصل والضبط من القاموس .

(٣) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه . وانظر أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

الباب السابع

فى سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن

قال ابن الجوزى فى « الوفا » : لما أتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة خرج فى سفر مع عمه الزبير ، فمروا بوادٍ فيه فَحْل من الإبل يمنع من يجتاز ، فلما رآه البعير برَك وحكّ الأرض بكَلْكَله ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادى ثم خلّى عنه ، فلما رجعوا من سفرهم مرّوا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعونى . ثم اقتحمه فاتبعوه فأَيْبس الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس إن لهذا الغلام شأْنا[1] .

الكَلْكل والكَلْكال : الصَّدْر .

(١) الوفا ١/١٠١ .

الباب الثامن

فى سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام

روى ابن سَعْد وابن عساكر عن داود بن الحُصَين – بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانَ ابن اثنتى عشرة سنة . قال البلاذرىّ : وهو الثبت[(1)]

وروى أبو نعيم عن على بن أبي طالب رضى الله عنه وابن سعد وابن عساكر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل وابن سعد عن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، والبزار والترمذى وحسَّنه عن أبي موسى الأشعرى ، وابن سعد عن داود بن الحصين وأبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمى ، والبيهقى عن محمد بن إسحاق قالوا : إن أبا طالب أراد المسِير فى رَكْب إلى الشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أىْ عم إلى من تُخَلِّفنى هاهنا ؟ وصَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقَّ له أبو طالب فلما سارا[(2)] أردفه خلفه فخرج[(3)] به فنزلوا على صاحب دَيْر فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال : ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حَىّ . قال : ولمَ ؟ قال : لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبىّ . قال : وما النبى ؟ قال : الذى يُوحَى إليه من السماء فيُنَبِئ أهل الأرض . قال الله أَجَلّ مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود .

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دَيْر فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى قال : ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حَىّ . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى . قال : سبحان الله ! أجلّ مما تقول .

---

(1) الذى فى أنساب الأشراف للبلاذرى ٩٦/١ : « فلمــا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة عرض لأبى طالب شخوص إلى الشام فى تجارة » .

(2) غير ط : ساروا .

(3) غير ط : فخرجوا .

وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ألاَ تسمع ما يقولون ؟ قال : أى عم لا تنكر لله قُدْرة .

[خبر بحيرا]

فلما نزل الركب بُصْرَى وبها راهب يقال له بَحيرا فى صومعة له قال ابن اسحاق : وكان أعلمَ أهل النصرانية . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يَعْرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا قريبا من صومعته فرأى وهو فى صومعته رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى رَكْب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلِّ شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظلّ تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا سيِّد العالمين هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ من قريش[1] : وما عِلْمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقَبة لم يمرّ بشجر ولا حَجَر إلا خَرَّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع وأمر بطعام كثير فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وإنى أحب[2] أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحُرّكم وعَبدكم . فقال رجل : يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمرّ بك كثيرا فما شأنك ؟ فقال بحيرا : صدَقْت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيْف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه . فاجتمعوا إليه ، فلما أتاهم به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم راحَ مع من يرعى الإبل . وفى رواية : فتخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رِحَال القوم ، فلما نظر بَحيرا لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلّفْ أحدٌ منكم عن طعامى هذا قالوا : ما تخلّف عنك أحد يأتيك إلا غلام هو أحْدث القوم سنًّا تخلّف فى رحالنا . فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام . فقام الحارثُ بن عبد المطلب فأتى به ، فلما أقبل وعليه غمامة تُظله فقالوا : انظروا إليه

---

(١) ط : أشياخ قريش .

(٢) ط : أرى .

عليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فَيْء الشجرة فلما جلس مال فَيْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا مال فَيْء الشجرة عليه هذا نبي هذه الأُمة الذى يرسله الله إلى الناس كافة(1) .

وفى « الزَّهْر » نقلا عن محمد بن عمر الأَسلمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا فارق تلك الشجرة التى كان جالسًا تحتها وقام انفلتت من أَصلها حين فارقها وجعل يَلْحظه لحظا شديدا ينظر إلى أَشياء من بدنه قد كان يجدها عنده فى صفته وقال لقومه : هذه الحُمْرة التى فى عينيه تأْتى وتذهب أَولا تفارقه ؟ قالوا : ما رأَيناها فارقته قط . فأَقبل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام أَسأَلك باللات والعزى إلا ما أَخبرتنى عما أَسأَلك عنه . وإنما قال له بَحِيرا ذلك لأَنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسأَلنى باللات والعزى فوالله ما أَبغضتُ بُغْضهما شيئا . فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أَخبرتنى عما أَسأَلك . فقال : سَلْنى عما بدالك . فجعل يسأَله عن أَشياء من حال نَوْمه ويقظته وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم — يخبره فوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأَى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده فلما فرَغ منه أَقبل على عمه أَبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . فقال بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أَن يكون له أَب حى . قال : فانه ابن أَخى . قال : فما فعل أَبوه قال مات وأُمه حامل به . قال : صدقت ارجع بابن أَخيك إلى بلدك(2) واحذر عليه اليهودَ فوالله لئِن رأَوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا فإنه كائن لابن أَخيك شأْن . فأَسرع به إلى بلاده ولا تذهب به إلى الروم فإن الروم إذا رأَوه عرفوه بالصفة فيقتلونه .

والتفت عنه بحيرا فإذا هو بسبعة نفر قد أَقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا إلى هذا النبى الذى هو خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس وإنا قد أُخبرنا خبره بطريقك هذا . قال : أَفرأَيتم أَمرًا أَراد الله أَن يقضيه هل يستطيع

---

(1) خبر بحيرا فى سيرة ابن هشام ١/١٨٠ ودلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٥ والوفا ١/١٣١ والاكتفاء ١/١٩١ . وشرح المواهب ١/١٩٠ .

قال البيهقى : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازى وضعف الذهبى هذا الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

(2) ط : إلى بلده .

أحدٌ من الناس ردَّه ؟ قالوا : لا فبايعوه وأقاموا معه . فأتى قريشا فقال : أنشدكم بالله أيّكم وليّه قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وأرسل معه رجلا وزوّدهم الراهب من الكعك والزيت[1] .

وقال أبو طالب فى هذه السَّفْرة قصائد منها ما ذكره ابن اسحاق وأبو هفان فى ديوان شعر أبى طالب :

إنَّ ابنَ آمنة الأمين محمدا ... عِنْدى بمثلِ مَنَازل الأولادِ
لمَّا تعلَّق بالزِّمام رحمتُه ... والعِيسُ قد قَلَّصْنَ بالأزواد
فارفَضَّى من عَيْنَىَّ دمْعٌ ذارفٌ ... مثلُ الجُمَانِ مُفَرَّق الأفراد
راعيتُ منه قَرابةً موصولة ... وحفظتُ فيه وصية الأجدادِ
وأمَرْتُه بالسَّير بين عمومة ... بِيض الوجوه مَصالتٍ أنْجادِ
ساروا لأبعد طَيَّة معلومة ... فلقد تباعَد طيةُ المرتاد
حتى إذا ما القوم بُصْرى عاينوا ... لاقَوْا على شَرك من المرصاد
حَبْرا فأخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورَدَّ معاشر الحسَّادِ
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى ... ظل الغمامة ثاغرى الأكباد
ساروا لفتك محمد فنهاهمُ ... عنه وأجْهد أحسن الاجهادِ
فثنى زبيراءَ بَحِيرٌ فانثنى ... فى القوم بعد تجَادُلٍ وتَعاد[2]
ونهى دَرِيسًا فانتهى لمَّا نهى ... عن قول حَبْر ناطق بسداد

ومنها :

بكى حَزَنا لما رآنى محمد ... كأنْ لا يرانى راجعا لمَعادِ
فبِتُّ يجافينى تَهلُّلُ دمعه ... وعَبْرته عن مَضْجعى ووسادِى
فقلت له قرِّب قُتُودك وارتحلْ ... لا تخشَ منّى جفوةً ببلاد

---

(١) الوفا ١٣٣/١ . وشرح المواهب ١٩١/١ .

(٢) ص : زبيرا . وقوله زبيراء يشير إلى اسم واحد من النفر الذين قدموا إلى رسول الله عند بحيرا . وفى ابن هشام ٨٣/١ : زريرا .

وحُلَّ زِمامَ العيس وارحلْ بِنَا مَعًا ... علی عَزْمةٍ منْ أمْرنا ورشاد
رُحْ رائحا فى الرائحِين مُشَيِّعا ... لِذِى رحم والقوم غير بِعَاد
فرُحْنا مع القوم التى راح رَكْبُها ... يؤمُّون من غَوْرين أرض إيادِ
فما رجعوا حتى رأوا من محمدٍ ... أحاديثَ تَجْلو رَيْن كلِّ فؤاد
وحتى رأوا أحْبار كلِّ مدينة ... سجودًا له من عُصْبة وفُرادِ
زُبَيْرا وتَمَّاما[1] وقد كان شاهدا ... دريسُ فهمُّوا كلهم بفسادِ
فقال لهم قولاً بَحِيرا فأيقنوا ... به بعد تكذيبٍ وطُول بعادِ
كما قال للركب الذين تَهوّدوا ... وجاهَدهم فى الله حقَّ جهادِ
وقال ولم يترك له النصح ردَّه ... فإنَّ له أرصاد كل مُضَادِ
فإنى أخاف الحاسدين وإنه ... لفى الكُتْب مكتوبٌ بأىِّ مدَادِ

ومنها :

ألم ترنى مِنْ بَعْد هَمٍّ هَمَمْتُه ... بفرقةِ حُر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددْت مطيّتى ... برَحْلى وقد ودّعته بسلامِ
بكى حَزنا والعِيس قد فصَلْت بنا ... وأمسَك بالكفَّين فضلَ زمامِ
ذكرتُ أباه ثم رَقْرقتُ عَبْرةً ... بحورًا من العينين ذات سجامِ
فقلت تروّحْ راشدًا فى عمومة ... مؤاسين فى البأساء غير لئِامِ
فرحْنا مع العِير التى راح أهلُها ... شآمَ الهوى والأصل غير شآمِ
فلما هبطنا أرضَ بُصْرى تَشرَّفُوا ... لنا فَوْق دور ينظرون جسامِ
فجاء بَحِيرا عند ذلك حاشدًا ... لنا بشراب طيِّب وطعامِ
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا جَمْعنا القومَ غير غلام
يتيمًا فقال ادعوه إنَّ طعامنا ... كثيرٌ عليه القوم غير حرام
فلما رآه مقبلا نحو داره ... تُوقّيه حرَّ الشمس ظلٌّ غمامِ
حنى رَأسه شِبْه السُّجود وضمَّه ... إلى نَحْره والصَدْر أىَّ ضمَامِ

(١) فى ابن هشام ١٨٣/١ أن اسماءهم : زرير وتمام ودريس .

وأقبل ركْبٌ يَطْلبونَ الذى رأى ... بحيرا من الأعــلام وَسْط خيــام
فثــار إليهم خشيةً لغرامهم ... وكانوا ذوى مَكْــر معًا وغــرام
دريس وتمَّام وقــد كان فيهم ... زبير وكلٌّ القــوم غير نِيَــام
فجاءوا وقــد همُّوا بقَتْل محمــد ... فردَّهم عنــه بحُسن خصَــام
بتأْويله التــوراة حتى تفرقــوا ... فقال لهم ما أنتم بَطغــــام
فذلك مِنْ أعــلامه وبيَــانه ... وليس نهــارٌ واضح كظلام (١)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : وقع فى حديث أبى سعيد عن الترمذى : فلم يزل بحيرا يناشد جدَّه حتى ردَّه وبعث معه أبو بكر بلالا قال الحافظ شرف الدين الدمياطى وتبعه فى المَوْرد والعيون : فى قوله : «وأرسل معه أبو بكر بلالا» نكارة كيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العَشْر سنين فإن النبى صلى الله عليه وسلم أسنُّ من أبى بكر بأزْيَد من عامين وقد قدمنا ما كان سِنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين سافر هذه السَّفْرة . وأيضا فإن بلالا لم ينتقل لأبى بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما ، فإنه كان لبنى خَلَف الجمَحيِّين وعندما عذِّب فى الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رحمةً له واستنقاذًا له من أيديهم وسيأتى بيان ذلك.

وذكر نحو ذلك الحافظ فى الإصابة وزاد أن هذا اللفظ مقْتَطع من حديث آخر أُدْرِج فى هذا الحديث وفى الجملة هو وَهْم من أحد رواته .

وروى ابن مَنْدة بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال إن أبا بكر صحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارة ، حتى إذا نزل منزلا فيه سِدْرة فقعد فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بَحِيرا يسأله عن شىء فقال له : من الرجل الذى فى ظِلِّ السدرة فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : هذا والله نبى هذه الأُمة ما استظل تحتها بعدَ عيسى بن مريم إلا محمد . وذكر الحديث .

---

(١) يتضح فى هذا الشعر المنسوب إلى أبى طالب الصنعة والركاكة ولم يروه أحد من أهل العلم بالشعر ، وليس فى سيرة ابن هشام .

قال الحافظ : فهذا إن صح يحتمل أن يكون فى سَفْرة أُخرى بعدَ سفرة أبى طالب . وذكر نحوه فى « الزَّهْر » وزاد : وقول ابن دِحْية : يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالا حينئذ أو يكون[1] أمية بن خلف بعثه : غير جيِّد لأمرين .

أحدهما أن أبا بكر لم يكن معهم ولا كان فى سِنّ من يملك . وذكر نحو ما سبق فى سِنّ النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك .

ثانيهما : أن بلالا كان أصْغر من أبى بكر فلا يتجه ما قاله بحال .

الثانى : قوله فى الحديث : « فبايَعوه » فى « العيون » : إنْ كان المراد فبايعوا بَحِيرا على مُسَالمة النبي صلى الله عليه وسلم فقريب . وإن كان غير ذلك فلا أدرى ما هو[2] .

وقال فى « الغُرَر » : الأول هو الظاهر ليوافق الضمير[3] فى فيه وفى « وأقاموا معه » ومعناه : فبايَعوه على أن لا يأخذوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولا يؤذوه على حسب ما أُرْسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفًا على أنفسهم إذا رجعوا بدونه . وهذا وجه حسن جدا .

الثالث : وقع فى سِيرَ الزهرى أن بحيرا كان حَبْرا من يهود تَيْماء . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : والظاهر من سياق القصة أنه كان نصرانيا[4] .

قلت : وبذلك جزم ابنُ إسحاق . كما تقدم .

وقال المسعودى فى تاريخه : كان بحِيرا نصرانيا من عبد القيس[5] .

وفى تاريخ ابن عساكر أنه كان يسكن ميفعة قرية وراء دَيْر بالبلقاء[6] . وذكر الإمام السُّروجى فى مَنَاسكه أن عند كفافة منزلة وادى الظَّباء بها شجر تَمْر الهِنْدى تزعم العامة أن صومعة بحيرا كانت هناك . قال : ولا يوقف على حقيقة ذلك .

---

(١) ط : وأن .

(٢) عيون الأثر ٤٣/١ .

(٣) ط : ليوافق الضميرين فيه وفى أقاموا .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٢٤٩/١ .

(٥) مروج الذهب ٨٩/١ (ط بيروت) .

(٦) سيرة ابن كثير ١٤٠/١ عن ابن عساكر .

وذكر القُتَبيّ فى « المعارف » أنه سُمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خيرَ أهل الأرض بَحِيرا ورِئاب بن البرَاء الشَّنّى والثالث المنتظر . فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

قال ابن قتيبة : وكان قبر رئاب الشنّى وقبر ولده من بعده لا يزال يُرَى عليه طَشّ والطش : المطر الخفيف .

ثم إن بحيرا بباء موحدة مفتوحة فحاء مهملة مكسورة فراء فألف قال : غير واحد مقصورة ورأيت بخط مُغَلْطَاى وصاحب الغُرَر وغيرهما عليها مَدّة . فالله تعالى أعلم .

قال المسعودى : واسمه سرجس[2] . كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرَّوْض[3] . وفى النسخ التى وقفت عليها من الإشارة جرجيس بكسر الجيمين بينهما راء وبعد الثانية مثنّاة تحتية فسين مهملة . وهكذا رأيته بخط صاحبها فى « الزهر » وصحح عليه . وكذلك هو فى الإصابة للحافظ . وجزم الذهبى فى ترجمة أبى الفتح سعيد بن عقبة من « الميزان » بأن بحيرا لم يدرك البعثة[4] . وأقرّه الحافظ فى اللسان[5] . وهو غير مصروف للعجمة والعلمية . وهو فى الأصل اسم نبى .

* * *

الرابع : فى بيان غريب ما سبق :

صَبَّ به ـ بصاد مهملة فباء موحدة : أى مال إليه ورقّ عليه . ويروى وضَبَث به بضاد معجمة فباء موحدة فمثلثة . أى تعلّق به وأمسك .

الصَّوْمعة : منزل الراهب ، سميت بذلك لأنها محدَّدة الرأس من قولهم ثَرِيدة مُصَمَّعة[6] إذا دُقّت وحدِّد رأسُها .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٨ (ط دار المعارف) .

(٢) ط : جرجس .

(٣) الروض الأنف ١/١١٨ .

(٤) ميزان الاعتدال ٢/١٥٣ .

(٥) لسان الميزان ٣/٣٩ .

(٦) القاموس : (صمع) والثريدة : لعلها حجر أو عظم ، قال فى القاموس (ثرد) : والمراد من يذبح بحجر أو عظم أو من حديدته غير حادة ، واسم ذلك المثراد .

تهصّرت : مالت وتدلّت عليه .

احتضنه : أخذه مع حِضْنه أى مع جنبه .

الغُضْروف ـ بضم الغين وإسكان الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة ففاء : هو رأس لوح الكتف ويقال فيه غُرْضوف بتقديم الراء .

فبايَعوه ـ بفتح المثنّاة التحتية وهو خبر لا أمر .

أَنْشُدكم ـ بفتح الهمزة وضم الشين : أى أسألكم بالله .

العِيس ـ بعين مكسورة وسين مهملتين بينهما مثناة تحتية : إبلٌ بِيض فى بياضها ظُلْمة خفيّة ، والواحدة عَيْساء بفتح العين .

قلصْن : ارتفعن .

ارفضّ : سَال .

ذارف ـ بذال معجمة ـ يقال ذَرف الدمعُ يَذْرف ذَرْفا وذرفاناً : سَال .

الجُمَان ـ بضم الجيم : جمع جمانة ، حبة تُعمل من الفضة كالدُّرّة . الصَّلْت : الواضح الجبين .

أنْجاد : أقوياء .

على شَرك : على طريق .

ثاغِرى الأكباد : أى سقطت أكبادهم من سرعة المشى .

الفَتْك : البطش والقتل على غفلة .

القُتُود والأقتاد جمع قتد[1] : خشب الرَّحْل .

من غَوْرين : تثنية غَوْر وهو ما انخفض من الأرض .

---

(١) الذى فى القاموس : جمع قتاد .

إيّاد : هم بنو إياد بن نزار من معَدّ بن عدنان .

الرَّيْن : الغشاء الذى على القلب من ظُلْمة الذنوب .

رَقْرَقت : براءين مهملتين وقافين قال فى الصِّحاح : رقرقتُ الماء فترقرق : أى جاء وذهب ، وكذلك الدمع إذا ملأ الحُمْلاق[1] .

سجَام : يقال سجم الدمع سَجْما وسِجَامًا : سَال .

---

(١) الحملاق : باطن أجفان العين الذى يسود بالكحلة ، أو ما غطته الأجفان من بياض المقلة .

الباب التاسع

في حفظ الله تعالى إياه في شبابه عما كان عليه أهلُ الجاهلية واشتهاره بالأخلاق ـ الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته ، وتعظيم قومِه له صلى الله عليه وسلم

قال داود بن الحصين ، فيما رواه ابن سعد وابن عساكر ، وابن إسحاق فيما رواه البيهقي وغيره : فشبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكْلَؤه الله ويحفظه ويَحُوطه من أقذار الجاهلية ومَعايبها ، لِمَا يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلَغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً وأحسنهم خُلقا ، وأكرمهم حسَبا وأحسنهم جِوَارا ، وأعظمهم حِلْما ، وأصْدَقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبْعَدهم من الفُحْش والأخلاق التي تدنِّس الرجال تنزُّها وتكرُّمًا . ما رئي مُلاَحيًا ولا مُمَارِيًا أحدًا حتى ما اسمُه في قومه إلا الأمين لِمَا جمع الله فيه من الأُمور الصالحة[1] .

وذكر أبو هاشم محمد بن ظفَر في «خَيْرِ البِشرَ بخير البَشَر» : حج أكْثمُ بن صَيْفي حكيمُ العرب ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم في سن الحُلُم ، فرآه أكثم فقال لأبي طالب : ما أسرع ما شبَّ أخوك . فقال ليس بأخي ولكنه ابن أخي عبد الله . فقال أكثم أهو ابن الذبيحَيْن ؟ قال : نعم . فجعل يتوسَّمه ثم قال لأبي طالب ما تظنون به ؟ قال : نحسنُ به الظن وإنه لَوفيٌّ سَخِيٌّ . قال ؟ هل غير هذا ؟ قال : نعم إنه لذو شدة ولِين ومَجْلس ركِين وفضل متين . قال فهل غير هذا ؟ قال : إنَّا لنتيمَّن بمَشْهده ونتعرَّف البركَة فيما لمسَه بيده . فقال أكثم : أقول غير هذا إنه ليضرب العرب قامطةً ـ يعني جامعة ـ بيد حائطة ورِجْل لائطة ثم ينعق بهم إلى مَرْتع مَريع ووِرْدٍ سريع فمن اخْرَوْرط إليه هَداه ومن اخْرَوْرَف عنه أرْداه .

وروى ابن سعد عن الربيع بن خُثَيْم قال : كان يُتَحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٨٣/١ .
(٢) طبقات ابن سعد ١٥٧/١ (ط بيروت) .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث عما كان الله يحفظه فى صِغَره من أمر الجاهلية أنه قال : لقد رأيتنى فى غلمان من قريش نَنْقل حجارة لبعض ما يلعب به الصبيان كلنا قد تَعرّى وأخذ إزارَه وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فإنى لأُقبل معهم وأُدْبر إذ لكَمنى لاكمٌ لكمةً شديدة[1] ثم قال : شُدَّ عليك إزارك . قال : فأخذته فشددته علىَّ ثم جعلت أنقل الحجارة على رقبتى وإزارى علىَّ من بَيْن أصحابى[2].

وهذه القصة شبيهة بما وقع عند بناء الكعبة .

روى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طريق عمرو بن قيس[3] ، وابن جرير فى التهذيب من طريق هارون بن المغيرة ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق قيس بن الرَّبيع ، وفى الدلائل من طريق شُعَيْب بن خالد ، كلهم عن سِمَاك بن حَرْب ، وأبو نعيم من طريق الحكم بن أبان، كلاهما عن عِكْرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : حدثنى أبى العباس بن عبد المطلب قال : لما بنَتْ قريْشٌ الكعبة انفردتْ رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنت أنا وابن أخى ، فجعلنا نأخذ أُزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة فإذا دنونا من الناس لبْسنا أزرنا فبَيْنا هو أمامى إذ صُرِع فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء فقلت : يا بن أخى ما شأْنك ؟ قال نُهيت أن أمشى عريانا . قال : فكتمته حتى أظهره الله ، بنبوته[3] .

وورد من حديث جابر وأبى الطفيل . ويأتيان .

وروى الترمذى وغيره عن أبى موسى أن بَحِيرا حين حلف النبىُّ صلى الله عليه وسلم باللات والعزى قال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بُغْضهما شيئا[4] .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هَمَمْت بشىءٍ مما كان أهل الجاهليةِ يَهُمُّون به من الغِنَاء إلا ليلتين كلتاهما عصَمنى الله

---

(١) سيرة ابن هشام : لكمة وجيعة .

(٢) سيرة ابن هشام : ١/١٨٣ .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٤٧ .

(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٢٧ .

منهما . قلت ليلةً لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلِنا فقلت لصاحبى : أبصرْ لى غنمى حتى أدخل مكة فأَسْمُرَ بها كما يَسْمر الفتيان . فقال : بلى فدخلت حتى إذا جئت أولَ دارٍ من دور مكة سمعت عَزْفا وغَرابيل ومَزَامير . قلت : ما هذا ؟ قيل : تزوج فلان فلانة . فجلست أَنْظر . وضرب الله على أذنى ، فوالله ماأيقظنى إلا مَسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئا ثم أخبرته بالذى رأيت . ثم قلت له ليلةً أخرى : أبصر لى غنمى حتى أَسْمُر بمكة . ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثلَ الذى سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت فقلت لا شى ثم أخبرته بالذى رأيت[1] فوالله ما همَمْت ولا عُدْت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته .

رواه ابن اسحاق[2] وإسحاق بن راهويه والبزار وابن حبّان . قال الحافظ : وإسناده حسن متصل[3] .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما نزلتْ « وأَنذِرْ عشيرتك الأقربين »[4] نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش بَطْنًا بطنا فقال : «أرأيتم لو قلت لكم إنَّ خيلاً بسَفْح هذا الجبل أكنتم مصدِّقىَّ ؟» قالوا : نعم ما جرَّبنا عليك كَذِبا قطُّ .

رواه الشيخان[5] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت زيدَ ابن عمرو بن نُفَيْل يعيب كلَّ ما ذُبح لغير الله فما ذقت شيئا ذُبح على النُّصب حتى أكرمنى الله برسالته .

---

(١) ط : ثم أخبرته الخبر .

(٢) ليس فى سيرة ابن هشام إذ أن هذا الخبر من رواية يونس من بكير عن ابن إسحق.وهو فى السيرة النبوية لابن كثير ٢٥١/١ وفى دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٣ . والخصائص الكبرى للسيوطى ٢١٩/١ (ط القاهرة) .

(٣) قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب جدا ، وقد يكون عن على نفسه ، ويكون قوله فى آخره : حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » مقحما . والله أعلم . السيرة ٢٥٢/١ .

(٤) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٥) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة تبت) .

وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٥ .

رواه أبو نعيم(١) .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : هل عبدتَ وثنًا قط ؟ قال : لا . قالُوا : فهل شربت خمرا قط ؟ قال : «لا وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كُفْر وما كنت أدرى ما الكتابُ ولا الإيمان» .

رواه أبو نُعَيْم(٢) .

وعن أم أيمن رضى الله تعالى عنها قالت : كان بُوَانة صنَما تَحْضره قريش يومًا فى السَّنة فكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك معه فيأْبَى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عَمَّاتِه غضبن عليه وقلن يا محمد ماتريد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جَمْعًا . فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالت عماته : ما دهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لَمَم فقلن : ما كان الله يَبْتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دعوت من صنم منها تمثَّل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسَّه قالت : فما عاد إلى عيد لهم .

رواه ابن سعد وأبو نُعَيْم وابن عساكر(٣) .

وعن جُبَيْر بن مُطْعم قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله علية وسلم فى الجاهلية وهو يقف على بَعِير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله تعالى له(٤) .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها وهم الحُمْس يقفون عشيةَ عرفة بالمزْدَلفة ويقولون : نحن قطن البيت . وكانت بقية الناس والعرب يقفون بعرفات فأنزل الله عز وجل : «ثم أَفِيضوا مِنْ حيثُ أفاضَ النّاسُ»(٥) فتقدموا فوقفوا مع الناس .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٦ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٢١/١ (ط القاهرة) .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٤ والخصائص الكبرى ٢٢١/١ .

(٤) الخصائص الكبرى ٢٢٣/١ وقال : أخرجه ابن إسحق والبيهق وأبو نعيم .

(٥) سورة البقرة ١٩٩ .

رواه الشيخان[1] .

وروى يعقوب بن سفيان عن الزُّهْرى أن قريشا سمَّت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الأمين قبل أن يَنْزل عليه الوحى فطفقوا ألَّايَنْحروا جَزُورا إلا التمسوه فيه فيَدْعو لهم فيها .

وروى الشيخان من حديث عائشة فى حديث بَدْءِ الوحى لما أتاه جبريل بالوحى قال لخديجة : لقد خَشِيت على نفسى وأخبرها الخبر . فقالت له : كَلَّا أَبْشر فوالله لا يُخْزِيك الله أبدًا إنك لتَصل الرحم وتَصْدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتَكْسب المعدوم وتَقْرى الضيف وتعين على نوائِب الحق[2] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما ذكره ابن اسحاق من قصة تعرِّيه صلى الله عليه وسلم وأنه فى صغره وأنه أمر بالستر قال السُّهيلى وتبعه ابن كثير وأبو الفتح والحافظ : إن صحَّ حُمل على أن هذا الأمر كان مرتين مرة فى حال صِغَره ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة[3] . واستبعد ذلك مُغَلْطَاى فى كتابيه «الزَّهْر» و «دلائل النبوّة» بأنه صلى الله عليه وسلم إذا نُهى عن شىء مرة لا يعود إليه ثانيا بوجه من الوجوه . وأيضا فى حديث العباس - أى الآتى فى باب بناء البيت - أنه لأول ما نودى .

وأما ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق النضر بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان أبو طالب يعالج زمزمَ وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام يأخذ إزاره ويتَّقى به الحجارة فَغُشى عليه ، فلما أفاق سأله أبو طالب فقال : أتانى آتٍ عليه ثيابٌ بِيض فقال لى : استتر فكان أول شىء رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام . قال : فما رُئيت عورته من يومئذ[4] . فقد قال الحافظ فى الفتح : إن النضر ضعيف وقد خَبط فى إسناده وفى مَتْنه

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة البقرة .
وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ١٥١ .
(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب ٣ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٢ - ٢٥٤ .
(٣) سيرة ابن كثير ٢٥١/١ .
(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ١٤٥ .

فإنه جعل القصة فى معالجة زمزم ولم يذكر العباس وقد قدمنا أن عكرمة والحكَم بن أبَان روَيا القصة عن ابن عباس عن أبيه فى قصة بناء البيت .

• • •

الثانى : روى أبو يَعْلى وابن عَدى والبيهقى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مَشَاهدهم فسمع ملكَيْن خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قُبَيْل ؟ فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم[1] .

وقول الملكين : وإنما عَهْده باستلام الأصنام قال الطبرانى والبيهقى : يعنى أنه شهد مع من استلمها . والمراد بالمشاهد التى شهدها مشاهد الحلْف ونحوها لا مشاهد استلام الأصنام .

وقال الحافظ فى المطالب العالية : هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شَيْبة فبالَغوا[2] ، والمنكَر منه قوله عن الملك : «عهده باستلام الأصنام» فإن ظاهره أنه باشَر الاستلامَ وليس ذلك مرادا ، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم . انتهى .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

مُلَاحيًا : مخاصِما لأحد ولا سابًّا له .

أكْثَم : بناء مثلثة . رَكين: أى له أركان عالية، أراد بذلك شدة قومه وركن الشيء جانبه .

قامطة : أى جامعة . لايِطة بمثناة تحتية مكسورة وطاء مهملة : أى لاصقة لازمة .

يَنْعِق بهم : بكسر العين المهملة أى يصيح .

المَرْتَع . بفتح الميم : مكان الخصب والسعة .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٢٥٣ .

(٢) قال ابن كثير : أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبى شيبة حتى قال الإمـــام أحمـــد فيه : لم يكن أخوه يتلفظ بشىء من هذا .

مَرِيع : أى كثير النماء والزيادة . وِرْدٌ سريع : مجىءٌ قريب .

اخْرَوْرط . بخاء معجمة فراء فواو ساكنة فراء فطاء مهملة : أى مال إليه وتبعه .

احْرَوْرَف . عنه : بحاء فراء مفتوحة مهملتين فواو ساكنة فراء ففاء أى عَدل عنه .

أَرْدَاه : أهلكه . رأيتُنى ، بضم التاء : أى رأيت نفسى . السَّمَر : الحديث بالليل .

غِنَاء بكسر الغين المعجمة وبالمد : معروف .

العَزْف قال فى الصحاح : المعازف الملاهى والعازف اللاعب بها والمغنِّى ، وقد عزَف عَزْفا .

الغَرابيل : جمع غُرْبال والمراد به هنا الدف سمى بذلك لأنه يشبه الغربال فى استدارته.

سفح الجبل بالسين ، وبالصاد أجود ، مَضْجعه[1] . بُوَانة بضم الباء الموحدة وتفتح ثم واو مخففة وبعد الألف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث .

النُّصب : الأصنام التى كانوا يذبحون عليها الذبائح تقرُّبا لها .

الحُمْس . يقال حَمِس بالكسر فهو أَحْمَس أى شديد صُلْب فى الدِّين والقتال ، ومنه حُمْس قريش ومن ولدت وكنانة وجَدِيلة قيس .

قُطُن البيت : أى سُكَّانه جمع قاطِن[2] .

---

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : السفح عرض الجبل المضطجع أو أصله أو أسفله .

(٢) كذا والذى فى القاموس : والقطن : أهل الدار للواحد والجمع ويجمع على قطن . وأما جمع قاطن فهو قطان وقاطنة وقطين .

الباب العاشر

فى شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفِجَار

وكان فى شوال . كما قاله الواقدىّ . وقيل فى شعبان كما فى الرَّوْض .

لما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة أو خمس عشرة فيما قال ابن هشام ، وقال ابن اسحاق : عشرين سنة كان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حَرْب الفِجَار بين قريش ومن معها من كِنَانة وبين قيس عَيْلان . وكان الذى هاجها أن عروة الرحّال ابن عتبة أجار لطيمةً للنعمان بن المنذر فقال البرّاض بن قيس أحد بنى ضَمْرة : أتُجيرها على كِنَانة ؟ قال : نعم وعلى الخَلْق . فخرج فيها عروة الرحّال وخرج البرّاض يطلب غفلته حتى إذا كان بتَيْمَن ذى طِلَال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البرّاض فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى الفِجَار . فأتى آتٍ قريشا فقال : إن البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعُكَاظ . فارتحلوا وهَوازن لا تشعر ، ثم بلَغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرَم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوزان ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما ، وكان لكنانة وقيس فيه ستة أيام مذكورة : شَمْطَة ويوم العَبْلاء وهما عند عُكَاظ ، ويوم الشَّرْب وهو أعظمها يومًا وفيه قيَّد أبو سفيان وأمية وحرب أبناءُ أمية أنفسهم كى لا يفرّوا فسُمُّوا العَنَابِس . ويوم الحُرَيْرة عند نخلة انهزمت قريش إلا بنى نصر منهم فإنهم ثبتوا وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم[1] .

وَرَوى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد حضرتُه يعنى حرب الفجار مع عمومتى ورمَيْت فيه بأسهم وما أحبّ أنى لم أكن فعلته وكنت أُنَبِّل على أعمامى[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٨٤/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ (ط بيروت) .

وكان آخر أيام الفِجَار أن هوزان وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عُتْبة بن ربيعة يتيمًا فى حِجْره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفّين ينادى : يا معشر مُضَر عَلَام تَفَانَوْن ؟ فقالت له هوزان : ما تدعو إليه ؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا . قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : ندفع إليكم رُهُناً منا . قالوا : ومن لنا بهذا ، قال أنا : قالوا ، ومن أنت : قال : أنا عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس . فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوزان أربعين رجلا فيهم حكيم بن حِزَام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفَوْا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار .

وكان يقال : لم يسُدْ من قريش مُمْلق يعنى فقيرا غير عُتْبة وأبى طالب فإنهما سادا بغير مال .

تنبيه : ذكر السهيلى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى حرب الفجار . وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيه .

[تفسير الغريب]

الفِجَار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة ، كالقِتال بمعنى المقاتلة ، وذلك أنه كان قتالهم فى الشهر الحرام ففَجروا فيه جميعا فسمى الفِجَار . وكانت للعرب فِجَارات أربع ذكرها المسعودى .

عَيْلان : بفتح العين المهملة .

الرَّحَّال : براء مفتوحة فحاء مهملة مشددة .

البَرَّاض : بفتح الباء الموحدة والراء المشددة وآخره ضاد معجمة ساقطة .

تَيْمَن : بفتح المثناة الفوقية بعدها مثناة تحتية فميم فنون .

يوم شَمْظة : بشين معجمة مفتوحة فميم ساكنة فظاء معجمة .

يوم العَبْلاء : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة ساكنة فلام فألف ممدودة .

يوم شَرَب : بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة .

الحُرَيْرة : بحاء مهملة تصغير حُرّة .

الأربعة أسماء أماكن .

العَنَابس: بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة جمع عَنْبس وهو الأسد . قال فى الصِّحَاح : العنابيس من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة حَرْب وأبو حرب وسُفْيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو ، وسُمُّوا بالأسد والباقون يقال لهم الأعْياص بعين مهملة فمثناه تحتية فصاد مهملة وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة : العاص وأبو العاص والعِيص وأبو العيص .

نخلة بلفظ واحدة شجر النخل: موضع قريب من مكة . فى حِجْره : بكسر الحاء وفتحها .

ضَنَّ به : بضاد معجمة مفتوحة ساقطة فنون مشددة : بخل به .

أشفق : خاف .

يشعر : يعلم .

تَفانَوْن : بمثناة فوقية حذف منه أخرى مأخوذ من الفَنَاء .

رُهُنا بضم الهاء والراء .

الباب الحادى عشر

فى شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفُضُول

كان هذا الحلف فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة مُنْصَرف قريش من الفِجَار ولرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرون سنة . وكان أكرم حِلْف سُمع به وأشْرفـه فى العرب .

وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سببه أن رجلا من زَبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائِل السَّهْمى وكان ذا قَدْر وشرف بمكة فحبَس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدىُّ الأَحلافَ عبد الدار ومخزوما وجُمَحا وسَهْما فأَبوا أن يعينوا الزبيدى على العاصى بن وائِل وزبَروه ونَهروه فلما رأى الزبيدى الشرَّ رَقى على أَبى قُبَيْس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأَعلى صوته :

يا آل فِهْر لمظلومٍ بضاعتَه ببَطْن مكة نائى الدار والنفرِ
ومُحْرِم أشعث لم يقض عُمْرتَـه يا لَلرجال وبين الحِجْر والحجَـرِ
إنَّ الحرام لمَن تمَّت مـكارمـه ولا حرام لثوب الفاجر الغـدرِ

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ألهذا[1] مَتْرك ؟ فاجتمعت هاشم وزُهْرة وتَيْم فى دار عبد الله بن جُدْعان فصنع لهم طعاما فحالفوا فى القعدة فى شهر حرام قياما فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بَلَّ بَحْر صوفة وما رَسَا حِرَاء وثَبِير مكانهما ، وعلى التآسى فى المعاش . فسمَّت قريش ذلك الحلف حِلف الفُضول وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فُضولٍ من الأَمر . ثم مشوا إلى العاصى بن وائِل . فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه[2] .

---

(١) كذا والرواية عند ابن هشام وابن كثير : ما لهذا مترك .

(٢) سيرة ابن كثير ٢٥٧/١ .

وروى ابن اسحاق عن طلحة بن عبيد الله وابن سعد والبيهقى عن جبير بن مطعم رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفًا ما أُحبُّ أن لى به حُمر النَّعم ولو دُعِى به فى الإسلام لأجبتُ »[1] .

وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما شهدتُ حلفا لقريش إلا حِلْف المطيِّبين شهدته مع عمومتى وما أحب أن لى به حمر النعم وأنى كنت نقَضْتُه .

قال بعض رواته : والمطيبون[2] هاشم وزُهْرة ومَخْزوم .

قال البيهقى : كذا روى هذا التفسير مُدْرَجا ولا أدرى من قاله . وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُدْرِك حلف المطيِّبين .

الحِلْف : بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام وهو العهد والبيعة .

الفضول : اختلفوا فيه فقيل سمى بذلك لأنه كان قد سبق قريشا فيما قاله ابن قتيبة إلى مثل هذا الحلف جُرْهم فى الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم : الفضل بن فَضالة . والثانى : الفضل بن وَدَاعة . والثالث : الفضل بن الحارث . هذا قول القُتَبى . وقال الزبير : الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة فلما أشْبه حلف الآخر فِعْل هؤلاء الجُرْهميين سمى حلف الفضول ، والفضول جمع فَضْل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم .

قال السهيلى : وهذا الذى قاله ابن قتيبة حَسَنٌ ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه . روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبى بكر قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعان حِلْفاً لو دُعيت به فى الإسلام لأَجَبْتُ تحالفوا أن يردُّوا الفضولَ على أهلها ولا يُعزَّ ظالم على مظلوم .

قلت : الظاهر أن قوله : تحَالفوا إلى آخره ـ مُدْرَج من بعض رواته وليس بمرفوع ، فلا دلالة حينئذ فيه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٣٤ .

(٢) بالأصول : والمطيين .

وقيل : إنما سمى حلفَ الفضول لأنهم أخرجوا فضول أموالهم للأضياف .

مُنْصَرف : بفتح الراء .

جُدْعان : بضم الجيم وإسكان الدال فعين مهملتين فألف فنون .

ما بَلّ بحرصوفةً : يعنى الأبدَ ، أى ما قام فى البحر ماء ولو قطرة .

حُمْر النعَم : بحاء مضمومة فميم ساكنة والنَّعم هنا : الإبل خاصة .

الباب الثانى عشر

فى رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبيًّا إلا راعى غنم » . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

رواه ابن سعد والبخارى وابن ماجه(1) .

وعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكَبَاث ، فقال : عليكم بالأسود منه فإنه أطْيَبه فإنى كنت أجْنيه إذ كنت أرعى الغنم. قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم . وما من نبى إلا وقد رعاها .

رواه الإمام أحمد وابن سعد والشيخان(2) .

وروى أبو داود الطيالسى والبغوى وابن منده وأبو نُعَيم وابن عساكر عن بشر بن حرب البصْرى مرسلا ، والإمام أحمد وعَبْد بن حُمَيْد عن أبي سعيد رضى الله عنه قالا : افتخر أهلُ الإبل والشاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعث موسى وهو راعى غنم وبُعث داود وهو راعى غنم ، وبُعثت وأنا راعى غنم لأهلى بأَجْيَاد(3) » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : الحكمة فى إلهام رَعْى الغنم قبل النبوة : أن يحصل لهم التمرُّن برَعْيها على ماسيكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن فى مخالطتها مايحصِّل

---

(1) طبقات ابن سعد 1/125 . (ط بيروت) . وسنن ابن ماجه كتاب التجارات باب 5 . وصحيح البخارى كتاب الإجـارة باب 2 .

(2) صحيح البخارى كتاب الأطعمة باب 70 . وكتاب الأنبياء باب 29 .
وصحيح مسلم كتاب الأشربة حديث رقم 165 . وطبقات ابن سعد 1/126 .

(3) مسند أحمد 3/42 ، 96 .

الحِلْم والشفقة ؛ لأنهم إذا صبروا على رَعْيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ، ونقلها من مَسْرح إلى مسرح ، ودَفع عدوها من سَبع وغيره كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهَدة أَلِفوا من ذلك الصبر على الأُمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ، فجبروا كَسِيرها[1] ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحمّلهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلِّفوا القيام بذلك من أول وهْلة لما تحصَّل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم ، وخُصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها فى العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهى أسرع انقياداً من غيرها . وفى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن عَلِم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ماكان عليه من عظيم التواضع لربه والتَّصريح بمِنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين .

الثانى : فى فتاوى الشيخ رحمه الله تعالى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعى : أنه يعزَّر من قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم راعى غنم . إذا عيَّر برعيها .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

رِعْيته بكسر الراء المراد : الهيئة . والغنَم : منصوب مفعول المصدر وهو رِعْيته .

على قراريط : قال الحافظ : على بمعنى الباء ، وهى للسببية . وقيل إنها للظرفية كما سيتبين . وفى رواية ابن ماجه ، عن سُوَيْد بن سعيد ، والإسماعيلى عن حسَّان بن محمد كلاهما عن عمرو بن يحيى : كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط . يعنى القيراط الذى هو جزء من الدينار أو الدرهم .

وقال الإمام أبو إسحاق الحَرْبى : قراريط : اسم موضع بمكة ولم يرد القراريط من الفضة . وصوَّبه ابنُ الجوزى[2] تبعا لابن ناصر وخطَّأ سُوَيداً فى تفسيره .

قال الحافظ : لكن رجَّح الأول بأن أهل مكة لايعرفون بها مكانا يقال له قراريط .

---

(١) ص ، ط : كسرها .

(٢) الوفا ١٤٢/١ .

وزعم بعضهم أن فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الأخرى : « وبعثت وأنا راعى غنم بأَجْيَاد » رَدّ لتأويل سُوَيد لأنه ما كان يرعى بالأجرة لأهله ، فتعيَّن أنه أراد المكان فعبر تارة بأجياد وتارة بقراريط .

وليس الردّ بجيّد إذ لامانع من الجمع بأن يرعى لأهله بغير أجرة ولغيرهم بأجرة . والمراد بقوله : « أهلى »أهل مكة فيتحد الخَبَران ويكون فى أحد الحديثين بيَّن الأجرة وفى الآخر بيَّن المكان فلا تنافى فى ذلك .

وقال بعضهم : لم تكن العرب تعرف القراريط الذى هو من النقد ، ولذلك جاء فى الصحيح : « ستفتحون أرضًا يذْكر فيها القيراط[1] » وليس الاستدلال لما ذكر من نفى المعرفة بواضح . انتهى كلام الحافظ .

قلت : تأويل سعيد هو الذى فهمه الإمام البخارى وهو الأجرة ، ولذا ذكره فى الإجارة .

الكَبَاث ـ بكاف فباء موحدة مفتوحتين فألف فثاء مثلثة : النَّضِيج من ثَمَر الأَراك .

جِيَاد : موضع بأسفل مكة معروف من شِعَابها ، ذكَره بغير هَمز البكْرىُّ فى معجمه .

أجياد : بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالمثناة التحية والدال المهملة : كأنه جمع جيِّد ، موضع من بطحاء مكة من منازل قريش ، فإذن يقال له جِيَاد وأجياد بالهمز وعدمه .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

الباب الثالث عشر

فى سفره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية إلى الشام

قال ابن إسحاق : وله من العمر خمس وعشرون سنة .

زاد غيره : لأربع عشرة ليلة من ذى الحجة .

وروى ابن سعد وابن السَّكَن وأبو نُعَيم عن نفيسة بنت مُنْيَة قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين لِمَا تكامَل فيه من خصال الخير ، قال له أبوطالب : يابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا وألحَّتْ علينا سِنُون مُنْكرة وليست لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عِيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيراتها فيتّجرون لها فى مالها ويصيبون منافع ، فلوجئتها وعرضتَ نفسك عليها لأسرعتْ إليك وفضّلتك على غيرك، لِمَا يبلغها عنك من طهارتك وإن كنت أكره[1] أن تأتى الشامَ ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا تجد من ذلك بُدًّا .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فيكون عِيرها كعامة عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم الأموال مضارِبَةً ، وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم[2] بشىء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلها ترسل إلىّ فى ذلك . فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولِّى غيرك فتطلب أمرا مُدْبرا . فافترقا .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقَبْل ذلك ما كان من صدق حديثه وعِظَم أمانته وكرم أخلاقه ؛ فقالت : ماعلمتُ أنه يريد هذا .

---

(١) ص ، ط : لأكره . وما أثبته من ت ، م .

(٢) ت م : لم يكن عندهم .

ثم أرسلت إليه فقالت : إنه دعانى إلى البعث إليك ما بلغنى من صِدْق حديثك وعِظَم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضِعْف ما أعطى رجلا من قومك .

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقى عمَّه أبا طالب فذكر له ذلك فقال : إن هذا لَرزقٌ ساقه الله إليك .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غلامها مَيْسرة ، وقالت خديجة لميسرة : لاتَعْص له أمرا ولا تخالف له رأيا .

فخرج هو وميسرة وعليه غَمامة تظله وجعل عمومته يُوصون به أهل العِير .

فخرج حتى قدم الشام فنزلا فى سوق بُصْرَى فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نَسْطورا . فاطَّلع الراهب إلى مَيْسَرة — وكان يعرفه — فقال : ياميسرة من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : رجل من قريش . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطٌّ إلا نبي ، أفى عينيه حُمْرة ؟ قال ميسرة : نعم لا تفارقه . فقال الراهب : هو هو ، وهو آخر الأنبياء ، وياليت أنى أدركه حيث يُؤْمر بالخروج .

وعند أبى سعد النيسابورى فى الشَّرف : فلما رأى الغمامة فَزِع وقال : ما أنتم ؟ قال : ميسرة غلام خديجة ، فدنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم سرًّا من ميسرة وقبَّل رأسه وقدميه وقال : آمنت بك وأنا أشهد أنك الذى ذكره الله فى التوراة . ثم قال : يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها خلا خَصْلة واحدة فأوضحْ لى عن كتفك . فأوضح له ، فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ ، فأقبل عليه يقبِّله ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأُمى الذى بشَّر بك عيسى بن مريم فإنه قال : لا يَنْزل بعدى تحت هذه الشجرة إلا النبي الأُمى الهاشمى العربى المكى صاحب الحَوْض والشفاعة وصاحب لواء الحمْد . انتهى .

فوعى ميسرة ذلك .

ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بُصْرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى ، فكان بينه وبين رجل اختلافٌ فى سلعة فقال الرجل : احلف باللات والعزى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حلفتُ بهما قط . فقال الرجل : القولُ قولك .

ثم قال لميسرة وخلَا به : ياميسرة هذا نبيٌّ هذه الأُمة والذى نفسى بيده إنه لهو تجده أحبارُنا مَنْعوتاً فى كتبهم ، فوعى ميسرة ذلك .

ثم انصرف أهلُ العير جميعا ، وكان ميسرة يرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى مَلَكين يُظِلاَّ نه من الشمس وهو على بعيره . وكان الله تعالى قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة ؛ فكأنه عَبْدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أبى سَعْد فى «الشرف» أنهم باعوا متاعهم وربحوا ربحا لم يربحوا مثله قط ، فقال ميسرة : يامحمد اتَّجَرْنا لخديجة أربعين سنة مارأيتُ ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك .

فلما كانوا بمَرِّ الظهران قال ميسرة للنبى صلى الله عليه وسلم : هل لك أن تسبقنى إلى خديجة فتخبرها بالذى جرى لعلها تزيدك بَكْرَة إلى بكرتيك . فركب النبى صلى الله عليه وسلم قعودا أحمر فتقدم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى عُلِّية[1] لها معها نساء فيهن نفيسة بنت مُنْيَة فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يُظِلاَّن عليه فأرته نساءها فعجبن[2] لذلك .

ودخل عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا فسُرَّت بذلك وقالت : أين ميسرة ؟ قال : خلَّفته فى البادية . قالت : عجِّل إليه ليَعجَل بالإقبال . وإنما أرادت أن تعلم أهو الذى رأت أم غيره . فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأُولى فاستيقنت أنه هو ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت وأخبرها بقول الراهب نَسْطورا وبقول الآخر الذى خالفه فى البَيع .

قال ابن إسحاق : فلما رأت خديجة أن تجارتها قد رَبحت أَضْعَفَتْ له ماسَمَّت[3] .

وكانت قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وكان ابنَ عمها وكان

---

(١) العليـة : الغرفة .

(٢) ت م : فتعجبن .

(٣) حديث سفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى تجارة خديجة رواه ابن سعد فى الطبقات ١٢٩/١ (ط بيروت) وابن هشام فى السيرة ١٨٨/١ (ط الحلبى) وابن كثير فى السيرة ٢٦٢/١ . والكلاعى فى الاكتفا ١٩٦/١ .

نصرانيا قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس ، ما ذكَر لها غلامُها مَيسرة من قول الراهب وما كان يُرَى منه إذ كان الملكان يُظِلاّنه ، فقال ورقة : ياخديجة إن محمدا لنبيٌّ هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأُمة نبِيٌّ يُنتظر ، هذا زمانه . أو كما قال :

وجعل ورقة يستبطىء الأمر[1] وله فى ذلك أشعار منها مارواه يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق :

أتُبْكِرُ أمْ أنت العشيةَ رائحُ ... وفى الصدر من إضمارك الحزنَ فادِحُ
لِفُرْقةِ قوم لاأحبُّ فِراقَهم ... كأنك عنهم بعدَ يومين نازحُ
وأخبار صدق خبِّرت عن محمد ... يخبِّرها عنه إذا غاب ناصحُ
فتاكِ الذى وجَّهت ياخير حُرَّة ... بغَوْر وبالنجدين حيثُ الصَّحَاصح
إلى سوق بُصْرى فى الركاب التى غدتْ ... وهُنَّ من الأَحمال قُعْصٌ دَوالحُ
فخبَّرنا عن كل حَبْر بعِلْمه ... ولِلحقِّ أبوابٌ لهن مفاتحُ
بأن ابن عبد الله أحمد مُرسَل ... إلى كل من ضُمَّت عليه الأَباطحُ
وظنِّى به أنْ سوف يُبْعث صادقا ... كما أُرسِل العَبْدان هودٌ وصالحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرَى له ... بَهاءٌ ومَنْشور من الذِّكر واضحُ
ويَتْبعه حَيّا لؤىٍّ بن غالب ... شَبابهُم والأَشْيَبُون الجَحاجِحُ
فإن أبْق حتى يدرك الناسَ أمرُه ... فإنى به مُسْتَبشر الودِّ فارِحُ
وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى ... عن أرضك[2] فى الأرض العريضة نازح

وقال أيضا :

لجَجْتُ وكنت فى الذكرى لَجُوجًا ... لهمٍّ طالما بعث النَّشيجا
ووصفٍ من خديجة بعدَ وَصْف ... فقد طال انتظارى ياخَدِيجَا
ببطن المكَّتَيْن على رجائى ... حديثك أن أرى منه خروجَا
بما أخبرتنا من قول قَسّ ... من الرهبان أكره أن يَعُوجَا

(١) ت م ، : هذا الأمر .
(٢) ط : عن الدار .

بأنَّ محمداً سيَسُودُ قوماً ويَخصِم من يكون له حَجِيجَا
ويُظْهر فى البلاد ضياء نُورٍ يُقِيم به البريَّة أن تَمُوجا
فيَلْقى من يحاربُه خَساراً ويلقى من يُسَالمه فُلوجَا
فيالَيْتِى إذا ماكان ذاكم شهدتُ فكنت أوَّلهم وُلوجَا
ولوجًا فى الذى كرهتْ قريشٌ ولو عجَّت بمكتها عَجِيجا
أرجِّى بالذى كرهوا جميعا إلى ذى العرش إن سفلوا عُروجَا
وهل أمرُ السفاهة غير كُفْرٍ بمن يختار من سَمك البُروجَا
فإن يَبْقوا وأبْق تكن أمورٌ يضجُّ الكافرون لها ضجيجا
وإنْ أهْلِك فكلُّ فتى سيلقى من الأقدار مَتْلَفةً خروجَا[1]

تَنْبِيهاتٌ

الأول : قول الراهب : «مانزل تحت هذه الشجرة إلانبىّ » قال السهيلى : يريد مانزل تحتها هذه الساعة قط إلانبى . ولم يرد مانزل تحتها قط إلانبى لبُعْد العهد بالأنبياء قبلَ ذلك، وإن كان فى لفظ الخبر قط فقد يُتَكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لا تعمِّر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يُدْرَى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأنبياء ، ويبعد فى العادة أيضا أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى ، إلا أن تصح رواية من قال : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم . وهى رواية عن غير ابن إسحاق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية . انتهى . وأقره فى «الزَّهْر» و«النُّور».

وتعقبه الإمام العلامة عز الدين ابن جَماعة بأنه مجرد استبعاد لا دلالة فيه على امتناع ولا إحالة ، وبأنه استبعاد يُضْعفه معارضةُ ظاهر الخبر وكون متعلَّقات الأنبياء مظنة خَرْق العادة ، فلا يكون حينئذ ذلك من طول البقاء وصرف غير الأنبياء عن النزول تحتها ببعيد ، وذلك واضح فتفَطَّنْ .

قلت : ويؤيد ماذكره الشيخ عز الدين ماسبق نَقْله عن أبى سعد ، ومافى أسباب

---

(١) القصيدتان على ما يظهر مصنوعتان متكلفتان ، وقد رواهما عن إبن إسحق – من رواية يونس بن بكير – الكلاعى فى الاكتفا ١/٢٠١ . وابن كثير فى سيرته ١/٢٦٨ ، ٢٦٩ .

النزول للإمام الواحديّ أن أبا بكر رضى الله عنه صَحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى سفره إلى الشام فنزلُوا مَنْزلا فيه سِدْرة ، فقعد النبي صلى الله عليه وسلم فى ظِلِّها وذهب أبوبكر يسأل عن الدِّين ، فقال له الراهب : الرجل الذى فى ظل الشجرة من هو ؟ . قال : محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب . قال : هذا والله نبيّ ، ما استظل تحتها أحدٌ بعدَ عيسى بن مريم إلا محمد ابن عبد الله[1] .

وذكر العلماء بالنبات أن الزيتون قد تُعَمَّر الشجرة منه ثلاث آلاف سنة ومايقارب ذلك والله تعالى أعلم .

الثانى : قال فى « النور » لم أرَ لميسرة ذِكْرا فى كتب الصحابة ، والظاهر أنه توفى قبل البعثة ولو أدرك النبيَّ صلى الله عليه وسلم لأَسْلم والله تعالى أعلم .

قلت : وذكره الحافظ فى الإصابة فى القسم الأول وقال : لم أقف على رواية صحيحة[2] بأنه بقى إلى البعثة فكتبته على الاحتمال .

الثالث : فى بيان غريب ماسبق .

نفيسة : صحابية رضى الله تعالى عنها . مُنْية بميم مضمومة فنون ساكنة فمثناة تحتية فتاء تأنيث .

ألحَّت علينا : أقبلت ودامت . مادة الشيء : مايُمدّه ويقوّيه .

السِّنون : القحوط .

عِيراتها : جمع عير : الإبل التى تحمل المِيرة .

المُضَارَبة : والمقارضة والقِرَاض بمعنى واحد . سمِّيت مُضَاربة لأن كل واحد منهما يَضْرب فى الربح بسَهْم . وقيل غير ذلك .

تِجَار – بكسر المثناة الفوقية وتخفيف الجيم ويجوز ضم التاء وتشديد الجيم ، وهما

---

(١) أسباب النزول للواحدى صفحة ٢٥٤ (ط الحلبى) .

(٢) ت ، م صريحة .

لغتان : جمع تاجر . ويقال أيضا : تَجْر كصاحب وصحب . والتجارة : تقليب المال وتصريفه لأجل النماء .

المحاورة : المجاذبة ، والتحاور : التجاذب .

نَسْطورا ـ بنون مفتوحة فسين ساكنة فطاء مضمومة مهملتين . قال فى النور : وألفه مقصورة كذا أحفظه .

مَرّ الظَّهران : بفتح الميم وتشديد الراء وظاء معجمة مُشَالة بلفظ تثنية الظَّهْر : واد بين مكة والمدينة وتسمِّيه العامة بطنَ مَرْو .

فى ساعة الظَّهِيرة : هى شدة الحر نصفَ النهار ، ولا يقال فى الشتاء ظهيرة . والجمع ظهائر .

إضمارك : إخفاؤك .

الحزنَ : بفتح النون مفعول المصدر وهو إضمارك . فادح ـ بالفاء والدال والحاء المهملتين أى ثقيل وفى نسخة من الرَّوْض والعيون : بالقاف . قال فى الصِّحاح : القادِح الصَّدْع فى العود .

نازح : بعيد . وأخبارِ : بفتح الهمزة وخفض الراء معطوف على فرقة وهو جمع خبر .

خَبَّرت : بفتح الخاء المعجمة مبنى للفاعل . فَتَاك : أى غلامك مَيْسرة .

الغَوْر : المطمئن من الأرض . النَّجْد : المرتفع منها .

الصَّحاصح : بصادين وحائين مهملات : جمع صَحْصَح وهو المكان المستوى .

الرِّكاب : بكسر الراء المشددة : الإبل التى يسار عليها ، الواحدة راحلة لا واحد لها من لفظها ، والجمع الرُّكْب مثل الكُتْب .

دوالج : بالجيم جمع دالج : السائر أول الليل .

الأَباطح : جمع أبطَح .

مَسِيل : مُتَّسع فيه دِقَاق الحصى .

كما أُرسِل : بالبناء للمفعول .

البهاء بالمد : الحسْن . الأَشْيَبُون : بشين معجمة فمثناة تحتية فموحدة جمع أَشْيب وهو المبيضّ الرأس .

الجحَاجِح ـ بجيم فحاء مهملة فألف فجيم مهملة جمع جِحْجاج وهو السيد .

النَّشِيج ـ بنون مفتوحة فشين معجمة فمثناة تحتية فجيم : البكاء مع صوت .

القُسّ ـ بضم القاف ـ واحد القِسِّيسين وهم عُبّاد النصارى .

وقوله ببطن المكتين : ثنّى مكة وهى واحدة لأن لها بِطَاحا وظَواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة ، ومقصدهم فى هذه الإشارة إلى جانبَىْ كلٍّ بلدة والإشارة إلى أعلى البلد وأسفله فيجعلونها اثنتين على هذا المغزى .

تموج : أى يضرب بعضها فى بعض .

الفُلُوج ـ بفاء فلام مضمومتين آخره جيم : الظهور على الخصم .

عجّت : ارتفعت أصواتها . العُروج : الصعود والعلو .

سَمَكَ ـ بفتحات : رَفَع .

يضجّ ـ بمثناة تحتية فضاد معجمة فجيم : أى يصيح .

مَتْلفة ـ بميم مفتوحة فمثناة فوقية فلام ففاء مفتوحتين أى مَهْلكة .

الخَروج ـ بخاء معجمة مفتوحة : أى الكثيرة التصرّف .

الباب الرابع عشر

فى نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها

وسبب ذلك ما حدّثها به غلامها مَيْسرة وما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق فى المبتدأ قال : كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمَعْن يومًا فيه فجاءهن يهودىّ فقال : يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبىّ فأيكن استطاعت أن تكون فراشًا له فلتفعل . فحصَبه النساء وقبّحنه وأغلظن له . وأغضت خديجة على قوله ولم تَعْرض فيما عرض فيه النساء ووقَر ذلك فى نفسها ، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هى قالت : إن كان ما قاله اليهودى حقا ما ذلك إلا هذا .

واختلفوا فى سبب الخطبة . فعند أبى سعد النيسابورى فى « الشَّرَف » أن خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : اذهب إلى عمك فقل له : عجِّل إلينا بالغداة . فلما جاء قالت له : يا أبا طالب ادخل على عمرو عمى فكلِّمه يزوِّجْنى من ابن أخيك محمد بن عبد الله . فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئى . فقالت : هذا صنع الله . فقام أبو طالب مع عشرة من قومه . فذكر الحديث .

وعند الزهرى فى سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأةٌ فقالت : خاطبًا يا محمد ؟ فقال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْئا لها . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجه مستحيياً منها .

وعند يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن عمار قال : مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأخت خديجة فنادتنى فانصرفت إليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أمَا لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ فقال عمار : فأخبرته . فقال : بلى

لَعَمْرى . فذكرت ذلك لها ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرةً وألبسوا خديجة حُلَّة . وذكر الحديث .

وعند ابن إسحاق فى المبْتَدأ أنها قالت له : يامحمد ألاتتزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : أنا قال : ومن لى بك ، أنت أيِّم قريش وأنا يتيم قريش . قالت : اخطبنى . وذكر الحديث

وعنده فى السيرة : فلما استقر عندها ذلك ، أى ما أخبرها به ميسرة وما رأته وكانت امرأة حازمة شريفة لَبِيبة مع ما أراد الله تعالى بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوْسط قريش نسَبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وكلٌّ قومها حريص على نكاحها لو يَقْدر عليه ، عرَضتْ نفسَها على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون : إنى رغبت فيك لقرابتك وسِطَتك فى قومك وأمانتك وحُسْن خُلقك . فلما قالت له ذلك ذكره لأعمامه . وذكر الحديث .

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنْيَة قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جَلْدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط قريش نسَباً وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكلٌّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قَدَر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دَسِيسا إلى محمد بعد أن رجع فى عِيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به . قلت : فإنْ كُفيتَ ذلك ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : قلت : علىّ . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها فذكرت الحديث . قالت : فأرسلتْ إليه أن ائت ساعة كذا وكذا . فحضر وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسَد ليزوجها[1] .

وعند ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مع عمه حمزة . وعند النيسابورى فى الشَّرف أن أبا طالب خرج مع عشرة من قومه حتى دخلوا على عمها فخطبها فزوَّجه . فقال عمرو بن أسد : هذا الفَحْل لا يُقْدَع أنْفه .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٣١ (ط بيروت) .

قال ابن هشام : أَصْدَقها عشرين بَكْرة . وقال البلاذُرىّ والدمياطى : اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] . قال المحب الطبرى : ذَهبًا .

وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره رحمهم الله تعالى أن أبا طالب خطب يومئذ فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزَرْع إسماعيل وضئضىء مَعدّ وعنصر مُضَر ، وجعلنا حَضنة بَيْته وسُوّاس حَرَمه وجعل لنا بيتا مَحْجُوجا وحرَما آمنا وجعلنا حُكّام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايُوزَن به رجلٌ إلا رجح به شرَفاً ونُبْلا وفضلا وعَقْلا وإن كان فى المال قِلاّ[2] فإن المال ظل زائل وأَمْر حائل وعارية مُسْتَرْجعة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبةً فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشًّا .

فقال عمرو بن أسد عمها : هو الفحل لايُقْدَع أنفه . وأنكحها منه . ويقال : إن ورقة هو الذى قاله .

قال ابن إسحاق فى المبتدأ : وكان تزويجه لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما عقب صفر سنة ست وعشرين .

قال الزهرى : وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لاتَزْهدى خَدِيجُ فى محمد   نَجْم يضىء كما أضاء الفَرْقدُ

تَنْبِيهاتٌ

الأول : ماتقدم من أن عمها هو الذى زوَّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذكره أكثر علماء أهل السير . قال السُّهيلى : وهو الصحيح ، لما رواه الطبرى عن جُبير ابن مُطْعِم وابن عباس وعائشة كلهم قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلد كان قد هلَك قبل الفِجَار . ورجّحه الواقدى وغلّط من قال بخلافه .

---

(١) أنساب الأشراف ١/٩٧ . قال : والأوقية أربعون درهما .

(٢) فى الأصول : قل . ولعله تحريف .

وقال عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زوَّجها منـــه .

وذكر الزهرى فى سيرته أن خُوَيْلداً أباها الذى زوَّجها منه وكان قد سَكِر من خمرٍ ، فألْقت عليه خديجة حُلَّة وضمَّخته بخَلُوق فلما صحَا من سُكْره قال : ما هذه الحلة والطيب ؟ فقيل : إنك أنكحت محمدا خديجةَ وقد ابتنى بها . فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه . ووافقه ابن إسحاق على ذلك ، وذكر ابن إسحاق فى آخر كتابه أن عمرو بن خويلد أخاها هو الذى زوَّجها . فالله أعلم[1] .

الثانى : اختُلف فى قَدْر عمر خديجة وعُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فقيل : كان عمره صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة . قال فى « الغُرر » وهو الصحيح الذى عليه الجمهور . وقطع به أبو عمرو الحافظ عبد الغنى المقْدِسى .

وقيل : إحدى وعشرين سنة . وقدَّمه فى « الإشارة[2] » .

وقيل : تسعا وعشرين وقد راهَق الثلاثين . قاله البَرْقى . وقيل ثلاثين . وقيل سبعا وثلاثين وقيل غير ذلك .

قال فى « الغُرَر[2] » وهذه الأقوال الأربعة ضعيفة ليس لهـا حجة تقوم على ساق .

وقيل : كان عمرها رضى الله عنها أربعين سنة . وصححه فى « الغُرَر » وقيل خمسا وأربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمانية وعشرين .

الثالث : ذكر الحافظ يعقوب بن سفيان فى كتاب « ما روى أهلُ الكوفة مخالفاً لأهل المدينة » أن عليًّا ضَمِنَ المَهْرَ وقال : هذا غلط .

قال فى « الزَّهْر » قد وجدنا ما ينفى الغلط وهو ما ذكره ابن إسحاق فى المبتدَأ : أن عليًّا قال : أرسلنى أبى أنه يضمن لكم المهر فزوِّجوه . قال : فهذا يبيِّن لك معنى ما أُشْكِل على يعقوب ويوضحه .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) انظر المقدمة فى الجزء الأول لمعرفة هذه الكتب ومؤلفيها .

وتعقبه الحافظ فى الحاشية بأن عليا كان كما ولِد أو لم يكن حينئذ وُلِد ، على جميع الأقوال فى مقدار عمره . وتعقب فى « الغُرَر » كلام « الزَّهْر » أيضا بأن عليا لم يكن ولد كما سنذكر الخلاف فى سنه حين أسلم . والصحيح أنه ثمانية وعند آخرين عشرة وعلى الأول يكون مولده سنة اثنتين وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى يكون سنة ثلاثين . فيكون تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل مولده بسبع سنين أو خمس . والله تعالى أعلم .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق .

جَلْدة ـ بفتح الجيم وإسكان اللام وبالدال المهملة : الصُّلْبة القوية .

الحَزْم : ضَبط الشخص أمرَه وأخْذه بالثقة ، وقد حَزُم الرجل بالضم فهو حازم .

السِّطة ـ بسين مكسورة وطاء مفتوحة مهملتين . قال السهيلى : هى من الوسط مصدر كالعِدَة والزِّنَة ، يعنى من الوعد والوزن . والكلمة أصلها الواو ، والهاء عِوَض عنها .

والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن فى مقامين : فى ذِكْر النَّسَب وفى ذكِر الشهادة . أما النسب : فلأن أوسط القبيلة أعْرَقها وأوْلاها بالصَّميم وأبعدها عن الأطراف وأجْدَر أن لا تضاف إليه الدعوى ، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسطُ من أجل هذا مدحاً فى النسب لهذا السبب . وأما فى الشهادة فنحو قوله تعالى : «قال أوْسَطهم»[1] « وكذلك جعلناكم أمّةً وسَطاً لتكُونوا شُهَداء على الناس»[2] وكان هذا مَدْحا فى الشهادة لأن غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمِّم على الحق تصميما ، لا يَجْذبه هوى ولا تميل به رغبة ولا رهبة من ها هنا ولا من ها هنا فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل وظن كثير من الناس أن معنى الوسط الأفضل على الإطلاق ، وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفُضْلى ، وليس كذلك بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط فإذا كان وسطا فى السِّمَن فهو بين المُمِخَّة[3] أى السمينة والعَجْفاء . والوسط فى الجمال بين الحسناء

---

(١) سورة ن ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) يقال : أمخت الشاة إذا سمنت .

والشَّوْهاء إلى غير ذلك من الأوصاف لا يعطى مدحاً ولا ذما . غير أنهم قد قالوا فى المثل : أثْقَل من مُغَنٍّ وسط على الذم لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمْتَع وأطْرَب وإن كان باردا جدا أضحك وألهى وذلك أيضا مما يُمْتع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْب الذى يَجْثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس الغناء الفاتر الوسط الذى لايُمْتع بصوت[1] ولايُضْحك بلهو .

وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أوْسَط الناس . أى أفضلهم ولايوصف بأنه وسط فى العلم ولافى الجود ولافى غير ذلك إلافى النَّسَب والشهادة .

دَسِيساً : بفتح الدال وسينين مهملتين الأولى مكسورة بينهما مثناة تحتية ساكنة يقال دسَسْت الشىء فى الشىء إذا أخفيته فيه . والدَّسِيس إخفاء المكر .

الضِّئْضِىء بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال فيه ضِئْضِىء بوزن قنديل وضُؤْضُؤ بوزن هُدْهُد ، وضُؤضُوء بوزن سُرْسُور ، ويقال أيضا بصادين وسينين مهملتين ، وهو فى الجميع : الأصل والمعدِن .

العنصر : بعين مهملة مضمومة فنون ساكنة وصاد مهملة مضمومة وقد تفتح : الأصل

الفَحْل : بفاء فحاء مهملة : معروف .

لايُقْدَع : بمثناة تحتية مضمومة فقاف ساكنة فدال مفتوحة فعين مهملتين قال فى الصحاح : قدَعْتُ فَرسى أقْدَعه قَدْعا : كَبَحْتُه وكَفَفْته ، فهو فرس قَدُوع أى يحتاج إلى القَدْع ليكفَّ بعضَ جَرْيه . وهذا فحل لايُقْدَع أى لايُضرب أنفُه ، وذلك إذا كان كريما . وفى النهاية : يقال : قدعت الفحلَ وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضُرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكفّ . ويروى بالراء .

التضمُّخ : التلطخ .

الخَلُوق : بفتح المعجمة طيب يُخْلط بزعفران .

النَّشّ : بنون مفتوحة فشين معجمة : نصف أوقية ، والأُوقية أربعون درهما ، فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى .

---

(١) غير ط : لا يمتع بحسن .

الباب الخامس عشر

فى بنيان قريش الكعبة

وكان بناؤهم لها لأمور :

الأول : توهينها من الحريق الذى أصابها ، وذلك أن امرأة جَمَّرت الكعبة فطارت شرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت . .

الثانى : أن السيل دخلها وصدَّع جدرانها بعد توهينها .

الثالث : أن نفرا سرقوا حُلِىَّ الكعبة وغزالين من ذهب . وقيل غزال واحد مُرَصَّع بدرّ وجوهر وكان فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده دُوَيْك مولى لبنى مُلَيْح ابن عمرو من خُزَاعة فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك .

فأرادوا أن يشدُّوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم اسمه باقوم – بباء موحدة فقاف مضمومة – وكان بانيا فتحطمت ، فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا الرومى باقوم فقدِم معهم فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيف الكعبة .

قال الأموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سرَّحها قيصر مع باقوم إلى الكنيسة التى أحرقها الفرس بالحبشة ، فلما بلغت مرساها من جُدَّة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمتها[1].

قال ابن إسحاق : وكانت بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ ما يصلحها . وكانت حَيَّة عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرح فيها ما يُهْدى لها فتشرَّق على

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٧٦/١ .

جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ذلك أنه لا يدنو منها أحدٌ إلا اخزألّت[1] وكَشَّت وفتحت فاها فكانوا يهابونها .

وحكى السُّهيلى عن رَزِين أن سارقا دخل الكعبة فى أيام جُرْهم ليسرق كنزَها فانهار البئرُ عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا ما كان أخذه . ثم سكنت البئرَ حَيَّة كرأس الجَدْى وبطنها أبيض وظهرها أسود . فأقامت فيه خمسمائة سنة ، وهى التى ذكرها ابن إسحاق .

قال ابن عُقْبة : وزعموا أنها إذا أحاطت بالبيت كان رأسها عند ذَنَبِها[2] .

فبينا هى ذات يوم تشرّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله تعالى طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش عند ذلك إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضِى ما أردنا ، عندنا عامل رَفِيق وعندنا خشَب ، وقد كفانا الله تعالى الحية .

فلما أجمعوا أمرهم فى أمرها[3] وبنيانها قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ . قال ابن إسحاق : بن عبد بن عمران . وقال ابن هشام : عائذ بن عمران ثم اتفقا فقالا : ابن مخزوم . وهو خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا فتناول حَجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال : يا معشر قريش لا تُدْخلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلا طيِّبا لا يدخل فيها مهر بَغِىّ ولا بَيْع ربا ولا مَظْلَمة أحد من الناس .

وبعض الناس يَنْحل هذا الكلام إلى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ثم إن قريشا تجزّأت الكعبةَ فكان شِقّ الباب لبنى عبد مناف وزُهْرة . وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظَهْر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم ، وكان شِقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قُصَىّ ، ولبنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ولبنى عدى بن كعب ، وهو الحَطِيم[4] . فأمروا بالحجارة تجمع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم .

---

(1) كذا بالأصل ، بالخاء المعجمة ، وسيأتى فى التنبيهات ضبط الكلمة بالحروف ، بالخاء المعجمة أيضاً . وفى ابن هشام : احزألت . بالحاء . وكذا فى سيرة ابن كثير ٢٧٧/١ .

(2) سيرة ابن كثير ٢٧٥/١ .

(3) كذا بالأصل وفى ابن هشام : فى هدمها . وعند ابن كثير : لهدمها .

(4) السيرة النبوية لابن هشام ١٩٢/١ — ١٩٥ (ط الحلبى الثانية) .

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لمّا بُنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة . ففعل وكان ذلك قبل أن يُبعث فخرّ إلى الأرض فطمحت عيناه إلى السماء فقال : إزارى . إزاري. فشدّه عليه . وفى رواية : فسقط مغشيا عليه فما رئى بعدُ عُرْيانا[1] .

وروى عبد الرزاق والطبرانى والحاكم عن أبي الطُّفَيْل رضى الله عنه قال : كانت الكعبة فى الجاهلية مبنية بالرَّضْم ليس فيها مَدَر ، وكانت قَدْر ما تقتحمها العَناق ، وكانت ثيابها توضع عليها تُسْدل سَدْلا ، وكانت ذات ركنين كهيئة هذه الحلقة [ ] فأقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانوا قريبا من جُدة انكسرت فخرجت قريش لتأخذ خشبها فوجدوا الرومىَّ الذى[2] فيها نَجّارا ، فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت فكانوا كلما أرادوا القرب منه لهَدْمه بدت لهم حَيَّة فاتحةٌ فاها ، فبعث الله تعالى طيرا أعظم من النَّسْر فغَرز مخالبه فيها فألقاها نحو أَجْيَاد ، فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا ، فبَيْنا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نَمِرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صِغَرها فنودى : يا محمد خَمِّر عورتك . فلم يُرَ عريانا بعد ذلك[3] .

قال ابن إسحاق : ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها . فأخذ المعْول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ . ويقال لم نُرع ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربَّص الناسُ تلك الليلة وقالوا : ننتظر فإن أُصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء هدمنا فقد رضى الله تعالى ما صنعنا . فأصبح الوليد من ليلته غاديًا إلى عمله فهدم وهدم الناسُ حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأَساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم أفْضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسنمة آخذ بعضها ببعض ، فأدخل رجل ممن كان يهدم عَتلته بين حَجرين

---

(١) صحيح البخارى كتاب الحج باب ٤٣ .
وصحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم ٧٦ . ومسند أحمد ٢٩٥/٣ ، ٣٨٠ .

(٢) ص : الذى جاء بها .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٤٠٥/١ – ٤٠٦ . وأخبار مكة للأزرقى ٩٩/١ – ١٠١ .

منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجَرُ تنقَّضت مكة بأَسْرها وأبصر القوم بَرْقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بَصر الرجل فانتهوا عن ذلك[1] الأَساس .

ووجدت قريش فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو : أنا الله ذوبَكّة ، خلقتها يومَ خلقتُ السموات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحَفَفْتها[2] بسبعة أملاك حُنفاء لا يزول أخشباها يبارك لأهلها فى الماء واللبن .

ووجدوا فى المقام كتابا فيه : مكة الله الحرام يأْتيها رزقها من ثلاثة سُبل ، لا يُحلُّها أولَ مِنْ أَهْلها .

ووجدوا آخر مكتوب فيه : من يزرع خيرا يحصد غِبْطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتُجْزون الحسنات أجل كما يجتنى[3] من الشوك العنب .

* * *

ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأُخرى ، حتى تحاوَزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عَدِىّ بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُمُّوا لَعَقَة الدم .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خَمْسًا ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد - فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعضُ أهل الرواية أن أبا أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسنَّ قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم . فكان أولَ داخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأَمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلىَّ ثوبًا . فأُتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأْخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . وكانت قريش تسمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل الوحىُ : الأَمين .

---

(١) ط : إلى ذلك الأساس .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى : وحففتهما - يريد الجبلين ١/٤١٢ .
(٣) كذا بالأصل ، وفى ابن هشام ١/١٩٦ : كما لا يجتنى من الشوك العنب .

قال فى « الزّهْر » و « الإشارة » : وكان ذلك فى يوم الاثنين .

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن شهاب أن قريشا لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت فى الركن أىّ القبائل تلى رَفْعه فقالوا : نحكّم أولَ من يطلع علينا . فطلع عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو غُلام فحكّموه فأمر بالركن فوضع فى ثوب ثم أخْرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحيةً من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركنَ فوضعه هو ، ثم طفق لا يزداد على السِّن إلا رضًا حتى دعَوْه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا لا ينحرون جَزُورا إلا التمسوه[1] فيدعو[2] لهم فيها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، قال : لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبيَّ صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس : لا . وناول العباس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حجرا فشدَّ به الركن فغضب النجدى وقال : واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عَمدوا إلى رجل أصغرهم سنا وأقلّهم مالا فرأسوه عليهم فى مَكْرمتهم وحِرْزهم كأنهم خدم له ! أمَا والله لَيفرِّقنهم شِيعًا وليقسمن بينهم حظوظا وجُدودا . فيقال إنه ابليس – زاد غيره : فكاد يثير شرا فيما بينهم ثم سكَنوا[3] .

وقال هُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومىّ حين جعلت قريشٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما :

تشاجرت الأحياءُ فى فَصْل خطةٍ ... جرَتْ طيرُهم بالنَّحْس من بعد أسْعُدِ
تلاقَوْا لها بالبغض بعد مودةٍ ... وأوقد نارا بينهم شرٌّ مُوقدِ
فلما رأينا الأمْر قد جدَّ جِدُّه ... ولم يبق شىء غير سَلِّ المهنَّد
رضينا وقلنا العَدْل أولُ طالع ... يجىء من البَطْحاء عن غير مَوْعد

---

(١) ت ، م : إلا التمسوه فيه .

(٢) ص : حتى يدعو .

(٣) طبقات ابن سعد ١٤٦/١ ، (ط بيروت) .

فلم يَفْجَنا[1] إلا الأَمينُ محمــــدٌ ... فقلنا رضينا بالأَمينِ محمـــــــدِ

بخير قريش كلها أَمـر ديمـة[2] ... وفى اليوم مع ما يُحْدث الله فى الغدِ

فجاء بأَمر لم ير النــاسُ مثلَه ... أَعمّ وأَرضى فى العواقب والبَـدى

أَخَــذْنا بأَكْنَاف الرِّداء وكلنــا ... له حصّــة من رَفْعه قبضةَ اليــد

فقال ارفعوا حتّى إذا ما علَتْ بـه ... أَكَفٌ إليــه قَـرَّ فى خير مُسْنَدِ

وكان رضينا ذاك عنه بعينــــــه ... وأَعظمْ به مـن رأى هادٍ ومُهتــد

لَتلك يدٌ منـه علينــا عظيمــة ... يروح بها رَكب العـراق ويغتدِى

* * *

ولمـا بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأَرض ثمانية عشر ذراعا ، منها تسعة أَذرع زائدة على طولهـا حين عمرها الخليل صلى الله عليه وسلم واقتصروا من عرضها أَذرعا جعلتها فى الحجر لقصَر النفقة الحلاَل التى أَعدُّوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وجعلوا فى داخلها ستّ دعائم فى صفين ، ثلاثٌ فى كل صف من الشِّق الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها وجعلوه مسطَّحا وجعلوا فيه ميزابا يصبّ فى الحِجْر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : اختلف فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ .

فقيل : كان ابن خمس وثلاثين . وقدّمه فى « الإشارة » .

وحكى الأَزرقى قولا أن النبى صلى الله عليه وسلم لمـا بنيت الكعبة كان غلاما .

قال الحافظ : ولعل عمدته ما رواه عبد الرازق عن مَعْمَر عن الزُّهرى قال : لمـا بلغ

---

(١) لم يفجنا : لم يفجأنا ، وسهلت الهمزة لوزن الشعر

(٢) كذا فى ت ، وفى ط : أمس شيمة . وفى ص : أمر أليمة .

والديمة فى الأصل : مطر يدوم بغير رعد ولا برق . وفى الحديث : « كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُلم أَجْمرت امرأةٌ الكعبة فطارت شرارة من مِجمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة .

وروى عبد الرزاق عن ابن جرَيْج عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمس عشرةَ سنة وكذا رواه ابن عبد البَرّ من طريق محمد بن جُبَيْر وبه جزم موسى بن عقْبة فى مغازيه . والذى جزم به ابن إسحاق أن بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين[1] . قال الحافظ : وهو أشْهر قال : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدَّم وقتُه على الشروع فى البناء . وقيل : ابن خمس وعشرين . وَغلَّط قائله .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق .

تُجْمِرها : بضم المثناة الفوقية وإسكان الجيم وكسر الميم يقال أَجمَر وجَمَّر لغتان ، أى تُبخِّرها .

شَرَارة : واحدة الشَّرار وهو ما يتطاير من النار . وكذا واحدةُ الشَّرَر : شَرَرةٌ . المَجْمَرة : بفتح : الميم الأُولى .

دُوَيْك : تصغير دِيك . مُلَيْح : بضم الميم وفتح اللام وبالحاء المهملة .

باقُوم بباء موحدة فقاف فواو .

العَتلة : الهَراوة الغليظة . تنَقَّضت : بمثناة فوقية فنون مفتوحتين فقاف فضاد معجمة. ساقطة : أى اهتزت .

مَرْسَى السفينة : مكان وقوفها بالبَرّ .

الرَّضمْ : الحجارة يجعل بعضها على بعض . تَشرَّق : بمثناة فوقية فشين معجمة فراء مفتوحات فقاف ،أى تبرز للشمس .

اخزأَلَّت بخاء معجمة[2] فزاى فهمزة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيث أى رفعت ذنبها والمخزئلّ : المرتفع .

---

(١) سيرة ابن هشام ١٩٢/١ .

(٢) كذا بالأصول وهو خطأ . قال فى القاموس : احزال – بالحاء المهملة – البعير فى السير احزئلالا : ارتفع . والجبل : ارتفع فوق السراب ، والشيء : اجتمع . وليس هناك مادة اخزأل . بالخاء المعجمة .

كشّت : صوّتت . ويقال : الكشيش صوت جلدها .

البغيّ : الفاجرة .

الشّق : هنا ــ بكسر الشين المعجمة الناحية والجانب . وأصل شِقّ الشيء: نصفه يقال : هذا شق الشيء وشِقّته ، بمعنىً .

الحَطِيم : سمّى بذلك لأن الناس يزدحمون فيه حتى يَحْطم بعضهم بعضا . وقيل لأن الثياب كانت تجرّد فيه عند الطواف .

فَرِقوا : خافوا .

تحاوزوا : بمثناة فوقية فحاء مهملة فألف فواو فزاى : أى انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة .

هلم : كلمة سمى بها فعل[1] . وفيها لغتان فلغة أهل الحجاز لا يُثَنُّونها ولا يجمعونها ولا يؤنثونها ولغة غيرهم ضد ذلك . ومعناها : أقبل .

تجزّأت : اقتسمت .

لم تُرَعْ : بمثناة فوقية فراء مفتوحة : أى لم تُفْزَع ، أى الكعبة . فأضمَرها لتقدم ذكرها . ويروى : لمْ نَزِغْ بفتح النون وكسر الزاى وبالغين المعجمة أى لم نَمِلْ عن دينك ولاخرجنا عنه ، يقال زاغ عن كذا إذا خرج عنه .

الأَسْنمة : جمع سَنَام ، وهو أعلى الظهر . وأراد : أن الحجارة دخل بعضُها فى بعض كما تدخل عظام السّنام بعضها فى بعض ، فشبّهها بها . ومن رواه : كالأَسِنَّة جمع سِنَان : الرمح ، شبّهها بالأسنة فى الخضرة .

حفَفْتُها : بحاء مهملة ففاءين ثانيهما ساكنة فتاء التكلم أحاطت الملائكة بها .

أخْشَبا مكة : جبلاها : أبو قُبَيْس وقُعَيْقعان .

السُّبُل : جمع سبيل الطريق .

الغبطة : تمنى حصول مثل الخير الذى فيه غيرك .

---

(١) كذا فى ط ، ص . وفى ت ، م : سمى بهـا اسم فعل .

أَجَلْ : كنعم وزنًا ومعنى .

الجَفْنة : كالقصعة ، والجمع جِفَان بالكسر وجَفَنات بالتحريك .

موضع الركن : أى الحجَر الأَسود ، سمى ركنا لأَنه مبنى فى الركن .

الأَحياء : جمع حَىّ .

خُطَّة بالضم : الأَمر والقصة .

طَيْرهم : حَظُّهم وبَخْتهم .

مَوْقِد . بكسر القاف .

جماع أبواب مبعثه

صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى بدء عبادة الأصنام والإشراك بالله تعالى

كان الناس قبل المبعث من زمن نوح صلى الله عليه وسلم إلى زمن المبعث عُبّاد أصنام إلا من استجاب للرسل منهم وهذه الضلالة اشترك فيها العرب والعجم، وعبدَ كثير من العجم النار وهم المجوس فاتخذوا بيوتَ نيران لا تزال تَقِدُ أبدا ، وكانت إلى هذه النيران صلاتهم وقرابينهم ويعتقدون فيها النفع والضر . وعلى هذه الضلالة كانت ملوك الأكاسرة .

وعبدت طائفة منهم كواكب معلومة ، وترى هذه الطوائف أن سائر ما فى العالم السفلى المُعبَّر عنه بالحياة الدنيا ناشِىء وصادِر عن الكواكب وأن الشمس هى المُفِيضة على الكل ، واتخذت هذه الطائفة التماثيلَ من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وعبدَتْها وصلَّت إليها وقرَّبت لها القرابين واعتقدت أنها تجلب النفع وتدفع الضر ويقال لهذه الطائفة الصابئة .

وقد بسط أبو جعفر ابن جرير والمسعودى وغيرهما الكلام على ذلك ومبدئه ولا حاجة بنا إلى ذكره[1] .

وأما العرب ، إلا القليل منهم ، فإنهم اتخذوا الأصنامَ وعبَدوها من دون الله تعالى ويقال لهم : «الذين أشْرَكوا» سِمَةً لهم واسمًا لَزِمهم وإنْ كان غيرهم ممن تقدم شارَكهم فى عبادة غير الله تعالى فإن هذا الاسم لا يُطلق إلا على العرب .

وأولُ ما حدثت عبادة الأصنام فى قوم نوح صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الله تعالى إليهم ينهاهم عن ذلك فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما كما قص الله خبره فى عدة آيات[2] واستمرت هذه الضلالة فى زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم وقد قصَّ الله تعالى نبأه مع قومه فى عدة آيات[3] . واستمر هذا الأمر الشنيع إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى فضلا

---

(١) انظر فى ذلك مروج الذهب للمسعودى ٢/٢٢٦ (ط بيروت) .

(٢) فى سور كثيرة منها يونس وهود والشعراء والقمر .

(٣) فى سور كثيرة منها الانعام وإبراهيم والأنبياء .

منه ورحمة - عبدَه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الناسَ إلى عبادة الله تعالى وحده فأنكر المشركون ذلك كما حكاه الله تعالى عنهم فى غير ما آية .

والسبب فى عبادة الناس الأصنام ما رواه الفاكهى عن عبد الله بن عبيد بن عُمَيْر قال : أولُ ما حدَثت الأصنام على عهد نوح ، وكانت الأبناءُ تَبرّ الآباء ، فمات رجل منهمفجزع عليه ابنه فجعل لا يَصْبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نَظره ، فمات ففُعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباءُ فقال الأبناءُ ما اتخذ هذه آباؤنا إلا أنها كانت آلهتهم . فعبدوها .

وروى عَبْد بن حُمَيْد عن محمد بن كعب القُرَظى فى قوله تعالى «وقالوا لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدًّا ولا سُوَاعًا»[1] قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون فى العبادة فقال لهم إبليس : لو صوَّرتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم . فصوروا ثم ماتوا فنشأ قومٌ بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا مِن قبلكم كانوا يعبدونها فعبدوها[2]

وروى أبو الشيخ فى العظمة عن محمد بن كعب القرظى قال كان لآدم خمسة بنين وَدّ وسُوَاع ويغوث ويَعُوق ونَسْرًا ، فكانوا عُبَّادًا ، فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال : حَزنتم على صاحبكم هذا ؟ قالوا نعم . قال : هل لكم أن أصوِّر لكم مثله فى قِبْلتكم إذا نظرتم إليه ذكرتموه ؟ قالوا : نكره أن تجعل لنا فى قِبْلتنا شيئا نصلِّى إليه . قال فأجْعله فى مؤخَّر المسجد ؟ قالوا : نعم . فصوره لهم حتى مات خمستهم فصوَّر صُوَرهم فى مؤخر المسجد ، فتَنقَّضت[3] الأشياءُ حتى تركوا عبادةَ الله تعالى وعبدوا هؤلاء ، فبعث الله تعالى نوحًا فقالوا «لا تَذَرُنَّ آلهتكم» إلى آخر الآية .

وروى عَبْد بن حُمَيْد عن أبى جعفر بن يزيد بن المهلب قال : كان وَدّ رجلا مسلماً وكان محبَّبًا فى قومه فلما مات عسكروا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جَزَعهم عليه تشبَّه فى صورة إنسان ثم قال : أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصوِّر مِثْله فيكون فى ناديكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم . فصوَّر لهم مثله فوضعوه فى ناديهم وجعلوا

---

(١) سورة نوح ٢٣ .
(٢) الاكتفا ١/٩٥ .
(٣) تنقضت : تبدلت واختلفت .

يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذِكْره قال : هل لكم أن أجعل فى منزل كل رجل منكم تمثالا فيكون فى بيته فيذكر به ؟ قالوا : نعم . فمثَّل لكل أهل بيت تمثالا مثله فجعلوا يذكرونه به وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسَلوا ودرَس أمرُ ذِكْرهم إياه حتّى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى فكان أولَ من عُبد من دون الله وَدٌّ ، الصنم الذى سمَّوا بودّ .

وروى البخارى وابن المنذر وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صَارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح تُعْبَد ، أما وَدّ فكانت لكلب بدُومَة الجندل ، وأما سُوَاع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمُرَاد ، ثم لبنى غَطِيف عند سبأ ، وأما يَعُوق فكانت لهَمْدان ، وأما نَسْر فكانت لِحمْير لآل ذى كَلَاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسمّوها بأسمائهم . ففعلوا فلم تُعبد ، حتّى إذا هلك أولئِك ونُسِخ[1] العِلْم عُبدت فلما كان أيام الطوفان دفنها الطينُ والتراب والماء فلم تزل مدفونةً حتّى أخرجها الشيطان إلى مُشْركى[2] العرب[3] .

وكان أول من حمل العرب على عبادة الأصنام عمرو بن لُحَيّ - بضم اللام وفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية - ابن قَمَعَة - بفتح القاف والميم وتخفيفها - وقيل غير ذلك ، ابن خِنْدف - بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة ويجوز كسر الخاء وفتح الدال وآخرها فاء .

روى ابن إسحاق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأَكْثَم بن الجَوْن الخزاعى : « يا أكثم رأيت عمرو بن لُحَىّ بن قَمعة ابن خِنْدف يجرُّ قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشْبَه برجل منك به ولا بك منه » فقال أكثم : عسَى أن يضرُّنى شَبهه يا نبى الله ؟ قال : « لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غيَّرَ دين إسماعيل فنصب الأوثان » الحديث ويأْتى[4] .

---

(١) ط : وتنسخ العلم .
(٢) ت ، م : لمشركى .
(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة نوح) . ٣٨٠/٢ (ط الأميرية) .
(٤) سيرة ابن هشام ٧٦/١ .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَىّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء وبها يومئذ العَمَاليق وهم ولد عِمْلاق ويقال عِمْليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها فنَسْتمطرها فتُمْطرنا ونَسْتَنْصرها فتنصرنا . فقال لهم : أفلا تعطونى منها صنما فأسير به إلى العَرب فيعبدونه . فأعطَوْه منها صنما يقال له هُبَل ، فقدِم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[1] .

وروى الفاكهى عن هشام بن السائب قال : كان لعمرو بن ربيعة رَئِىّ من الجن فأتاه فذكر له شعراً يأمره فيه بإخراج الأصنام من ساحل جُدّة فأتى عمرو ساحلَ جدة فوجد بها وَدًّا وسُوَاعًا ويَغُوث ويعوق ونَسْرا وهى الأصنام التى عبدت زمن نوح وإدريس ثم إن الطوفان طرحَها هناك ، فسفَى عليها الرمل ، فاستخرجها عمرو وخرج بها إلى تِهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب .

وقال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل : أنه كان لا يَظْعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفَسَح[2] فى البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرَم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلَخ ذلك منهم[3] إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خَلَفت الخُلوف ونَسُوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به [والوقوف على عرفة والمزدلفة وَهَدْى البُدْن والإهلال][4] بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت كنانة وقريش إذا أهلُّوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما مَلَك . فيوحِّدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧٧ .

(٢) ص : الفتح .

(٣) كذا وفى ابن هشام : حتى سلخ ذلك بهم .

(٤) ليس فى ابن هشام ، وهو من هامش ط .

الله تبارك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما يُؤْمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون[1] » أى ما يوحدوننى بمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خَلْقى .

قال ابن إسحاق : وكان لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنامَ من ولدِ إسماعيل أو غيرهم وسمّوها بأسمائها حين فارقوا دِينَ إسماعيل ، فاتخذ هُذَيلُ بن مُدْركة سُوَاعًا ، وكان لهم برُهَاط[2] ، واتخذ كَلْب بن وَبْرة من قُضَاعة وَدًّا بدُومَة الجَنْدل ، واتخذ كلب بن وَبْرة بن ثعلبة بن حلْوان بن عمران وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يَغُوث .

واتخذ خَيْوان ، بطن من هَمْدان ، يَعُوقَ بأرض همدان من اليمن .

واتخذ ذو الكَلَاع من حمْير نَسرًا بأرض حِمْير ، واتخذ الأديم ، بطنٌ من خولان ، صنما يقال له عَمْ أَنَس يَقْسمون له من أنعامهم وحُروثهم قسما بَيْنه وبين الله تعالى بزعمهم ، فما دخل فى حق عم أنس من حق الله تعالى الذى سمّوه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عم أنس ردّوه عليه ، فأنزل الله تعالى : « وجَعلوا لله مما ذَرأ من الحَرْث والأنعامِ نصيباً فقالوا هذا لله بزَعْمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشُركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون[3] » .

وكان لبنى مِلْكان بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْركة صنم يقال له سَعْد ، صخرة بفلَاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبلٍ له مُؤَبَّلة[4] ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تُرْكب وكان يُهْراق عليه الدماء نفَرتْ منه فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربُّها المِلْكانى فأخذ حَجراً فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ! نفَّرْتَ علىَّ إبلى . ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعدٍ ليَجْمع شَمْلَنـا فشتَّتنا سعدٌ فلا نحن مِنْ سعد

---

(1) سورة يوسف ١٠٦ .

(2) رهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، وقال قوم : وادى رهاط فى بلاد هذيل . وانظر معجم البلدان ٨٧٨/٢ (ط أوربا) .

(3) سورة الأنعام ١٣٦ .

(4) الإبل المؤبلة : التى تتخذ للقنية . اللسان « أبل » .

وهل سعدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفـة ... من الأرض لا يُدْعَى[1] لغَيٍّ ولا رُشْدِ

واتخذت قريش صنما على بئرٍ فى جوف الكعبة يقال له هُبَل ، واتخذوا إسافًا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهم وهو إساف بن بَغْى[2] . قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم أَحْدَثا فى جوفِ الكَعْبة[3] فمسخهما الله حجرين .

رواه ابن إسحاق[4] .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كل دارٍ فى دارهم صنما يعبدونه من دون الله فإذا أراد الرجل منهم سَفَرا تمسَّح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سَفره ، فإذا قَدِم من سفره تمسَّح به فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : « أجعَل الآلهَةَ إلٰهًا واحدًا إنَّ هذا لَشىءٌ عُجَاب[5] » .

وذكر ابن إسحاق وغيره كثيراً من أسماء أصنام العرب . ولم أذكر ذلك إذ لا فائدة فى ذكرها وذكرت منها ما سمِّى فى القرآن العزيز[6] مع زيادة .

تنبيه : قال الواقدى : كان وَدّ على صورة رَجُل ، وسُوَاع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فَرس ، ونَسْر على صورة طائر .

قال فى الفتح : وهذا شاذّ ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشَر ، وهو مقتضى الآثار فى سبب عبادتها .

وقال المسعودى فى مروج الذهب . كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله تعالى جِسْم وأن الملائكة أجسام لها تَمام[7] وأن الله تعالى احتجب بالسماء

---

(١) ابن هشام : لا يدعو .

(٢) ص : وهم أول من بغى . ولعله تحريف .

(٣) غير ط : أحدثا فى الكعبة .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٣/١ .

(٥) سورة ص ٥ .

(٦) لم يذكر العزى ولا مناة ، مع ذكرهما فى القرآن العزيز .

(٧) كذا بالأصول ولعل المراد : أن الملائكة لها أجسام متفاوتة ولها حد ينتهى عنده تمامها .

فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناماً على صورة البارى تعالى وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القُدور والأشكال فى الصور ، فمنها على صورة الإنسان ومنها على صورة غيره فى الصور ، فعبدوها وقرّبوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقُرْبها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وكثيراً من الأعصار حتى نبههم بعض ضُلاّلهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام إلى البارى – تعالى عما يقول الجاهلون علوًّا كبيراً ، وأنها حَيّة ناطقة وأن كل ما يَحْدث فى هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب عن أمر الله تعالى فعظّموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، ومكثوا على ذلك دهرًا فلما رأوا الكواكب تَخْفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل بما يَعْرض فى الجوّ من السواتر ، أمرهم بعضُ من كان فيهم من ضُلاّلهم أن يجعلوا أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها وهيآتها ، فجعلوا لها أصنامًا بعدد الكواكب المشهورة المتحيِّرة ، فكل صنف منهم يعظم كوكباً منها ويقرب له نوعًا من القربان . ولما طال عليهم العهدُ عبَدوا الأصنامَ وألْغَوا عبادةَ الكواكب ، فلم يزالوا كذلك حتى ظهر بعض ضُلاّلهم بأرض الهند وكان هنديًّا خرج من أرض الهند إلى السند ثم دخل بلاد العجم ، وهو أول من أظهر مذهب الصابئة وجوّز للناس عبادة الأصنام والسجود لها لشُبْهة ذكرها وقرّب إلى عقولهم عبادتَها بضرب من الحِيل .

قال المسعودى : وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكه أن « جم » الملِك أول من عظّم النار ودعا الناسَ إلى تعظيمها وقال إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب وجعل للنور مراتب ، ثم تنازع هؤلاء بعده فعظّم كلّ فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأشياء .

ثم ذكر المسعودى بعض ما تقدم من خبر عمرو بن لُحَىّ . ثم ذكر المسعودى عبادة الفُرْس للنار وبيوت النيران فى كلّ بلد وأطال النفَس فى ذلك[1] .

---

(١) مروج الذهب ٢/٢٣٦ (ط محيى الدين) .

الباب الثانى

فى إخبار الأحبار والرهبان والكُهّان بمبعث حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم

قد تقدم فى الباب التاسع أوائل الكتاب كثير من ذلك[1] . وأذكر هنا ما لم أذكره هناك .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وكانت الأحْبار من يهود والرهبان من النصارى والكُهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه ، لمّا تقارب زمانُه . أما الأحبار والرهبان فعمًّا وجدوا فى كُتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان عَهِد إليهم أنبياؤهم فيه . وأما الكهان فأتتهم به الشياطين من الجن ، فيما يَسْترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذِكر بعض أمور ولا تُلْقِى العربُ لذلك بالاً حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها[2] .

ذكر خبر زيد بن عمرو بن نُفَيْل

ابن عبد العُزّى [ابن عبد الله[3]] بن قُرْط بن رباح بن رَزَاح بن عدّى بن كعب بن لُؤَىّ ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى ، وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئَاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أنس بن خُزَيمة ، وكانت أُمُّه أميمة بنت عبد المطلب ، وعثمانُ بن الحُوَيْرِث ابن أسد بن عبد العزى بن قُرْط بن رباح .

قال ابن إسحاق :

واجتمعت قريش فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم . قال محمد بن عمر الأسْلمى :

---

(١) انظر ص ١٢٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب . (٢) سيرة ابن هشام ٢٠٤/١ .

(٣) من ابن هشام ٢٢٣/١ .

وهو بُوَانَة ، كانوا يعظِّمونه وَينْحرون له ويَعْكفون عنده ويُديرون به ، وكان ذلك عيدًا لهم فى كل سَنَة يومًا، فخلَص منهم هؤلاء الأربعة نجيًّا ، ثم قال بعضهم لبعض: تصَادَقوا وليكتم بعضكم – على بعض . قالوا : أجَلْ . فقال بعضهم لبعض : تعلّموا والله ما قَوْمُكم على شيء ، لقد أخطأوا دِينَ أبيهم إبراهيم ، ما حَجر نُطِيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ؟! يا قوم التمِسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء .

فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحَنِيفيّة دين إبراهيم .

فأما وَرَقة بن نوفل فاستحْكَم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى عَلِم عِلْما من أهل الكتاب .

وأما عُبَيْد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ابنة أبى سفيان مُسْلمةً فلما قَدِمها تَنصَّر وفارق الإسلام حتى هلك نصرانيا ، وكان يمرّ بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم بالحبشة فيقول : فقَّحْنا وصَأصأتم . أى أبْصرنا وأنتم تلتمسون البصَر لم[1] تُبْصِروا بعدُ . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأصأ لينظر .

وأما عثمان بن الحُوَيْرث فقدِم على قيصر ملك الروم فتنصَّر وحَسُنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثانَ والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال : أعبد ربَّ ابراهيم وبادَى قومَه بعَيْب ما هم عليه[2] .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت زيدَ بن عمرو شيخا كبيرا مُسْندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دِين إبراهيم غَيْرِى . ثم يقول : اللهم لو أنِّى أعْلَم أىَّ الوجوه أحبُّ إليك عبدتُك به ولكنى لا أعْلمه . ثم يسجد على راحلته[3] . وكان يحيي الموءودة ، يقول للرجل

---

(١) ط : فلم تبصروا . وفى ابن هشام : ولم تبصروا . (٢) سيرة ابن هشام ١/٢٢٤ .

(٣) إلى هنا رواية ابن هشام ١/٢٢٥ .

إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكفيك مُؤنتها فيأخذها فإذا ترَعْرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتُها إليك وإن شئت كفيتك مُؤنتها .

رواه ابن إسحاق والنسائى وأبو بكر بن أبى داود وعلّقه البخارى جازما به[1] .

وروى البخارى والبيهقى من طريق موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقِى زيدَ بن عمرو بن نُفَيْل بأسفل بَلْدح[2] قبل أن يَنْزل عليه الوحى فقدِّمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُفْرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال لزيد : إنى لست آكل مما تذبحون على أنْصابكم[3] ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاةُ خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى ! إنكارا لذلك وإعظاما له[4] .

وروى البخارى فى المناقب وفى الذبائح من صحيحه والإسماعيلى والزبير بن بكّار والفاكهى عن ابن عمر ، أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويبتغيه . وفى لفظ : ويتبعه . فلقى عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إنى لَعَلَى أن أَدِين دِينكم . فأخبرنى . فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد : ما أفِرّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدا وأنا[5] أستطيعه ، فهل تدلُّنى على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حَنِيفًا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيا ولا يَعْبد إلا الله ، فخرج فلقى عالمًا من النصارى . فذكر مثله . فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفرّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنته ولا من غضبه شيئا وأنا أستطيعه . فهل تدلنى على غيره ؟ فقال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا

---

(١) صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب ٢٤ .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . معجم البلدان ١/٧١٤ (ط أوربا) .

(٣) ص : على أصنامكم .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب ٢/١٧٨ (ط الأميرية بتصحيح الهورينى) .

(٥) سيرة ابن كثير : ولا أستطيعه .

ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيدٌ قولهم فى إبراهيم خرج فلما بَرز رفع يديه فقال : اللهم اشهد أنى على دين إبراهيم[1] .

وفى لفظ : فانطلق وهو يقول : لبَّيْك حقًّا حقا تعبُّدًا ورِقًّا . ثم يخرّ ويسجد للكعبة .

قال ابن إسحاق : إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج يطلب دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويسأل الرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل إلى الشام حتى انتهى إلى راهب بمَيْفَعة من أرض البَلْقاء وكان ينتهى إليه عِلْم النصرانية ، فسأله عن الحنيفية دِين إبراهيم فقال : إنك لَتطلب دِينًا ما أنت بواجدٍ من يَحْملك عليه اليوم ولكن قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التى خرجت منها يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحقْ فإنه مبعوث الآن فهذا زمانه . وكان قد شامَّ اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منها ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسّط بلاد لَخْم عدَوْا عليه فقتلوه . فقال ورقة بن نوفل يرثيه :

رَشَدْتَ وأنْعَمت ابنَ عمرو وإنما ... تجنبْتَ تَنُّورًا من النار حامِيَا
بَدِيْنك ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتركك أوثانَ الطواغى[2] كما هِيَا
وإدراكك الدِّين الذى قد طَلَبْته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيَا
فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقَامها ... تُعلَّل فيها بالكرامة لاهيَا
تُلاقى خليلَ الله فيها ولم تكن ... من الناس جَبَّارًا إلى النار هاويَا
وقد تُدْرك الإنسانَ رحمةُ ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[3]

ولزيد عدة قصائد فى التوحيد منها :

أرَبًّا واحداً أم ألفَ ربٍّ ... أدين إذاً[4] تقسَّمَت الأُمورُ
عزَلتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يَفْعل الجَلْد الصَّبُورُ

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ١٧٨/٢ (ط الأميرية) وسيرة ابن كثير ١٦٠/١ .
(٢) سيرة ابن كثير : وتركك جنات الجبال كماهيا .
(٣) نصب سبعين على تقدير فعل ، مثل تبعد سبعين وادياً .
(٤) غير ص : إذن تقسمت .

فلا عُزّى أدين ولا ابنَتيْها ... ولا صنَمىْ بنى عمرو أزُورُ
ولا غَنْما أَدِين وكان ربًّا ... لنا فى الدهرِ إذ حُلْمى يسيرُ
عجبت وفى الليالى مُعْجبات ... وفى الأيام يَعْرفها البصيرُ
بأنَّ الله قد أفْنَى رجالا ... كثيرا كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ ... فيَرْبُل منهم الطفل الصغيرُ
وبَيْنا المرءُ يعثر ثاب يوما ... كما يتروَّح الغصنُ النَّضِيرُ
ولكن أَعْبد الرحمنَ ربِّى ... ليغفر ذنبِىَ الربُّ الغفورُ
فتقوى الله ربِّكم احفظوها ... متى ماتحفظوها لاتَبُوروا
تَرى الأَبرارَ دارهمُ جِنانٌ ... وللكفار حاميةٌ سعيرُ
وخِزْىٌ فى الحياة وإن يموتوا ... يلاقوا ماتضيق به الصدورُ[1]

وروى أبو يعلى والطبرانى والبزار بسند حسن[2] عن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه قال : إن زيد بن عمرو بن نُفَيْل مات ثم أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنه يُبْعث يوم القيامة أُمةً واحدة[3] » .

وروى أبو يَعْلى بسند حسن ، عن سعيد بن زيد قال : سأَلت أَنا وعمرُ بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو ، فقال : « يأتى القيامة أُمةً وَحْدَه[4] » .

وروى الباغَنْدىُّ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنةَ فوجدت لِزيدِ بن عمرو دَوْحتين » .

قال الحافظ ابن كثير : إسناده جيد قوى[5] .

وروى محمد بن عثمان بن أَبى شيبة عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن زيد بن عمرو فقال : « يُحْشر ذلك أُمةً وَحْده بَيْنى وبين عيسى بن مريم .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٢٦ .
(٢) ط : بسند جيد .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١/١٥٦ ، ١٦١ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سيرة ابن كثير ١/١٦٢ ونصه : « وهذا إسناد جيد ، وليس هو فى شىء من الكتب » .

قال ابن كثير إسناده جيد قوى[1] .

تنبيه : توفى زيد قبل المبعث بخمس سنين وقريش تبنى الكعبة .

[تفسير الغريب]

قُرْط : بضم القاف وإسكان الراء وبالطاء المهملة .

رياح : بالمثناة التحتية .

رَزاح : روى بكسر الراء وبفتحها ، وبه جزم الدارقطنى .

النَّجِىّ : الجماعة يتحدثون سرًّا عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ واحد .

فقَّحنا : بفاء فقاف مفتوحتين مشددة فحاء مهملة يقال فقح إذا فتح عينيه .

الموءودة : شىء كان يفعله بعض العرب ، كان إذا ولد له بنت دفنها فى التراب أو فى الرمل حَيَّة ، وأصل وَأَد : أَثْقَل فسميت الموءودة لأنها أُثْقلت بالتراب .

بادَى : بغير همز أى ظهر ، وبه : ابتدأ .

مَيْفَعة : بمثناة تحتية وزن منفعة ، قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى بفتح الموحَّدة ثم لام ساكنة ثم قاف ممدودة .

شامٌ اليهودية : اسم فاعل من الشم ومعناه أنه استخبر ، فاستعاره من الشم فنصب اليهودية نصب المفعول به . ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شممت ، والفعل أولى بهذا الموضع .

غَنْما : بفتح الغين المعجمة وسكون النون صنم كانوا يعبدونه .

يَرْبُل: بمثناة تحتية مفتوحة فراءساكنة فموحدة مضمومة فلام ، يقال ربل الطفْل يَرْبل إذا شَبَّ وعَظُم .

ثاب : رجع .

يتروَّح الغصن : يهتز .

---

(١) سيرة ابن كثير ١٦١/١ ، ونصه : إسناده جيد حسن .

لا تبوروا : لا تهلكوا .

يبعث أمة وحده : الأمة : الشخص المنفرد بدين ، أى يقوم مقام جماعة[1] .

خبر قسّ بن ساعدة

هو ابن ساعِدة بن جذامة[2] بن زُفَر بن زياد بن نزَار الإيادى .

قال المرْزُبانى : عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة . وكثير من أهل العلم يذكر أنه عاش ستمائة سنة . وقد سمع النبىُّ صلى الله عليه وسلم حكمته . وهو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية ، وأول من اتكأ على عصا فى الخطبة ، وأول من قال أما بعد . وأول من كتب : مِن فلان إلى فلان . وقد جاء أنه خطب الناسَ بعكاظ وبشَّرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحثهم على اتباعه وذلك قبل البعثة .

روى الإمام محمد بن داود بن على الظاهرى فى كتاب «الزُّهَرة» حدثنا أحمد بن عبيد النحوى ، حدثنا على[3] بن محمد المدائنى حدثنا محمد بن عبد الله[4] بن أخى الزُّهْرى ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن سعد بن أبى وقاص . والطبرانى والبزار من طريق محمد بن الحجاج ، وهو متروك[5] ، والبيهقى من طريق سعيد بن هُبَيْرة وهو متروك ، والبيهقى من طريق أحمد بن سعيد بن فرسخ الإخميمى، عن شيخه القاسم بن عبد الله بن مهدى ، وهما متَّهمان ، عن ابن عباس . والبيهقى عن أنس وفى سنده من اتُّهم ، وأبو نُعَيْم والخرائطى عن عبادة بن الصامت ، والأَزْدى عن أبى هريرة ، وخلَف ابن أَعْيَن ، رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، والحسن البصرى ، رواه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : أن وفد إيَاد لمّا قدِموا على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا سألهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قُسّ بن ساعدة فقالوا : يا رسول الله مات . قال : كأنى أنظر إليه فى سوق عُكَاظ على جمل أحمر أوْرَق وهو يخطب الناسَ وهو يقول كلاماً ما أرانى أحفظه .

---

(١) ط : الجماعة .
(٢) ص : ابن زفر بن جذامة .
(٣) ط : حدثنا محمد بن على بن محمد .
(٤) ط : محمد بن على .
(٥) كان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ووضع حديثا فى شأنها ، ويعرف بصاحب الهريسة . ميزان الاعتدال ٤٠/٣ وسيرة ابن كثير ١٤٣/١ .

فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله . فقال: هاتوا . فقال : قائلهم إنه قال : أيها الناس اسمعوا وَعُوا وإذا وعيتم فانتفِعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطرٌ ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جميع وأشتات ، وآيات بعد آيات، إن فى السماء لَخبراً وإن فى الأرض لعِبراً ، ليلٌ داجٍ وسماء ذات فِجاج وبحار ذات أمواج ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرَضُوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قُسٌّ قسما حقا لا حانثاً فيه ولا آثما ، إن لله دِينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا خاتِما[1] حانَ حِينُه وأظلكم أوانه وأدركَكم إبّانه ، فطُوبى لمن آمن به فهداه ، وويلٌ لمن خالفه وعصاه .

ثم قال : تَبًّا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين المريض والعُوَّاد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد ، وزخرف ونجّد و غرّه المالُ والولد ، أين من بغى وطغَى وجمع فأوعى وقال : أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأولادا وأبعدَ منكم آمالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثَّرى بكَلْكَله ومزَّقهم الدهرُ بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتْها الذئاب العاوية كلاَّ بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأيُّكم يَرْوى شِعْره؟ قال فأنشده أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال :

فى الذاهبين الأوَّليـ ... نَ من القرون لنا بصائِرْ
لمـا رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومى نحوها ... تمضى الأصاغرُ والأكابرْ
لا يرجع الماضى إلىّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أنّى لا محا ... لة حيث صار القوم صائِرْ

هذا حاصل الطرق السابقة .

قال البيهقى بعد أن أورد بعضها : إذا ورد الحديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا .

(١) ص ، ت ، م : ونبيا كان حينه . وما أثبته من ط .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة[1] .

وقال الحافظ فى الإصابة طرقه كلها ضعيفة . وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى تهذيب موضوعات ابن الجوزى : أمْثَل طرقه الأول ، فإن ابن أخى الزهرى ومن فوقه من رجال البخارى ومسلم ، وعلى بن محمد المدائنى ثقة . وأحمد بن عبيد قال ابن عَدِىّ : صَدُوق له مناكير .

قلت : وقال الذهبى : صُوَيْلح . قال الحافظ : ليِّن الحديث . انتهى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا ضُمَّ طريق خلَف بن أعين إليه حُكم بحسنه بلاتوقف . انتهى .

إذا علمت ذلك فالحديث ضعيف لا موضوع ، خلافا لابن الجوزى ومن تبعه .

وقد رواه البيهقى من وجه آخر عن ابن عباس . فذكر حديثا طويلا مُسَجَّعا فيه أشعار كثيرة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآثار الوضع ظاهرة عليه[2] .

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عُكَاظ فقال : سيعمُّكم حقٌّ من هذا الوجه . وأشار بيده إلى نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أَبْلجْ أَحْوَر من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا يَنْفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مَبْعثه لكنت أول من سعى إليه .

---

(١) نص كلام ابن كثير : « ثم قال البيهقى : وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دل على أن الحديث أصلا » وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٤٦٦/١ ونصه : « وإذا روى حديث ... الخ » .

(٢) حديث قس ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقه كلها وذكر علل الطرق جميعاً ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة ، وهو فى الطوالات للطبرانى وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » اللآلئ ١٨٣/١ - ١٩٢ .

أَوْرَق : الوُرْقة فى الإبل : لون يضرب إلى الخضرة كلون الرماد . وقيل إلى السواد .

داجٍ : مظلم .

رِتاج : براء مكسورة ثم مثناة فوقية مخففة فألف فجيم : الباب .

المُقَام : بضم الميم وفتحها . قال فى النور لكن هنا يتعين الضم لأن بعده قافا فهو من الرباعى .

أظلّكم : أقبل عليكم ودنا منكم كأنه ألقى ظلّه عليكم .

تَبًّا : خسرانا .

شيَّد : بفتح الشين المعجمة والمثناة التحتية المشددة : والشِّيد : كل ما طُلِى به الحائِط من جص وغيره .

نجَّد : زين .

الكَلْكل والكلكال : الصدر .

خبر العباس عن بعض أخْبار اليمن

روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال العباس خرجت فى تجارة إلى اليمن فى رَكْب فيهم أبو سفيان بن حرب ، فورد كتابُ حنظلة بن أبى سفيان أن محمدا قائِم بالأبطح يقول : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . ففشَا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حَبْر من اليهود فقال : بلغنى أن فيكم عَمّ هذا الرجل الذى قال ما قال . قال العباس : فقلت نعم . قال : نشدتك هل كانت لابن أخيك صَبْوة ؟ فقلت : لا والله ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش إلا الأمين قال : فهل كتب بيده ؟ فأردت أن أقول نعم ، فخشيت من أبى سفيان أن يكذِّبنى ويرد علىّ فقلت : لا يكتب. فوثب الحبْر وترك رداءه وقال : ذُبحت يهود وقتلت يهود .

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن يهود تفزع من ابن أخيك . قلت : قد رأيت ، فهل لك أن تؤمن به . قال لا أومن به حتى أرى الخيل فى

كَدَاء . قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمة جاءت على فمى ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلاً تَطْلع على كداء .

قال العباس : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت : يا أبا سفيان تَذْكر تلك الكلمة ؟ قال : إى والله إنى لأَذكرها[1] .

كَدَاء : كسحاب : الثنيّة العليا بأعلى مكة عند المقبرة ، لا تنصرف . وقال النووى : ويجوز الصرف على إرادة الموضع .

خبر أمية عن بعض أخْبار الشام

روى البيهقى وأبو نعيم واللفظ له عن أبى سفيان ابن حرب قال : خرجت أنا وأمية بن أبى الصلت تجارا إلى الشام فقال : هل لك فى عالِم من علماء النصارى إليه انتهى عِلم الكتاب نسأله . قلت له : لا أَرَب لى فيه . فذهب ثم رجع فقال : إنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت : أخبرنى عن هذا النبى الذى يُنْتظر . فقال : هو رجل من العرب قلت : من أىّ العرب ؟ قال : من أهل بيت يحجُّه العرب من إخوانكم من قريش . قلت : صِفْه لى . قال : رجل شابٌّ حين دخَل فى الكُهولة ، بَدْء أمره يجتنب المظالم والمحارِم ويصل الرَّحِم ويأمر بصلتها ، وهو مُحْوِج كريم الطرفين متوسِّط فى العشيرة أكثر جنده الملائكة . قلت ما آية ذلك ؟ قال : قد رجفت الشامُ بعد عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم ثلاثين رَجْفة كلها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصائِب . قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل . فقال أمية : والذى حلفتُ به إن هذا لهكذا .

ثم خرجنا فإذا راكب من خَلْفنا يقول : أصاب أهلَ الشام بعدكم رَجْفة دمّرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عامة . قال أبو سفيان : فأقبل علىّ أمية فقال : كيف ترى قول النصرانى ؟ قلت : أرى والله إنه حق .

وقدمتُ مكة فقضيت ما معى ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فمكثت بها خمسة

---

(١) ذكره ابن كثير فى سيرته ١/٣١١ عن أبى نعيم بسياق مطول ، ثم قال : وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان فى رجاله من هو متكلم فيه .

أشهر ، ثم قدمت مكة فجاء الناسُ يسلِّمون عليّ ويسأَلون عن بضائعهم ثم جاءنى محمد صلى الله عليه وسلم فسلَّم علىّ ورحَّب بى وسأَلنى عن سَفرى ومُقَامى ولم يسأَلنى عن بضاعته ، ثم قال : فقلت لهند : والله إنَّ هذا ليعجبنى ! ما من أحد من قريش له معى بضاعة إلا وقد سأَلنى عنها وما سأَلنى هذا عن بضاعته . قالت : وما علمت بشأْنه ؟ إنه يزعم أنه رسول الله . فوقذَتْنى[1] ، وذكرتُ قول النصرانى . قلت : لهو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه يقول ذلك[2] .

خبر أَبى سفيان عن أُميَّة

روى الطبرانى وأَبو نعيم عن معاوية بن أَبى سفيان عن أَبيه قال : كنا بغزَّة أو بإيلياء فقال لى أُمية بن أَبى الصلت : يا أَبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة ؟ قلت : إيه عن عتبة ابن ربيعة . قال : كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم ؟ قلت : نعم وشريف مُسِنّ . قال : السنُّ أَزْرَى به . قلت : كذبت بل ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا . قال : لا تَعْجل علىّ حتى أخبرك . فقال : إنى أَجد فى كتبى نبيًّا يُبعث من حَرّتنا هذه فكنت أَظن أنى هو ، فلما دارسْتُ أهلَ العلم إذا هو من بنى عبد مناف ، فنظرت فى بنى عبد مناف فلم أَجد أَحدا يَصْلح لهذا الأَمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أَخبرتنى بسِنه عرفت أنه ليس به حين جاوزالأَربعين ولم يوح إليه .

قال أَبو سفيان : فرجعت وقد أَوْحى الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرجت فى رَكْب فى تجارة فمررت بأُمية فقلت له كالمستهزئ به : خرج النبى الذى كنت تَنْعته . قال : أَمَا إنه حق فاتَّبِعْه وكأَنى بك يا أَبا سفيان إن خالفته رُبطت كما يربط الجَدْى حتى يؤتى بك فيحكم فيك[3] .

والله تعالى أَعلم بالصواب .

---

(١) فى القاموس : وقذه : صرعه وغلبه . وفى أساس البلاغة : وشاة موقوذة ووقيذ : وقذت بالعصا حتى ماتت . ومن المجاز : وقذته العبادة ، ووقذتنى كلمة سمعتها .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى – مختصراً – ٤٦٩/١ ، وقد أورده ابن كثير بسياقه هنا مطولا عن الطبرانى ، سيرة ابن كثير ١٢٣/١ .

(٣) سيرة ابن كثير ١٢٩/١ ، عن الطبرانى .

خبر عبد الرحمن بن عوف عن عشكلان الحَبْر

روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غوف رضى الله تعالى عنه قال : سافرت إلى اليمن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسَنة ، فنزلت على عشكلان بن عواكن الحِمْيرى ، وكان شيخا كبيرا وكنت لا أزال إذا قدِمْتُ اليمنَ أنزل عليه فيسألنى عن مكة وعن الكعبة وزمزم ويقول: هل ظهر فيكم رجل له نبه له ذِكْر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم ؟ فأقول: لا . حتى قدمت القَدْمة التى بُعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته قد ضَعُف وثقل سمعه فنزلتُ عليه فاجتمع عليه ولده وولد ولده فأخبروه بمكانى فشُدَّت عصابة على عينيه وأُسْند فقعد فقال لى : انتسِبْ يا أخا قريش . فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عدىّ بن الحارث بن زُهْرة . قال : حسبك يا أخا زُهْرة ألا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة ؟ قلت : بلى . قال : أنبئك بالمعْجِبة وأُبشِّرك بالمرغَّبة ، إن الله تعالى بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا ارتضاه صفيّا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ، ينهى عن الأصنام ويدعو إلى الإسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويُبْطله . فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من الأَزْد ولا ثمالَة ، ولا من سَرْو ولا تبَالة ، هو من بنى هاشم وأنتم أخواله ، يا عبد الرحمن أحْسن الوقعة وعجِّل الرجعة ثم امض وآزِرْه وصدِّقه واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى ... وفالقِ الليل والصباح
إنك فى السرِّ من قريش ... يا ابن المفدَّى من الذبَاحِ
أُرْسلت تدعو إلى يقينٍ ... يرشد للحق والفلاحِ
أشهد بالله ربِّ موسى ... أنك أُرسلت بالبِطَاحِ
فكن شفيعى إلى مليكٍ ... يدعو البَرايا إلى النجاحِ

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وأسرعت فى تقضِّى حوائجى وانصرفت فقدمت مكة فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر فقال : هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولا إلى خَلْقه . فأتيته فى نفر فى بيت خديجة فلما رآنى ضحك وقال : أرى وجها خليقا أرجو خيرا ما وراءك ؟ قلت : وماذاك يا محمد ؟ قال : حملتَ إلىّ وديعة أم أرسلك مرسل إلى

برسالة هاتها . فأخبرته وأسلمت فقال : أما إن أخى حِمير من خواص المسلمين ثم قال : «رُبَّ مؤمن بى ولم يرنى ومصدِّق بى وما شاهدنى أولئك إخوانى حقا.»[1]

خبر عروة بن مسعود الثقفى عن بعض الكهان والكواهن

ذكر أبو هاشم بن ظفر فى «خبر البِشَر» أن عروة بن مسعود الثقفى رضى الله تعالى عنه قال : خرجت فى تجارة لنجران قبل أن يظهر أمر محمد فجلست تحت سرحة منتبذا من أصحابى فإذا جاريتان تسوقان بُهْمًا إلى السَّرْحة ، فجلستا وأنا مضطجع فتناومت ، فقالت إحداهما للأُخرى : من هذا فيما تظنين يا ابنة الأكرمين ؟ قالت الأُخرى : هذا عروة ابن مسعود سيدٌ غير مَسُود ، جَوْد وعَصَر منجود . قالت : صدقت فمن أين هو وإلى أين ؟ فقالت الأُخرى : أتى من المَعْقِل المنيف ، طائف ثقيف ينوى نجران ذات المخاليف فقالت : صدقت فما هو مصيب فى سفره هذا ؟ فقالت : يَسْهل طريقه ويَنْفَق سُوقه ويعلو فُوقه . قالت : صدقت فما عاقبة أمره ؟ قالت : يعيش زعيما ويتبع نبيا كريما ويتعاطى أمرا جسيما . فقالت : صدقت وما هذا النبي ؟ فقالت : داع مجاب ، له أمر عُجَاب ، يأتيه من السماء كتاب يَبْهر الألباب ويقهر الأرباب . قال عروة : ثم أمسكتا فغشينى النعاس ، فلما استيقظت لم أر لهما أثرا فلما بلغت نجران قال أسقفُّها —وكان لى صديقا— : يا أبا يعفور هذا حينُ خروج نبيٍّ من أهل حَرَمكم يهدى إلى الحق ، وحق المسيح إنه لخير الأنبياء وآخرهم فإن ظهر فكن أول من يؤمن به .

[تفسير الغريب]

السَّرْحة — بسين مفتوحة فراء ساكنة فحاء مهملات : الشجرة العظيمة .

منتبذا : منفردا .

البُهْم — بضم الباء الموحدة : صِغَار الغنم .

العَصَر — بعين وصاد مهملتين مفتوحتين — الملجأ .

المنجود : المكروب .

(١) ليس فى تهذيب ابن عساكر .

هوى : قصد أرضا غورا وأصله أن يخر من علو إلى سُفْل .

نوى : قصد

المنيف : المرتفع .

المخاليف : قرى تخلف القرية العظيمة فى المرافق وتنوب منابها ، واحدها مِخْلاف .

يعلو فُوقه – بضم الفاء وسكون الواو وضم القاف – هذا مثل يضرب للظَفر والعلو والجد وأصله فُوق السَّهْم .

زعيما : سيّدا .

خبر عمرو بن معدى كرب عن بعض الكهان

ذكر ابن ظفر أيضا أن أبا ثور عمرو بن معدى كرب رضى الله تعالى عنه قال : والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يُبعث . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : فزعنا إلى كاهن لنا فى أمر نزلَ بنا ، فقال الكاهن : أُقْسم بالسماء ذات الأَبراج والأَرض ذات الأَدراج والريح ذات العَجاج إن هذا لَإِمْراج[1] ولِقَاح[2] ذى نتَاج . قالوا : وما نتاجه ؟ قال : ظهور نبيٍّ صادق بكتاب ناطق وحُسَام ذالق[3] . قالوا : أين يظهر وإلامَ يدعو ؟ قال : يظهر بصلاح ويدعو إلى فَلَاح ويُعَطِّل الأَقْداح ، وينهى عن الراح والسِّفاح وعن كلِّ أمر قَبَاح . قالوا : ممن هو ؟ قال من ولد الشيخ الأَكرم حافر زمزم ومُطْعِم الطير المحوِّم والسباع الضرم . قالوا : وما اسمه ؟ قال : محمد ، وعزُّه سَرْمد ، وخصمه مكمد .

صلاح : من أَسماء مكة . وتقدم ضبطه[4] .

خبر ابن الهيِّبان

روى البيهقى عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدرى عما كان إسلام أُسَيْد وثعلبة ابنى سَعْيَة وأسيد بن عبيد ، نفر من هُذَل لم يكونوا من بنى قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك . فقلت : لا .

---

(١) الإمراج : أن تلقى الناقة الولد غرساً ، أى على وجه جيلدة ساعة يولد فإن تركت عليه قتلته .

(٢) غير ط : ونفاج – واللقاح : الإبل .　　(٣) الذالق : الحديد الماضى .

(٤) انظر ص ٢٢٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

قال : فإنه قدِم علينا رجل من الشام . من يهود يقال له ابن الهَيِّبان فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس خيرا منه ، فقدِم علينا قبل مَبْعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين ، فكنا إذا قُحِطْنا وقلّ علينا المطر نقول : يا ابن الهيِّبان اخرج فاستقِ لنا . فيقول : لا والله حتى تقدِّموا أمام مَخْرجكم صدقة . فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مُدَّين من شعير . فنخرجه ثم يَخرج إلى ظاهر حَرَّتنا ونحن معه فيستقى فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمرّ السحابُ . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة . فحضرتْه الوفاة فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمرَ والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أقْدَمنى هذه البلدة أتوكّف خروجَ نبي قد أظلّ زمانه هذه البلاد مُهاجَره فأتبعه فلا تُسبَقُنّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسَبْى النساء والذَّرارى ممن يخالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . ثم مات . فلما كانت الليلة التى فُتِحت فيها قريظة قال أولئك الفتية - وكانوا شبابا أحداثا - : يا معشر يهود والله إنه الذى ذكر لكم ابن الهيِّبان . فقالوا : ما هو به . قالوا : بلى والله إنها لصفته . ثم نزلوا فأسلموا وخلَّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم فى حصن مع المشركين ، فلما فتح رُدَّ ذلك عليهم[1] .

أسيد : وقع فى الرواية بضم الهمزة وفتحها وصوّبه الدارقطنى وعبد الغنى .

سَعْية - بسين مفتوحة فعين ساكنة مهملتين فمثناة تحتية ويقال بالنون بَدَلها .

أتوكّف : أنتظر وأستشعر .

أظلّ زمانُه : أشْرَف عليكم وقَرُب .

خبر الحبْر من جُرْهم

روى ابن أبى خَيْثمة عن عِكْرمة أن نفرًا من قريش مرُّوا بجزيرة من جزائر البحر فإذا هم بشيخ من جُرْهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : من أهل مكة من قريش . فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجمٌ لقد بُعث فيكم نبىّ . فنظروا فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد بُعث تلك الليلة .

---

(١) خبر ابن الهيبان هذا فى سيرة ابن هشام ٢١٣/١ وطبقات ابن سعد ١٦٠/١ ودلائل النبوة للبيهقى ٤٣١/١ . والاكتفا للكلاعى ٢٣٤/١ . وسيرة ابن كثير ٢٩٤/١ .

خبر الحبر من أهل بُصْرَى

روى ابن سعد والبيهقى عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه قال : حضرتُ سوق بصرى فإذا راهب فى صومعته يقول : سَلُوا أهل هذا الموسم : هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ فقلت : نعم أنا . قال : هل ظهر أحمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مَخْرَجه من الحرم ومُهاجَره إلى نخل وحَرَّة وسِبَاخ ، فإياك أن تُسْبَق إليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال . فقدمت مكة فقلت : هل كان من حدَث ؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبى قحافة . فخرجت سريعا حتى قدمت على أبى بكر فأخبرته بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فسُرَّ بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدَّهما فى حبل واحد فلذلك سمِّيا القرينين[1] .

خبر رئيس نجران

قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره خَتَم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قَبْله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثَر ، فقال ابنه : تَعِس الأبْعد . يريد النبيَّ صلى الله عليه وسلم ،فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبيٌّ واسمه فى الوضائع - يعنى الكتب . فلما مات لم يكن هَمُّه إلا أن شَدَّ فكسر الخواتم فوجد ذِكْر النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه فحج وهو الذى يقول :

إليك تَعْدو قَلِقا وَضِينُهــا   مُعْترضا فى بطنها جنينُهــا

مخالفاً دينَ النصارى دينُها [2]

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم .

عَثَر : بفتح المثلثة ، والعَثْرة : الزَّلَّة .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ١/٥٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٤ .

تعَـس :ـ بفتح العين وكسرها ـ ومعناه : عثر وانكب لوجهه .

الوضائع ـ بفتح الواو وبالضاد المعجمة وبعد الألف مثناة تحتية ثم عين مهملة : يعنى الكتب . زاد فى النهاية : التى تكتب فيها الحكمة .

الوَضِين ـ بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة وسكون المثناة التحتية : بطان : منسوج بعضه على بعض يُشَدُّ به الرَّحْل على البعير كالحِزَام للسرج ، أراد أنها قد هَزُلت ودقَّت للسير عليها .

الباب الثالث

فى حدوث الرجوم وحَجْب الشياطين من استراق السمع ، عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله سبحانه وتعالى : « قُلْ » يا محمد للناس : « أُوحِيَ » أُخْبرت بالوحى « إِلَيَّ أَنه » الضمير للشأن « استمع » لقرآنى « نفرٌ من الجنِّ » جِن نَصِيبين أَو نَينوى ، وكانوا سبعة أَو تسعة وذلك فى صلاة الصبح ببطن نَخْلة موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذُكروا فى قوله تعالى : « وإِذ صرفنا إِليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أَنصتوا فلما قُضِى ولوا إِلى قومهم منذرين[1] » والنفر ما بين الثلاثة والعشرة .

« فقالو » لقومهم لما رجعوا إِليهم : « إِنَّا سمعنا قرآنا عَجَبًا » وصف بالمصدر على سبيل المبالغة أَى هو عجب فى نفسه لفصاحة لفظه وحُسْن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أُسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مُبَايِنًا لسائر الكتب ، والعجب مَا خرج عن أَشكاله ونظائره .

«يَهْدى » يدعو « إِلى الرُّشْدِ » الإِيمان والصواب « فآمَنَّا به » أَى القرآن .

ولمّا كان الإِيمان[2] به متضمنا الإِيمان بالله تعالى وبوحدانيته وبراءته من الشِّرْك . قالوا : « ولَنْ نُشْرِك » بعد اليوم « بربِّنا أَحدًا . وأَنه » الضمير للشأن فيه وفى الموضعين بعده « تعالَى » تعاظَم « جَدُّ ربِّنا » جلاله وعظمته عما نُسب إِليه « ما اتَّخذ صاحِبة » زوجة « ولا ولدا » . بيان ذلك كأَنهم سمعوا من القرآن ما نبههم[3] على خطأ ما اعتقدوه من الشِّرك واتخاذ الصاحبة والولد .

« وأَنه كان يقول سَفِيهُنا » جاهلُنا إِبليس أَو مردَة الجن . « على الله شطَطًا » غُلوًّا فى الكذب بوصفه بالصاحبة والولد .

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ .

(٢) ط : ولما كان القرآن متضمنا الإيمان بالله . (٣) ط : ما ينبههم . وص : مانبأهم .

ثم أخذوا يعتذرون عن اتباعهم للسفيه فى ذلك : « وأنّا ظَنَنَّا أنْ » مخففة أنه « لن تقول الإنسُ والجنُّ على الله كذبًا » بوصفه بذلك ، حتى تبينا كذبهم بذلك .

« وأنه كان رجالٌ من الإنس يَعُوذون » يستعيذون . « برجالٍ من الجنّ » حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مَخُوف فيقول كل رجل أعوذ بسيِّد هذا المكان من شر سفهائه . « فزادُوهم » بعَوْذهم بهم « رَهَقًا » طغيانا ، فقالوا: سُدْنا الجنَّ والإنس « وأنَّهُم » أى الجن : « ظنُّو كما ظنَنْتم » يا إنس أو بالعكس . والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض ، أو استئناف من كلام الله تعالى ومَنْ فَتح « أنَّ » فيهما جعلهما من الموحَى به أى أنه « لن يبعث الله أحدا » بعد موته ، أو رسولا .

قال الجن : « وأنّا لَمَسْنا السماء » طلبنا استراقَ السمع منها . واللمس مستعارٌ من المسّ للطلب : « فوجَدْناها » صادفناها « مُلئت حرَسًا» حُرَّاسا اسم جمع كخَدَم : « شَدِيدا » قويّا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها « وشُهبا » جمع شهاب وهو المضىء المتولد من النار : «وأنا كنّا » قبل مبعثه « نقْعد منها مقاعد » خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرَّصْد والاستماع « للسمع » صلة نقعد أو صفة لمقاعد . وفسر النبى صلى الله عليه وسلم كيفية قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى احترق الأعلى طلع الذى تحته مكانه وكانوا يستَرِقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون فيها ويزيد الكاهن مائة كذْبة . « فمن يستمع الآن » ظرف للحال ويستمع ظرف مستقبل فاتُّسع فى الظرف واستعمل للاستقبال « يجدْله شِهَابا رَصَدا » أى أُرْصد له ليرمى به . هذا لمن استمع وأما السمع فقد انقطع كما قال الله تعالى : « إنهُم عن السَّمْع لمعزُولون[1] » .

ولمّا رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاسْتراق قالوا : « وأنّا لا نَدْرى أشرٌّ أُريد » بعدم استراق السمع « بمَنْ فى الأَرضِ أمْ أراد بهم ربُّهم رَشَدا » خيرا .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفت أنها مُنعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشْكل الوحى بشىء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة[2] .

---

(١) سورة الشعراء ٢١٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٠٥ .

فآمنوا وصدقوا « ثم ولّوا » رجعوا إلى قومهم « مُنْذرين » مخوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا . « قالوا يا قومنا إنّا سَمِعْنا كتاباً » هذا القرآن « أُنْزل من بعد موسى ، مصدِّقا لما بين يديه يهدى إلى الحقِّ » الإسلام « وإلى طريقٍ مستقيم » أى طريقة « يا قومَنا أجيبوا داعِيَ الله » محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان « وآمِنوا به يَغْفِرْ لكم من ذُنوبكم » أى بعضها وهو ما يكون فى خالص حق الله ، فإن المظالم لا تُغْفر بالإيمان . ويُجِرْكم من عذاب أليم » مؤلم .

« ومن لا يُجِبْ داعيَ اللهِ فليس بمعْجِزٍ فى الأرض » أى لا يعْجز الله بالهرب منه فيفوته « وليس له » لمن لا يجبْ « من دونه » أى الله « أولياء » أنصارا يدفعون عنه العذاب « أولئك» الذين لم يجيبوا « فى ضلال مبين » بيِّن ظاهر .



لطيفة : مناسبة سورة الجن لما قبلها أنه لما حكى تمادِيَ قوم نوح صلى الله عليه وسلم - فى الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام ، وكان أولَ رسول إلى أهل الأرض ، كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول إلى أهل الأرض ، والعرب الذين هو منهم كانوا عُبَّاد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك فى الأسماء ، وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديًا إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقَّف عن الإيمان به أكثرهم ، أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتًا لقريش والعرب فى كونهم تباطأوا عن الإيمان ، إذ كانت الجن خيرا منهم وأقْبَل إلى الإيمان ، هذا وهُمْ من غير جنس رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك فعندما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت وعرفوا كونَه مُعْجِزا ، وهم مع ذلك مكذِّبون له ولمن جاء به بَغْيا وحسدا أنْ ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحى فيهبطون إلى الأرض فيزيدون فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم - فمُنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث فى الأرض حَدَث ، فبعثهم فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - يتلو القرآن قالوا : هذا والله الحدَث . وإنهم ليُرْمَوْن فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه

لا يخطئ أبدا ولكنه لا يقتله ، يحرق جَنْبه وجهة يده[1] :

وروى ابن سعد والبيهقى وأبو نُعَيْم من وجه آخر عن سعيد عنه قال : كان لكل قَبِيل من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون منه الوحى فيخبرون به الكَهَنة فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ـ دُحِروا منه ، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن : هلك أهل السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيرًا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة ، وقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث فأتونى من تُرْبة كل أرض . فأتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال : من هاهنا الحَدث فنصَتوا فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بُعث[2] .

وروى البيهقى من طريق العَوْفى عنه قال : لم تكن السماء تُحْرَس فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يقعدون منها مقاعد للسمع ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ـ حُرست السماء حَرسًا شديدا ورُجمت الشياطين .

وروى محمد بن عمر الأَسْلمى وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مُنعت الشياطين من خبر السماء ورُموا بالشُّهب فذكروا ذلك لإبليس فقال : بعث نبيٌّ عليكم بالأرض المقدسة . فذهبوا ثم رجعوا فقالوا : ليس بها أحد . فخرج إبليس يطلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بحراء منحدرا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل[3] .

ورويا أيضا عن أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رمى بها ، فلما رأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسَيِّبون أنعامهم ويعتقون أرِقَّاءهم يظنون أنه الفناء وفعلت ثقيف مثل ذلك ، فبلغ عبدَ ياليل فقال : لاتَعْجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تُعْرف فهو عند فَناء من الناس ، وإن كانت نجوما لاتُعْرف فهو عند أمر قد حدَث . فنظروا فإذا هى لاتُعْرف فأخبروه فقال : هذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعى أنه نبىّ مُرْسَل . فقال عبد ياليل : فعند ذلك رُمِى بها[4].

---

(1) ذكره نحوه ابن كثير فى سيرته ٤١٥/١ عن ابن عباس من طريق أبى نعيم .

(2) سيرة ابن كثير ٤١٦/١ .

(3) سيرة ابن كثير ٤٢٠/١ عن الواقدى . (4) سيرة ابن كثير ٤١٧/١ .

عبد ياليل - بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الأُولى ، وذكره ابن إسحاق فيمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى وفد ثقيف .

وروى سعيد بن منصور والبيهقى عن الشَّعْبي قال : كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فرُمى بها فسيَّبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم ، فقال عبد ياليل : انظروا . وذكر مثله .

وروى ابن إسحاق وابن سعد عن يعقوب بن المغيرة بن الأَخْنس قال : إن أول العرب فزع لرمى النجوم ثَقِيف فأتوا عمرو بن أُمية أحد بنى عِلاَج فقالوا : ألم تر ما حدَث ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يُهتدى بها ويُعْرف بها أنواء الصيف والشتاء انتثرتْ فهو طيّ الدنيا وذهاب هذا الخَلْق ، وإن كانت نجوما غيرها فأَمرٌ أراد الله تعالى ، ونبيّ يُبعث فى العرب . فقد تحدث بذلك عمرو بن أُمية هذا[1] .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم عن الزُّهْرى قال : كان الوحى يُسْتمع فلما كان الإسلام منعوا وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سعير لها تابع من الجن فلما رأى الوحيَ لايستطاع أتاها فدخل فى صدرها وجعل يصيح : وضِع العِنَاق ورُفع الشِّقَاق وجاء أمرٌ لايطاق ، أحمد حرَّم الزنا[2] .

وروى محمد بن عمر الأَسْلمى وأبو نعيم عن نافع بن جُبَيْر قال : كانت الشياطين فى الفترة تسمع فلا تُرْمَى فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب .

ورويا أيضا عن عطاء عن ابن عباس وعن مجاهد . وأبو نعيم عن حجاج الصواف ، عن ثابت عن أنس . وأبو الشيخ عن عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس قال ابن عباس : كانت الشياطين يستمعون الوحى قالوا : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم مُنِعوا فشكَوْا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمرٌ . فرقَى فوق أبى قُبَيْس فرأى رسولَ الله صلى الله

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٦/١ . وطبقات ابن سعد ١٦٣/١ (ط بيروت) ونصه : فقد تحدث بذلك .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧ بروايات تشبهه . وطبقات ابن سعد ١٦٧/١ باختلاف أيضاً .

عليه وسلم يصلّى خلف المقام فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء وعنده جبريل فركضه برجله فألقاه بوادى الأردن[1] .

وروى الخرائطى فى الهواتف[2] عن سعيد بن جبير أن رجلا من بنى تميم حدّث عن بدء إسلامه فقال : إنى لأسير برمل عالجٍ ذات ليلة إذ غلبنى النوم ونمت فنزلت عن راحلتى وأنختها ونمت وقد تعوّذت قبل نومى . فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن . فرأيت فى منامى رجلا بيده حَرْبة يريد أن يضعها فى نَحْر ناقتى ، فانتبهتُ فَزِعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئاً فقلت . هذا حُلْم . ثم عدت فغفَوْت فرأيت مثلَ ذلك فانتبهت فدُرْت حول ناقتى فلم أر شيئاً وإذا ناقتى تُرْعِد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب والتفتُّ فإذا أنا برجل شاب كالذى رأيته فى منامى وبيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يردُّه عنها ، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثْوار من الوحش فقال الشيخ للفتى : قم فخذ أيّها شئت فداء لناقة جارى الإنْسىِّ . فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلىّ الشيخ وقال : يا فتى إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هَوْلَه فقل : أعوذ بالله ربِّ محمد من هَوْل هذا الوادى . ولا تَعُذْ بأحد من الجن فقد بَطل أمرُها . فقلت له : ومن محمد ؟ قال : نبي عربىّ لا شرقى ولا غربىّ ، بُعث يومَ الاثنين . قلت : أين مسكنه ؟ قال : يثرب . ذاتُ النخل . فركبت راحلتى حين برَق لى الصبح وجَدَّيتُ السَّير حتى أتيت المدينة فرآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدَّثنى قبل أن أذكر له شيئا ودعانى إلى الإسلام فأسلمت .

وروى مسلم وابن إسحاق عن ابن عباس عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال لهم : « ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرْمَى به فى الجاهلية » ؟ قالوا : يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها : مات ملِك ، مَلك مَلِك ، ولِد مولود مات مولود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « ليس ذلك كذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان إذا قضَى فى خلقه أمراً سمعه[3] حملة العرش فسبَّحوا فسبَّح من تحتهم لتسبيحهم ،

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٢٠ عن الواقدى وفيه : فركضه جبريل ركضة طرحه فى كذا وكذا .

(٢) يريد كتابه « هواتف الجان » وهو مخطوط .

(٣) ص : يسمعه .

فسبّح من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبحوا.
ثم يقول بعضهم لبعض : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : سبّح مَنْ فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم.
فيقولون : ألا تسألون من فَوْقكم مم سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حَملة
العرش فيقال لهم : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله تعالى فى خَلْقه كذا وكذا لِلأمر الذى
كان فيهبط به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدثون به ، فتَسْرِقه فتَسْترقه
الشياطينُ بالسمع على توهُّم واختلاف ، ثم يأْتون به الكُهَّان فيحدثونهم فيخطئون بعضًا
ثم إن الله تعالى حجَب الشياطين بهذه النجوم التى يُقْذَفون بها فانقطعت الكهانة اليوم
فلا كِهانة[1] » .

ويروى عن لُهَيْب[2] بن مالك اللِّهْبى قال : حَضَرْتُ عند النبى صلى الله فقلت : بأَبى
أنت وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء والشياطين ومنهم من استراق السمع عند قذف
النجوم، وذلك أنّا اجتمعنا إلى كاهن يقال له خَطَر بن مالك ، وكان شيخا كبيرا قد أتت
عليه مائتا سنة وثمانون سنة فقلنا : يا خطر هل عندك عِلْم من علم هذه النجوم[3] التى يُرْمَى
بها فإنا قد فزِعْنا لها وخِفْنا سوء عاقبتها . فقال : ائتونى بسحَر ، أخبركم الخبر ، الخير أم
الضرر والأمن أم الحذَر[4] .

قال : فانصرفنا عنه يومَنا ، فلما كان من غد فى وجه السَّحَر أتيناه فإذا هو قائم
على قدميه شاخص ببصره إلى السماء ، فناديناه : يا خطر يا خطر . فأومأ إلينا أن أمسِكوا
فأمسكْنا ، فانقضّ نجمٌ عظيم من السماء ، فصرخ الكاهن رافعا صوته .

أصـابـه أصـابـه خامَــــره عِقابـــه
عاجَلـــه عـذابُـه أحـــرقَـــه شِهابُـه
زايلـــه جوابُـــــه
يا وَيْحَـــه ماحالُه بَلْبَلَـــه بلبالُـــه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٠٧ والاكتفا للكلاعى ١/٢١٥ .
(٢) ص : عن كعب بن مالك . وما أثبته عن بقية النسخ موافقاً الاكتفا للكلاعى .
(٣) الاكتفا : هل عندك علم بهذه النجوم . (٤) الاكتفا : أخير أم ضرر ، أو أمن أو حذر .

عاوَدَه خَبالُه تقطعت حِبالُه
وغيَّرتْ أحوالُه

ثم أمسك طويلا وقال :

يا معشر بنى قحطان أخبركمُ بالحقِّ والعِيانِ
أقسمتُ بالكعبة ذاتالأركان والبلدِ[1] المؤتمن السُّدَّانِ
لقد مُنِع السمعَ عُتاةُ الجانِّ بثاقبٍ بكفِّ ذى سلطانِ
من أجل مبعوثٍ عظيمِ الشانِ يُبْعَث بالتنزيلِ والقرآنِ
وبالهُدَى وفاصِلِ الفرقان تبطل به[2] عبادة الأوثان

فقلنا : يا خطر ما ترى لقومك ؟ قال :

أَرَى لقومى ما أرى لنفسى أن يَتْبعوا خيرَ بَنِىِّ الإنسِ
بُرْهانه مثلُ شعاع الشمسِ يُبعَث فى مكة دار الحُمْسِ
بمُحْكم التنزيل غير اللَّبْسِ

فقلنا : يا خطر ومن هو ؟ فقال : والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ، ما فى حُكْمه[3] طَيْش ، ولا فى خُلقه هَيْش[4] ، يكون فى جيش وأىّ جيش ، من آل قحطان وآل أَيْش .

فقلنا : بيِّن لنا من أىِّ قريش هو ؟

فقال : والبيت ذى الدعائِم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يُبْعث بالملاحِم ، وقتل كلِّ ظالم .

ثم قال : هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان . ثم قال : الله أكبر جاء الحق وظهر ،

---

(1) الأصل : والبيت . وما أثبته من الاكتفا للكلاعى ١/٢١٧ ، وبه يستقيم الوزن ، وقد كنت أثبته هناك على أنه سجع ، ولكنه يندرج فى الرجز .
(2) الأصل : يبطل عبادة الأوثان — وما أثبته من الاكتفا ، وبه يستقيم الوزن .
(3) الاكتفا : ما فى حلمه . (4) الهيش : الإفساد .

وانقطع عن الجن الخبر ، ثم مسكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال : لا إله إلا الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله لقد نطق عن مِثْل نبوّة وإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة » .

رواه أبو جعفر العُقَيْلى فى كتاب الصحابة[1] .

والآثار فى هذا كثيرة وفيما ذكر كفاية .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال القرطبي : اختُلف فى الشِّهاب هل يَقْتل أم لا ؟ فقال ابن عباس : إنه لا يخطئ ولكن يجرح ويُحْرق ويَخْبِل[2] ولا يَقْتل .

وقال الحسن وطائفة : يقتل .

فعلى هذا القول فى قتلهم بالشهب قبل إلقائهم السمع إلى الجن قولان .

أحدهما أنهم يُقْتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم . فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء وبذلك انقطعت الكهانة .

والثانى : أنهم يُقْتلون بعد إلقائهم ما استرقُوا من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك ما يعودون إلى استراقه ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق[3] . ذكره الماوردى .
قال القرطبي : والأول أصحّ .

قلت : روى سعيد بن منصور والبخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان يَنْفذُهم ذلك فإذا فزّع

---

(١) الاكتفا ١/٢١٦ – ٢١٨ .

(٢) يخبل : يمنع ، يقال خبله عنه يخبله : منعه . (٣) ت ، م : الاحتراق .

عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الذى قال الحق وهو العلىّ الكبير . فيسمعها مُسْترِقُوا السمع ومسْترِقوا السمع هكذا واحداً فوق آخر - وصَفَ[1] سفيان بيده وفرّج بين أصابعه نصَبها بعضها فوق بعض - فيسمع الكلمة فَيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكْذب معها مائة كذْبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا . فيصدّق بتلك الكلمة التى سُمعت من السماء[2] . انتهى .

فنى قوله « فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه » إلى آخره ، ما يجمع بين القولين السابقين .

وأما قول السُّهيلى رحمه الله تعالى : لولا . أن الشهاب قد يُخْطىء الشيطانَ لم يتعرض له ، أى الاستماع ، مرة أخرى . فجوابه - كما أشار إليه الحافظ فى الفتح - : أنه يجوز أن يقع التعرض مع تحقق الإصابة لرجاء اختطاف الكلمة وإلقائها قبل إصابة الشهاب ثم لا يبالى المختطف بالإصابة لِمَا طُبع عليه من الشر .

وقال أبو عثمان الجاحظ[3] : فإن قيل كيف تعرّض الجن لإحراق أنفسها[4] بسبب سماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب : أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظم المحنة[5].

الثانى : قال بعضهم :ظاهر القرآن والأحاديث يقتضى أن الرجم[6] بالنجوم نفسها. وقال القرطبي : ليست الشُّهب التى يُرْجَم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها ، والثابتة لا تجرى ولا تُرى حركاتها لبُعدها . وقال فى موضع آخر : قال العلماء : نحن نرى

---

(١) ط : وجنب .

(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٣٢ وكتاب التفسير سورة الحجر وسورة سبأ وسنن الترمذى كتاب التفسير سورة سبأ . وسنن ابن ماجه المقدمة باب ١٣ .

(٣) الأصل : الحافظ . وهو تحريف .

(٤) ص : أنفسهم . وط : نفسها .

(٥) انظر رأى الجاحظ فى ذلك ، فى كتابه الحيوان ٦/٢٦٨ ، ٢٧١ .

(٦) غير ط : أن الرمى .

انقضاض الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا إذا أدرك الشيطان ، ويجوز أن يقال يُرْمَوْن بشعلة من نار من الهواء فيخيَّل إلينا أنه نجم يُرى .

وقال فى موضع آخر : الكواكب الراجمة هى التى يراها الناس تنقضّ . قال النقاش ومكي : وليست بالكواكب الجارية فى السماء لأن تلك لا تُرَى حركتها ، وهذه الراجمة تُرَى حركتها لأنها قريبة منا .

وقال الإمام أبو عبد الله الحَليمى فى منهاجه : ليس فيما نتلوه من كلام ربنا عز وجل أن الشيطان يُرْمى بالكواكب أو النجوم . ثم أطال الكلام فى تقرير أن الرمى إنما هو بالشُّهب وهى شُعَل النار ، وجعَل المصابيح كناية عن الشعل لا النجوم .

وقال الإمام شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى:الشهابُ فى اللغة اسم للشُّعْلة الساطعة[1] من النار ثم أُطلق على النجم المُرْصَد لرجم الشياطين المسترِقين للسمع لأنها لمّا عيِّنت لرجم الشياطين وهى الشُّعَل من النار ، أُطلق عليها لفظ الشهب لهذه الملابسة والمجاورة مجازا .

وهذا ظاهر كلام الشقْرَاطِيسىّفإنه[2] لما جعل ثواقبَ الشهب رامية بالشُّعَل دلَّ على أن الشهب عنده هى النجوم المرصدة لذلك . ثم قال : والمصابيح هى النجوم التى جعلها الله تعالى راجمةً للشياطين بالشهب ، لا أنّ النجوم تنقضّ بأنفسها خلف الشياطين . ثم نقل كلام الحَليمىّ ثم قال : لا خفاء أنه قد جاء الرمىُ بالنجوم مصرَّحا فى الأحاديث وفى شعر العرب القديم . فنى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : أخبرنى رجالٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار قالوا : بينما هم جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رُمِى بنجم فاستنار[3] . الحديث .

وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر عن الزُّهْرى أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم أكان فى الجاهلية قال : نعم ولكنه إذا جاء الإسلام غلَّظ وشدَّد .

ثم ذكر أبو شامة شاهدين من كلام العرب القدماء ثم قال : فنى الجمع بين هذين

(١) ت ، م : الساقطة .
(٢) انظر ترجمته فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .
(٣) صحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٢٤ ، وسنن الترمذى كتاب التفسير سورة سبأ ، ومسند أحمد ٣٨٩/٦ .

وبما تقدم وجهان : أحدهما أن هذا جاء على حذف المضاف للعلم به وتقديره : رمِى بنار نجم وانقضّ انقضاض[1] نار الكواكب وهى الشُّعَل المعبَّر عنها بالشهب . فقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الذى يتّبع مُسْترق السّمع « شهابٌ مُبينٌ »[2] وقال في موضع آخر : شهابٌ ثاقِب »[3] والشهاب عبارة عن شعلة نار وبها يحصل إحراق الجنّى .

الوجه الثانى : أن يكونوا أطلقوا لفظ النجوم على الشُّهب تجوُّزاً ، كما أطلقوا لفظ الشهب على النجوم للملابسة كلٍّ واحد منهما الآخر[4] على ما قدّرناه من أن النجوم ترْمى الجن بشُعَل النار .

وقال شيخه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه : إن الذى يرجم به شُهُب تُخلَق عند الرّجْم . ولذا قال أبو على فى قوله تعالى « وجعلْناها رُجوماً للشياطين »[5] : الهاء عائدة على السماء ، التقدير : وجعلنا شُهبها . على حذف المضاف ، فصار الضمير للمضاف إليه . انتهى .

الثالث : قال الإمام أبو عبد الله الحَلِيمىّ رحمه الله تعالى : فإن قيل هذا القذف كان لأجل النبوة ، فلم دام بعدَ النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فالجواب : أنه دام بدوام النبوة فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر ببطلان الكهانة ، فلو لم تُحْرس السماء بعد موته لعادت الجنُّ إلى تسمُّعها وعادت الكهانة ، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل لأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشُّبهة فى ضعفاء المسلمين ولم يُؤمَن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهى النبوة ، فصحّ أن الحكمة تقتضى دوام الحراسة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : فإن قيل : إذا كان الرمى بها غُلِّظ وشُدِّد بسبب نزول الوحى ، فهلا انقطع بانقطاع الوحى بموت النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نشاهدها الآن يُرمَى بها ؟

---

(١) ط : انتقاض .
(٢) سورة الحجر ١٨ .
(٣) سورة الصافات ١٠ .
(٤) ط : بالآخر .
(٥) سورة الملك ٥ .

فالجواب : يؤخذ من حديث الزُّهْرى المتقدم ، ففيه عند مسلم قالوا : كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها لا تُرْمَى لموت أحد ولا حياته ، ولكن ربَّنا إذا قضى أمراً أخبر أهلُ السموات بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا فتَخْطِف الجنُّ السمعَ فيقْذفون به إلى أوليائهم . فيؤخذ من ذلك أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لِمَا يتجدد من الحوادث التى تُلْقَى بأمره إلى الملائكة ، وأنَّ الشياطين مع شدة التغليظ عليهم فى ذلك بعدَ المبعث لم ينقطع طمعهم من استراق السمع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف بما بعده ؟ . وقد قال عمر لغَيْلان لما طلَّق نساءه : إنى أحسِب أن الشياطين فيما تَسْترق من السَّمْع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك الحديث . رواه عبد الرزاق وغيره . فهذا ظاهر فى أن استراقهم للسمع استمرَّ بعد النبى صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقصدون استماع الشىء مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك إلا أن يَخْطِف أحدهم بخفة حركته خَطْفة فيتبعه الشهاب فإن[1] أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه مات وإلا سمعوها وتداولوها .

* * *

الرابع : هل كانت الشياطين تُقْذَف بالشهب قبل المبعث أم حدَث القذف بها بعده ؟

اختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى ذلك على قولين :

نقل أبو عبد الله القرطبى رحمه الله تعالى فى تفسيره عن الأكثرين الأول . وبه جزم السُّهَيلى والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى فى أماليه وتلميذه الشيخ أبو شامة فى شرح الشقْراطيسيّة[2] وغيرهم وصححه غير واحد واحتجوا بقوله تعالى : « إنَّا زَينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب . وحِفْظاً مِن كلِّ شيطانٍ مارد لا يسَّمعون إلى الملإ الأعْلى ويُقْذَفون من كلِّ جانبٍ[3] » وبقوله تبارك وتعالى : « وحَفظناها من كل شيطانٍ رجيم إلا من استرق السمعَ فأتبعه شهابٌ مبين[4] » .

---

(١) غير ط : فإذا .

(٢) سبق التعريف بها فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .

(٣) سورة الصافات ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٤) سورة الحجر ١٧ ، ١٨ .

قال الزركشى فى شرح البُرْدة فهذه الآيات تدل على وجود الرجم قبل المبعث ، لأنها خُلقت لذلك . وكذا قوله تعالى « وأنّا لمسْنا السماء فوجدناها مُلئت حَرَسًا شديدا وشُهبا[1] » وهذا إخبار عن الجن أنه كان الرجم موجودا لكنه ليس يستأْصل وأنه زِيد فى حرس السماء حتى امتلأت .

وقال الإمام العلامة شمس الدين الهَروى فى شرح مسلم : وفى هذه الآية دليل على أن الحادث هو الملأ والكثرة ، وأنهم كانوا فى الأول يقعدون من السماء مقاعدَ لاستراق السمع ويجدون بعض المقاعد غير خالية من الحرس والشُّهب ، والآن ملئت المقاعد كلها ولم يبق مَقْعَد من المقاعد خاليا . وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى ذكر فائدتين فى خَلْق الكواكب فى قوله : « ولقد زيَّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجوماً للشياطين »[2] وفى قوله تعالى : « إنا زيَّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحِفْظاً من كلِّ شيطان مارد » .

وروى عبد الرزاق فى تفسيره عن مَعْمَر قال : قلت للزُّهْرى : أَوَ كان يُرمى به – أى النجم – فى الجاهلية ؟ قال نعم . قلت : يقول الله عز وجل « وأنا كنا نَقْعد منها مَقاعِدَ للسمع فمن يستمع الآن يجدْ له شِهاباً رَصَداً » قال : غلِّظت وشُدِّد أمرها حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقى: وهذا يوافق ظاهر القرآن لأنه قال خبرا عن الجن : « وأنا لمَسْنا السماء فوجَدْناها مُلئت حرساً شديداً وشُهبا »: وأخبرت الجن أنه زِيد فى حراسة السماء وشُهبها حتى امتلأت منها ومنهم . وفى ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حُرَّاس وشهب مُعَدَّة معهم .

واستدلوا أيضاً بما رواه مسلم عن ابن عباس قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الأنصار إذ رُمى بنجم فاستنار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل هذا فى الجاهلية إذا رأيتموه ؟ الحديث . وتقدم بتمامه .

واستدلوا أيضاً بما جاء فى أشعار العرب القديمة من ذكر ذلك ، كأَوْس بن حَجَر وعوف ابن الجذع وبِشْر بن أبى خازم .

---

(١) سورة الجن ٨ . (٢) سورة الملك ٥ .

ورجّح جماعةٌ الثانى[1] وهو الذى صَحَّ عن ابن عباس وبه قال أُبَىّ بن كعب والشّعْبى ونافع بن جُبَيْر وصححه أبو عثمان الجاحظ ومال إليه ابنُ الجَوْزىّ وغيره ، واستدلوا بأَنّ ذلك ظاهر الأَخبار لإنكار الشياطين للرمى وطلبهم سَبَبَه[2]. ولهذا كانت الكهانة فاشيةً فى العرب ومرجوعًا إليها حُكْمُهم ، حتى قُطع سببها بأَن حِيلَ بين الشياطين وبين استراق السمعْ .

وجمع المحققون بين الأَخبار فقال القرطبي : يُجْمع بأَنها لم يكن يُرْمَى بها قبل المبعث رميًا يقطع الشياطين عن استراق السمع ، ولكن تُرْمى تارةً ولا تُرمى أُخرى ، وترمى من جانب ولا ترمى من جانب ، ولا ترمى من جميع الجوانب . ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى « ويُقْذَفون من كلِّ جانب دُحُورًا » .

وقال فى موضع آخر : لا يبعد أَن يقال : انقضاض الكواكب كان فى قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رُجومًا للشياطين ثم صار رجومًا حين وُلد النبي صلى الله عليه وسلم[3] . انتهى. وفى هذا نظر .

وقال الحافظ : قد وجدت عن وهب بن مُنَبِّه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأَخبار . قال : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن يتقلب فيهنّ كيف شاء لا يُمْنع منذ أُخرج آدم إلى أَن رُفع عيسى عليه الصلاة والسلام فحُجب من أَربع سمٰوات ، فلما بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم حُجب من ثلاث ، فصار يَسْتَرق السمع هو وجنوده ويُقْذَفون بالكواكب .

ويؤيده ما روى الطَّبَرِىّ من طريق العَوْفِى عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد ، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم حُرست حرسًا شديداً ورُجمت الشياطين فأَنكروا ذلك .

ومن طريق السُّدّى قال : إنّ السماء لم تكن تُحرس إلا أَن يكون فى الأَرض نبىّ أَو دِين

---

(1) يريد الرأى الثانى فى قوله قبل : هل كانت الشياطين تقذف بالشهب قبل المبعث أم حدث القذف بهما بعده ...

(2) غير ط : بسببه .

(3) انظر تفسير القرطبى فى سورة الحجر الصافات والجن

ظاهر ، وكانت الشياطين قد اتخذت مقاعدَ يستمعون فيها ما يَحْدُث ، فلما بُعث محمد رَجمُوا .

وقال الإمام زين الدين بن المنيِّر رحمه الله تعالى : ظاهر الخبر أن الشهب كانت يُرْمَى بها ، وليس كذلك لما دل عليه حديث مسلم . وأما قوله تعالى: « فمن يستمع الآن يجدْ له شهابًا رَصَدًا » فمعناه أن الشهب كانت يرمَى بها فتصيب تَارَةً ولا تصيب أخرى وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرَّصد ، فإن الذى يَرْصُد الشيء لا يخطئه ، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها[1] .

* * *

الخامس : فى بيان غريب ما سبق :

الشهاب : تقدم بيانه .

عِلَاج : بكسر العين المهملة وبالجيم . أنْكَرها : يروى بالنون وبالباء الموحدة ، فمن رواه بالنون فمعناه : أدْهاها رأيًا من النَّكْر بفتح النون وهو الدهاء . ومن رواه بالباء فمعناه: أشدهم ابتداء لرأيٍ لم يُسْبق إليه ، من البُكور فى الشيء .

مَعَالِم النجوم : يعنى النجوم المشهورة .

الأنْواء: جمع نَوْء وهو بفتح النون مهموز الآخر ، وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب من الفجر وطلوع رَقِيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوماً . قال أبو عبيد : وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السَّنَة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا . قال أبو عبيد : ولم يُسمع فى الأنواء أنه السقوط إلا فى هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والريّاح والحرّ والبَرْد إلى الساقط منها . وقال الأصمعى : إلى الطالع منها فى سلطانه ، فيقولون مُطِرْنا بنَوْء كذا ونهى الشارع عن قول هذا اللفظ .

خَطِرَ : بخاء معجمة فطاء مهملة .

---

(١) تفسير الطبرى ٥٦/٢٩ (ط الميمنية) والخصائص الكبرى ٢٧٥/١ .

الباب الرابع

فى بعض ما سمع من الهواتف وتنكُّس الأَصنام

روى ابن سعد عن تميم الدرىّ قال : كنت بالشام حين بُعث النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى بعض حاجتى فأدركنى الليل فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى إذا مناد ينادينى لا أراه : عُذْ بالله فإن الجن لا تُجِير أحدًا على الله . فقلت : أَيِّمَ تقول ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأُمّيين رسول الله وصلَّينا خلفَه بالحَجُون وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيدُ الجن ورُميت بالشهب فانطلقْ إلى محمد وأَسْلم .

فلما أصبحت ذهبت إلى دَيْر أيوب فسألت راهبًا وأخبرته الخبر فقال : صدَق ، نجده يخرج من الحرَم ومُهَاجَره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشُّخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

[تفسير الغريب]

مَضْجَعى : بفتح الجيم ، وحكى الكسر .

أيم : قال فى النور : وجدته بخط ابن قُرْقول[2] مضبوطًا بفتح الياء وإسكان الميم وأظنه وهمًا ، والصواب بفتح الهمزة وتشديد الياء وإسكانها وهما لغتان . والميم مفتوحة . قال فى النهاية : أصله أىّ ما . أى : أىّ شىء هو ، فخفف الياء وحذف ألف ما .

الحَجُون : بفتح الحاء وضم الجيم : جبل بمكة .

دَيْر أيوب : قرية بحوران .

تُسْبَق : بضم أوله وفتح الموحَّدة مبنى للمفعول .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٣٧٣ . والخصائص الكبرى ١/٢٦٦ ، كلاهما عن أبى نعيم .

(٢) ابن قرقول : إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهرانى الحمزى عالم بالحديث من أدباء الأندلس . الأعلام ١/٧٦ .

الشُّخُوص : بضم الشين والخاء المعجمتين فواو ساكنة فصاد مهملة : يقال شخص من البلد شُخوصًا إذا ذهب . وأَشْخَصه غيرُه : أزعجه .

* * *

وروى البخارى[1] عن عبد الله بن عمر مختصرًا ، وابن إسحاق عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، وابن الجوزى عن محمد بن كعب القُرَظى ، وأبو يَعْلى ، والبيهقى والخرائطى عن سواد بن قارِب مطوَّلا قال ابن عُمَر ومحمد : إن عمر بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجلٌ من العرب ، قال الخُشَنى : وهو سواد بن قارب . انتهى . داخلٌ المسجدَ يريد عمرَ بن الخطاب ، فلما نظر عمر إليه قال : إن الرجل لَعلَى شِرْكه ما فارقه بعدُ أو لقد كان كاهنًا فى الجاهلية . فسلَّم الرجل[2] ثم جلس فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهنًا فى الجاهلية ؟ فقال له الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فىَّ واستقبلتنى بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ وليت ما وليت .

فقال عمر : اللهم غَفْرا قد كنا فى الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله تعالى برسوله وبالإسلام . قال: نعم يا أمير المؤمنين كنتُ كاهنًا فى الجاهلية .

قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبك .

قال : جاءنى قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه[3] . انتهى .

وقال سواد بن قارب : بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رَئِيِّى[4] فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب أتاك رسولٌ من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . فرفعت رأسى وجلست فأدبر وهو يقول :

عجبتُ للجنِّ وتَطْلا بهــــا ... وشَدِّهــا العِيسَ بأقتابهــــا
تَهْوِى إلى مكة تبغى الهُــدَى ... ما صــادقُ[5] الجنِّ ككذَّابهــا
فارحَلْ إلى الصفوةِ من هــاشمٍ ... ليس قُدَامَاهــا كأدبارهــا[6]

(١) ط : وروى عن عبد الله بن عمر .
(٢) ط : فلما سلم الرجل .
(٣) فى القاموس : « يقال : آتيك غدا أو شيعه أى بعده » .
(٤) ت ، م : إذ أتانى آت .
(٥) ص : ما مؤمنوا الجن .
(٦) ط : كأذنابهـا .

قال : فقلت دعني أنام فإني أمسيتُ ناعسًا .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وأخبارهـــــا ورَحْلها العِيسَ بأكْوارِهَـــا
تَهْوى إلى مكة تبغي الهُدَى ليس ذوو الشرِّ كأخيارهـــا
فارحلْ إلى الصفوة من هـاشم ما مؤمنوا الجن ككفارهـــا

قال : قلت دَعْني أنام فإني أمسيت ناعسًا . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسول من لُؤَيّ بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتَجْسَاســـها وشدِّها العِيسَ بأحْلَاسِـــها
تهوى إلى مكة تبغي الهـــدى ما خَيِّرُ الجـن كأنجاسِـــها
فارحل إلى الصفوة من هاشم وارم بعينيك إلى رَأْسِــــها

فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبي . فرَحلْتُ ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فدنوت منه فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات . فأنشأْت أقول :

أتاني رَئِيٌّ بعد هَدْءٍ ورَقْـدة ولم يكُ فيما قد بلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليـــلة أتاك رسولٌ من لؤيٍّ بن غالبِ
فشمَّرْت عن ذيلِ الإزارِ ووَسَّطتْ بي الذِّعْلب الوَجْناء بين السَّباسِبِ
فأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيره وأنك مأمونٌ على كل غائبِ
وأنك أدْنَى المرْسَلين وسيلةً إلى الله يا بن الأكرمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأْتيك من وَحْي ربِّنا وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذوائبِ
وكن لي شفيعًا حين لا ذو قرابة بمُغْنٍ فَتِيلا عن سوادِ بن قاربِ

قال : ففرح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُهُ بمقالتي فرحًا شديدًا حتى رؤى الفرحُ في وجوههم .

قال عبد الله : فقال عمر عند ذلك يحدِّث الناس : والله إني لَعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش يقال لهم آل ذَرِيح قد ذبح لهم رجل من العرب عِجْلا فنحن ننتظر قَسْمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العِجْل صوتا ما سمعت قط أنفذ منه وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه وهو يقول يا آل ذَرِيح . وفي لفظ : يا جَليح ، أمرٌ نَجِيح ، رجل فَصِيح يقول : لا إله إلا الله[1] .

وروى هشام بن محمد بن السائب عن عَدِيّ بن حاتم قال : كان لي عَسِيف من كلب يقال له حابس بن دُغُنَّة فبَيْنا أنا ذات يوم إذا به مروَّع الفؤاد فقال : دونك إبلك . فقلت : ما هاجك ؟ قال بَيْنا أنا بالوادي إذا أنا بشيخ من شِعْب جبل تجاهي كأن رأسه رَخَمة[2] فانحدر عما تَزِلُّ عنه العُقَابُ وهو مترسِّل غير منزعج حتى استقرت قدماه في الحضيض وأنا أعظم ما أرى فقال :

يا حابس بن دُغُنة يا حابس   لا تَعْرِضَنْ لفعلك[3] الوساوس
هذا سَنَا النور بكفِّ قابس[4]   فاجنح إلى النور ولا تُغابس[5]

قال : ثم غاب فروَّحت إبلي وسرَّحتها إلى غير ذلك الوادي ، ثم اضطجعت فإذا راكب قد ركضني فاستيقظت فإذا هو صاحبي وهو يقول :

يا حابس اسمع ما أقول تَرْشُدِ   ليس ضَلُولٌ حائرٌ كمُهْتَدِ
لا تتركن نَهْج الطريق الأقصدِ   قد نُسخ الدِّين بدين أحمدِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٩/١ ، والاكتفا للكلاعي ٢١٩/١ ، والوفا لابن الجوزي ص ١٥١ ، والخصائص الكبرى ٢٥٣/١ عن البيهقي ، ثم قال السيوطي : هذا الحديث له عدة طرق ، فأخرجه ابن شاهين في الصحابة من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيدل عن أنس بن مالك قال : دخل سواد بن قارب على النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر القصة بطولها . وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده ، وأخرجه البخاري في تاريخه ، والبغوي ، والطبراني من طريق عبّاد بن عبد الصمد . إلى آخر ما قال .

(٢) الرخمة : واحدة الرخم ، وهو طائر .

(٣) غير ص : لا تعرضن إليك الوساوس ، موافقاً لخصائص الكبرى . وما في ص هو الصواب .

(٤) الخصائص : بكف القابس .   (٥) الخصائص : فاجنح إلى الحق ولا تُوالس .

قال : فأغمى علىّ ثم أفقت[1] .

وروى ابن دُرَيْد فى الأخبار المنثورة عن ابن الكلبى قال : كان خُنَافر بن التوأم كاهنًا ، فنزل واديًا مُخْصبًا وكان له رَئِىّ فى الجاهلية ففقده فى الإسلام قال : فبينا أنا ليلة فى الوادى إذ هوَى علىّ هُوِىَّ العُقَاب قال خنافر : فقلت : شصار ؟ قال : اسمع أقل . قلت : قل أسْمع . قال : عِهْ تَغْنم لكل ذى أَمَد نهاية ، وكل ذى ابتداء إلى غاية . قلت : أجل . قال : كلُّ دولةٍ إلى أجَل ، ثم يتاح لها حِوَل ، وقد انتُسخت النِّحَل ورجعت إلى حقائقها المِلَل ، إنى آنست بالشام نفرا من آل العوام[2] ، حُكَّاما على الحكام ، يردِّدون ذا رَوْنق من الكلام ، ليس بالشعر المؤلَّف . ولا السَّجْع المتكلَّف ، فأصْغَيْت فزُجرت ، فعاودتُ فظُلعت ، فقلت : بم تُهَيْنمون ، وإلام تَعْتزُون ، فقالوا خِطَاب كبار . جاء من عند المَلِك الجبَّار ، فاسمع ياشصار ، لأصْدق الأخبار ، واسلك واضح الأخيار[3] ، تَنْجُ من أُوَار النار.

فقلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فُرْقان بين الكفر والإيمان . أتى به رسولٌ من مُضَر ، ثم من أهل المَدَر ، ابتُعث فظهر . فجاء بقولٍ قد بَهَر ، وأوضحَ نَهجًا قد دَثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر .

قلت : ومن هذا المبعوث بالآى الكُبر . قال : أحمد خير البشر ، فإن آمنت أعطيت الشَّبَر ، وإن خالفت أُصْليت سقَر ، فآمنتُ ياخنافر وأقبلت إليك أبادر فجانِبْ كل نَجِس كافر ، وشايعْ كلَّ مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق . قال : فاحتملت حتى أتيت معاذَ بن جبل بصنعاء فبايعته على الإسلام وفى ذلك أقول :

ألم تـر أنّ الله عـادَ بفضـله ... وأنقذ من لَفْح الجحيم[4] خُنَافرَا

دعانى شِصَار للتى لو دفَعْتهـا ... لَأُصليت جَمْرا من لظَى الهول جائرا[5]

• • •

(1) الخصائص ٢٦٣/١ . وزاد بعده : وقد امتحن الله قلبى للإسلام .

(2) كذا بالأصول وفى الاكتفا للكلاعى والأمالى للقالى : من أهل العزام ، والعزام : قبيلة باليمن .

(3) كذا ، ورواية الاكتفا والأمالى : واسلك أوضح الآثار .

(4) الأمالى والاكتفا : من لفح الزخيخ . والزخيخ : النار بلغة أهل اليمن .

(5) الأمالى والاكتفا : من لظى الهوب واهراً . والهوب : النار بلغة اليمن . والواهر : الساكن مع شدة الحر . هذا ورواية الخبر بأبسط من هذا فى الأمالى للقالى ١٣٢/١ – ١٣٤ والاكتفا للكلاعى ٢٢٨/١ – ٢٣١ .

وروى محمد بن عمر الأسلمى وأبو نعيم وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكون إلى أصنامهم، فبينما هم عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام ومُسْندوا الحُكْم إلى الأصنام
أكلكم أَوْرَهُ كالنعام[1] ألا ترون ما أرى أمامى
من ساطع يَجْلو دُجَى الظلام ذاك نبىٌّ سيد الأنام
أعدل ذى حكم من الأحكام[2] يَصْدع بالنور وبالإسلام
من هاشم فى ذِرْوة السَّنام مُسْتعلن بالبلد الحرام
جاء بِهَدْم الكفر بالإسلام أكرمه الرحمنُ من إمام

قال أبو هريرة : فأمسكوا ساعةً حتى حفظوا ذلك ثم تفرَّقوا ، فلم يمض بهم ثلاثٌ حتى فَجأهم خبرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة[3] .

وروى ابن شاهين عن أبى خَيْثمة عبد الرحمن بن أبى سَبْرة قال : كان لسَعْد العَشيرة صنم يقال له فَرَّاض يعظِّمُونه وكان سادنُه رجلاً منهم يقال له ابن وقشة قال عبد الرحمن فحدثنى ذُبَاب بن الحارث قال : كان لابن وقشة رَئِىٌّ من الجن يخبر بما يكون فأتاه ذات ليلة فأخبره بشىء فنظر إلىّ فقال : يا ذباب اسمع العجب العُجَاب ، بُعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب . فقلت له ما هذا ؟ قال : لا أدرى كذا قيل لى . فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بمَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت وثُرت إلى الصنم فكسرته ثم أتيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ وقلت فى ذلك :

تَبِعْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدَى وخلَّفت فَرَّاضا بدارِ هوانِ
ولما رأيت الله أظهر دينَه أجبتُ رسولَ الله حين دعانى[4]

* * *

(١) الاكتفا : كالكهام .
(٢) كذا وفى تهذيب ابن عساكر : عن احكام .
(٣) الاكتفا ١/٢٢٣ ، عن الواقدى ، وتهذيب ابن عساكر ١/٣٦٥ ، عن ابن إسحق .
(٤) الخصائص ١/٢٥٨ ولم يذكر الشعر .

وروى الخرائطي عن سفيان الهذلي قال : خرجنا في عِير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعان وقد عَرَّسنا إذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النُّيَّام هُبُّوا فليس هذا بحينِ رقاد ، وقد خرج أحمد وطُردت الجن كلَّ مَطْرد . ففزعنا ونحن رُفْقة حَزَاورة كلهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون خروجَ النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن عبد الله العُمَاني أن مازِنًا الطائي كان بأرض عُمَان ، وكان يَسْدن الأصنامَ لأهله ، وكان له صنم يقال له بادر[1] . قال مازن : فعتَرْتُ ذات يوم عَتِيرةً ، وهي الذبيحة ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازِن أقبلْ إليّ أقبل ، تَسْمع ما لا يُجْهَلْ ، هذا نبيٌّ مُرْسَل ، جاء بحقٍّ مُنْزَل ، فآمن به كي تَعْدِلْ[2] ، عن حرِّ نارٍ تُشْعَلْ ، وقودُها بالجَنْدل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لَعجب . ثم عتَرْت بعد أيام عتيرة أُخرى فسمعت صوتا أبْيَن من الأول وهو يقول :

يا مازنُ اسمع تُسَرّ ، ظهرَ خيرٌ وبطَن شَرّ
بُعث نبي من مُضَر ، بدين الله الكُبَر[3]
فدع نَحِيتًا من حَجر ، تَسْلم من حَرّ سَقَرْ

قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجب وإنه لَخيرٌ يراد بي . وقدِم علينا رجل من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ قال : خرج رجل بتِهامة يقول لمن أتاه : أجيبوا داعي الله يقال له أحمد . فقلت : هذا والله نبأُ ما سمعتُ . فرحلت حتى أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الإسلامَ فأسلمت وقلت :

(١) كذا في ط ، ص . وفي ت ، م : بارد . وفي الاكتفا للكلاعي : ياجر . وفي دلائل النبوة لأبي نعيم : باحر . وفي دلائل النبوة للبيهقي : باجر .

(٢) الاكتفا : كي تعزل .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم : بدين الله الأكبر ، وهي كذلك في نسخة من الاكتفا .

كسَّرتُ بادرَ[1] أجْذاذً أوكان لنــا   ربًّا نُطيف بـه ضــلاً بتَضْـلالِ
بالهــاشمىِّ هــدَانا من ضلالتنــا   ولم يكن دِينُــه منىِّ على بــالِ
يا راكبًا بلِّغَنْ عَمْرا وإخوتهـــــا   أنىِّ لمن قــال ربى بادِرٌ قــالِى

قال مازن : فقلت : يا رسول الله إنى امروٌ مُولَع بالشراب والطَّرَب وشُرْب الخمر والهَلُوك من النساء وألحَّت علينا السِّنون فأذْهبن الأموال وأهْزَلن الذَّرارى والرجال وليس لى ولد ، فادع الله أن يُذْهب عنى ما أجد ويأتينى بالحَيَا ويهب لى ولدًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبْدله بالطرب قراءةَ القرآن وبالحرامِ الحلالَ وأته بالحَيَا ، وهَبْ له ولدًا . قال مازن : فأذهب الله عنى كلَّ ما كنت أجد ، وأخْصبَ عُمَان وتزوجتُ أربعَ حرائر ووهب لى حيانَ بن مازن وأنشأت أقول :

إليـك رسـولَ الله سُقْتُ مطيَّتى   تَجُوب الفَيَافى من عُمَان إلى العَرْجِ
لتَشْفع لى يا خير من وَطِئَ الثَّرَى   فيغفر لى ربِّى فأرجـعَ بالفَــلْجِ
إلى معشر خالفتُ فى الله دينَهم   فلا رأيُهم رأيى ولا شَرْجهم شَرْجِى
وكنت امرءًا بالزعْب[2] والخمر مُولعا   شبابى حتى آذَن الجسمُ بالنَّهْجِ
فبدَّلنى بالخمـر خوفًـا وخَشْية   وبالعَهْر إحصانًا فحصَّن لى فَرْجِى
فأصبحتُ همِّى فى الجهاد ونيتى   فلِلَّه ما صَـوْمى ولِلهِ ما حَجِّى[3]

* * *

وروى ابن سعد وأبو نُعيم عن نفيل[4] بن عمرو الهذلى قال : ذبحتُ ذبيحة على صنم فسمعت من جوفه : العجبُ كل العجب ، خرج نبىٌّ من بنى عبد المطلب ، يحرِّم الزنا ويحرم الذبح للأصنام ، وحُرِسَت السماء ورُمينا بالشُّهب . فتفرقنا فقدمنا مكةَ فلم نجد من يخبرنا بخروج محمد[5] صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصدِّيق فقلنا يا أبا بكر

---

(١) المراجع : ياجر .
(٢) الاكتفا : باللهو . وانظر تفسير هذه الكلمات فى التنبيهات آخر هذا الباب .
(٣) الاكتفا ٢٢٦/١ ، عن ابن الكلبى . والوفا لابن الجوزى مختصراً ص ١٥٥ ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٦ والخصائص ٢٥٦/١ .
(٤) ابن سعد : عن سعيد بن عمرو الهذلى .
(٥) ط : بخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

خرج بمكة أحد يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟ قال : وماذاك ؟ فأخبرته الخبر . قال : نعم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وهو رسول الله(1) .

وروى أبو سعد النيسابورى فى الشرف عن جَنْدل بن نَضْلة(2) أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال كان لى صاحب من الجن فأتانى فدهمنى وقال :

هُبَّ فقد لاحَ سراجُ الدينِ بصادقٍ مهذَّب أمينِ
فارحَلْ على ناجيَةٍ أمُون تَمْشى على الصَّحْصح والحُزُونِ

فانتبهت مذعورا فقلت : ماذا ؟ فقال : وساطح الأرض ، وفارضِ الفرض لقد بُعث محمد فى الطول والعرض ، نشأ فى الحُرمات العِظَام ، وهاجر إلى طَيبة الأمينة . فسِرْت وإذا بهاتف يقول :

يا أيها الراكب المزجِي مَطِيَّته نحوَ الرسولِ لقد وفِّقْت للرَّشَدِ(3)

* * *

وروى البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله خرجتُ فى الجاهلية أطلب بعيرًا لى شَرد فهتف بى هاتف فى الصبح يقول :

يا أيها الراقدُ فى الليل الأجَمّ قد بَعث الله نبيًّا فى الحرَمْ
من هاشمٍ أهل الوفاء والكَرم يجلو دُجُنَّات الدَّياجِى والظُّلَمْ

فأدَرْتُ طَرْفى فما رأيت له شخصا فقلت :

يا أيها الهاتف فى داجى الظُّلَم أهلا وسهلا بك من طَيْف ألَمّ
بَيِّن هداك الله فى لَحْن الكَلِمْ ماذا الذى تدعو إليه تغتنمْ

وإذا أنا بنَحْنَحة قائل يقول: ظهر النُّور وبطل الزُّور وبُعث محمد بالحبُور ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى لم يخلق الخَلْق عَبثْ
أرسَل فينا أحمدًا خير نبيٍّ قد بُعثْ

---

(1) طبقات ابن سعد ١٦٧/١ .
(2) ط : ابن نفلة .
(3) الخصائص ٢٦٢/١ .

صـــلى عليـــه الله مـــا حَجَّ لـه رَكْبُ وحَثْ

ثم لاح الصباح فوجدت البعير[1] .

* * *

وروى أبو سعد النيسابورى فى الشَّرَف عن الجعْد بن قيس قال : خرجنا أربعة أنفس نريد الحج فى الجاهلية ، فمررنا بواد من أودية اليمن ، فلما أقبل الليل استَعَذْنا بعظيم الوادى وعقَلنا رواحلَنا فلما هدأ الليل ونام أصحابى إذا هاتف من بعض أرجاءِ الوادى يقول :

ألا أيها الرَّكْبُ المعــرِّس بلِّــغوا إذا مـا وقفــتم بالحَطِيـم وزَمْزَما

محمـــدًا المبعـوثَ منـا تحيـةً تشيِّعه من حيث ســار ويَمَّمَــا

وقولوا له إنا لِدينـــك شيعـــةٌ بذلك أوصانا المسيحُ ابنُ مَرْيما[2]

وروى أبو نعيم عن خُوَيْلد الضَّمْرى قال : كنا عند صنم جلوسا إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح : ذهب استراقُ السمع ورُمِى بالشُّهب لنبي بمكة اسمه أحمد ومُهَاجَره إلىيَثْرب يأْمر بالصلاة والصيام والبرّ وصلة الأَرحام فقمنا من عند الصنم فسأَلنا فقالوا : خرج نبيّ بمكة اسمه أحمد[3] .

وروى ابن جرير والطبرانى وابن أبى الدنيا وأبو نُعيم والخرائِطى عن العباس بن مِرْداس السُّلَمى رضى الله تعالى عنه قال : كان أول إسلامى أن أبى لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم له يقال له ضِمَّار فجعلته فى بيت وجعلت آتيه كلَّ يوم ، فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم كنت فى لِقَّاح لى نصفَ النهار إذ طلعت علىَّ نعامة بيضاء مثل القُطْن عليها راكب أبيض عليه ثياب بيض فقال : يا عباس بن مِرْداس ألمْ تر أن السماءَ كفت[4] حُرَّاسها ، وأن الحرب جَرعت أنفاسَها ، وأن الخيل وضعت أحلاسَها ، وأن الذى جاء بالبرّ والتقى يوم الاثنين فى ليلة الثلاثاءِ صاحب الناقة القَصْواء .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٥٧/١ ، فى خبر طويل ثم قال آخره : هذا حديث غريب . والخصائص الكبرى ٢٧٠/١ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٧٠/١ . (٣) الخصائص الكبرى ٢٦٧/١ .

(٤) الخصائص : حفت حراسها .

فخرجت مَرْعوبًا قد راعنى ما سمعتُ وما رأيت ، حتى جئت وثنَنا ضِمَار وكنا نعبده ونُكَلَّم من جوفه ، فدخلت فكنَسْتُ ما حَوْله ثم تمسحت به وقبَّلته فإذا صائح من جوف الصنم بالليل وهو يقول :

قـل للقبائل من سُلَـيْم كلهـا ... هلَك الأَنيسُ وعاش أهـلُ المسجـدِ
أَوْدَى ضِمَـار وكان يُعْبـد مـرةً ... قَبْـل الكتابِ إلى النـبىِّ محمـدِ
إن الـذى ورث النبـوةَ والهُـدَى ... بعد ابن مريم من قريش مُهْتـدِى

قال : فكتمته الناسَ فلم أحدِّث به أحدًا فلما رجع الناس من غزوة الأحزاب ، فبينا أنا فى إبلى بطريق العَقِيق من ذات عِرْق راقد سمعتُ صوتا شديدا فرفعت رأسى فإذا رجل على جناح نعامة وهو يقول : النور الذى وقع يوم الاثنين ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العَضْباء فى دار بنى أخى العنقاء . فأجابه هاتف على شماله أبْصره :

بشِّر الجن وأبْلَاسَها ، أن المطىَّ قد وضعت أحلاسها ، وكلأَتْ السماء حُرَّاسها .

قال : فوثبتُ مذعورا وعلمت أن محمدا مرسل .

وقدِمت على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ وأنشدته شعرا قلته وهو :

لعَمْرك إنى يومَ أجعـلُ جاهـلاً ... ضِمَارًا لرب العـالمين مشـاركَا
وتَرْكى رسولَ الله والأوسُ حولَـه ... أُولئِـك أنصـارٌ له مـا أولائـكا
كتارك سَهْلَ الأرضِ والحَزْنَ يبتغى ... لِيَهْلكَ فى كل الأمور المهـالـكَا
فآمنتُ بالله الـذى أنـا عَبْـدُه ... وخالفتُ من أمْسَى يريـد المهالكا
ووجهتُ وجهى نحو مكة قاصـدا ... أُبـايع بـين الأخشبـين المبارَكَـا
نبىٌّ أتى من بعـد عيسى بنـاطـقٍ ... من الحق فيـه الفَضْل فيـه كذلـكا
أمـينٌ عـلى الفرْقان أولُ شـافـع ... وأول مَبْعـوث يجـيب المـلائِـكَا
تَلاقى عُرَى الإيمـان بعـد انتقاضها ... فأحكمها حـتى أقام المنـاسـكَا(١)

* * *

(١) خبر العباس بن مرداس هذا فى الاكتفا ٢٣٢/١ مختصراً ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٩ ، والوفا لابن الجوزى ١٥٧/١ مختصراً ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٥٨/١ عن الخرائطى وأبى نعيم ، والخصائص الكبرى ٢٦٨/١ .

وروى أبو نُعيم عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع بالمعلاة تدين له هُذَيْل وبنو ظُفَر من سُلَيْم فأرسلتْ بنو ظفر راشدَ بن عبد ربه بهدية بنى سُليم إلى سُوَاع ، قال : فأتيته فألفيت مع الفجر إلى صنم قَبْل سُوَاع فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العجَب كلّ العجب ، خروج نبي من بنى عبد المطلب يحرم الزنا والربا والذبح للأصنام ، وحُرست السماء ورُمينا بالشُّهب ثم هتف صنم آخر من جوفه : تُرك الضِّمارُ وكان يُعْبد، وخرج نبي اسمه أحمد ، نبي يصلى الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام والصلة للأرحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إن الـذى ورَث النبـوةَ والهـدى بعد ابن مريم من قريش مُهْتـدِى

قال راشد : فألفيت عند سواع مع الفجر ثعلبين يلحسان ماحوله ويأكلان مايُهْدَى إليه ثم يعرّجان عليه ببولهما فعند ذلك يقول راشد :

أَرَبٌّ يَبُـول الثُّعْلبـانِ برأسـه لقـد ذلَّ من بالت عليـه الثعالبُ

وذلك عند مَخْرج النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

* * *

وروى ابن الجوزى عن بشير الهُذلى قال : خرجنا فى عِيراتنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعَان وقد عرّسنا من الليل إذا نحن بفارس يقول : أيها الناس هُبُّوا فليس هـذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد وطُرد الجن كلَّ مَطْرد . ففزعنا ونحن رُفْقة [حَزاورة] [2] كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش بسبب نبيّ قد خرج من بنى عبد المطلب اسمه أحمد[3] .

وروى الرُّويانى وابن عساكر عن خُرَيْم بن فاتك ، والطبرانى وابن عساكر من طريق آخر عنه ، قال : بينا أنا فى طلب نَعم لى إذ جَنَّنى الليلُ بأبْرق العذيب فناديت بأعلى صوتى : أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهائه . وإذا هاتف يقول :

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٨١ ، والوفا ص ١٥٧ .

(٢) من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٠ . والحزاورة جمع حزور وهو الرجل القوى .

(٣) الوفا ص ١٥١ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٠ . والخصائص ٢٥٩/١ .

وَيْحك عُـذْ بالله ذى الجـلالِ ... مـنزِّل الحـرام والحـلالِ
ووحِّـد الله ولا تُبَـالى ... ما كَيْـد ذى الجن من الأَهـوالِ
إنْ تَذْكر الله عـلى الأَميـال ... وفى سُهول الأَرض والجبـالِ
قـد صار كَيْـد الجن فى سفَالِ ... إلا التُّقَى وصـالح الأَعمـال

فقلت له :

يا أَيهـا الهـاتف ما تقـولُ ... أَرَشَـد عنـدك أَم تضليـلُ

فقال :

هـذا رسولُ الله ذو الخـيراتِ ... جـاء بياسـين وحاميماتِ
وسُـوَر بعـدُ مفصَّـلات ... يأْمر بالصـلاة والزكـاةِ
ويَزْجر الأَقـوامَ عن هنـات ... قـد كُنَّ فى الأَنـام مُنْـكراتِ

[فقلت : من أَنت ؟]

فقال : أَنا مالك بن مالك الجنى .

وفى رواية الرُّويانى [عن][1] عمرو بن أَثال [قال][1] : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جن نجد فانبعثت راحلتى فقلت :

أَرْشدنى راشد هُديتَ ... لا جُعْتَ ولا عَرِيت
ولا برحتَ سيِّدا مُقِيتَا

قال فاتبعنى وهو يقول :

صاحبك الله وسَـلَّم نفسـكا ... وبلَّغ الأَهـل وأَدَّى حِلْـكًا[2]
آمن به أَفـلح ربى حَقَّـكا ... وانصـره أَعـزَّ ربى نَصْـرَكًا

فقلت : لوكان لى من يكفينى إبلى هذه لأَتيته حتى أُومن به . قال : أَنا أَكفيكها حتى أُؤديها إلى أَهلك سالمة . فاعتقلتُ بعيرًا منها ثم أَتيت المدينةَ فوافيتُ الناسَ يوم الجمعة وهم فى الصلاة فقلت : يَقْضُون الصلاةَ ثم أَدخل ، فبينا أَنا أُنيخ راحلتى إذ خرج إلىّ أَبو

---

(١) زيادة متعينة .

(٢) فى سيرة ابن كثير : صاحبك الله وأَدى رحلكا ... وعظم الأَجر وعافى نفسكا

ذَرّ. وعند الرُّويانى : أبو بكر الصديق - فقال : ادخل فقد بلغنا إسلامُك . قلت : لا أُحْسن الطُّهُور فعلَّمنى فدخلت المسجدَ ورسول الله صلى الله دعليه وسلم يخطب على المنبر كأنه البَدْر وهو يقول : «ما من مسلم توضأ فأحسنَ الوضوء ثم صلَّى صلاة يحفظها ويَعْقلها إلا دخل الجنة» .

فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما فعل الشيخُ الذى ضَمن لك أن يؤدِّى إبلك إلى أهلك سالمةً ؟ أمَا إنه قد أدَّاها إلى أهلك سالمة . قلت : رحمه الله . قال : أجل رحمه الله تعالى[1] .

* * *

وروى الأموى والفاكهى وأبو نعيم عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما قالا : لما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبى قُبَيْس فقال :

قبَّح اللهُ رأى كعبَ بن فِهْر[2] ... ما أرقَّ العقولَ والأحــلامْ
دِينها أنهـــــا تعنِّف فيها[3] ... دِينَ آبائها الحماة الكرام
حالَف الجن جنَّ بُصْرى عليـكم ... ورجالَ النخيل والآطـــــامْ
توشك الخيلُ أن تَروْها تهـــادَى ... تقتل القومَ فى حَرام بهامْ
هل كريمٌ منكم له نفس حُــــرٍّ ... ماجد الوالدين والأعمـــام
ضارب ضربةً تكون نكـــــالا ... ورَواحا من كُرْبة واغتمامْ

فأصبح هذا الحديثُ قد شاع بمكة ، وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم وقالوا: توانيتم حتى حرَّضتكم الجنُّ وهمُّوا بالمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا شيطان يكلِّم الناس يقال له مِسْعر ولم يُعْلن شيطان بتحريض نبي إلا قتله الله تعالى. فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

---

(١) الوفا ص ١٥٤ ، وسيرة ابن كثير ٣٧٩/١ ، ٣٨١ عن الأموى والطبرانى ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٢ .
(٢) ابن كثير عن الأموى : قبح الله رأيكم آل فهر .
(٣) ابن كثير عن الأموى ـ حين تغفى لمن يعيب عليهـا ـ . دين آبائهـا . . . .

نحن قتلنـــا مِسْعَـــرا لمـــــا طغَى واستكبرَا

وسفَّه الحقَّ وسنَّ المنكَـــرا بشَتْمه نبيِّنـــا المطهَّرا

قنَّعتُه سَيْفا جـــروفا أبترا[1] إنَّا نَذُود من أراد البَطَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا كم عفريت من الجن يقال له سمحج وقد سميته عبدَ الله آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام حتى قتله[2]

* * *

وروى ابن عساكر عن زَمَيْل ويقال زَمْل بن عمرو العُذْرى ، قال : كان لبني عُذْرة صنم يقال له خُمام[3] ، وكانوا يعظِّمونه وكان سادنُه يقال له طارق وكانوا يَعْتِرون عنده ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول : يا طارق ياطارق ، بُعث النبي الصادق ، بوحيٍ ناطق ، صدَع صدعته بأَرض تهامة ، لناصرِيه السلامة ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة .

قال زَمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زمل : فابتعتُ راحلةً ورحلت عليها حتى أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى فأنشدته شعرا قلته :

إليك رسولَ الله أعملت نصَّهـــا أكلِّفها نَصًّا وَقوْزًا[4] من الرَّمْلِ

لأنصر خيرَ الخَلْق نصرًا مؤزَّرا وأعقد حبلا من حبالكَ فى حَبْلى

وأشهد أن الله لا شي غيـــره أدِين له ما أثقلَتْ قدمىنَعْلِي[5]

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة قال : لما بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أصبح كلُّ صنم منكَّسًا فأتت الشياطينُ إبليسَ فأخبروه فقال : هذا نبى قد بُعث فالتمسوه. فقالوا : لم نجده فقال : أنا صاحبه . فخرج إبليس فوجده بمكة فرجع إلى الشياطين فقال : قد وجد ومعه جبريل[6] .

(١) ابن كثير : قنعته سيفاً حساماً شهراً .
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧١ ، وسيرة ابن كثير ٣٧٠/١ ، والخصائص الكبرى ٢٦٠/١ .
(٣) ابن كثير : حمام . (٤) ابن كثير : وغورا .
(٥) سيرة ابن كثير ٣٦٨/١ .
(٦) الخصائص الكبرى ٢٧٣/١ .

وروى أيضا عن مجاهد قال : رنَّ إبليس أربع مرات : حين لُعن وحين أُهْبط وحين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وحين أُنزلت الحمد لله رب العالمين[1] .

والآثار فى هذا الباب كثيرة[2] .

[تفسير الغريب]

سَواد : بفتح السين المهملة وواو مخففة فألف فدال مهملة .

قارِب : بقاف فألف فراء مكسورة فموحدة .

الكاهن : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويَدَّعى معرفةَ الأَسرار .

شهر أو شَيْعه : بشين معجمة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة . فعين مهملة مكسورة يعنى أو دُونه بقليل .

يا سواد بن قارب : يجوز فتح سواد وضمه ونصب ابن وضمه وهو قليل .

تَطْلا بها : بفتح المثناة الفوقية :

العيس : بعين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة ، وهى الإبل البيض مع شُقْرة واحدها أَعْيَس وعَيْساء وهى منصوبة على أنها مفعول المصدر وهو الشدُّ .

الصَّفوة : بتثليث الصاد ، وهو خلاصة الشيء ، وخياره ، والمراد النبي صلى الله عليه وسلم.

أَنام : هذا جائز فى جواب الأَمر والأكثر أَنَمْ وكذا التى بعدها .

اعْقِل : بكسر القاف ، وكذا يعقل الثانية ، والوصل[3] .

لؤى : بالهَمْز وتركه .

تَخْبارها : بمثناة فوقية مفتوحة .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/٢٧٣ .

(٢) وأكثرها بعيد عن الصحة . وإن الإسلام الذى يعتمد على دلائل العقل وشواهد التاريخ ، لا يحتاج فى إثبات صدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى على عبادة الأوثان فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !

(٣) يريد أن الهمزة فى قوله : « اعقل » ؛ همزة وصل .

كَكُفارها : بضم الكاف .

تَجْساسها : بتاء مفتوحة فوقية فجيم فسين فألف فسين أخرى مهملتين والتجسُّس : التفتيش عن بواطن الأُمور .

الأَحْلاس : بحاء وسين مهملتين جمع حِلْس وهو الكساء الذى يلى ظهرَ البعير تحت القتب .

ماخيِّر : بتشديد الياء وتخفيفها ، ولا يجوز هنا للوزن .

رحَلْت ناقتى : بتخفيف الحاء أى جعلت عليها رحْلَها .

ثم أتيت المدينة : كذا فى رواية . وفى رواية : حتى أتيت مكة . قال البيهقى : وهذه الثانية أقرب إلى الصحة من الأُولى .

هات بكسر التاء أى أعطنى .

أَنشأت : ابتدأت .

هَدْى : بهاء مفتوحة فدال مهملة ساكنة فهمزة . والهَدْى والهَدْأة بمعنى ، تقول : جاءنى بعدهَدْى وبعد هدأة . أى بعد ثلث من الليل أو رُبْعه وبعد ما هدأ الناسُ أى ناموا .

بلَوْت : اختبرت . الذِّعْلب : بذال معجمة مكسورة فعين مهملة ساكنة فلام مكسورة فموحدة وهى الناقة السريعة وكذا الذِّعلبة .

الوَجناء : بواو مفتوحة فجيم ساكنة فنون فألف ممدودة وهى الغليظة الصُّلْبة وقيل العظيمة الوجنتين .

السَّبَاسب : بسينين مهملتين الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل سين باء موحدة وهى المفازة أو الأَرض المستوية .

أَدْنى : أَقرب .

الوسيلة : ما يتقرَّب به إلى الغير .

آل ذَريح : بذال معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة . قال السُّهيلى : وكأنه نداءٌ للعجل المذبوح كقولهم : أَحَمْر ذَرِيحىّ أى شديد الحمرة فصار

وصفًا للعجل الذبيح من أجل الدم . ومن رواه : « يا جَلِيح ؛ فمآله إلى هذا المعنى لأن العجل قد جُلح أى كشف عنه الجلد .

وذكر قبله[1] : يا جليح ونقل عن بعض أشياخنا أنه اسم شيطان ، والجليح فى اللغة : ما تطاير من رءوس النبات وخفَّ ، كالقطن وشِبهه ، الواحدة جلحة ، ثم ذكرما تقدم[2]

وقال ابن الأثير فى النهاية : جَليح اسم رجل قد ناداه[3] .

العَسِيف : الأجير .

دُغنَّة : بدال مهملة فغين معجمة فنون فهاء

مُرَوَّع الفؤاد : خائف القلب . .

هاجَك : فزعك وأثارك من مكانك .

الحضيض : القرار . من الأرض عند منقطَع الجبل .

القابس : طالب النار .

خُنَافر : بخاء معجمة فنون فألف ففاء فراء .

شِصَار : بشين معجمة فصاد مهملة مخففة .

يتاح : يقدَّر .

حِوَل : تحوُّل .

انتُسخت : زالت .

النِّحَل : بكسر النون وفتح الحاء : الملل .

آنست : بمد الهمزة . أبصرت .

العدام[4] .... الخفى[4] .

---

(١) يريد السهيلى فى الروض الأنف .

(٢) الروض الأنف ١/١٣٩ (ط الجمالية) .

(٣) النهاية لابن الأثير « جلح » ١/٢٨٤ (تحقيق الطناحى) .

(٤) كذا بالأصل وبعدها بياض وقد سبق فى النص: العوام ، وذكرنا هناك أن رواية ابن دريد ؛ العزام . أما قوله: الخفى . فقد يكون تفسيرا لقوله « تهينمون » الآتى بعد وفيه : الهينمة : الصوت الخفى .

الرَّونق : الحسن .

أصغيت : استمعت .

زُجِرت : بضم أوله من الزجر . تُهَيْنمون : الهَيْنمة : الصوت الخفى .

إلام تَعْتزون : تنتسبون .

كُبَار : بضم الكاف يقال كبير وكُبَار بالتخفيف أى عظيم ، فإذا أفرط فى العظَم قيل : كُبَّار . بالتشديد .

أُوَار النار : بضم الهمزة : حَرّها . المدَر هنا : القرى والأمصار .

ابتُعِث : بباء موحدة ساكنة فمثناة فوقية مضمومة من البعث .

بَهرَ : غلَب غيره وفَضَله .

النَّهْج : الطريق الواضح .

دَثَر : درس . الشَّبَر : بشين معجمة فباء موحدة مفتوحات فراء : العطية .

شايِعْ : فعل أمر : تابع وانصر .

الأَوْرَه : بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة فهاء لا تاء : هو الحَمِقُ[1] وقيل الخَرِقُ ورجل أَوْرَه وامرأة وَرْهاء ، وقد وَرِهتْ تَوْره .

الكهَام : بكاف مفتوحة فهاء مخففة : السيف الكَليل . ولسانٌ كهام أى عَيِيّ أو كليل لم يُغْن شيئا . وفرس كهام : أى بطىء ـ وكأَنّ ذا فى الأَصل ـ والله تعالى أعلم ـ مأْخوذ من هذا ، فيكون معنى الكلام : أَكُلُّكم أحمق أو أَخْرق عَيِيّ أو كَلِيل لم يُغْن شيئاً ، أو بطىء عن الحق .

الدُّجَا : بدال مهملة مضمومة فجيم فألف الليل المظلم .

الذُّروة : بضم الذال المعجمة وكسرها أَعْلَى الشىء .

بهَدّ[2] : بفتح الهاء وتشديد الدال .

---

(١) فى كتب اللغة أن الأوره هو الأحمق ، وأن الوره ، كالفرح ، هو الحمق . قال فى القاموس : وره كفرح : حمق ، والنعت أوره ورهاء .

(٢) كذا والذى سبق : الهدم .

فجأهم بغتة : بجيم مكسورة[1] فهمزة مفتوحة أى جاءهم بَغْتة .

قرّاض : بقاف فراء مشددة فألف فضاد معجمة ساقطة .

ذُبَاب : بلفظ الطائر المعروف .

مازن : بميم فألف فزاى فنون .

الغَضُوبة : بغين مفتوحة فضاد معجمة فواو ساكنة فموحدة مفتوحة فتاء تأنيث .

السادن : الخادم .

العَتِيرة : بعين مهملة مفتوحة فمثناة فوقية فتحتية ساكنة فراء فتاء تأنيث وهى شاة كانوا يذبحونها فى رجب لأصنامهم .

تُسرّ : بضم المثناة الفوقية وفتح السين المهملة مبنى المفعول .

الكُبَر : بضم الكاف وفتح الموحدة جمع كُبْرى ، وفى الكلام حذف مضاف محذوف تقديره شرائع دِينِ الله الكُبَر .

أَقبلْ إلىّ أَقبل : بفتح الهمزة وكسر الموحدة فيهما .

ما لا يُجْهَل : بالبناء للمفعول .

فآمن به : بمد الهمزة وكسر الميم ، من الإيمان .

يُعْدَل : بالبناء للمفعول . وكذا تُشْغَل .

وَقُودها : بفتح الواو ما توقد به النار كالحَطب .

الجَندل : بجيم مفتوحة فنون ساكنة فذال مهملة : الحجارة .

الجُذَاذ[2] : بجيم مضمومة وتكسر وذالين معجمتين : أى قِطعا وكِسَرا .

بادِر : بباء موحدة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم راء . قال فى النُّور : كذا أحفظه .

ضُلاً : بضم الضاد المعجمة الساقطة . يقال للباطل ضلٌ بتضلال .

---

(١) وفيه فتح الجيم أيضا ، كسمعه ومنعه .

(٢) الذى سبق فى الشعر الوارد فى خبر مازن الطائى: كسرت بادر أجذاذا . وليس جذاذا . والأجذاذ: جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

عَمْرا : أراد به بنى الصامت وإخوتها .

قال : مُبْغض وإثبات الياء فيه للوزن .

مُولَع : بفتح اللام أى مُغْرى به .

الهَلُوك : بفتح الهاء وضم اللام المخففة وآخره كاف . قال فى الصحاح : الهلوك من النساء الفاجرة المتساقطة على الرجال فلا يقال رجل هَلُوك .

ألحَّتْ علينا السِّنون : أى دامت أيامُ الجَدْب .

الذَّرارى : بفتح الياء وتشديدها .

الحَيا : بفتح الحاء والقصر : المطر والخِصْب . ريًّا[1] . بكسر الراء وتفتح .

العَهْر : بفتح العين المهملة وإسكان الهاء : : الزنا .

حَيّان : بفتح الهاء المهملة وتشديد المثناة التحتية .

خبَّت[2] : بخاء معجمة مفتوحة فباء موحدة مشددة فمثناة فوقية كما فى عدة نسخ من العُيون : من السّيْر الخَبَب وهو دون الإسراع .

تَجُوب : بالجيم والموحدة : تَقْطع .

الفيَافى بفتح الفاء الأُولى وكسر الثانية : الصحارى الملْس واحدها فيْفاء .

الفُلْج بضم الفاء[3] وإسكان اللام وهو الفَوْز والظَّفَر .

الشَّرْج : بشين معجمة فراء ساكنة فجيم ، يقال ليس هو من شَرْجه : أى ليس من طبيعته وشكله .

الرُّغْب : بضم الراء وإسكان الغين المعجمة ثم موحدة سعة البطن وكثرة الأَكل ، ويروى بالزاى المفتوحة فعين مهملة ساكنة فموحدة : يعنى الجماع : قال فى النهاية : وفيه نظر . يقال زغَب المرأة إذا جامعها فملأها منيًّا ، يَزْغَبها كمنعَ يمنع .

---

(١) كذا ولم ترد هذه الكلمة فى الخبر الذى يشرح المؤلف ألفاظه .

(٢) كذا ، والذى ورد فى الخبر : سقت مطيّى . وليس خبت مطيّى ، وهى رواية أخرى .

(٣) الذى فى القاموس : الفلج - بفتح الفاء - الظفر والفوز كالإفلاج ، والاسم بالضم كالفلجة .

آذَن : بمد الهمزة : أَعْلَم .

النهّجْ : بفتح النون وإسكان الهاء وبالجيم : قال فى النُّور : أى البلاء .

فلله ماصوى : ما فى البيت مكررة زائدة فى الموضعين ، وتقديره فلله صوى وحجى .

ناجية : سريعة .

أَمُون : أى مأْمون .

الحُزون جمع حَزْن : ما غلظ من الأَرض .

المُزْجِي : السائق .

المطية : البعير ، فعِيلة بمعنى مفعولة لأَنه يركب مَطاه أى ظهره ، ذكرا كان أو أُنثى .

الليل الأَجَمّ : الطويل .

دُجُنَّات الظُّلم : بضم الدال المهملة والجيم وتشديد النون جمع دُجنة ، وهى الظلمة . والدياجى : الليالى المظلمة .

الحبور : السرور .

السُّلَمىّ : بضم السين المهملة .

ضِمَار : بضاد ساقطة معجمة مكسورة فميم مخففة فألف فراء مكسورة ، ووقع فى بعض نسخ السيرة بضم الضاد .

أَوْدَى : بدال مهملة : هلك .

زُمَيْل بالتصغير ويقال زِمْل بكسر[1] الزاى وإسكان الميم وباللام .

العُذْرى : بعين مهملة مضمومة فذال معجمة فراء فياء نسب .

خُمَام : بخاء معجمة مضمومة فميم مخففة .

الشِّرك بالنصب مفعول والإسلام فاعل

هالَنا : أفزعنا .

---

(١) الذى فى القاموس : وزمل – مضبوطا بفتح الزاى بالقلم – أوزميل – مصغرا – ابن ربيعة أو ابن عمرو بن أبى العنز بن خشاف ، صحابى .

أَعْمل الناقةَ : حَثَّها وساقها .

نَصَّها : بنون مفتوحة وصاد مهملة مشددة يقال نصَّ فى سيره : دَفع وأسرع . والنصّ : منتهى الغاية .

الحَزْن : بحاء مهملة مفتوحة فزاى ساكنة فنون وهو ما غلظ من الأَرض .

قَوْزًا بقاف مفتوحة فواو ساكنة فزاى وهو الكثيب الصغير ، عند أبى عُبَيْدة ، والجمع أَقْواز وقيزان . وفى النهاية : القَوْز بالفتح : العالى من الرمل كأَنه جبل .

حَبْلا : بالحاء المهملة واحد الحِبال قال فى النور : والظاهر أَنّ مراده العهد والميثاق فإنهما يقال لهما حَبْل[1] .

أَدِين له : بفتح الهمزة وكسر الدال : أُطيع وأَخضع .

---

(١) وذلك على سبل المجاز ، ومنه قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا » .

الباب الخامس

فى قدر عُمْر النبى صلى الله عليه وَسلم وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : الصواب أنه صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس الأربعين سنة ، هذا هو المشهور الذى أطبق عليه العلماء[1] .

وقال السُّهيلى رحمه الله تعالى : إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر[2] .

وحكى القاضى عن ابن عباس وسعيد بن المسيّب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين . والصواب الأول .

وقال شيخ الإسلام البُلْقينى رحمه الله تعالى : كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل فى غار حراء أربعين سنة على المشهور . وقيل ويوماً . وقيل وعشرة أيام . وقيل وشهرين وقيل وسنتين وقيل وثلاثة . وقيل وخمس .

قال : وكان ذلك يوم الإثنين نهارا .

واختلف فى الشهر . فقيل شهر رمضان فى سابع عَشْره وقيل سابعه . وقيل رابع عشره . وقال الحافظ : ورمضان هو الراجح لما سيأتى من أنه الشهر الذى جاور فيه فى حراء فجاءه الملَك . وعلى هذا يكون سِنّه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر .

وقيل فى سابع عشر شهر رجب . وقيل فى أول شهر ربيع الأول . وقيل فى ثامنه .

وعند أبى داود الطيالسى ما يقتضى أنّ مجىء جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام فى حراء كان فى آخر شهر رمضان . قال الحافظ : ولعله الراجح .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة[3] .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٥ ص ٩٩ (ط المصرية)

(٢) الروض الأنف ١٦١/١ . (ط الجمالية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٤ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : بعثه الله تعالى على رأس الأربعين وهى سن الكمال . قيل : ولها تُبعث الرسل . وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون فهذا لا يُعرف به أثر متصل يجب المصير إليه[1] . انتهى .

والأمر كما قال ، فإن ذلك يُروى عن وهب بن منبِّه قال : إن النصارى تزعم . فذكر الحديث إلى أن قال : وأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رواه الحاكم . وفى سنده عبد المنعم بن إدريس كذَّبوه ، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى . وعن[2] الحسن رواه ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشْر وهو كذَّاب يضع[3] ، لكنه قال ابن أربع وثلاثين .

ورواه الحاكم عن سعيد بن المسيّب وفى سنده على بن زيد وهو ضعيف. ويأتى فى الوفاة النبوية أحاديث صحيحة تدل على أنه رُفع وهو ابن مائة وعشرين سنة .

* * *

الثانى : قال ابن الجوزى : حديث « ما من نبى نُبِّئَ إلا بعد الأربعين » موضوع . لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نُبِّئَ ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاشتراط الأربعين فى حق الأنبياء ليس بشىء . انتهى .

وما ذكره فى قَدْر عمر عيسى لما رفع يردُّه ما سبق عن ابن القيم وسيأتى فى أبواب الوفاة حديث عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لفاطمة إن جبريل كان يُعَارضنى القرآن فى كل عام مرة ، وإنه عارضنى بالقرآن العام مرتين

---

(١) زاد المعاد ١/١٨ (ط الحسينية) .

(٢) أى ويروى عن الحسن أيضاً .

(٣) اسحق بن بشر بن مقاتل ، أبو يعقوب الكاهلى الكوفى ، قال مطين : ما سمعت أبا بكر بن أبى شيبة كذب أحدا إلا إسحق بن بشر الكاهلى . وقال الفلاس : متروك . قال الدارقطنى : هو فى عداد من يضع الحديث . انظر ميزان الاعتدال ١/١٨٦ (تحقيق البجاوى)

وأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين . رواه الطبراني ورجاله ثقات وله طرق تأتي في الوفاة .

* * *

والمشهور عند الجمهور كما قال الحافظان ابن كثير وابن حَجَر أنه صلى الله عليه وسلم بُعث في شهر رمضان[1]. وصححه الإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن. زاد الحافظ : لِمَا تقدم أنه الشهر الذي جاء فيه إلى حراء فجاءه الملك .

وعكس ابن القيم فقال في زاد المعاد : قيل إنه بعث لثمان مضين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . وهذا قول الأكثرين .

ثم حكى أنه كان في رمضان .

وجمع بعضهم بين القولين بأنه صلى الله عليه وسلم نُبِّئَ بالرؤيا في شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أُوحي إليه في اليقظة . ولهذا مزيد بيان في التنبيه السابع من الباب الثامن .

* * *

وكان ذلك[2] يوم الاثنين .

وروى مسلم عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « ذاك يومٌ ولدتُ فيه وفيه بعثت أو قال أنزل عليّ فيه[3] » .

وروى محمد بن عمر الأَسْلَمي . عن أبي جعفر الباقر قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .

وروى الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والبيهقي في الشُّعب عن واثلة بن الأَسْقَع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[4] » .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٩٢/١ . (٢) أي البعث .
(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧ . ومسند أحمد ٢٩٧/٥ ، ٢٩٩ .
(٤) مسند أحمد ١٠٧/٤ . وسيرة ابن كثير ٣٩٣/١ .

الباب السادس

فى ابتدائه صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة وسلام الحجَر والشجر عليه ، زاده الله فضلا وشرفًا لديه

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح .

رواه البخارى(1) .

وروى أبو نعيم عن على بن الحسين رضى الله عنه وعن آبائه قال : إن أول ما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة . فكان لا يرى شيئًا فى المنام إلا كان كما رأى .

وروى أيضاً عن علقمة بن قيس قال إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى(2) .

وروى أيضاً البيهقى عن الزهرى رحمه الله تعالى قال : بلغنا أن أول ما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أراه رؤياً فشقَّ ذلك عليه فذكرها لخديجة فقالت أَبْشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيرًا(3) .

* * *

وروى ابن سعد عن بَرَّة بنت أبى تِجْراة - بكسر الفوقانية وسكون الجيم - قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبْعَد حتى لا يرى بيتًا ويُفْضى إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمرّ بحجَر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا(4) .

---

(1) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى .

(2) سيرة ابن كثير ٣٨٨/١ . قال ابن كثير : وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن ، يؤيد ما قبله ويؤيده ما بعده . والخصائص الكبرى ٢٣١/١ .

(3) الخصائص الكبرى٢٣١/١ ، بسياق مطول ، عن البيهقى وأبى نعيم من طريق موسى بن عقبةعنابن شهاب الزهرى. هذا ويظهر أن المؤلف كان يعتمد على الخصائص الكبرى للسيوطى فينقل عنها ناسبا الرواية إلى مصدرها .

(4) طبقات ابن سعد ١٥٧/١ (ط بيروت) .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَعرف حجَرا كان يسلم علىّ قبل أن أُبْعث إنى لأعرفه الآن[1] » .

وقال عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان العلاء بن جارية - بجيم وراء - الثقفى . وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تُحْسَر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وأوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحيِّيه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله .

رواه ابن إسحاق[2] .

وروى ابن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه رحمهما الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا خديجة إنى أرى ضوءاً وأسمع صوتًا لقد خشيت أن أكون كاهنًا . قالت : إن الله تعالى لا يفعل ذلك بك إنك تَصْدق الحديث وتؤدى الأَمانة وتصِل الرحم[3] .

وروى ابن الجوزى عن ابن عباس قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة : سبعاً يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحَى إليه[4] .

وقال الخازن : وهذا إن صح فيحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه من تباشير النبوة ، وثلاث سنين بعد النبوة قبل إظهار الدعوة وعشر سنين مُعْلنا بالدعوة بمكة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢ . ومسند أحمد ٨٩/٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٤/١ .
(٣) طبقات ابن سعد ١٩٥/١ (ط بيروت) .
(٤) الوفا ص ١٦٠ .

تنبيهات

الأول: قال السُّهيلي: فى بعض المُسْنَدات أَن هذا الحجر الذى كان يسلِّم على النبى صلى الله عليه وسلم هو الحجر الأَسود.

وهذا التسليم الأَظهر فيه أَن يكون حقيقة ويكون الله تعالى أَنطقه إنطاقًا، كما خلق الحَنِين فى الجِذْع. ولهذا مزيد بيان فى المعجزات.

الثانى: قال القاضى وغيره رحمهم الله تعالى: وإنما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يَفْجأَه المَلَك ويأْتيه بصريح النبوة بَغْتة فلا تحملها القُوى البشرية، فبدئ بأَوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة ومن صدق الرؤيا وماجاء فى الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وتسليم الحجر والشجر عليه بالنبوة حتى استشعر عظيمَ ما يراد به واستعد لما ينتظره فلم يأْته المَلَك إلا بأَمر عنده مقدِّماتُه.

الباب السابع

فيما ذكر أن إسرافيل قُرن به قبل جبريل صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد فى تاريخه بسند صحيح عن عامر الشَّعْبى قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة . فقُرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلِّمه الكلمةَ والشيء . ولم ينزل القرآن على لسانه . فلما مضت ثلاثُ سنين قُرن بنبوته جبريل . فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة . عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة[1] .

وهذا يقتضى أن إسرافيل قُرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

قال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى : وحديث عائشة – أى الآتى فى الباب بعده – لا ينافى هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا . ثم وكِل به إسرافيل فى تلك المدة التى كان يخلو فيها بحراء فكان يُلْقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجًا وتمرينًا . إلى أن جاءه جبريل فعلَّمه بعد ما غَطَّه ثلاث مرات . فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارًا للحديث . أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل . انتهى .

وذكر بعض العلماء فى حكمة مجيء إسرافيل إليه أنه الموكَّل بالنفخ فى الصُّور ، والنبى صلى الله عليه وسلم بُعث قُرْب الساعة وكانت بعثتُه من أشراطها ، فبُعث إسرافيل لهذه المناسبة ولم يُبعث إلى نبيّ قبله .

وقد أنكر الواقدى رحمه الله تعالى خبر الشَّعْبى وقال : لم يُقْرَن به من الملائكة إلا جبريل .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٩١/١ ، والخصائص الكبرى ٢٢١/١ . والوفا ١٧٢/١ . وقال ابن سعد بعد أن أورد هذا الخبر : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر – يريد الواقدى – فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن إسرافيل قرن بالنبى صلى الله عليه وسلم . . لم يقرن به غير جبريل .

قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه ، فإن المثبِت مقدَّم على النافى إلا إنْ صَحِب النافى دليلُ نفيه فيتقدَّم . انتهى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : قد ورد ما يُوهى أثرَ الشَّعْبى ، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : بَيْنا النبىُّ صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا من السماء من فوق فرفع جبريلُ بصَره إلى السماء فقال : يا محمد هذا ملَك قد نزل لم ينزل إلى الأَرض قط . قال فأَتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : أَبشر بنورَين أُوتيتهما لم يؤتَهما نبىّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأَ حرفًا منها إلا أُوتيتَه[1] .

قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إسرافيل . انتهى كلام الشيخ .

وروى الطبرانى والبيهقى فى الزهد بسند حسن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريلُ على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجبريل والذى بعثك بالحق ما أَمسَى لآل محمد سَفَّة دقيق ولا كَفٌّ من سَوِيق. فلم يكن كلامه بأَسرع من أَن سمع هَدَّة من السماء أَفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمر اللهُ القيامة أَن تقوم ؟ فقال : لا ولكن أَمر إسرافيل فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأَتاه إسرافيل فقال : إن الله تعالى بعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأَرض وأَمرنى أَن أَعرض إليك أسيِّر معك جبال تهامة زمرداً وياقوتًا وذهبًا وفضة . فقلت : فإن شئت نبيًا مَلِكا وإن شئت نبيًا عبداً ؟ فأَوما إليه جبريل : أَن تواضعْ . فقال بل نبيًّا عبدًا . ثلاثا .

ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً من حديث أَبى هريرة ولفظه : جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبلَ الساعة . وذكر الحديث .

فظهر أَن المعتمد ما مشَى عليه الواقدى رحمه الله تعالى .

---

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ٢٥٤ .

الباب الثامن

في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ورد ذلك من حديث : خديجة رضى الله تعالى عنها . رواه البيهقى .

وعائشة رضى الله تعالى عنها . رواه الشيخان .

وعُبَيْد بن عمير الليثى . رواه ابن إسحاق . وابن الجوزى فى الوفا .

وسعيد بن المسيّب . رواه موسى بن عقبة .

وسليمان بن طرخان التيمى . رواه أبو نعيم وابن عساكر .

وعمرو بن شُرَحْبيل . رواه البيهقى وأبو نعيم .

وابن شهاب . رواه أبو نعيم والبيهقى .

وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدُّولابى :

أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة – وفى رواية : الصادقة – فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح . فرأى وهو بمكة أن آتٍ أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا : هو هو ولم يَأْنِ له بعدُ . فهالَه ذلك وذكره لعمه فقال : يا بن أخى ليس بشىء . حلمْتَ . ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بى الرجلُ الذى ذكرتُ لك فأدخل يده فى جوفى حتى أجدَ بَرْدَها . فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبّب بمكة فحدَّثه حديثه وقال عالجْه فصوَّب به وصعَّد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال : ياعبد مناف ابنك هذا طَيِّب طيب . للخير فيه علامات . إن ظفرتْ به يهودُ قتلَتْه ، وليس الرَّئِىّ[1] من الشيطان ولكنه من النَّوَاميس الذين يتحسَّسون القلوب للنبوة . فرجع به .

(١) ط : وليس الرؤيا .

ثم رأى فى منامه أن سقف بيته نُزعت منه خشبة وأُدخل فيه سُلَّم من فضة ثم نزل إليه رجلان ، فأَراد أن يستغيث فمُنع الكلام فقعد أَحدهما إليه والآخر إلى جنبه ، فأَدخل أَحدهما يده فى جنبه فنزع ضِلْعين منه ، فأَدخل يده فى جوفه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجد بَرَدَها فأَخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه : نِعْم القلبُ قلب رجل صالح . فطهَّر قلبه وغسله ثم أَدخل القلبَ مكانه وردَّ الضلعين ، ثم ارتفعا ورفعا سلمهما فإذا السقف كما هو ، فذكر ذلك لخديجة بنت خويلد فقالت له : أَبشر فإن الله لا يَصْنع بك إلا خيرا هذا خير فأبشر[1] .

وفى حديث عُبَيْد بن عُمَيْر أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أَيضا جبريلَ ومعه نَمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأْ . فقال له : ما أَقرأ . فغتَّه به حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الموت . ثم أَرسله فقال : اقرأ . قال : ما أَقرأ . فغتَّه به حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنه الموت ، ثم أَرسله فقال له اقرأ . قال : ماذا أَقرأ — ما قال ذلك إلا افتداءً منه أَن يعود إليه بمثل ما صنع — قال : « اقرأ باسم ربك الذى خَلَق. خلق الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأَكرم الذى علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم » . فقرأَها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتهى فانصرف جبريلُ وهبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من نومه ، قال : فكأَنما كتب فى قلبي كتابا . فذكر ذلك لخديجة فقالت : أَبشر فإن الله لا يصنع بك إلاَّ خيرا .

ثم حبِّب إليه الخلاء فكان يَخلُو شهرَ رمضان بغار حِرَاء — وفى لفظ يلحق — ومعه أَهلُه فيتحنَّث — وفى لفظ : فيتحنَّف — فيه وهو التعبّد الليالى ذوات العَدَد قبل أَن يَنْزِع — وفى لفظ : يَرْجع — إلى أَهله ويتزود لذلك ويُطْعِم من جاءه من المساكين ، فإذا رجع من جواره كان أَول ما يبدأُ به إذا انصرف قبل أَن يدخل بيتَه الكعبة ، فيطوف بها سَبعا أَو ما شاء الله ، ثم يرجع إلى بيته فيتزوَّد لمثلها .

فقال لخديجة يوما : لمّا قضيتُ جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أَرشيئًا

---

(١) الخصائص الكبرى ٢٣٣/١ .

فنظرت عن شمالى فلم أر شيئًا فرفعت رأسى فرأيت شيئًا بين السماء والأرض فقلت : دثّرونى دثرونى وصُبُّوا علىّ ماءً باردًا .

وفى رواية أبى الأسود عن عروة عن عائشة قالت : كان أول شأنه يَرَى فى المنام ، وكان أول ما رأى جبريلَ بأَجيَاد وصرخ جبريل : يا محمد أنا جبريل . فنظر يمينًا وشمالا فلم ير شيئًا فرفع بصره فإذا هو على أُفق السماء فقال : يا محمد أنا جبريل . فهرب فدخل فى الناس فلم ير شيئًا ، ثم خرج عنهم فناداه ثم هرب ثم استعلَن جبريلُ من قِبَل حِرَاء . انتهى .

وفى رواية : إنى إذا خلوتُ وحدى أرى ضوءًا وأسمع نداءً : يا محمد أنا جبريل . وقد والله خشيتُ أن يكون هذا أمرًا . فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك . إنك لتؤدى الأمانة وتصِل الرَّحم وتَصْدق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجةُ حديثَه له وقالت : اذهب مع محمد إلى ورَقة بن نَوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع . فانطلقَا إليه فقصَّا عليه فقال : إذا خلوتُ وحدى سمعت نداءً خلفى : يا محمد أنا جبريل . فأَنطلقُ هاربا . فقال ورقة : سُبُّوح سبوح ! وما لجبريل يُذْكر فى هذه الأرض التى يُعبد فيها الأوثان ، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رُسُله ، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى فأخبرنى . فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليكم قال فظنها فجأة الجن ، فجاء مسرعا حتى دخل على خديجة فقالت : ما شأنك فأخبرها ، فقالت أبشر فإن السلام خير . فخرج مرة أُخرى إلى حِراء . قال : فخرجتُ حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صافٌّ قدميه فى أُفق السماء فرفعت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أَصْرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أتأخر[1] ورائى حتى بعثت خديجة رسلَها فى طلبى فبلغوا مكةَ ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله

(١) ط : وما أرجع .

لقد بعثتَ رسلى فى طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلىّ . ثم حدَّثتُها بالذى رأيت فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفسى بيده إنى أرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرها به فقال ورقة : قُدُّوس قدوس ! والذى نفسى بيده لئن كنتِ صدَقْتِينى يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لَنبيُّ هذه الأُمة ، فقولى له فليثبت .

فرجعت خديجةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتْه بقول ورقة ، فلما قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جوارَه وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف فلقيه ورقةُ فقال له : يا بن أخى أخبرنى بما رأيتَ وسمعت . فأخبره فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبىّ هذه الأُمة ولقد جاءك الناموسُ الأكبر الذى جاء موسى ولتُكذَّبنه ولتقاتَلنَّه ولتُؤْذَينَّه ، ولئن أدركت ذلك لأَنصُرنَّ الله نصرًا يعلمه . ثم أدْنَى رأسَه منه فقبَّل يافوخَه(١) .

وقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى فقالت: قم يابن عمى فاجلس على فخذى اليسرى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوَّلْ فاقعد على فخذى اليمنى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت : هل تراه ؟ قال نعم . فحسَرت فألْقَتْ خِمَارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حِجْرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يابن عم اثبت وأَبْشر فوالله إنه لَمَلك ماهذا شيطان(٢) .

قال البرَاء بن عازِب رضى الله تعالى عنه : عَرَض جبريلُ للنبى صلى الله عليه وسلم ليلةَ السبت وليلة الأحد . ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين ففجَأَه الحقُّ ـ وفى لفظ : فجاءه الحقُّ ـ وهو فى غار حِرَاء وفى رواية : فأتاه جبريل وميكائيل . فنزل جبريل وبقى ميكائيل

(١) حديث بدء الوحى فى صحيح البخارى جـ ١ ص ٣ (ط الأميرية) . وطبقات ابن سعد ١٩٤/١ (ط بيروت) . وسيرة ابن هشام ٢٣٣/١ . وسيرة ابن كثير ٣٨٥/١ . والوفا لا بن الجوزى ص ١٦٢.

(٢) الوفا ص ١٦٤ ، وسيرة ابن كثير ٤١٠/١ عن البيهقى .

واقفا بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو . قال : فزِنْه برجل . فوزنه به فرجَحه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : زِنْه بعشرة فوزنه فرجحَهم . قال : زنه بمائة . فوزنه فرجحهم . قال : زِنْه بـألف . فوزنه فرجَحهم . ثم جعلوا يتساقطون عليه من كِفَّة الميزان فقال ميكائيل : تبعتْه أُمَّتُه وربِّ الكعبة . ثم أُجلس على بساط كهيئة الدُّرْنوك ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فقال أَحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنَه . فشقه فأَخرج منه مَغْمز الشيطان وعَلَق الدم فطرَحها فقال أحدهما لصاحبه : أغسل بطنه غسلَ الإناء واغسل قلبه غَسْلَ المُلاَء . ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنَه . فخاطَه . ثم أَجلساه فبشَّره جبريل برسالة ربه حتى اطمأَن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل : اقرأْ فقال : ما أَنا بقارئ . فغطَّه حتى بلَغ منه الجَهْد ، ثم أَرسله فقال له اقرأْ قال : ما أَنا بقارئ . فغطَّه حتى بلَغ منه الجهد ، ثم أَرسله فقال له اقرأْ قال : ما أَنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد .

ثم أَرسله فقال : « اقرأْ » أَوْجِد القراءة . مبتدئا « باسم ربِّك الذى خلق » الخلائق « خلق الإنسان » الجنس « من عَلَق » جمع عَلَقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وجمعها لأَن الإنسان فى معنى الجمع « اقرأْ » تـأْكيد للأَول . « وربُّك الأَكرم » الذى لا يُوَازيه كريم. « الذى علَّم » الخطَّ « بالقَلم » وأَول من خطَّ إدريس صلى الله عليه وسلم .

ثم أَفرَد ما هو أَشْرَف وأَظهَرُ صنيعًا وتدبيرا وأَدلّ على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال : « علَّم الإنسانَ » الجنسَ « ما لم يَعْلم » قَبْل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها .

وهذا القَدْر من هذه السورة هو الذى نزل أَولاً بخلاف بقية السورة فإنما نَزل بعد ذلك . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَهله تَرْجُف بَوَادره . وفى لفظ : فؤاده . لا يَلْقاه حَجَر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما فدخل على خديجة فقال : « زمِّلونى زملونى » . فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ . قال أَرأَيتك الذى كنت أَخبرتك أَنى رأَيته فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلَن لى أَرسله إلىّ ربِّى . وأَخبرها الخبر . وقال : لقد خشيتُ على نفسى . فقالت خديجة : كلاَّ أَبشر فوالله لا يخزيك الله أَبدا إنك لَتصل الرَّحِم وتَقْرى الضيفَ وتَصدق

الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدومَ وتُعين على نوائب الحق ، فاقبل الذى جاءك من الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقا .

ثم انطلقتْ حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نِينوى يقال له عدَّاس ، فقالت له يا عداس أُذكِّرك الله إلا ما أخبرتنى هل عندكم عِلْم من جبريل ؟ فقال عَدَّاس : قُدُّوس قدوس ما شأن جبريل يُذكر بهذه الأرض التى أهلُها أهل الأوثان. فقالت : أخبرنى بعلمك فيه . قال : هو أمين الله بينه وبين النبيين . وهو صاحب موسى وعيسى .

فرجعتْ من عنده فانطلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصَّر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربىَّ فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا قد عَمِى ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا بن أخى ماذا ترى . فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرَ ما رأى فقال له ورقة : أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشرَّ به ابن مريم . هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى . وفى لفظ : وإنك على مثل ناموسِ موسى ، وإنك لَنبىٌّ مرسَل وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركنى ذلك لأجاهدنَّ معك ، يا ليتنى فيها جَذَعا . وفى لفظ جَذْع . ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَوَ مخرجى هم ؟ فقال : نعم . لم يأْت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودىَ . وفى لفظ : أُوذِى . وفى رواية : لتكذَّبنَّه ولتُؤْذينَّه ولتقاتلنَّه . وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا ، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يا فوخه . ثم لم يَنْشب ورقةُ أن توفِّى وفتَر الوحى .

وقال ورقةُ فى ذلك أشعارا منها قوله :

يا لَلرجال وصَرْف الدهر والقَدر ... وما لشىء قضاه الله من غِيَر
حتى خديجةُ تدعونى لأُخْبرها ... أمرًا أراه سيأْتى الناسَ من أُخَرِ
وخبَّرتنى بأَمرٍ قد سمعتُ به ... فيما مضى من قديم الدهر والعُصُرِ
بأَن أحمد يأْتيه ويخبره ... جبريل أنك مبعوثٌ إلى البشَرِ
فقلت علَّ الذى تَرْجين يُنْجِزه ... لك الإله فرجِّى الخيرَ وانتظِرى

وأرسليـــه إلينـــا كى نسائـلَه ... عن أمره ما يرى فى النـــوم والسَّهر
فقـــال حَين أتانا منطقـاً عجَبـــا ... يقفُّ منـه أعالى الجِلْد والشَّعَـــرِ
إنى رأيت أمـــينَ الله واجَهــــنى ... فى صورة أُكْمِلتْ من أعظم الصُّـور
ثم استمرَّ فكاد الخوف يُـذْعرنى ... ممــا يسلِّم من حـولى من الشـــجر
فقلت ظَـنِّى وما أدرى أيَصْـدقنى ... أنْ سوف تُبْعَث تتـلو منْـزَل السُّورِ
وسوف أنبيك إن أعلنت دعــوتَهم ... من الجهـاد بلا مَنٍّ ولا كَـــدر

وقوله :

فإن يكُ حقًّــا يا خديجة فاعــلمى ... حــديثك إيانا فأحمـــد مرْسَـــلُ
وجبريـل يأْتيــه وميكالُ معهمـا ... من الله وَحْىٌ يَشْرح الصَّـدْرَ مُنْـزَلُ
يفوز به من فـاز فيها بتـــوبـة ... ويشقى به الغالِى[1] القوىُّ المضـلَّلُ
فريقان منهم فرقــة فى جِنانـــه ... وأُخـــرى بأَحْواز الجحـيم تُعلَّلُ
فسبحان من تَهْـوِى الريـاحُ بأمره ... ومن هو فى الأيام ما شاء يفعـــلُ
ومَنْ عرشُــه فـوق السموات كلها ... وأقضـاؤه فى خَلْقه لا تُبدَّلُ[2]

* * *

---

(١) ابن كثير : ويشقى به العاتى الغرير المضلل .

(٢) قال ابن كثير بعد أن أورد هذه الأبيات وما قبلها : هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقى فى الدلائل ، وعندي فى صحتها عن ورقة نظر . والله أعلم . سيرة ابن كثير ٤٠١/١ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : فى رواية البخارى فى التفسير : الرؤيا الصادقة وفى غيره : الصالحة . وهما بمعنًى بالنسبة إلى أُمور الآخرة فى حق الأَنبياء . وأَما بالنسبة إلى أُمور الدنيا فالصالحة فى الأَصل أَخصّ .فرؤيا النبي كلها صادقة ، وقد تكون صالحة ، وهى الأَكثر ، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع فى الرؤيا يومَ أُحد .

وأَما رؤيا غير الأَنبياء فبينهما عموم وخصوص . إن فسَّرنا الصادقةَ بأَنها التى لاتحتاج إلى تعبير ، وأَما إن فسرناها بأَنها غير الأَضغاث فالصالحة أَخص مطلقا .

قال الإمام نصر بن يعقوب الدِّينورى فى التعبير القادرى : الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أَو ما يُعبَّر فى المنام أَو يخبِر به من لا يَكْذب . والصالحة ما يسرُّ .

* * *

الثانى : قال البيضاوى رحمه الله : شبَّه ما جاءه فى اليقظة ووجده فى الخارج طبقا لما رآه فى المنام بالصُّبْح فى إنارته ووضوحه . والفَلَق : الصبح ، لكنه لما كان مستعمَلا فى هذا المعنى وفى غيره أُضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام إلى الخاص ، كقولهم عين الشيء ونفسه .

قال الطِّيبى رحمه الله تعالى : وللفَلَق شأْن عظيم ولذلك جاء وصفًا لله تعالى فى قوله : «فالق الإصْباح» وأَمر بالاستعاذة برب الفلق لأَنه يُنْبِئُ عن انشقاق ظُلْمة عالم الشهادة وطلوع تباشير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها فى الآفاق ، كما أن الرؤيا الصالحة مبشِّرات تنبِيء عن وفود أَنوار عالم الغيب وآثار مَطَالع الهدايات ، شبَّه الرؤيا التى هى جزءٌ يسير من أَجزاءِ النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركى العقول على ثبوت النبوة ، لأَن النبي إنما سمى نبيّا لأَنه ينبئُ عن الغيب الذى لا تستقل العقول بإدراكه .

وقال ابن أَبى جَمْرة رحمه الله تعالى : إنما شبِّهت رؤياه بفَلَق الصبح دون غيره ، لأَن شمس النبوة قد كانت الرؤيا مبادِئُ أَنوارها ، فمازال ذلك النور يتَّسع حتى أَشرقت الشمس

وتمَّ نورها ، فمن كان باطنه نُوريًا كان فى التصديق كأبى بكر الصديق ، ومن كان باطنه مظلما كان فى التكذيب خُفَّاشًا كأبى جهل ، وبقية الناس بين هاتين المنزلتين ، كلٌّ منهم بقدر ما أُعطى من النور .

* * *

الثالث: قال الخطَّابى رحمه الله تعالى : هذه الأمور التى كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بدئ بها من صدق الرؤيا وحب العُزلة عن الناس والخلوة فى غار حراء والتعبّد فيه ومواظبته عليه الليالىَ ذوات العَدد إنما هى أسباب ومقدِّمات أَرْهصَتْ لنبوّته وجُعلت مبادئ لظهورها ، والخلْوة يكون معها فراغُ القلب وهى مُعينة على التِفكْر ومَقْطعٌ لدعاوى الشُّغل . والبشر لا ينفك عن طِبَاعه ولا يترك مألوفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة والمعالجة الشديدة ، فلطَف الله تعالى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى بادية أمره فحبَّب إليه الخلوة وقطَعه عن مخالطة البشر . ليتناسى المألوفَ من عاداتهم ويستمر على هِجْران مالا يُحْمد من أخلاقهم وألزمه شعارَ التقوى وأقامه فى مقام التعبد بين يديه ليخشع قلبُه وتلين عَرِيكته لورود الوحى فيجد منه مَرادًا سهلا ولا يصادفه حَزْنا وَعْرا . فجُعلت هذه الأَسباب مقدِّمات لما أرصد له من هذا الشأْن ليرتاض بها ويستعدّ لما نُدب إليه . ثم جاءه التوفيقُ والتبشير وأخذه بالقوة الإلهية . فجُبرت منه النقائِص البشرية وجُمعت له الفضائل النبوية .

وقال غيره : من فوائد خلوة نفسه ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملَك له ومخاطبته لِما أراده الله تعالى من صُدوفه عن متعبَّدات قريش وعُزوب نفسِه الشريفة عن قُرْب أرجاس الأَصنام وتَبرِّيه منها وبُغْضه لها وإقباله على التحنث وهو فعل البرّ والقُرَب .

* * *

الرابع :قال ابن أبى جَمْرة رحمه الله تعالى : الحكمة فى تخصيصه صلى الله عليه وسلم التخلى بغار حراء : أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات : الخلْوة والتعبد والنظر إلى البيت .

وقال الحافظ : وكانت قريش تفعله كما كانت تصوم عاشوراء وإنما لم ينازِعوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جدَّه عبدَ المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظِّمونه لجلالته وكِبَرِ سنه ؛ فتبعه على ذلك من

كان يتأ لّه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخلو مكانَ جده فسلَّم له ذلك أعمامُه لكرامته عليهم .

* * *

الخامس: قوله : فرأى بمكة أن آتٍ أتاه . الخ قال السُّهيلي رحمه الله تعالى : ليس ذِكْرالنوم حديث عائشة ، بل يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ قد كان فى اليقظة وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريلُ فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئةً وتيسيرا عليه ورِفْقا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعِبْؤها ثقيل والبشَر ضعيف ، وسيأتى فى حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا الفَرْض ويصححه.

قال فى «الزّهْر» : والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا شأنهم ، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله : وقد يمكن الخ ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها . وبسَط الكلامَ على ذلك .

* * *

السادس : قال السُّهيلي : فى كَوْن الكتاب فى نَمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يُفْتح على أُمته مُلْك الأعاجم ويَسْلبونهم الديباجَ والحرير الذى كان زيّهم وزينتهم وبه يُنال أيضا مُلْك الآخرة ولباسُ الجنَّة وهو الحرير والديباج[1] .

* * *

السابع : يؤخذ من قول عائشة رضى الله تعالى عنها : «فجاءه الملَك فيه» - كما فى كتاب التعبير من الصحيح[2] - أى فى الغار ، دَفْع توهّم من يظن أن الملَك لم يدخل إليه الغارَ بل كلَّمه والنبيُّ صلى الله عليه وسلم داخل الغار والملَك خارجه على الباب .

قال الحافظ : وإذا عُلم أنه كان يجاور فى غار حِرَاء شهر رمضان وأن ابتداء الوحى جاءه وهو فى الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبِّىء فى شهر رمضان . ويعكِّر على قول ابن إسحاق أنه بُعث على رأس الأربعين مع قوله : إنه ولد فى شهر ربيع . ويمكن أن يكون المجىء فى الغار كان أولاً فى شهر رمضان وحينئذ نبِّىء وأُنزل عليه : «اقرأ باسم ربك» ثم كان المجىء

---

(١) الروض الأنف ١/١٥٥ . (ط الجمالية) .

(٢) يريد صحيح البخارى .

الثانى فى شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه : «يأيها المدثر قم فأنذر» فيحمل قولَ ابن اسحاق : على رأس الأربعين : أى عند المجىء بالرسالة .

* * *

الثامن : فإن قيل : لم كرّر : «اقرأ» ثلاثَ مرات ؟

أجاب الإمامُ أبو شامة رحمه الله تعالى بأنه يُحتمل أن يكون قوله أولا : «ما أنابقارئ» على الامتناع ، وثانيا على الإخبار بالنفى المحْض ، وثالثا على الاستفهام . ويؤيده أن فى رواية أبى الأسود فى مَغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ . وفى رواية عُبَيْد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا أقرأ . وفى مُرْسَل الزُّهْرى عند البيهقى كيف أقرأ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية[1] .

وقال الحافظ : لعل الحكمة فى تكرير «اقرأ» الإشارة إلى انحصار الإيمان الذى ينشأُ الوحىُ بسببه فى ثلاث : القول والعمل والنية ، وأن الوحى يشتمل على ثلاث : التوحيد والأحكام والقَصص .

* * *

التاسع : الحكمة فى غَطِّ جبريل له : شُغْله عن الالتفات لشىء آخر ، أو لإظهار الشدة والجِدّ فى الأمر تنبيها على ثِقَل القول الذى سيُلْقَى إليه ، فلما ظهر أنه صَبر على ذلك ألقى إليه ، هذا وإن كان فى علم الله حاصل لكن المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم وقيل ليختبر هل يقول من قِبَل نفسه شيئا فلمّا لم يأْت بشىء دلَّ على أنه لا يَقْدر عليه .

ونقل الحافظ عن بعض من لقيه أن هذا يُعدّ من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه وقع له عند ابتداء الوحى مثل ذلك .

قال البُلْقينى : وكأن الذى حصل للنبى صلى الله عليه وسلم عند تلقّى الوحى من الجهد مقدمة لما صار يحصل له من الكَرْب عند نزول القرآن وبسَط الكلام على ذلك ، ويأْتى بتمامه فى باب شدة الوحى .

---

(١) قال ابن كثير فى السيرة ٣٩٣/١ : ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد ، لأن الباء لا تزاد فى الإثبات .

العاشر: الحكمة فى تكرير الغَطِّ: المبالغة فى التنبيه، ففيه أنه ينبغى للمعلِّم أن يحتاط فى تنبيه المتعلِّم وأمْره بإحضار قلبه . وقيل الإشارة إلى التشديدات الثلاث التى وقعت له ، وهى الحَصْر فى الشِّعْب ، وخروجه إلى الهجرة ، وما وقع له يوم أُحد ، وفى الإرسالات الثلاث إشارة إلى حصول التيسير له عقب الثلاث ، أو فى الدنيا ، والبرزخ ، والآخرة .

* * *

الحادى عشر: هذا القدر الذى ذُكر من سورة اقرأ هو الذى نزل أولا بخلاف بقية السورة ، فإنما نزل بعد ذلك بزمان .

والحكمة فى هذه الأولية : أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ، ففيها براعة الاستهلال وهى جديرة أن تسمَّى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة ، فى أوله ، وهذا بخلاف الفنِّ البديعىّ المسمى بالعنوان فإنهم عرَّفوه بأن يأخذ المتكلم فى فن فيؤكِّده بذكر مثالٍ سابق .

وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن : أنها[1] تنحصر فى علم التوحيد والأحكام والأخبار ، وقد اشتملت[2] على الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله ، وفى هذا الإشارة إلى الأحكام . وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفات ذات وصفات فعل ، وفى هذا إشارة إلى أصول الدين ، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله « علَّم الإنسان ما لم يَعْلم »

وقال السُّهيلى : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ باسم ربك » فإنك لا تقرأ بحَوْلك وقوتك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا قراءتك باسم ربك مستعينا فى جميع أمورك به ، فهو يعلِّمك كما خلقك وكما نزع عنك عَلَق الدم وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين ومصالح العباد وما تَنْطق به من المغيَّبات .

---

(١) أى مقاصد القرآن .

(٢) يريد الآيات التى نزلت أولا من سورة اقرأ .

الثانى عشر : قال الحافظ: ذكر أكثر الأئمة أن هذا القَدْر المذكور فى القصة من سورة اقرأ أولُ ما نزل من القرآن . وشذَّ صاحبُ الكشاف فقال : إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة . وهذا وَهْم بلا شك . وقال فى موضع آخر : المحفوظ أن أول ما نزل : اقرأ باسم ربك وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك . وقال النووى : أول ما نزل من القرآن : اقرأ . هذا هو الصواب الذى عليه الجماهير من السلَف والخلَف وقيل أوله : « يا أيها المدثر » وليس بشىء[1] .

***

الثالث عشر : إنما اضطرب فؤاده لِمَا فجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف ، فنفَر طَبْعه البشرى ولم يتمكن من التأمل فى تلك الحالة ، لأن النبوة لا تُزيل طباعَ البشرية كلها .

***

الرابع عشر : قال البُلْقينى : الحكمة فى العُدول عن القلب إلى الفؤاد[2] أن الفؤاد وعاء القلب كما قاله بعض أهل اللغة ، فإذا حصل للوعاء الرَّجَفان حصل للقلب فيكون فى ذكره من تعظيم الأمر ما ليس فى ذكر القَلْب .

***

الخامس عشر : الحكمة فى طلب التزمل أن العادة جرتْ بسكون الرِّعْدة بالتلفّف .

***

السادس عشر : دل قوله : لقد خشيتُ على نفسى » مع قوله « تَرْجف بوادره » وفى لفظ : « فؤاده » على انفعال حصل له من مجىء الملك ، ومن ثم قال : زمِّلونى .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٩٩/٢ .

(٢) أى فى قوله فى الحديث : يرجف فؤاده .

والخشية المذكورة اختُلف فى المراد بها على اثنى عشر قولا : أَوْلاها بالصواب : الموت من شدة الرعب . وقيل المرض . وقيل دَوامه . وقيل تَغْييرهم إياه .

قال القاضى : ليس هذا من معنى الشك فيما آتاه الله ، لكنه صلى الله عليه وسلم عساه يخشى أَن لا يَقْوَى على مقاومة هذا الأَمر ولا يقدر على حمل أَعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبُه لشدة ما لقيه أولاً عند لقاء الملَك . قال : أَو يكون قوله هذا الأَوّل ما رأى التباشير فى النوم واليقظة وسمع الصوت قبلَ لقاء الملَك وتحقّق رسالة ربه فيكون ما خاف أَولا أَن يكون من الشيطان ، فأَما منذ ما جاءه الملَك برسالة ربه فلا يجوز عليه الشك ولا يُخشى من تسلّط الشيطان عليه .

قال : وعلى هذا يُحمل كل ما ورد من مثل هذا فى حديث البَعْث .

قال النووى : وهذا الاحتمال الثانى ضعيف ، لأَنه خلاف تصريح الحديث بأَن هذا بعد غَطّ الملَك وإتيانه بـ« اقرأ باسم ربك » .

***

السابع عشر : خصّ وَرَقة موسى بالذِّكْر ولم يقل على عيسى ، مع كون ورقة نصرانيا ، لأَن كتاب موسى مشتمل على أكثر الأَحكام بخلاف عيسى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، أو لأَن موسى بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى ، وكذلك وقعت النقمة على يد النبى صلى الله عليه وسلم بفرعون هذه الأمة وهو أَبو جهل ومن معه يوم بدر . أَو قاله تحقيقا للرسالة ، لأَن نزول جبريل على موسى متفَق عليه بين أَهل الكتابين بخلاف عيسى ، فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته .

قال الحافظ : وأَما ما تمحّل له السُّهيلى من أَن ورقة كان على اعتقاد النصارى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم أَنه أَحد الأَقانيم فهو محال لا يُعَرَّج عليه فى حق ورقة وأَشباهه ممن لم يدخل فى التبديل ولم يأْخذ عمن بدَّل .

على أَنه قد ورد عند أَبى نعيم فى الدلائل بسند حسن عن عروة فى هذه القصة أَن خديجة أولاً قد أَتت ابن عمها ورقة فأَخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صدقتينى إنه ليأتيه ناموس عيسى

الذى لا يعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم . فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة : ناموس عيسى وتارة ناموس موسى ، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبى صلى الله عليه وسلم له قال ناموس موسى للمناسبة التى قدّمناها ، وكلٌّ صحيح .

* * *

الثامن عشر : قال السُّهيلى : قال ورقة للنبى صلى الله عليه وسلم : لَتكذَّبنه فلم يقل له شيئا ، ثم قال ولَتُؤذَينَّه . فلم يقل له شيئا . ثم قال : ولتُخرَجَنَّه فقال عليه الصلاة والسلام : أوَ مُخرِجىَّ هم ؟ ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس ؛ وأيضا فإنه حَرم الله تعالى وجوار بيته وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أو مُخْرِجىّ هم .

والموضع الدال على تحرك النفس وتحَرّقها : إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو تردّ إلى الكلام المتقدم وتُشعِر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون انزعاجه كان من جهة خشية فوات ما أمَّله من إيمان قومه بالله وإنقاذهم به من وَضَر الشِّرك وأدناس الجاهلية ومن عذاب الآخرة ولِيَتِمّ له المرادُ من إرساله إليهم . ويحتمل أن يكون انزعج من الأمرين معاً .

وسبقه إلى ذلك الشيخ تقى الدين السُّبْكى فقال : كما حكاه عنه ولده فى الطبقات — : الأحسن أن يقال : تحركت نفسه ، لِمَا فى الإخراج من فوات ما نُدب إليه من إيمانهم وهدايتهم ، فإن ذلك مع التكذيب والإيذاء مترقَّب ، ومع الإخراج منقطِع ، وذلك هو الذى لا شىء عند الإنسان أعظم منه ، لأنه امتثال أمر الله تعالى ، وأما مفارقة الوطن فأمرٌ جِبلى والنبى صلى الله عليه وسلم أجلّ وأعلى مقامًا من الوقوف عنده فى هذا الموطن العظيم(١) .

* * *

(١) طبقات الشافعية ٦/٢٠٨ (ط الحسينية) .

التاسع عشر : قال الإسماعيلى رحمه الله تعالى : موّه بعض الطاعنين على المحدّثين فقال : كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرتاب فى نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ؟

والجواب : أن عادة الله سبحانه وتعالى جرت بأن الأمر الجليل إذا قضَى الله تعالى بإيصاله إلى الخَلْق أن يتقدمه ترشيحٌ وتأسيس ، وكان ما يراه النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة ومحبّة الخلوة والتعبّد من ذلك ، فلما جاءه الملك فَجأه بغتة أمرٌ خالف العادةَ والمألوفَ فنفر طبعُه البشريّ منه وهالَه ذلك ولم يتمكن من التأمل فى تلك الحال ، لأن النبوة لا تزيل طباعَ البشرية كلها ، فلا يُتعجَّب أن يَجْزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا اندرج عليه وألفه استمر عليه ، فلذلك رجع إلى أهله التى أَلِف أُنْسها فأعلمها بما وقع له ، فهوّنت عليه خشيته مما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة ، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة لمعرفتها بصِدْقه ومعرفته وقراءته الكتبَ القديمة فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به ، وأشار إلى أن الحكمة فى ذِكْره صلى الله عليه وسلم ما اتفق له فى هذه القصة : أن يكون سببا فى انتشار خَبره فى بطانته ومنْ يَسْتمع لقوله ويُصْغى إليه طريقا فى معرفتهم مُبَاينة مَنْ سِوَاه فى أحواله لينبِّهوا[1] على محلِّه .

* * *

العشرون : ورقة هو ابن نوفل بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ القرشى الأسدى ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . ذكره الطبرى والبغَوى وابن نافع وابن السَّكَن وغيرهم فى الصحابة .

وروى يونس بن بُكَيْر عن أبى مَيْسرة عمرو بن شُرَحْبيل أحد كبار التابعين أن ورقة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشَّر به عيسى بن مريم وأنك على مِثْل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ مرسَل . فذكر الحديث وفيه : فلما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القَسَّ فى الجنة عليه ثيابٌ بيض لأنه آمن بى وصدّقنى » .

---

(١) ص : لينتبهوا .

فى سنده انقطاع .

ويعضِّده ما رواه الزبير بن بكّار بسند جيد عن عروة بن الزبير قال : كان بلال لجارية من بنى جُمَح ، وكانوا يعذبونه برمْضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكى يُشْرك فيقول : أَحَدٌ أحد . فمرَّ به ورقة وهو على تلك الحال فيقول : أحدٌ أحد يا بلال ، والله لئن قتلتموه لأَتخذنه حنَانًا .

فهذا المرسَل يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلىالإسلام حتى أسلم بلال .

قال الحافظ : والجمع بين هذا وبين حديث عائِشة : أن يُحمل قولها : لم ينشب ورقة أن توفى . أى قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالجهاد .

ولا يعكِّر على ذلك ما رواه ابن عائذ عن ابن عباس أن ورقة مات على نصرانيته لأن فى سنده عثمان بن عطاء وهو ضعيف .

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن عائشة أن خديجة رضى الله تعالى عنها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقال : قد رأيته فرأيت عليه ثيابًا بيضًا ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثيابٌ بيض »[1] .

وروى أبو يَعْلى بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « أبصرته فى بُطْنان الجنة وعليه ، السندس »[2] .

وروى البزّار وابن عساكر بإسناد جيد عن عائِشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تسبُّوا ورقة فإنى رأيت له جنةً أو جنتين »[3] .

* * *

---

(١) مسند أحمد ٦٥/٦ . ونصه : لم يكن عليه ثياب بياض .
(٢) سيرة ابن كثير ٣٩٧/١ .
(٣) سيرة ابن كثير ٣٩٨/١

الحادى والعشرون : فى بيان غريب ما سبق :

أول ما بُدئ به نكرة موصوفة ، أى أول شيء .

من الوحى : أى من المبشرات من إيحاء الوحى بالرؤيا : أى مُطْلق ما دل على نبوّته ، فتقدمت له أشياء مثل تسليم الحجر والشجر ويحتمل أن تكون « من » للتبعيض ، أى من أقسام الوحى . ويحتمل أن تكون بيانية ورجحه القَزّاز . واحترزت بقولها : « من الوحى » عما رآه من دلائل نبوته من غير وحى ، وأول ذلك مطلقا ما سمعه من بحيرا الراهب وما سمعه عند بناء الكعبة حين قيل له : اشدد عليك إزارك . وكذلك تسليم الحجر والشجر عليه .

الرؤيا : ما يُرى فى المنام .

فى النوم : صفة موضحة ، أو ليخرج رؤيا العين فى اليقظة لجواز إطلاقها مجازا .

فلَق الصبح وفَرَقه بفتح اللام والراء : ضياؤه إذا تميز عن ظلمة الليل وظهور نوره ، وفى الكلام حذفٌ تقديره : جاء تأْويلها كفَلَق الصبح ، وإنما يقال هذا اللفظ فى الشيء الواضح البيِّن .

لم يَأْن : لم يَقْرب .

هاله ذلك : أفزعه .

سطَا بى : غلَبنى .

من النواميس : جمع ناموس . يأْتى بيانه .

يتحسَّسون : الإحساس : العلم بالحواسّ .

أَبْشر : بفتح الهمزة .

نَمَط : بنون فميم مفتوحتين فطاء مهملة : ضرب من البُسط ، والجمع أنماط .

فغتّه : بغين معجمة مفتوحة فمثناة فوقية مشددة أى خنقه .

هبَّ من نومه : استيقظ .

حُبِّب : مبنىّ للمفعول ، وعبّر به لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان الكُلّ من عند الله ، أو لينبِّه على أنه لم يكن من باعث البشر ، أو يكون ذلك من وحى الإلهام.

الخلَاء : بالمد مصدر بمعنى الخلوة ، أى الاختلاء وهو بالرفع نائِب عن الفاعل .

الغار : النَّقْب فى الجبل .

حِرَاء : بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد ، وحكى الأَصيلى فتحها والقصر ، وعزاها فى القاموس للقاضى وهى لُغَيَّة ، وهو مصروف إن أُريد المكان وممنوع إن أُريد البقعة ، فهى أَربعة : التذكير والتأْنيث والمد والقصر . وقد أَلغزه بعضهم فقال :

وما اسمٌ أَنت فيــه وجوهٌ عــديدة
يؤنَّث طَــوْرا ثم طَوْرًا يــذكَّرُ
وقــد جاء فيــه الصَّرْف أيضاً ومَنْعُه
ومن شاء يَمْــدده ومن شــاء يَقْصِرُ

وكذا حُكْم قُبَاء وقد نظم بعضهم أحكامهما فقال :

حرا وقبــا ذكِّر وأَنِّثهمــا معًــا
ومُدَّ أو اقصر واصرفَنْ وامنع الصَّرْفا

وهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أَميال على يسار الذاهب إلى مِنًى .

يتحنث فيه : بحاء مهملة وآخره مثلثة فى موضع الحال ، أى يخلو بالغار متحنثا فيه . وفى رواية : «فيتحنَّف» بالفاء فيكون عطفا على يخلو ، وهو من الأَفعال التى معناها السَّلْب أى اجتناب فاعلها لمصدرها ، مثل تأَثَّم وتَحَوَّب إذا اجتنب الإِثم والحُوب . أو هو بمعنى الرواية الأُخرى : يتحنف بالفاء أى يتبع الحنيفية دين إبراهيم ، والفاءُ تبدل ثاء ، وهو عائد إلى مصدر يتحنف .

التعبد : يأْتى الكلام على تعبده صلى الله عليه وسلم فى أَول أَبواب عبادته . قال فى «الزَّهْر» : أخبرنى القدوة أبو الصَّبْر أيوب السُّعودى ، قال سأَلت سيدى أَبا السُّعود بن أَبى العشائر : بم كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فى حراء قال : بالتفكر .

الليالىَ : أى مع أيامهن ، واقتصر عليهن للتغليب لأنهن آنس للخلوة .

وقال النووى : قوله الليالى متعلِّق بيتحنث ، لا بالتعبد ، والمعنى يتحنث الليالى ، ولو جُعل متعلِّقا بالتعبّد فسَد المعنى ، فإن التحنث لا يشترط فيه الليالى بل يطلق على الكثير والقليل ، ونصبها على الظرفية .

ووصف الليالى بقوله ذوات العدد قال الكرمانى : لإرادة التقليل كما فى قوله تعالى : (دراهم مَعْدودة) أو الكثرة لاحتياجها إلى العدد وهو المناسب .

قال الحافظ : أما كونه المناسب فمسلَّم ، وأما الأول فلا ، لأن عادتهم فى الكثير أن يوزن وفى القليل أن يعدّ .

وقد جزم الشيخ ابن أبى جَمْرة بأن المراد به الكثرة لأن العدد على قسمين فإذا أُطلق أُريد به مجموع القلة والكثرة ، فكأنها قالت : ليالى كثيرة أى مجموع قِسْمى العدد ، وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المُدَد التى تخلَّلها مجيئه إلى أهله .

تنبيه

هذا التفسير للزهرى وأدرجه فى الخبر ، كما جزم به الطِّيبى ، ورواية البخارى فى التفسير تؤيده .

يَنْزِع : بمثناة تحتية مفتوحة فنون فزاى مكسورة : يرجع وزناً ومعنى .

أهله : خديجة وأولاده ويحتمل أن يريد أقاربه .

التزوُّد : استصحاب الزاد وهو الطعام الذى يحمله المسافر .

لمثلها : أى الليالى . كما رجحه الحافظ فى كتاب التعْبير من « الفَتْح »[1] وإن كان رجَّح غيره فى تفسير سورة اقرأ ، لأن مدة الخَلْوة كانت شهرا ، فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فإذا نفد ذلك الزاد رجع إلى أهله فيتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغة من العيش، وكان غالب أُدْمهم اللبن واللحم ، وذلك لا يُدَّخر منه كفاية شهر لئلا يسرع الفساد إليه ، ولاسيا وقد وصفه بأنه كان يُطْعم من يَرِد عليه .

---

(١) أى فتح البارى . انظر فتح البارى لابن حجر ٧/١٦ (ط الحلبى) .

حتى : هنا على بابها ، من انتهاء الغاية ، أى انتهى توجّهه لغار حراء بمجىء الملَك فترك ذلك .

فجِئه : بفتح الفاء وكسر الجيم ثم همزة ويقال فَجأه بفتح الجيم ، لغتان ، أى جاءه الوحى . قاله النووى قال : فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متوقعا للوحى[1] .

قال البُلْقينى : وفى إطلاق هذا النفى نظَر ، فإن الوحى كان جاءه فى النوم مرارًا ، واستدل بما رواه ابن إسحاق عن عُبَيْد بن عمير أنه صلى الله عليه وسلم وقع له فى النوم نظير ما وقع له فى اليقظة من الغطّ والأمر بالقراءة وغير ذلك . قال الحافظ : فنى كون ذلك يستلزم وقوعه فى اليقظة حتى يتوقعه نظر ، فالأوْلى ترك الجزم بأحد الأمرين .

الحقّ : قال الطيبي : أى الأمر الحق ، وهو الوحى أو رسول الحق وهو جبريل . وقال البُلْقينى : أى الأمر البيِّن الظاهر أو المراد : الملَك بالحق ، أى الأمر الذى بُعث به .

فجاءه : الملَك : هو جبريل بلا خلاف كما قال البلقينى ، واللام فيه لتعريف الماهية لا للعهد ، إلا أن يكون المراد به ما عَهده صلى الله عليه وسلم قبلَ ذلك ، لمّا كلّمه فى صِباه ، أو اللفظ لعائشة وقصدت به ما يَعْهده من تخاطبه به .

قال الإسماعيلى : هى عبارة عما عُرف بعد أنه مَلَك ، إنما الذى فى الأصل : فجاءه جاءٍ وكان ذلك الجائى ملكا ، فأخبر صلى الله عليه وسلم عنه يوم أخبر بحقيقة جنسه ، وكان الحامل على ذلك أنه لم يتقدم له معرفة به .

وقال البلقينى : والفاء يحتمل أن تكون سببية أى حتى قضى بمجىء الوحى ، فبسبب ذلك جاءه الملَك .

قال الحافظ : وهو أقْرب من الذى قبله . وقال فى مكان آخر هذه الفاءُ تسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجىء الملَك ليس بعد مجىء الوحى حتى يعقّب به بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقدير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عَيْن[2] المفسَّر به من جهة الإجمال وغيره من جهة التفصيل .

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٩٩/٢ .
(٢) ت ، م : غاية المفسر به .

فقال «اقرأ» : يحتمل أن يكون هذا الأمر لمجرد التنبيه والتيقظ لِمَا سَيُلْقَى إليه ، وأن يكون على بابه من الطلَب ، ويحتمل أن صفة الأمر محذوفة أى قل : اقرأ ، وإن كان الجواب ما أنا بقارىء فعلى ما فُهم من ظاهر اللفظ ، وكأن السر فى حذفها لئلا يتوهم أن لفظ قل من القرآن .

قال أبو شامَة : وقع فى الصحيحين الأمر بالقراءة من غير ذِكْر المقروء وفى حديث عُبَيْد بن عُمَير قال صلى الله عليه وسلم : «فجاءنى وأنا نائِم بنمَط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ» . فى هذه الرواية بيان المقروء ، إلا أن الأشبه أن هذا المجىء غير الذى فى حديث عائِشة ، لأن هذا صرّح فيه أنه كان فيه مناما وحديث عائِشة فى اليقظة .

ما أنا بقارىء: وفى لفظ : « ما أُحْسن أن أقرأ » فما نافية واسمها أنا وخبرها بقارىء ، ولو كانت استفهامية لم يَصْلح دخول الباء وإن حكى عن الأخفش جوازه فهو شاذّ ، والباء[1] زائدة لتأكيد النفى ، وتقدم فى التنبيه الثانى ما يدل على أنها استفهامية وجزم به بعض الشراح .

فغَطّنى : بغين معجمة فطاء مهملة أى عصرنى وضمنى ، يقال غطّه وغَتّه بالغين المعجمة وضغطه وخنقه وغَمَره ، كله بمعنى . وفى رواية الطبرى : فغَتّنى بتاء مثناة فوقية . وفى رواية عند أبى داود الطيالسى : فأخذ بحَلْقى .

حتى بلغ منى الجَهْد : يجوز فتح الجيم وضمها ، وهو الغاية والمشقة . ويجوز نصب الدال وضمها أى بلغ الغَطُّ منى الجهدَ أى غاية وسعى فهو مفعول حُذف فاعله ، ويروى بضم الجيم والدال أى بلغ منى الجهدُ مَبْلغه ، فهو فاعل بَلَغ .

فأرسَلنى : أطلقنى .

فرجع بها : أى رجع مصاحبًا للآيات الخمس المذكورة

يَرْجُف : بضم الجيم : يخفق ويضطرب .

---

(١) ط : وأنها زائدة .

الفؤاد : قال الزمخشرى : وسَط القلب ، سمى بذلك لتفؤده أى توقّده . وفسر الجوهرى القلب بالفؤاد ، ثم فسر الفؤاد بالقلب .

قال الزركشى : والأحسن قول غيره أن الفؤاد غشاء القلب والقلب حَبّته وسويداؤه ، فإذا حصل للوعاء الرَّجَفان حصل لما فيه فيكون فى ذكره من تعظيم الأمر ما ليس فى ذكر القلب .

ويؤيد الفرقَ قولُه صلى الله عليه وسلم « ألْيَن قلوبًا وأرقُّ أفئدة »(١) وهو أولى من قول بعضهم أنه كرّر لاختلاف اللفظ .

بَوَادره : قيل المراد بها اللحمة التى بين المَنْكِب والعنق ، وجرت العادة بأنها تضطرب عند الفَزَع ، وعلى ذلك جرى الجوهرى أى اللحمة المذكورة سميت بلفظ الجمع وتعقبه ابن بَرِّى فقال : البوادر جمع بادرة وهى ما بين المنكب والعنق يعنى أنه لا يختص بعضو واحد ، وهو جيد فيكون إسناد الرجفان إلى القلب لكونه مَحلَّه ، وإلى البوادر لأنها مَظْهره .

خشيتُ علىّ : بالتشديد وفى رواية على نفسى .

الرَّوْع : براء مفتوحة فواو ساكنة فعين مهملة : الفزع . والرُّوع بضم الراء موضع الفزع من القلب .

كلاَّ : قال النووى تبعا لغيره : هى كلمة نفيٍ وإبعاد وقد تأْتى بمعنى حَقًّا وبمعنى الاستفتاح(٢) . وقال القَزَّاز : هى هنا بمعنى الردّ لِمَا خشى على نفسه ، أى لاخشية عليك ، ويؤيده أن فى رواية أبى مَيْسرة : فقالت معاذ الله .

ومن اللطائف أن هذه الكلمة التى ابتدأت خديجة رضى الله تعالى عنها النطق بها عقب ما ذكَر لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم من القصة التى وقعت له ، هى التى وقعت عقب الآيات الخمس من سورة اقرأْ فى نَسق التلاوة ، فجرَت على لسانها اتفاقاً لأنها لم تكن نزلت بعدُ ، وإنما نزلت فى قصة أبى جهل ، وهذا هو المشهور عند المفسرين .

---

(١) أى فى وصفه أهل اليمن بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة » .
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢/٢٠١ .

لا يُخْزيك : بمثناة تحتية مضمومة فمعجمة فزاى فمثناة تحتية . وفى لفظ : يُحْزنك بحاء مهملة فزاى فنون ثلاثيا ورباعيا ، قال اليزيدى : أحزنه : لغة تميم ، وحَزَنه لغة قريش والحزن[1] : الوقوع فى بلية وشهرة بذلة .

نِينَوى : بنون ، قال ياقوت فى « المشترك » بنون مكسورة ، فمثناة تحتية ساكنة فنون فواو فألف قال ياقوت : بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل خَرِب وقد بقى من آثاره شيء وبه كان قوم يونس وجرجس عليهما الصلاة والسلام ، وكذا وجد مضبوطا بكسر النون الأُولى فى نسخة صحيحة من كتاب « الذَّيْل والصِّلة » لكتاب التكملة للصَّغَانى وعليها خطُّه فى مواضع كثيرة . وقال أبو ذر : روى بضم النون وبفتحها وهو أشْهر .

قُدُّوس : بضم القاف وتفتح : الطاهر المنَّزه عن العيوب والنقائص . وفعُّول بالضم والتشديد من أبنية المبالغة . قال فى النور : والظاهر أن معنى هذا الكلام التعجب مثلما يقول القائل : الله الله ويحتمل أن يريد : أنت قدوس أى طاهر منزه عن المعاصى يشير بذلك إلى أنه نبيّ .

عَدَّاس : بعين مفتوحة فدال مشدّدة وآخره سين مهملات .

الرَّحِم : القرابة وصلتها بالإحسان إليها على حسب حال الواصل والموصول ، فتارة يكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة وغير ذلك .

الكَلّ : بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذى لا يستقلّ بأمره أو الثِّقْل بكسر المثلثة وإسكان القاف .

تَكْسِب المعْدَوم : بفتح المثناة الفوقية : أى تعطى النّاسَ مالا يجدونه عند غيرك ، فحذف أحد المفعولين . يقال : كَسَبْتُ الرجلَ مالاً واكتسبته بمعنى ، وقيل معناه تكسب المالَ المعدوم وتصيب منه ما لا يصيبه غيرُك وكانت العرب تتمادح بكسب المال لاسيما قريش ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبلَ البعثة محظوظا فى التجارة كما سبق بيان ذلك ، وإنما يصح هذا المعنى هنا إذا ضُمَّ إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يجود به فى الوجوه التى ذُكرت من المكرمات .

---

(١) كذا ولعلها : الخزى .

وفى رواية : بضم المثناة الفوقية ، من اكتسبتُ ، أى تُكْسِب غيرَك المالَ المعدومَ أى تتبرع له به ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، أو تعطى الناسَ مالا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق .

والرواية الأُولى قال القاضى : أصحُّ . وعلى الرواية الثانية قال الخطابى : الصواب المعدَم بلا واو أى الفقير لأن المعدوم لا يُكْسَب .

وأجاب صاحب التحرير بأنه لا يمتنع أن يُطْلَق على المعدَم المعدوم ، لكونه كالمعدوم الميت الذى لا تصرّف له . والكسب هو الاستفادة فكأنها قالت : إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجودا رغبتَ أنت أن تفيد[1] رجلاً عاجزا فتعاونه .

وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل : تكسب المعدوم : معناه ما يَعْدمه غيرُه ويعجز عنه ويصيبه وهو يكسبه ، وأنشد على ذلك شاهدين من كلام العرب .

وفى تهذيب الأزهرى عن ابن الأعرابى : رجل عَدِيم : لا عقل له . ومعدوم : لامال له .

قال الدَّمَامينى : كأنهم نزّلوا وجودَ من لا مال له منزلة العدم .

تَقْرى الضيف : بفتح أوله بلا همز ثلاثيا قال الآبى : وسُمع بضمها رباعيا ، أى تهيِّىء له طعامه وشرابه .

نوائب الحق : حوادثه . وإنما أضافت[2] النوائب للحق لأنها تكون فى الحق والباطل

ورَقة : بفتح الراء

تنصَّر : صار نصرانيا .

الجاهلية : ما كان قبل البعثة .

فكان يكتب الكتاب العبرانى : وفى رواية : العربى .

يكتب من الإنجيل بالعَبْرانية وفى رواية بالعربى والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبرانى والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبرانى كما كان يكتب الكتاب العربى لتمكنه من الكتابين واللسانين .

---

(١) ط : تستفيد .

(٢) أى خديجة رضى الله عنها .

يا بن عم : هذا نداء على الحقيقة . ووقع فى مُسْلم : يا عم . قال الحافظ : وهو وَهْم لأنه وإن كان صحيحا لجواز إرادة التوقير لكن القصة لم تتعدَّد ومَخْرجها مُتَّحد فلا يُحمل على أنها قالت ذلك مرتين ، فتعيَّن الحَمْلُ على الحقيقة .

الناموس : صاحب السر ، كما جزم به البخارى فى أحاديث الأنبياء ، يقال نَمَسْت السِّرَّ بفتح النون والميم أنْمِسه بكسر الميم نَمْسًا : كتمته . ونَمسْتُ الرَّجُل ونامَسْته : سارَرْته :

قال الحافظ : وزعم ابن ظفَر وغيره أن الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر ، والأول الصحيح الذى عليه الجمهور وقد سَوَّى بينهما رُؤْبة بن العَجَّاج أحد فصحاء العرب.

والمراد بالناموس هنا جبريل عليه الصلاة والسلام وسمى بذلك لأن الله تعالى خصَّه بالغيب والوحى .

يا ليتنى فيها : أى أيام الدعوة .

جَذَعا : بفتح الجيم والذال المعجمة ، وروى فى الصحاح بفتح العَيْن وبضمها قال ابن بَرّى : التقدير يا ليتنى جُعلت فيها جذعا . وقيل النصب على الحال إذا جعلت فيها خبر ليت ، والعامل فى الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار ، قاله القاضى والسُّهيلى. قال النووى : وهو الصحيح الذى اختاره أهلُ التحقيق والمعرفة من شيوخنا . والجذَع : الصغير من البهائم كأنه تمنى أن يكون عند ظهور النبى صلى الله عليه وسلم شابًا ليكون أمْكَن لنصره .

أوَ مُخْرِجِيَّ هم : بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها جمع مُخْرِج ، فالياءُ الأُولى ياءُ الجمع والثانية ضمير المتكلم ، وفتحت للتخفيف لئلا يجتمع الكسر والياءان بعد كسرتين ، فهُمْ : مبتدأ مؤخر ، ومُخْرجيّ : خبرٌ مقدَّم .

إلا عُودِىَ : وفى رواية : إلا أوذِىَ .

لَتُكَذَّبنه ، إلى آخره : قال السهيلى لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاءُ السكت وليست بهاء إضمار . وقال الخُشَنى : الهاءُ للسكت . كذا جاءت الرواية بسكونها ، ويحتمل أن تكون ضميرا منتصبا بالفعل ولكن كذا جاءت الرواية .

مؤزّرا – بالهمز للأكثر وتشديد الزاى بعدها راء من التّأزِير والتقوية وأصله من الأزْر ، والصواب موزَرا بغير همْز من وازَرْتُه مُوَازرةً إذا عاونْته ، ومنه أُخذ وزير المِلِك ، ويجوز حذف الألف فتقول نصرًا مُوزَرا . قال الحافظ ويرد عليه قول الجوهرى : آزرت فلانا عاونته ، والعامة تقول وازَرْته .

وقال الإمام أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار ، أشار بذلك إلى تَشْميره فى نُصْرته . قال الأخطل :

قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم[1] . البيت .

اليافُوخ – بمثناة تحتية فهمزة ففاء فواو فخاء معجمة : وسط الرأس ، يقال فى رأس الطفل حتّى يشتد .

لم يَنْشَب – بفتح الشين المعجمة أى لم يلبث ، وأصل النُّشوب التعلّق ، أى لم يتعلق بشىء من الأمور حتّى مات .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ١٢٠ (النسخة المصورة بقطر) .

الباب التاسع

فى كيفية إنزال الوحى

قال الله سبحانه وتعالى : «شهرُ رمضانَ الذى أُنْزِل فيه القرآن» وقال الله تبارك وتعالى : «إنَّا أنزلناه فى ليلةِ القَدْرِ» .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فُصل القرآن من الذِّكْر ودُفع إلى جبريل فوضعَه فى بيت العِزَّة من السماءِ الدنيا فى ليلة القدر جملةً واحدة ، وكان الله ينزله على رسوله بعضَه إثر بعض نُجُوما على مَوَاقع النجوم رُسُلا لجواب كلام العباد وأعمالهم فى عشرين سنة ثم قرأ[1] : «ولا يأْتونك بمثَل إلا جِئْناك بالحقِّ وأَحْسَنَ تفسيرا . وقرآنًا فرَقْناه لتقرأه على الناسِ على مُكْثٍ ونزَّلناه تنزيلا» .

رواه الحاكم والبيهقى من طريق سعيد بن جُبَيْر ، والنسائى وابن أبى حاتم والحاكم والبيهقى من طريق آخر ، والطبرانى من طريق آخر ، والبزَّار من طريق آخر ، وابن أبى شَيْبة من طريق آخر .

رسلا : أى رفقاء .

على مواقع النجوم : أى على مثلِ مَساقطها ، يريد : أنزل مُفرَّقا يتلو بعضُه بعضا على تُؤدة ورفْق .

وهذا . قال الزركشىُّ فى البرهان والشيخ فى الإتقان : إنه الأَصحُّ الأَشهر ، وقال الحافظ فى الفتح : إنه الصحيح المعتمد[2] .

وقيل : إنه نزل إلى سماء الدنيا فى عشرين ليلة قَدْر أو ثلاثٍ وعشرين ، أو خمس

---

(١) ت ، م : ثم قال .

(٢) البرهان للزركشى ٢٣١/١ « تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم » والإتقان للسيوطى ١٢١/١ (تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) وفتح البارى ٣٧٨/١٠ .

وعشرين فى كل ليلة ما يقدِّر الله تعالى إنزاله فى كل سنة ، ثم نزل بعد ذلك منجّما فى جميع السنة .

وقيل إنه ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما فى أوقات مختلفات .

وقيل إنه نزل من اللوح المحفوظ جملةً واحدة ، وإن الحفظة نزلته على جبريل فى عشرين ليلة ، ونجّمه جبريلُ على النبى صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قيل : السرّ فى إنزاله جملةً إلى السماء تفخيم أمره وأمر من أنزل عليه ، وذلك بإعلام سُكّان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأُمم قد قرّبناه إليهم لتنزله عليهم ، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجّما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله بايَن بينه وبينها فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ثم إنزاله مفرّقا تشريفا للمنَزّل عليه . ذكر ذلك أبو شامة رحمه الله تعالى .

وقال الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى : إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأُمة ما كان أبْرَز لهم من الحظّ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن بعثته كانت رحمة ، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد وبالقرآن ، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السماء الدنيا ليدخل فى حد الدنيا ، ووضعت النبوة فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحى ، كأنه أراد تعالى أن يسلّم هذه الرحمة التى كانت حَظّ هذه الأُمة من الله تعالى إلى الأُمة .

وقال الإمام أبو الحسن السَّخَاوى فى «جمال القرآن» . فى نزول القرآن إلى السماء جملةً تكريمُ بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عنايةَ الله بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيِّع سورةَ الأنعام ! وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبريلَ بإملائِه على السَّفَرة الكِرام وإنْساخهم إياه وتلاوتهم له .

قال : وفيه أيضا التسوية بين نبينا وبين موسى فى إنزال كتابه جملةً ، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى إنزاله عله منجّما ليحفظه .

* * *

الثانى : قال أبو شامة رحمه الله تعالى : الظاهر أنه نزل جملةً إلى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أن يكون بعدها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : والظاهرُ الثانى .

وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال الحافظ : قد أخرج أحمد والبيهقى فى الشعب[1] عن واثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «أنزلت التوراة لستٍّ مضَيْن من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه ، والزبور لثمان عشرة خلت منه ، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه[2]» . وفى رواية : «وصُحف إبراهيم لأول ليلة» .

قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : «شهرُ رمضانَ الذى أُنْزل فيه القرآنُ»[3] . ولقوله «إنا أنزلناه فى ليلةِ القَدْر[4]» فيحتمل أن تكون ليلة القدر فى تلك السَّنة كانت تلك الليلة ، فأُنزل فيها جملةً إلى السماء الدنيا ، ثم أُنزل فى اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول «اقرأ باسم ربك» .

قال الشيخ : لكن يُشْكل على هذا ما اشتهر من أنه بُعث فى شهر ربيع الأول . ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه صلى الله عليه وسلم نبِّئ أولا بالرؤيا فى شهر مولده ، ثم كانت مدتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه فى اليقظة ؛ ذكره البيهقى وغيره .

* * *

---

(١) غير ط : فى المبعث .

(٢) مسند أحمد ١٠٧/٤ . وسيرة ابن كثير ٣٩٣/١ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

(٤) سورة القدر ١ .

الثالث : قال أبو شامة : إن قيل ما السر فى نزوله منجّما وهلّا نزل كسائر الكتب جملة ؟

قلنا : هذا سؤال قد تولىّ الله جوابه فقال تعالى : «وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآنُ جُمْلَةً واحدةً»[1] يعنون كما أُنزل على من قَبْله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله «كذلك» أى أنزلناه كذلك مفرقا «لِنُثَبِّت به فؤَادَك»

أى لنقوّى به قلبك ، فإن الوحى إذا كان يتجدّد فى كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسَل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول المَلَك إليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحْدث له من السرور ما تقْصر عنه العبارة ولهذا كان أجْودَ ما يكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل . وقيل معنى «لنثبت به فؤادك» : أى لنحفظه لأنه عليه الصلاة والسلام كان أُميا لا يقرأ ولا يكتب ففرِّق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملةً واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أُنزل مفرّقا ، ومنه ما هو جواب لسؤال ، ومنه ما هو إنكار على قولٍ قيل أو فعلٍ فُعل ، وقد تقدم ذلك فى قول ابن عباس : «ونزل به جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم» .

وبه فسِّر قوله تعالى : «ولا يأتونك بمثَل إلا جئْناك بالحقّ»[2] .

فالحاصل : أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مُفَرَّقا .

* * *

الرابع : قال الأصفهانى : اتفق أهلُ السُّنة والجماعة على أن كلام الله تعالى منزَّل واختلفوا فى معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ومنهم من قال : إن الله تعالى ألْهَم كلامَه جبريلَ وهو فى السماء وهو عالٍ من المكان وعلَّمه قراءته ، ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان .

---

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان ٣٣ .

وفى التنزيل طريقان : أحدهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل .

والثانى : أن الملَك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه .

والأول أصعب الحالين .

وقال الحافظ : جرت العادةُ بالمناسَبة بين القائل والسامع ، وهى هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلَبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثانى ، والأول أشد بلا شك .

وقال الطِّيبىّ : لعل نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلقَّفه الملَكُ من الله تعالى تلقفا روحانيا ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

وقال القطب الرازى فى حواشى الكشَّاف : الإنزال لغة بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشىء من علوّ إلى سفل ، وكلاهما لا يتحققان فى الكلام ، فهو مستعمل فيه فى معنى مجازىّ ، فمن قال : القرآنُ معنى قائم بذات الله تعالى : فإنزاله أن يُوجِد الكلماتِ والحروفَ الدالة على ذلك المعنى ويُثْبتها فى اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن أول المعنيين اللغويين ، ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته فى السماء الدنيا بعد الإثبات فى اللوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثانى ، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يُلقِّفها الملك تلقفًا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم .

وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : وسألت شيخنا العلامة محيى الدين الكافِيجىّ عن كيفية التلقف الروحانى فقال لى : لا بكَيْف .

وقال البيهقى رحمه الله تعالى فى معنى قوله تعالى : إنا أنزلناه فى ليلة القَدْر » يريد والله تعالى أعلم : إنا أسمَعْنا الملَك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك مُنْتقلا به من علوّ إلى سُفْل .

قال أبو شامة : هذا المعنى مُطَّرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شىء منه يحتاج إليه أهلُ السُّنة المعتقدون قِدَم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبرانى من حديث النواس بن سَمْعان رضى الله تعالى عنه مرفوعا : إذا تكلمَ الله بالوحى أخذت السماء رجفةٌ شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهلُ السماء صُعقوا وخرّوا سُجّدا فيكون أولّهم يرفع رأسه جبريلُ ، فيكلمه الله تعالى بما أراد فينتهى به على الملائكة فكلما مرّ بسماء سأله أهلُها : ماذا قال ربّنا ؟ قال : الحق . فينتهى به حيث أُمِر.

وأخرج ابن مردَوَيْه عن ابن مسعود رفَعه : إذا تكلم الله تعالى بالوحى يسمع أهلُ السماء صلصلة كصلصلة السِّلْسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة .فذكر نحو ما سبق . وأصل الحديث فى الصحيح[1] .

وقال الإمام العلامة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الخُولى – بضم الخاء المعجمة – رحمه الله تعالى : كلام الله تعالى المنزل قسمان : قسم قال الله تعالى لجبريل قل للنبي الذى أنت مرسَل إليه : إن الله يقول افْعَل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا – ففهم جبريل ما قاله ربّه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال له ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملَك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد فى الخدمة واجمع جندك للقتال . فإن قال الرسول : يقول لك الملك لا تتهاون فى خدمتى ولا تَتْرك الجندَ يتفرّق وحُثّهم على المقاتلة ، لا يُنْسب إلى كذب أو تقصير فى أداء الرسالة .

وقسم آخر قال الله تعالى لجبريل : اقرأ على النبي هذا الكتاب . فنزل جبريل بكلام الله تعالى من غير تغيير ، كما يكتب الملِك كتابا ويسلّمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان ، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفا .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : القرآن هو القسم الثانى ، والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسّنة كما ينزل بالقرآن .

---

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٣٢ وكتاب التفسير (سورة الحجر وسورة سبأ) وسنن الترمذى كتاب التفسير ، سورة سبأ .

الباب العاشر

فى شدة الوحى وثِقَله

قال الله سبحانه وتعالى : « إنا سنُلْقِي عليك قَوْلاً ثَقِيلا[1] » .

وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه : أُنْزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفَخِذه على فخذى فكادت فخذه ترضُّ فخذى .

رواه الشيخان[2] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : إنْ كان لَيُوحَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بِجرَانها فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرَّى عنه . وتلت الآية[3]

رواه الإمام أحمد[4] وعَبْد بن حُمَيْد وابن جرير والحاكم وصححه .

وقال أبو أرْوَى الدَّوْسى ـ بفتح الدال المهملة ـ رضى الله تعالى عنه : رأيت الوحىَ ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته فتَرْغُو وتَفْتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنقصم ، فربما بركَتْ وربما قامت مُوَتِّدةً يديها حتى يُسَرَّى عنه من ثقل الوحى ، وإنه ليَتَحدَّر منه مثل الجُمَان .

رواه ابن سعد[5] .

وقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحيُ كَرِب لذلك وتربَّد وجهُه وغمَّض عينيه .ـ

رواه مسلم[6] .

---

(١) سورة المزمل ٥ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصلاة ، وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير (سورة النساء) وسنن الترمذى كتاب التفسير (سورة النساء) .

(٣) أى قوله تعالى : « إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا » .

(٤) مسند أحمد ١١٨/٦ .

(٥) طبقات ابن سعد ١٩٧/١ (ط بيروت) .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٨ .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه لم يستطع أحدٌ منا يرفع طَرْفه إليه حتى يُقْضَى الوحى .

رواه مسلم(١) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه الوحى يَغَطّ فى رأسه ويتربَّد وجهه ويجد بَرْداً فى ثناياه ويَعْرق حتى ليَنْحدر منه مثلُ الجمان .

رواه ابن سعد(٢)

وقالت أسماء بنت يزيد رضى الله تعالى عنها : كنت آخذةً بزمَام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه سورة المائِدة فكاد ينكسر عَضُدها من ثِقَل السورة .

رواه الإمام أحمد والطبرانى(٣) .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائِدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها(٤) .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وثبت فى الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته ، فكأنه يكون تارة وتارة بحسب الحال(٥) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لقد رأيته – تعنى النبى صلى الله عليه وسلم – ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البَرْد فيَفْصم عنه وإنَّ جبينه ليتفَصَّد عَرَقا .

رواه البخارى(٦) .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٨٤ .

(٢) لم يرد ذلك فى طبقات ابن سعد فى باب ذكر شدة نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم والذى فيه عن عائشة : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا » . وهى الرواية الواردة فى الصحيح الطبقات ١٩٨/١ .

(٣) مسند أحمد ٤٥٥/٦ ، ٤٥٨ . وسيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٤) سيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٥) سيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٦) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب ٢ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب ٧ ومسند أحمد ٢٥٧/٦ .

يا رسول الله هل تحسُّ بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك ، فما مرّة يوحى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تُقْبَض .

رواه أحمد[1] .

وروى ابن سعد عن عِكْرمة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه وُقِذ لذلك ساعةً كهيئة السكران[2] .

وقال يَعْلى بن أميّة إنه كان يقول : «ليتنى أرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحى فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالجِعْرانة وعليه ثوب قد أظلّ عليه ومعه ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه رجل متضمِّخ بطيب فقال : يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحْرَم فى جُبة بعدما تضمَّخ بطيب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سكت ، فجاءه الوحى فأشار عمر : أن تعالَ ، فجاء يَعْلى فأدخل رأسه فإذا هو محمرٌ الوجه يغط كما يغط البَكْر ، كذلك ساعة ثم سرِّى عنه » الحديث .

رواه الشيخان[3] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى حديث الإفك : فأخذه ــ يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ــ ما كان يأخذه من البُرَحاء .

رواه الشيخان[4] .

وقالت أيضاً : وكان إذا أتاه الوحى أخذه السُّبَل .

رواه الحاكم .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه الوحى تربَّد لذلك جسدُه ووجهه وأمسَك عن أصحابه ولم يكلمه أحدٌ منهم .

---

(١) مسند أحمد ٢/٢٢٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٩٧/١ (ط بيروت) .

(٣) صحيح البخارى كتاب العمرة باب ١٠ وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٦ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الشهادات ، وكتاب المغازى ، وكتاب التفسير (سورة النور) وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم ٥٦ .

رواه أبو داود الطيالسي[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه الوحى صُدِع وغَلّف رأسه بالحِنّاء .

رواه أبو نُعَيْم[2] وله طرق تأتى في طبّه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يعالج من التنزيل شدّةً[3] يحرّك به لسانه وشفتيه من حُبّه إياه ، فأنزل الله تعالى : « لا تحرّك به به لسانَك لتَعْجَل به إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه » قال : جَمْعه لك فى صدرك ثم تقرؤه. فإذا قرأناه فاتَّبعْ قرآنه» فاستمع وأنْصت . « ثم إنَّ علينا بيانه » فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريلُ بعد ذلك استمع فإذا انطلق جبريلُ قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما وعَده الله تعالى.

رواه الشيخان وابن سعد[4] .

وروى الحاكم وصحّحه عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه الوحيُ لم يستطع أحدٌ منا يرفع إليه طَرْفه حتى ينقضى الوحى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الإمام أبو شامة : وهذا العرَق الذى كان يَغْشاه واحمرار الوجه والغَطِيط وثِقَله على الراحلة وعلى الفخذ لثقل الوحى ، كما أخبره بذلك الله تبارك وتعالى فى ابتداء أمره بقوله : « إنا سنُلْقى عليك قولاً ثقيلاً » وذلك لضعف قُوى البَشَر عن تحمل مثل ذلك الوارِد العظيم من ذلك الجَنَاب الجليل .

قال ابن إسحاق : وللنبوة أثقال ومُؤْنة لا يحملها إلّا أهلُ القوة والعَزْم من الرسل بعون الله تعالى[5] .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٣/١ .

(٢) سيرة ابن كثير ٤٢٣/١ . قال ابن كثير : هذا حديث غريب جدا .

(٣) الأصل أشده . وما أثبته من الصحيحين وابن سعد .

(٤) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٨ . وطبقات ابن سعد ١٩٨/١ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ (ط الحلبي الثانية) .

الثانى : قال شيخ الإسلام البُلْقينى : هذا الذى كان يحصل له حين تلقّى الوحى من الجَهْد حالٌ يؤخذ فيه عن حال الدنيا من غير موت ، وهو مقام بَرْزَخىّ يحصل له عند تلقّى الوحى ، ولما كان البرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الأحوال خص الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم ببرزخ فى الحياة يُلْقى إليه فيه وَحْيه المشتمل على كثير من الأسرار، وقد يقع لكثير من الصلَحاء عند الغَيْبة بالنوم أو غيره اطلاعٌ على كثير من الأسرار ، وذلك مستمدٌّ من المقام النبوى ، ويشهد له قول النبى صلى الله عليه وسلم : « رؤيا المؤمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة »[1] . انتهى .

وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : لما نزلت آية الحجاب وأن سَوْدة خرجت بعد ذلك إلى المَنَاصِع ليلاً فقال عمر : قد عرَفْناك يا سَوْدة ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأَلته وهو جالس يتعشَّى والعرْق فى يده ، فأَوحى الله تعالى إليه والعرْق فى يده ثم رفع رأسه فقال : إنه قد أُذِن لكن أن تَخْرجن لحاجتكن[2] .

قال ابن كثير : فدل هذا على أنه لم يكن عند الوحى يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس لم يسقط ولم يسقط العرْق من يده[3] . انتهى .

[تفسير الغريب]

المَنَاصع ـ بفتح الميم وكسر الصاد المهملة : صَعِيدٌ أَفْيح خارج المدينة .

العِرْق ـ بعين مهملة مفتوحة فراء ساكنة فقاف : العظم الذى عليه اللحم والقطعة من اللحم . وسيأْتى الكلام عليه[4] فى أبواب مناماته صلى الله عليه وسلم .

* * *

الثالث : قال ابن كثير : تحريكه صلى الله عليه وسلم لسانَه عند إلقاء الوحى إليه كان فى الابتداء كان صلى الله عليه وسلم من شدة حِرْصه على أخذه من الملَك ما يوحيه إليه عن الله

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التعبير ، ومسلم فى صحيحه كتاب الرؤيا حديث رقم ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الأحزاب) .
(٣) سيرة ابن كثير ٤٢٣/١ .
(٤) أى على الحديث السابق .

تعالى يساويه فى التلاوة ، فأمره الله تعالى أن أنصت لذلك حتى يَفْرَغ من الوحى ، ولهذا قال : « ولا[1] تَعْجَل بالقرآن من قبل أن يُقْضى إليك وَحْيُه وقُلْ ربِّ زِدْنى عِلْمًا[2] » .

وقال الحافظ : اختلف فى سبب تحريكه صلى الله عليه وسلم لسانَه وشفتيه . فى رواية : يخشى أن يتفلَّت منه . وفى لفظ : خشية أن يَنْسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فيشتد عليه ، وفى رواية أنه كان إذا نزل عليه جعل يتكلم من حُبّه إياه .

قال الحافظ : وظاهر الرواية الثانية أن السبب فى المبادرة حصول المشقة التى يجدها عند النزول ، فكان يتعجل ما يأخذه لتَزُول المشقةُ سريعًا . وظاهر الثالثة أنه كان يتكلم بما يُلْقى الله منه أولا فأولا ، من شدة حبه إياه فأمر أن يتأنَّى إلى أن ينقضى النزول .

قال الحافظ : ولا بُعْد فى تعدد السبب .

* * *

الرابع : فى بيان غريب ماسبق :

تَرُضّ فخِذى : تدقّه وتكْسِره .

الجِرَان ـ بجيم مكسورة فراء : باطن العنق ومعناه : أنها تفعل ذلك لشدة الوحى وثقله .

يُسَرَّى ـ بضم أوله وتشديد الراء المفتوحة والقصر : أى يُكْشف ذلك عنه ويزول .

تَرْغو ـ بغين معجمة : تصيح .

تَفْتل يديها : تديرهما من ثقل ما عليها .

تندعم : تنكسر وتندق .

مُوتدة يديها ـ بضم الميم من الوتيد . قال الشيخ فى مختصر النهاية : ووتيد الأرض : صوت شدة الوطء على الأرض يُسمع كالدوىِّ من بُعْد .

الجُمَان ـ بجيم مضمومة فميم مفتوحة : اللؤلؤ ، شبّهت قطرات عَرَقه بالجمان لتشابهها فى الصَّفاء والحسْن .

كرب لذلك ـ بضم الكاف وكسْر الراء : أى أصابه الكَرْب أى الشدة فهو مَكْروب ، والذى كَرَبه كارِبٌ .

---

(١) سورة طـه ١١٤ .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤٢٥ .

التربُّد ـ بالراء ودال مهملة فى آخره : كُمودة فى اللون وهى غُبْرة فى سواد .

الغَطُّ ـ بغين معجمة وطاء مهملة مشددة ، والغطيط : صوت يخرج من نَفَس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مَساغا .

يَفْصم عنه : بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة : أى يُقْلع ويَنْجلى . ويروى بضم أوله من الرباعى وفى رواية بضم أوله وفتح الصاد مَبْنيًّا للمفعول ، وأصل القَصْم القطع ، وقيل الفَصْم بالفاء : القطع بلا إبانة . وبالقاف : القطع بإبانة فعَبر بالفصم إشارة إلى أن الملَك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العُلْقة .

يتفصَّد عرقًا : أى يجرى منه كما يجرى الدم من الفِصَاد[1] .

الصَّلاصِل : بفتح المهملة الأُولى وكسر الثانية : جمع صَلْصَلة بفتح المهملتين بينهما لام ساكنة ، وهى صوت وَقْع الأَشياء الصُّلْبة اليابسة بعضها على بعض ، ثم أُطلق على صوت له طَنِين .

وُقِذ ـ بواو مضمومة فقاف مكسورة فذال معجمة مفتوحة : يقال وقَذه النُّعاسُ : إذا غلب عليه .

الجِعْرانة ـ بكسر الجيم وسكون العين المهملة ونقل ابن المدِينى عن أهل العراق كسر العين وشدّ الراء . وقال الشافعى والخطابى : المحدِّثون يُخْطئون فى تشديدها وقد أولع أصحاب الحديث به ، والصواب الأَول : موضع على سبعة أَميال من مكة إلى جهة الطائف .

متضمِّخ : متلطخ .

البُرَحاء ـ بباء موحدة مضمومة فراء مفتوحة فحاء مهملة فأَلف ممدودة : شدة الحمى ، وقيل شدة الكرب ، وقيل شدة الحر .

السَّبَل ـ بفتح السين المهملة والموحَّدة داء فى العين شِبْه غِشَاوة كأَنها نسج العنكبوت .

المعالجة : محاولة الشىء بمشقة إن كان العلاج ناشئا من تحريك الشفتين ، أى مَبْدأ العلاج منه ، وما موصولة ، وأطلقت على من يَعْقل مجازًا .

---

(١) الفصاد : شق العرق لإخراج الدم .

هكذا قرَّره الكِرْمانى . قال الحافظ : وفيه نظر ، لأن الشدة حاصلةٌ له قبل التحريك ، والصواب ما قاله ثابت السَّرَقُسْطى[1] أن المراد : كان كثيرًا ما يفعل ذلك ، وورود « مِمَّا » فى هذا كثير ، ومنه حديث الرؤيا : « وكان مِمَّا يقول لأصحابه : من رأى منكم رؤيا[2] » .

قال الحافظ : ويؤيده رواية البخارى فى التفسير عن عائشة ولفظها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحى فكان مِمَّا يحرك شفتيه[3] » فأتى بهذا اللفظ مجردًا عن تقدُّم العِلَاج الذى قدَّره الكِرْمانى فظهر ما قاله ثابت .

ووجه ما قاله غيره : أن « من » إذا وقع بعدها « ما » كانت بمعنى ربما ، وهى تطلق على الكثير كما تطلق على القليل . وفى كلام سيبويه مواضع من هذا ، منها قوله : اعلم أنهم مما يحذفون كذا . ومنه حديث البرَاء : كنا إذا صلَّينا خلف النبى صلى الله عليه وسلم مما يحب أن يكون عن يمينه .

---

(١) نسبة إلى سرقسطة مدينة على ساحل البحر من بلاد الأندلس . اللباب ١/٥٤٠ .

(٢) مسند أحمد ٢/١٤٦ وسنن الدارمى كتاب الرؤيا باب رقم ١٣ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة القيامة) .

الباب الحادى عشر

فى أنواع الوحى .

قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : كان الوحى يَنْزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة .

الأول : الرؤيا الصادقة فى المنام . قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تُؤمر[1] » فدلَّ على أن الوحى كان يأتيهم فى المنام كما كان يأتيهم فى اليقظة .

وفى الصحيح عن عُبَيْد بن عُمَير : رؤيا الأنبياء وحى » وقرأ هذه الآية[2]

الثانى : أن يَنْفث الملك فى رُوعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نَفَث فى رُوعى : لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رِزْقها فاتقوا الله وأجْمِلوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاءُ الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لن يُنَال إلا بطاعته .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القناعة والحاكم .

وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى : « وما كان لِبَشر أن يكلِّمه الله إلا وَحْيًا »[3] : هو أن يَنْفث فى رُوعه بالوحى . قال الحَلِيمى : هذا هو الوحى الذى يخص القلبَ دون السمع .

الثالث : أن يأتيه مثل صَلْصلة الجَرس وهو أشدُّه عليه ، فيتلبَّس به الملَك حتى إن جبينه ليتَفصَّد عرقاً فى اليوم الشديد البَرْد وحتى إن راحلته لتَبْرك على الأرض .

---

(١) سورة الصافات ١٠٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الوضوء ، وكتاب الأذان .

(٣) سورة الشورى ٥١ .

روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام رضى الله تعالى عنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحيُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صَلْصلة الجرَس وهو أشدُّه على فيَفْصِم عنِّى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثَّل لى الملك رجلًا فيكلِّمنى فأَعِى ما يقول[1] .

وروى ابن سعد بسند رجالُه ثقات عن أبى سلمة الماجشون أنه بلَغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحى يأتينى على نَحْوين : يأتينى به جبريل فيلقيه علىّ كما يَلْقَى الرجلُ الرجلَ فذاك يتفلَّت منِّى ، ويأتينى فى شىء مثل صلصلة الجرس حتى يخالط قَلْبى فذاك لاَ يتفلت منى »[2]

قال الحافظ : وهذا محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى : « لا تحرِّك به لسانَك » كما تقدم فإن الملك قد تمثَّل رجلا فى صور كثيرة ولم يتفلَّت ما أتاه به ، كما فى قصة مجيئه فى صورة دِحْية وفى صورة أعرابى ، وغير ذلك ، وكلها فى الصحيح .

الرابع : أن يكلمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء على القول بعدم الرؤية .

الخامس: أن يكلمه الله تعالى كِفَاحًا بغير حِجَاب على القول بالرؤية ليلة الإسراء . وسيأتى بَسْط ذلك فى أبوابه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وليس فى القرآن من هذا النوع شىء فيما أعلم ، نعم يمكن أن يعدّ منه آخر سورة البقرة وبعض سورة الضحى وألم نشرح ، فقد روى ابن أبى حاتم من حديث عدىّ بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربى مسألة وودِدْت أنى لم أكن سألته ، قلت : أىْ ربِّ اتخذتَ إبراهيمَ خليلاً وكلَّمت موسى تكليما . فقال يا محمد : ألم أجِدْك يتيما فآوَيْتُ وضالاً فهديت وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك وحطَطْت عنك وِزْرك ورفعت لك ذِكْرك فلا أُذْكَر إلا ذُكرت معى » .

السادس : أن يكلمه الله تعالى فى النوم ، كما فى حديث معاذ عند الترمذى : أتانى

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ، وكتاب بدء الخلق ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ١٩٧/١ (ط بيروت) .

ربى فى أحسن صورة فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى »[1] ويأتى بتمامه فى أبواب مناماته .

وذكر بعضهم من هذا سورةَ الكوثر لِمَا رواه مسلم عن أنس قال : بَيْنا رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أَظْهُرنا إذ أَغْفَى إغفاءةً ثم رفع بصره مبتسمًا فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم « إنا أعطيناك الكوثرَ » إلى آخرها .

وقال الإمام الرافعى رحمه الله تعالى فى أماليه : فهم فاهمون من الأحاديث أن السورة نزلت فى تلك الإغفاءة وقالوا من الوحى ما كان يأتيه فى النوم لأن رؤيا الأنبياء وحى .

قال : وهذا صحيح لكن الأشبه أن يقال : القرآن — كله نزل فى اليقظة وكأنه خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزَّلة فى اليقظة . أو عُرض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة فقرأها عليهم وفسَّرها لهم .

قال : وورد فى بعض الروايات أنه أغمى عليه وقد يحمل ذلك على الحالة التى تَعْتريه عند نزول الوحى ويقال لها بُرَحاء الوحى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذى قاله الإمام الرافعى فى غاية الاتجاه ، وهو الذى كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه . والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله : أُنْزل على آنفًا يدفع كونها نزلت قبل ذلك . بل نقول : نزلت فى تلك الحالة وليس الإغفاء إغفاءة نوم بل الحالة التى كانت تعتريه عند الوحى ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا . انتهى .

السابع : مجىء الوحى كدوى النحل .

روى الإمام أحمد والحاكم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أُنْزل عليه يُسْمع عند وجهه كدوىٍّ النحل »[2]

الثامن : العِلْم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الأحكام .

---

(١) سنن الدارمى باب رقم ١٢ ، ومسند أحمد ٦٦/٤ .

(٢) مسند أحمد ٣٤/١ وسنن الدارمى المقدمة باب ٢ .

وذكره ابن كثير أيضا فى سيرته ٤٢٢/١ عن الإمام أحمد ثم قال : وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائى : منكر ، لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

لأنه اتُّفق على أنه صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد أصاب قَطْعا وكان معصوما عن الخطأ وهذا خَرْق للعادة فى حقه صلى الله عليه وسلم دون الأُمة ، وهو يفارق النَّفْث فى الرُّوع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه . قال فى إرشاد السارِى : ويعكِّر عليه أن الظاهر من كلام الأُصوليين أن اجتهاده صلى الله عليه وسلم والوحى قسمان . انتهى .

* * *

هذا ما وقفت عليه من صفات الوحى .

وأما صفة حامله : فمجىء جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورته التى خُلق عليها له ستمائة جناح يتناثر من أجنحته اللؤلؤ والياقوت . وقد وقع ذلك مرتين : مرة فى السماء ليلة المعراج . ومرة فى الأَرض ، كما سيأْتى بَسْط ذلك فى أَبواب المعراج .

ومجيئه فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشَّعر .

وفى صورة دِحْية الكلبى .

ومجيئه فى صورة رجل غير دِحْية .

ونزول الوحى على لسان ملَك الجبال كما سيأْتى بيان ذلك فى باب سفره إلى الطائِف ونزوله على لسان إسرافيل . كما تقدم بيان ذلك .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر الإمام الحَلِيمى رحمه الله تعالى أن الوحى كان يأْتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم على ستة وأَربعين نوعا ، فذكرها . قال الحافظ : وغالبها من صفة حامل الوحى ومجموعها يدخل فيما ذكر .

الثانى : استُشْكل تشبيه مجىء الوحى بصَلْصَلة الجرس إذ المحمود لا يشبَّه بالمذموم ، إذ حقيقةُ التشبيه : إلحاق ناقص بكامل . والمشبَّه الوحى وهو محمود ، والمشبَّه به صوتُ جرس وهو مذموم ، لصحة النَّهى عنه والتَّنْفير من موافقة ما هو عليه والإعلام بأَنه لا تصحبهم[1] الملائكة كما أَخرجه مسلم ، فكيف يشبَّه ما فعله الملَك بأَمر تَنْفر منه الملائكة ؟

---

(١) كذا بالأصول ، ولعله : لا تصحبه .

والجواب : بأنه لا يلزم فى التشبيه تساوى المشبَّه بالمشبه به فى الصفات كلها ، بل ولا فى أخصّ وصفٍ له بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ، فالمقصود هنا بيان الحسّ فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه تقريبا لأفهامهم ، والحاصل أن الصوت له جهتان : جهة قوة وجهة طَنين ، فمن جهة القوة وقع التشبيه . ومن جهة[1] الصوت وقع التنفير عنه ، وعلّل بكونه مِزْمار الشيطان .

قيل : ويحتمل أن يكون النهى وقع بعد السؤال .

قال الحافظ : وفيه نظر .

قال ابن بَطَّال : وعلى مثل هذه الصفة تتلقى الملائكة الوحى من الله تعالى ، وقال التُّورِبِشْتى : وهذا الصوت من الوحى تشبيهها بما يوحَى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قضى الله فى السماء أمرًا ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعانا لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا : الحق وهو العلىّ الكبير » .

رواه البخارى وغيره[2] .

قال القاضى : ما جاء من مثل ذلك يجرى على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله تعالى أو من أَطْلَعه الله تعالى على شىء من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأوَّل هذا ويُحيله عن ظاهره إلا ضعيفُ النظر والإيمان ، إذ جاءت به الشريعةُ ودلائلُ العقل لا تُحيله انتهى .

والصلصلة المذكورة : قيل صوت المَلَك بالوَحْى . وقيل صوت حَفِيف أجنحة الملائكة . قال الخطَّابى : يريد أنه صوت مُتدارَك يَسْمعه ولا يُثْبته أولَ ما يسمعه حتى يفهمه بعد .

قوله : خُضْعانا ـ بفتحتين ، وبضم أوله وسكون ثانيه : مصدر بمعنى خاضعين .

كأنه : أى القول المسموع .

الصَّفوان : الحجر الأَمْلس .

* * *

(١) ط : ومن حيث الصوت .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريبا .

الثالث : الحكمة فى تقديم[1] الصلصلة أن يَقْرع سمعَه الوحىُ فلايبقى فيه مكان لغيره ، فلما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا بتَدارك وقع التشبيه به دون غيره من الآلات .

الرابع : دلَّ قوله « وهو أشدّه علىّ » أن الوحى كله شديد ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشْكَل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع . وهى هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل لغلبة الرُّوحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائلِ بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثانى ، والأول أشدّ[2] بلا شك .

قال الإمام البُلْقينى : وسبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدِّمات تُؤْذن بتعيظمه للاهتمام به ، كما فى حديث ابن عباس : كان يعالجُ من التنزيل شدةً .

قال : وقال بعضهم : وإنما كان أشدَّه عليه ليستجمع قلبه فيكون أوْعَى لما سمع . انتهى .

الخامس : قيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد . قال الحافظ : وفيه نظر. والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما فى حديث يَعْلى بن أُميّة فى قصة لابس الجبّة المتضمِّخ بالطيب . وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزُّلْفَى .

السادس : عبَّر بقوله : « فَيفْصِم عنىِّ وقد وعَيْتُ » بالماضى وفى : « فيكلِّمنى فأَعِى » بالاستقبال لأن الوَعْى حصل فى الأول قبل الفَصْم ، وفى الثانى حصل حالة[3] المكالمة وإنه كان فى الأول قد تلبس بصفات الملائكةِ فإذا عاد إلى حالته الجِبلِّية كان حافظًا لما قيل له . فعبَّر عنه بالماضى ، بخلاف الثانى فإنه على حالته المعهودة .

السابع : قال إمام الحرمَيْن : تمثّل جبريل رجلاً معناه أن الله تعالى أَفْنَى الزائِد من خَلْقه أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعدُ .

---

(١) ط : تقدم .

(٢) ط : أشبه .

(٣) كذا فى ط ، وص . وفى ت ، م : قبل حالة .

وقال الشيخ عِزّ الدين بن عبد السلام : فإن قيل إذا أتى جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى صورة دِحْيَة فأين تكون روحه : أفى الجسد الذى يُشَبَّه بجسد دِحْيَة ؟ أم فى الجسد الذى خُلق عليه له ستمائة جَناح ؟ فإن كان فى الجسد الأعظم فما الذى أتى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم جبريل ، لا من جهة روحه ولا من جهة جسده ، وإن كانت فى الجسد المشبَّه بجسد دِحْيَة فهل يموت الجسد الذى له ستمائة جناح كما تموت الأجساد إذا فارقتها الأرواح ؟ أم يبقى حَيًّا خاليا من الروح المتنقلة بالجسد المشبَّه بجسد دحية ؟

قلت : لا يَبْعد أن يكون انتقالها من الجسد الأول غير مُوجِب لموته لأن موت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلا ، وإنما هو بعادة مُطَّردة أجراها الله فى أرواح بنى آدم ، فيبقى ذلك الجسد حيًّا لا ينقص من معارفه وطاعاته شيء ، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف الطيور الخضر . انتهى .

وقال الشيخ سراج الدين البُلْقينى فى كتابه « الفَيْض الجارى على صحيح البخارى » : يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأول ، إلا أنه انضم فصار على قَدْر هيئة الرجل ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته . ومثال ذلك القُطن إذا جُمع بعد أن كان مَنْفُوشا ، فإنه بالنفش تَحْصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغيَّر وهذا على سبيل التقريب .

وقال العلامة علاءُ الدين القُونَوى شارح الحاوى فى كتاب « الإعلام بإلمام الأرواح بعد الموت على الأجسام » : قد كان جبريل عليه الصلاة والسلام يتمثَّل فى صورة دِحْيَة وتمثَّل لمريم بشرًا سويًّا . وفى الممكن أن يخص اللهُ بعضَ عباده فى حال الحياة بخاصة لنفسه الملكيّة القُدْسية وقوة لها يَقْدر بها على التصّرف فى بدَن آخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها فى الأول . وقد قيل فى الأَبْدَال : إنهم إنما سُمُّوا أبدالاً لأنهم قد يَرْحلون إلى مكانٍ ويقيمون فى مكانهم شَبَحًا آخر تشبيها بشبحهم الأصلى بدلا عنه ، وقد أثبت الصوفية عالَمًا متوسِّطا بين عالمى الأجساد والأرواح . وبَنوا على ذلك تجسّد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المِثَال ، وقد يُسْتأْنس لذلك بقوله تعالى : « فتمثَّل لها بشرًا سويًّا » فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلا فى وقت واحد مدبِّرة لشبحه الأصلى ، ولهذا الشبح المثال . ويَنْحلّ بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة أنه سأل بعضَ الأكابر عن

جسم جبريل فقال : أين كان يذهب جسمه الأول ـ الذى يسدّ الأُفق بأجنحته لمّا تراءى للنبي صلى الله عليه وسلم فى صورته الأصلية ـ عند إتيانه إليه فى صورة دِحْية ؟ وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال : كان يندمج بعضه فى بعض إلى أن يَصْغر حَجْمه فيصير بقدر صورة دِحْية . ثم يعود وينبسط إلى أن يصير كهيئته الأُولى .

وما ذكره الصوفية أحسن . ويجوز أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير ، وقد أقام الله له شبحًا[1] آخر ورُوحُه متصرِّفة فيهما جميعا فى وقت واحد. انتهى[2] .

وقال العلامة شمس الدين بن القيمّ فى كتاب الرُّوح : للروح شأْنٌ غير شأْن الأَبدان ، فتكون فى الرفيق الأَعلى وهى متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلَّم المسلِّم على صاحبها ردَّ عليه السلام وهى فى مكانها هناك . وهذا جبريل رآه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان سدًّا الأُفق . وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه . وقلوب المؤمنين[3] تتسع للإيمان بأَن من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنوّ وهو فى مستقره من السموات . وفى الحديث فى رؤية جبريل : « فرفعتُ رأْسى فإذا جبريل صافٌّ قدميه بين السماء والأَرض يقول : يا محمد أَنت رسول الله وأَنا جبريل ، فجعلت لا أَصرف بصرى إلى ناحية إلا رأَيته كذلك »[4] .

وإنما يأْتى الغلَط هنا من قياس الغائب على الشاهد . فيُعْتقد أَن الروح من جِنس ما يُعْهَد من الأَجسام التى إذا شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون فى غيره . وهذا غلط محض .

وقال الحافظ : إنّ تمثُّل الملَك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً . بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأَنُّسًا لمن يخاطبه . والظاهر أن القَدْر الزائد لا يزول ولا يَفْنَى بل يخفى على الرائى فقط . والله أعلم . انتهى .

* * *

---

(١) ت ، م : شخصا آخـر .
(٢) هذا إبعاد فى التأويل .
(٣) ط : المخلصين .
(٤) سبق ذلك فى باب بدء الوحى قريبا .

الثامن : قال الحافظ : ودوىّ النحل فى حديث عمر لا يعارض صلصلة الجرس ، لأن سماع الدوىّ بالنسبة إلى الحاضرين والصلصلة بالنسبة إلى مقامه صلى الله عليه وسلم .

* * *

التاسع : فى بيان غريب ما سبق :

روح القدس : جبريل عليه الصلاة والسلام لأَنه خُلق من مَحْض الطهارة .

نفث فى رُوعى : يعنى جبريل أوحى إلىّ من النفث بالفم بالمثلثة ، وهو شبيه بالنفخ ، وهو أقل من التَّفْل ، لأَن التَّفْل لا يكون إلا ومعه شىء من الريق .

الرُّوع – بضم الراء : النَّفْس .

الصلصلة : صوت الحديد إذا حرِّك ، يقال صَلّ الحديدُ وصَلْصَل ، والصلصلة أشد من الصَّلِيل .

الجرس : مثال يُشْبه[1] الجُلْجل الذى يعلقه الجهَّال فى رءوس الدواب .

يَفْصم عنى : بفتح أَوله وسكون الفاء وكسر المهملة أَى يُقْلع ويَنْجلى ، ويروى بضم أوله من الرباعى وفى رواية بضم أَوله وفتح الصاد على البناء للمفعول وأَصل الفَصْم القطع . وقيل بالفاء : القطع بلا إبانة وبالقاف القطع بإبانة ، فَعَبَّرَ بالفَصْم إشارة إلى أَن الملَك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العلقة .

(١) سبق هذا التفسير اللغوى فى الباب الذى قبل هذا الباب .

الباب الثانى عشر

فى فترة الوحى وتشريف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة بعد النبوة

روى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، والإمام أحمد والبخارى والبيهقى عن الزُّهْرى رحمه الله تعالى ، والشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ، قال الأَوّلان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحىُ بحراء مكث أياماً لا يَرى جبريل ، فحزن لذلك حزنا شديدا – ولفظ الزهرى : فتر الوحى فترةً فيما بلغنا – غدا منه مرارًا حتى يتردَّى من رءُوس شَوَاهق الجبال .

ولفظ ابن عباس : حتى كاد يَغْدو إلى ثَبِير مرة وإلى حِرَاء مرة أُخرى ، يريد أن يُلْقى نفسَه منه .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عامدًا لبعض تلك الجبال . قال الزهرى : فكلما وافى بذرْوة جبل لكى يُلْقى نفسه منه تبدَّى له جبريل فقال له : يا محمد أنت رسول الله حقًّا فيَسْكن لذلك جأْشه وتقرّ عينه فيرجع . فإذا طالت عليه فترةُ الوحى غدا لمِثْل ذلك ، فإذا أَوْفَى بذروة جبل تبدَّى له جبريل . فقال له مثلَ ذلك .

قال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطتُ فاستبطنتُ الوادى ، فبينا أنا أَمشى إذ سمعت صوتا فنظرت عن يمينى فلم أَرَ شيئا ، ونظرت عن شمالى فلم أَر شيئًا ، ونظرت أَمامى فلم أَر شيئا ونظرت خلفى فلم أَر شيئًا ، ثم نوديت فرفعت بصرى إلى السماءِ فإذا الملك الذى جاءَنى بحراء جالس على كرسىّ – وفى لفظ: على عريش بين السماءِ والأَرض – فرُعبت منه . وفى لفظ فجئَيْت . وفى لفظ فجئثْت – فرَقًا حتى هويت إلى الأَرض ، فرجَعْت حتى أَتيت خديجةَ فقلت : زمِّلونى زملونى ، وفى لفظ دثِّرونى دثرونى وصُبُّوا على ماء باردًا . فأَنزل الله تعالى : «يا أَيها المدثِّر» أَى المتلفِّف بثيابه عند نزول الوحى عليه «قُمْ فأَنذرْ» خوِّف النّاسَ بالنار إن لم يؤمنوا « وربَّك فكبِّر » عظِّم

عن إشراك المشركين « وثيابَك فطهِّر » عن النجاسة ، أو قصِّر خلاف جَرّ العرب ثيابهم الخُيَلاء فربما أصابتها النجاسة . «والرُّجْزَ» فسره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأوثان . «فاهْجُرْ» أى دُمْ على هَجْره .

قال ابن عباس والزُّهْرىّ : فتتَابع الوَحْىُ وحَمِى .

قال ابن إسحاق ومُتَابعوه : وجاءه جبريل بسُورة الضحى يُقْسِم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه ما ودَّعه وما قَلَاه فقال تعالى : «والضُّحَى» أول النهار أو كله «والليلِ إذا سَجَى» غطَّى بظلامه أو سكَن « ما ودَّعك» تركك يا محمد « ربُّك وما قَلَى » ما بغَضك ، « ولَلْآخِرةُ خَيْرٌ لك » لما فيها من الكرامات « من الأُولى » الدنيا « ولسَوْف يُعْطيك ربُّك» فى الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا «فتَرْضَى» به .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذن لا أَرْضى وواحد من أُمتى فى النار » .

وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثبتَيْن بعد مَنْفيَّيْن .

« ألم يَجِدْك» استفهام تقريرى أى وجدك «يتيما» بفَقْد أبيك قبل ولادتك «فآوَى» بأن ضمك إلى عمك أبى طالب «ووجَدك ضالاً » عما أنت عليه من الشريعة «فهدَى» أى هداك إليها «ووجدك عائِلاً» أى فقيرا « فأَغْنَى » بما قنَّعك به من الغنيمة وغيرها . وفى الحديث : «ليس الغِنَى عن كَثْرة العَرَض ولكن الغِنَى غِنى النفس[1] »

« فأَما اليتيم فلاتَقْهَر » بأخذ ماله أو غير ذلك «وأما السائِلَ فلا تَنْهر» تزجره لفقره «وأمّا بِنعمةِ ربِّك » عليك بالنبوة وغيرها «فحدِّثْ» أخبر . وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم فى بعض الأفعال[2] لذِكْره أولًا[3] . رعايةً للفواصل[4]

* * *

(١) صحيح البخارى كتاب الرقائق ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ١٢٠ .

(٢) أى فى قوله : « وما قلى » « فآوى » « فهدى » « فأغنى » فحذف ضمير المفعول به .

(٣) فى قوله : « ما ودعك » .

(٤) حديث فترة الوحى فى صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ، وكتاب بدء الخلق ، وكتاب التفسير (سورة اقرأ) وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٦ . وطبقات ابن سعد ١٩٦/١ (ط بيروت) وسيرة ابن هشام ٢٤١/١ (ط الحلبى الثانية) .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : فَتْرة الوحى عبارة عن تأخرّه مدةً من الزمان ، وليس المراد بفترته بين نزول «اقرأ» و «يا أيها المدثر» عدم مجىء جبريل إليه بل تأخر نزول الوحى فقط .

قلت : وفيه نظر ، لما سبق أول الباب عن ابن عباس والزهرى .

الثانى : الحكمة فى فترة الوحى – والله أعلم – : ليذهب عنه ما كان يجده صلى الله عليه وسلم من الرَّوْع وليحصل له التشوق إلى العَوْد .

الثالث : اختُلف فى مقدار مدة الفترة : فقال السُّهيلى : جاء فى بعض الأحاديث المسنَدة أنها كانت سنتين ونصف سنة . قال فى «الزَّهْر» : ويَخْدش فيه ما ذكره ابنُ عباس فى تفسيره أنها كانت أربعين يوما وفى تفسير ابن الجَوْزى ومَعَانى الزجّاج والفرّاء : خمسة عشر يوما . وفى تفسير مقاتِل : ثلاثة أيام . ولعل هذا هو الأشْبَه بحاله عند ربه لا ما ذكر السهيلى واحتج لصحته .

وقال الحافظ فيما رأيته بخطه فى الفتح : وهذا الذى اعتمده السهيلى لا يَثْبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس : أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما . قال : وسيأتى مزيد لذلك فى كتاب التعبير ، إن شاء الله تعالى .

قلت : راجعت كتابَ التعبير من نسخة بغير خطه فألفيته قال : قوله : «وفتر الوحىُ» تقدم القول فى مدة هذه الفترة فى أول الكتاب . انتهى فليراجع خطه ، لعله يكون ألحقَ ذلك فى نسخته بعدُ[1] .

الرابع : وقع فى بعض النسخ القديمة من الفتح وتبعه الشيخ وشيخنا القَسْطَلّانى فى شرحيهما : أن الإمام أحمد روى فى تاريخه عن الشَّعْبى : أن فترة الوحى كانت ثلاث سنين ، وأن ابن اسحاق جزم بذلك .

---

(١) الذى فى فتح البارى كتاب التعبير روايات متعددة . انظر فتح البارى ١٥/١٦ .

قلت : وهذا وَهْم بلا شك ، وعَزْو ذلك لجزم ابن اسحاق أشدّ ، وكأنَّ الحافظ قلَّد في ذلك ولم يراجع التاريخ المذكور ، فإن الموجود فيه وفى الطبقات لابن سعد ودلائل البيهقى عن داود بن أبى هند ، عن الشَّعْبى قال : أُنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلِّمه الكلمةَ والشىء ، ولم ينزَّل عليه القرآن على لسان ، فلما مضت ثلاثُ سنين قُرن بنبوته جبريلُ فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة[1] .

الخامس : قال الحافظ ابن كثير فى البداية : قال بعضهم : كانت الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصف والظاهر والله أعلم أنها المدة التى اقترن معه ميكائيل كما قال الشَّعْبى وغيره ، ولا ينفى هذا تقدُّمَ إيحاء جبريل إليه أولاً : «اقرأْ باسم ربك الذى خَلَق» ثم حصلت الفترة التى اقترن معه ميكائيل ، ثم اقترن به جبريل بعد نزول : «يا أيها المدِّثر» ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع[2] .

قلت : الثابت عن الشَّعبى إنما هو إسرافيل كما تقدم لا ميكائيل ، وإن كان ابنُ التِّين جزَم به ، ولتُتأَمل عبارةُ الشَّعْبى إن كانت تُفْهِم ما قال أنه الظاهر .

السادس : روى البخارى فى بدء الوحى وتفسير سورة اقرأْ من طريق ابن شِهَاب :أخبرنى أبوسلمة ابن عبد الرحمن أَن جابر بن عبد الله الأَنصارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحدِّث عن فترة الوحى : قال فى حديثه : بَيْنا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء ... وذكر الحديث .

وفى تفسير سورة المزمِّل[3] من طريق علىّ بن المبارك ، ومن طريق حرب بن شدَّاد ، كلاهما عن يحيى بن أبى كثير . قال سأَلت أَبا سلمة بن عبد الرحمن : أَىّ القرآن أُنزل أولَ ؟ فقال : « يا أيها المدثر » فقلت : أنبئت أنه : «اقرأْ باسم ربك الذى خلق» فقالجابر :

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٩١ (ط. بيروت) .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤١٤ .

(٣) كذا والرواية فى تفسير سورة المدثر ، لا المزمل .

لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاورتُ فى حِراء فلما قضيتُ جِوَارى هبطت فنوديت » فذكر الحديث السابق .

قال الحافظ : رواية الزُّهْرى تدل على أن المراد بالأَوّلية فى قوله : أول ما نزل سورة المدثر . أوليةٌ مخصوصة بما بعدَ فترة الوحى ، أو مخصوصة بالإنذار ، لا أن المراد بها أوّلية مُطْلَقة ، وإنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق ، كأنه قال عروة بكذا . أى بحديث عائشة فى بدء الوحى ونزول سورة اقرأ[1] .

ثم قال الحافظ : ولو لم يكن فى ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة فإنها دالة على تقدم شىء عطفَتْه ، ودلَّ قوله : «عن فترة الوحى» وقوله : «الملَك الذى جاءنى بحراء» على تأخر نزول «يا أيها المدثر» عن «اقرأ» .

ولمّا خَلَتْ روايةُ يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر . عن هاتين الجملتين أشْكَل الأمر فجزم مَنْ جزَم بأن « يا أيها المدثر » أول ما نزل . ورواية الزهرى هذه الصحيحة ترفع ذلك الإشكال .

وقال فى التفسير : والمشكِل من رواية يحيى قوله : «جاورتُ بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستَبْطَنْتُ الوادى فنوديت » إلى أن قال : « فرفعت رأسى فإذا هو على العرش فى الهواء ، يعنى جبريل . فأتيت خديجةَ فقلت: دثِّرونى» ويزيل الإشكالَ أحدُ أمرين : إما أن يكون سقط على يحيى أو شيخه من القصة مجيء جبريل بحراء بـ « اقرأ باسم ربك » ، وسائرُ ما ذكرتْه عائشة . وإما أن يكون جاورَ صلى الله عليه وسلم بحراء شهرًا آخر ، ففى مُرسَل عُبَيْد بن عمير عند البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا وهو رمضان ، وكان ذلك فى مدة فترة الوحى ، فعاد إليه جبريل بعد انقضاء جواره .

وقال الحافظ أيضاً : فكأن من قال من أول ما نزل اقرأ أراد أوليةً مُطْلَقة ومن قال « يا أيها المدثر » أراد بقيد التصريح بالإرسال[2] .

---

(١) فتح البارى ١٠/٣٠٤ .
(٢) فتح البارى ١٠/٣٠٤ .

وقال الكِرْماني : استخرج جابر أن أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاده وليس هو من روايته ، والصحيح ما وقع في حديث عائشة .

* * *

السابع : قال عطاء الخراساني : إن سورة المزمل نزلت قبل سورة المدثر .

قال الحافظ : عطاء ضعيف وروايته مُعْضَلة . وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر المزمِّل لأن فيها ذكر قيام الليل وغير ذلك مما تراخى عند ابتداء الوحي ، بخلاف المدثر فإن فيها «قم فأنذر» .

وقال في موضع آخر : يعرف من اتحاد الحديثين في نزول يا أيها المدثر عقيب قوله : «دثِّروني» و «زمِّلوني» أن المراد بزملوني دثروني . ولا يؤخذ من ذلك نزول يا أيها المزمل حينئذ ، لأن نزول يا أيها المزمل تأخر عن نزول يا أيها المدثر بالاتفاق ، لأن أولَ يا أيها المدثر الأمرُ بالإنذار ، وذلك أول ما بُعث ، وأول المزمِّل الأمرُ بقيام الليل وترتيل القرآن ، فيقتضي تقدمَ نزول كثير من القرآن قبل ذلك .

الثامن : هذا القَدْر الذى نزل من المدثر فيه مُحَصَّل ما يتعلق بالرسالة .

ففي الآية الأولى المؤانسة بالحالة التى هو عليها من التدثُّر ، إعلاما بِعظم قَدْره وتقدم في اسمه «المدثِّر» و «المزمل» زيادة لذلك . فراجعه[1] .

وفي الثانية : الأمر بالإنذار قائما ، وحذف المفعول تفخيما .

والمراد بالقيام إما حقيقة ، أى قم من مضجعك ، أو مجازا ، أى قم مقام تَصْميم .

وأما الإنذار فالحكمة في الاقتصار عليه هنا — فإنه أيضا بُعث مبشِّراً — لأن ذلك كان أول الإسلام ، فمتعلَّق الإنذار محقَّق فلما أطاع من أطاع نزلت : «إنا أرسلناك شاهدًاومبشِّرا ونذيرا»[2] .

وفي الثالثة : تكبير الربِّ تمجيدًا وتعظيما . ويحتمل الحمل على تكبير الصلاة ، كما حُمل الأمر بالتطهير على طهارة البدن والثياب ، وهي الآية الرابعة .

---

(١) وذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأحزاب ٤٥ .

أما الخامسة فهجْران ما ينافى التوحيدَ وما يؤول إلى العـذاب وحصلت المناسبة بين السورتين المبتدأ بهما النزول فيما اشتملتا عليه من المعانى الكثيرة باللفظ الوجيز فى عـدة ما نزل من كل منهما ابتداء .

* * *

التاسع : مَا ذكره ابن اسحاق من سبب نزول سورة الضحى رواه الطبرانى من طريق العَوْفى، وهو ضعيف ، عن ابن عباس . ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير ذكره سليمان التَّيْمى فى السيرة التى جمعها .

قال الحافظ : وكل هذه الروايات لا تَثْبت بحال ، ويخالفها ما رواه الشيخان فى سبب نزولها عن جُنْدب بن سفيان البجَلى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانُك قـد تَركك لم يَقْربك منذ ليلتين أو ثلاث . فأنزل الله تعالى : « والضحى » إلى آخر السورة[1] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والحق أن الفترة التى فى سبب نزول سورة الضحى غير الفترة المذكورة فى ابتداء الوحى فإنها دامت أياما وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا ،فاختلطتا على بعض الرواة . وتحقيق[2] الأمر ما بينته .

وذكر الحافظ ابن كثير نحوه[3] .

قال الحافظ : ووقع فى السيرة لابن إسحاق فى سبب نزولها شىء آخر فإنه ذكر أن المشركين لمـا سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين وغيره ووعدهم بالجواب ولم يستَثْن ، فأبطأ عليه جبريل اثنتى عشرة ليلة ، فضاق صدرُه وتكلَّم المشركون فنزل جبريل بسورة الضحى وبجواب ما سألوا .

قال الحافظ : ونزول سورة الضحى هنا بعيد لكن يجوز أن يكون الزمان فى

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الضحى) .
وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ١١٥ .
(٢) ط : وتحرير الأمر .
(٣) سيرة ابن كثير ٤١٣/١ ، ٤١٤ .

القصتين متقارباً ، فضمَّ بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأُخرى ، وكلٌّ منهما لم يكن فى ابتداء المبعث ، وإنما كان بعده بمدة .

وعند الطبرانى بإسناد فيه من لا يُعْرَف أن سبب إبطاء جبريل كون جَرْو كلبٍ تحت سريره صلى‌الله‌عليه‌وسلم لم يشعر به ، فأَبطأَ عنه جبريل كذلك .

وقضية إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه السورة شاذ مردود بما فى الصحيح ، وكلٌّ ما خالفه فغير ثابت .

العاشر : قال الإسماعيلىّ : كان من مقدِّمات تأْسيس النبوة فترة الوحى ليتدرَّج فيه ويتمرَّن عليه ، فشق عليه فُتورُه إذ لم يكن خُوطب عن الله تعالى بعدُ : أَنك رسول الله ومبعوث إلى العباد ، فأَشفق أن يكون ذلك أمراً بُدِئ به ثم لم يُرَدْ استِتْمامه ، فحزن لذلك ، حتى إذا اندرج على احتمال أَعباء النبوة والصبر على ثِقَل ما يَرِد عليه فتحَ الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ذلك ما وقع له من أَول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جَلِيَّتها مثل رجل سمع آخر يقول: الحمدُ لله . فلم يتحقق أَنه يقرأ حتى إذا وصَلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائِلا يقول : خَلت الديارُ ولم يتحقق أنه يُنْشد شعراً حتى يقول : مَحلُّها ومُقَامها . انتهى ملخصا .

ثم قال : وأَما إرادة إلقاء نفسه من رءُوس الجبال بعد ما نبِّئ فلضَعْف قوته عن حمْل ما حمِّله من أَعباء النبوة ، وخوفاً مما حصل له من القيام بها من مُبَاينة الخَلْق جميعا ، كما يطلب الرجل الراحة من غَم يناله فى العاجل بما يكون فيه زواله عنه لو أَفْضَى إلى هلاك نفسه عاجلا ، حتى إذا تفكَّر فيما فى صَبْره على ذلك من العُقْبَى المحمودة صَبر واستقرَّت نفسُه .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : أَما الإرادة المذكورة أَولا : ففى صحيح الخبر أَنه كانت حزناً على ما فاته من الأَمر الذى بشَّره به ورقة[1] . وأَما الإرادة الثانية بعد أَن تبدَّى له جبريل وقال له : أَنت رسول الله حقا فيحتمل ما قاله .

(١) ت ، م : بشر به قومه .

والذى يظهر لى أنه بمعنى الذى قَبْله . وأما المعنى الذى ذكره الإسماعيلى فوقع قبل ذلك فى ابتداء مجىء جبريل ، ويمكن أن يؤخذ مما رواه الطبرانى من طريق النعمان بن راشد عن ابن شهاب فذكر نحو حديث البخارى وفيه : فقال : يا محمد أنت رسول الله حقا . قال : فلقد هممْت أن أطرح نفسى من حالق الجَبل[1] أى من علوّه . انتهى .

الحادى عشر فى بيان غريب ما تقدم :

عَدا : بعين مهملة : من العَدْو وهو الذهاب بسرعة ، وبإعجامها من الذهاب غُدْوة .

يتردّى : يسقط .

شواهق : جمع شاهق وهو الجبل العالى .

يَغْدو - بإعجام الغين وإهمالها .

ثَبِير - بثاء مثلثة مفتوحة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية فراء .

عامدا : قاصدا .

بذرْوة جبل : بتثليث الذال : أعلاه .

تبدّى له جبريل : أى ظهر .

جَأْشه - بجيم مفتوحة فهمزة ساكنة وقد تسهّل فشين معجمة ، أى نفسه . قاله الخليل فعلى هذا فقوله :

تقرّ نفسه : بفتح المثناة الفوقية والقاف توكيد لفظى .

استَبْطنتُ الوادى : دخلت بطنَه .

فرُعِبت : فزعت .

جُئِثْت - بجيم مضمومة فهمزة مكسورة فمثلثة ساكنة فمثناة فوقية : أى فزعت ، وفى رواية جُثِثْت بمثلثتين من جُثِى الرجل كعُنِى أيضا : فزع . قال فى التقريب : وما سواهما تصحيف .

فرَقاً : خوفا .

هويت إلى الأرض : سقطت .

---

(١) ط : جبل .

الباب الثالث عشر

فى معنى الوحى والنبى والرسول والنبوة والرسالة

الوحى : مصدر وَحىٍ إليه يحِى من باب وَعَد ، وأَوْحَى إليه بالألف مثله ، وجمعه وُحِىٌّ . والأصل فُعُول مثل فُلوس .

وبعض العرب يقول وحَيْت إليه ووحَيْت له وأوحَيْت إليه وله .

وهو هنا لغةً : الإعلام فى خفاء ، وقيل الإعلام بسرعة .

وشرعًا : الإعلام بالشرع . وقد يطلق الوحى ويراد به اسم المفعول منه أى الموحَى ، من إطلاق المصدر على المفعول . قال تعالى : « إنْ هو إلا وَحْىٌ يُوحَى[1] »

وهو كلام الله المنزَل على النبى صلى الله عليه وسلم . وبسطتُ الكلامَ على الوحى ومعانيه فى القول الجامع الوجيز فراجعه.

والرسول : إنسان ذكرٌ أُوحى إليه بالعمل والتبليغ ، فَعُول من الرسالة ، وهى قول الله تعالى لمن اصطفاه : أرسلتُك أو بعثتك فبلِّغ عنى . وقيل هى سفارة بين الله وبين ذوى الألباب من خليقته .

وهى أفضل من النبوة ، لأنها تُثْمر هداية الأُمة ، والنبوة قاصرة على النبى كالعلم والعبادة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : النبوة أفضل لأنها الوحى بمعرفته تعالى وصفاته فهى متعلقة بالله من طرفيها[2] ، والرسالة الأمر بالتبليغ فهى متعلقة بالله من أحد الطرفين . وأُجيب بأنها تستلزم النبوة فهى مشتملة عليها ، لأنها كالرسول أخصّ من النبوة التى هى أعمّ كالنبى ، وهو بمعنى المرسَل فَعُول بمعنى مُفْعَل ، وذلك نادر .

---

(١) سورة النجم ٤ .

(٢) ت ، م : فهى متعلقة بطرفيها .

وإرساله : أمر الله تعالى له بالبلاغ إلى من أرسل إليهم ، وإشتقاقه من التتابُع ومنه : جاء الناسُ أرسالاً ، إذا تَبع بعضُهم بعضاً ، فكأنه أُلزم بتكرير التبليغ أو أُلزمت الأمة اتباعَـه .

والنبي : إما أن يكون بمعنى مُنَبَّأ - بفتح الباء - لأن الله تعالى أطْلَعه على غَيْبه وأعْلمه أنه نبيّه ، فهو فَعِيل بمعنى مفعول ، أو بمعنى مُنْبِيء أى مخْبر للناس ما أوحى إليه فهو فعيل بمعنى فاعل ، وهو بلا همز على الأكثر ، قيل مخفف المهموز بقلب همزته ياء ، وقيل إنه فى الأصل من النَّبْوة - بفتح النون وسكون الباء - وهى الرِّفْعة لأن رتبته مرفوعة على سائر الخلق ، وبالهَمْز من النبأ وهو الخبر لأنه مُخْبر عن الله تعالى وقد لا يُهْمَز على هذا أيضا للتسهيل .

وهو : إنسان ذكَر أُوحى إليه بشَرْع ولم يُؤْمر بتبليغه ، فإن أُمر بذلك فهو رسول أيضا.

وقيل : وإن أمر بتبليغه ولم يكن له كتاب أو نَسْخ لبعض شَرْع من قبله فهو نبيّ ، وإن كان له ذلك فهو رسول . فالرسول أخصّ من النبي على القولين . وقيل هما مترادفان لقوله تعالى : « وما أرسلْنا مِن قَبْلك من رسول ولا نبيٍّ »(1) فأثبت(2) لهما الإرسال معا .

وأُجيب بأنهما لو كانا مترادفَيْن لم يحسن تكْرارهما فى بليغ الكلام . وفى الآية إضمار تقديره : وما أرسلنا من رسول ولا نبأنا من نبيّ كما فى قوله :

ورأيتُ روحك فى الوغَى متقلّدا سَيفا ورُمْحـا

أى وحاملا رمحا .

وقال الآمدىّ رحمه الله تعالى - بعد حكايته مذهب الفلاسفة فى النبوّة ، وقولَ من قال إن النبي من عَلِم كونَه نبيًّا وقول من قال : إن النبوة سفَارة بين الحق والخَلْق وتزييفَ كل منها - والحقُّ ما ذهب إليه أهلُ الحق من الأشاعرة وغيرهم من أن النبوة ليست راجعة إلى ذاتىّ من ذاتيات النبيّ ولا إلى عرَض من أعراضـه المكتسَبَة له ، بل هى مَوْهبة من الله تعالى ونعمة منه عليه يجعله متأهِّلا للرسالة ، وحاصلها يرجع إلى قول الله تعالى لمن اصطفاه من عباده : أرسلتك أو بعثتك فبلِّغ عنى . انتهى .

---

(1) سورة الحج ٥٢ .

(2) ت ، م : فثبت .

فعُلم بذلك : أن النبوة والرسالة من الصفات الاعتبارية كالولاية للولىّ والإمامة للسلطان ونحو ذلك ، لأن القول لا يوجب لمتعلِّقه صفة كما صرح به القاضى عَضُد الدين.

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : لا يلزم من كون الرسالة قول الله : أرسلتك . أن تكون قديمةً ضرورةً قِدَم الكلام الربانى ، لأن الرسالة ليست الكلام القديم فقط ، بل الكلام القديم بصفة كونه متعلِّقا بالمخاطَب ، والتعلق والمتعلَّق – بفتح اللام – حادث غير قديم .

الثانى : روى الحاكم أن رجلا قال : يانَبِىء الله – أى بالهمز – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لستُ نبِىء الله ولكنى نبىّ الله . قال الذَّهبى : إنه حديث مُنْكَر وفى سنده حمدان بن أَعْيَن وليس بثقة ، وعلى تقدير صحته فأجيب عنه بأن أبا زيد حكى : نبأت من أرضٍ إلى أرض أخرى ، أى خرجت منها إليها، فإذا قال : يانبىء الله احتمل أن يريد يا طَريد الله الذى أخرجه من بلدة إلى غيرها فنهاه عن ندائه بلفظ النبىء مهموزا . ونظيره نَهْى المؤمنين عن قولهم له « راعِنا » لأن اليهود وجدوا بذلك طريقا إلى سَبِّه .

الباب الرابع عشر

فى مثله ومثل ما بعثه الله تعالى به من الهـدى

قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مَثَلى ومثل ما بعثنى الله من الهدى والعِلْم كمثل الغَيْث الكثير أصاب أرضًا فكانت منها طائِفة طيِّبة قَبِلت المـاء فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير ، وكانت منها أجادِبُ أمسكت المـاء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسَقوا ورَعَوْا — وفى لفظ وزرعوا — وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هى قِيعان لا تُمْسك ماءً ولا تُنْبت كلأً ، فذلك مثل من فَقُه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى به فعَلِم وعَلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به . رواه الشيخان[1] .

ورويا أيضا والبيهقىُّ عنه والإمام أحمد والرامهرمزى فى الأمثال عن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فنادى ثلاث مرات : أيها الناس إن مَثَلى ومثلَ ما بعثنى الله به كمثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم ، فبينما هو كذلك إذ أبصر العدوَّ فأقبل لِيُنْذر قومَه فخشى أن يدركه العدو قبلَ أن يُنْذِر قومَه فأهْوَى بثوبه : أيها الناس أتِيتم — ثلاث مرات — يا قوم إنى رأيت الجيشَ بعينى وأنا النذير العُرْيان فالنَّجاء النجاء ، فأطاعه طائِفةٌ من قومه فأدْلَجوا فانطلقوا علىَ مَهلهم فنَجوْا وكذَّب طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثلُ من أطاعنى واتبع ما جئت به من الحق ، ومثل من عصانى وكذَّب ما جئت به من الحق[2] .

* * *

(١) صحيح البخارى كتاب العلم ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٥ ، ومسند أحمد ٣٩٩/٤ .
(٢) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وكتاب الاعتصام . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦ .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن مسعود والبخارى والترمذى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال ابن مسعود : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع رأسه فى حِجْرى فنام وكان إذا رقد نَفَخَ ، فبَيْنا أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَوسِّد فخذى إذ أتى رجالٌ - وفى لفظ إنَّ هَنِينًا[1] - أتوا عليهم ثيابٌ بِيض الله أعلم بما بهم من الجَمال ، فانتهوا إليه فجلس بعضٌ منهم عند رأس النبى صلى الله عليه وسلم ، وطائفة منهم عند رجليه .

وفى رواية أخرى عن جابر : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رِجْلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا .

فقال بعضهم لبعض : لقد أُوتى هذا العبدُ خيراً ، ما رأينا عبداً قط أُوتىَ مثلَ ما أُوتى ، إنَّ عينيه نائمتان وقَلْبُه يَقْظان . ثم قال بعضهم لبعض : هلم فلنضرب له مثلا ، فقال بعضهم : اضربوا مثلا ونؤوِّل نحن أو نضرب نحن وتؤوّلون أنتم . فقال بعضهم : اسمع سمعت أُذنك واعقل عقل قلبُك ، إن مثلك - وفى لفظ : مثله - كمثل مَلِك ، وفى لفظ : رجل . وفى لفظ : سيِّد ابْتَنَى بنيانا حَصِينا ثم جعل فيه مَأْدُبة وبعث داعياً - وفى لفظ : رسولا - يدعو الناسَ إلى طعامه وشرابه فمنهم من أجاب الرسولَ ومنهم من تركه ، فمن أجابه أكلَ من طعامه وشَرب من شرابه ، ومن لم يجبْه عذَّبه عذاباً شديداً . أَوِّلوهَا له يَفْقَهْها . فقال الآخرون : فأَما السيِّد : فهو ربُّ العالمين . وأما البنيان : فهو الإسلام . والطعام : الجنة . والداعى : محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله وكان فى الجنة ، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله وكان فى النار ، محمدٌ فَرَّق بَيْن الناس .

قال ابن مسعود : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ قال : ما رأيت يا بن أُمِّ عَبْد ؟ هل سمعتَ ما قال هؤلاء ؟ قال عبد الله : رأيتُ كذا وكذا . قال : هل تدرى

---

(١) قال فى النهاية ٢٧٩/٥ : وفى حديث ابن مسعود وذكر ليلة الجن فقال : « ثم إن هنينا أتوا عليهم ثياب بيض طوال » هكذا جاء فى مسند أحمد بن حنبل فى غير موضع من حديثه مضبوطا مقيدا ، ولم أجده مشروحا من كتب الغريب .

من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : المثل الذي ضربوه : الرحمنُ ، بنى الجنة ودعا إليها عبادَه ، فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عاقبه وعذّبه ، ما خفي علىّ شيء مما قالوا ، وهم نفر من الملائكة[1] .

* * *

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مثلى ومثلُ الناس : كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحَوْله جعل الجنادبُ والفَراشُ وهذه الدواب التى تقع فى النار يقَعْن فيها وجعل يَحْجزهن - ويَغْلِبْنه فيقَعْنَ[2] فيها ، فأنا آخذ بحُجَزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها

ولفظ مسلم : « فذلك مثلى ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم هلمّ عن النار فتغلبونى تقتحمون فيها[3] » .

* * *

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيما يرى النائم مَلكين قَعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : اضرب مثَل هذا ومثل أمته . فقال : مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سَفْر انتهوا إلى مَفَازة فلم يكن معهم من الزاد مايقطعون به المفازة ولا مايرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حُلَّة حِبَرة فقال : أرأيتم إن وردتُ بكم رياضاً مُعْشِبة وحِيَاضاً روَاءً أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم فأوردهم رياضا مُعْشبة وحياضا رواءًا فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم : ألم ألقَكم على تلك الحالة فجعلتم لى أن وردتُ بكم رياضا مُعْشِبة وحياضا رواءً أن تتبعونى ؟ قالوا : نعم . فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواءً ، فأكلوا وشربوا وسمنوا . فقال لهم : ألم ألقكم على تلك الحالة فجعلتم لى إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواءً ، أن تتبعونى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن بيْن يديكم رياضًا أعْشَب من هذه وحياضا أروى من هذه فاتبعونى . فقالت طائفة : صَدَق والله لَنتبعنَّه . وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نُقيم عليه[4] .

(١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام (٣٠٨/٣ ط الأميرية) وسنن الترمذى كتاب الأدب باب رقم ٨٦ ، وسنن الدارمى المقدمة ، باب ٢ .
(٢) ط : فيقتحمن .
(٣) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٧ .
(٤) مسند أحمد ٢٦٧/١ (ط الميمنية) .

تَنْبِيهَاتٌ

فى بعض فوائد الحديث

الأول : المثَل : بفتح المثلثة والمراد به هنا : الصفة العجيبة الشأن ، أى صِفتى وصفة ما بعثنى الله به من الأمر العجيب الشأن كصفة رجل أتى قوماً إلى آخره .

والهدى والعلم : أى الطريقة والعمل . روى : « من ازداد علماً ولم يَزْدَدْ هدًى لم يَزْدد من الله إلا بُعْدا » .

والغيث : المطر ، وإنما اختير الغيث على سائر أسماء المطر ليُؤْذن باضطرار الخَلْق إليه حينئذ. قال تعالى : « وهو الذى ينزِّل الغيثَ من بعدِ ما قَنَطوا »[1] وقد كان الناس فى الزمن الأول قبل المبعث وهم على فترة من الرسل قد امتُحنوا بموت القَلْب وذهاب العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده فأفاض عليهم سِجَالَ الوحى السماوىّ ، فأشبهت حالُهم حالَ من توالت عليه السِّنُون وأخلفَتْهم المخَايلِ[2] حتى تداركهم اللهُ بلطفه وأرخت عليهم السماء عَزَاليها[3] ، ثم كان حظُّ كل فريق من تلك الرحمة على ما ذكره من الأمثلة والنظائر .

قال القرطبى والنووى تبعا للقاضى : ضرب النبىُّ صلى الله عليه وسلم لِمَا جاء به من الدِّين مثلاً بالغيث العامّ الذى يأتى الناسَ فى حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حالُ الناس قبلَ مبعثه ، فكما أن الغيث يُحيى البلدَ الميِّت فكذا عُلوم الدين تحيى القلبَ الميت ، ثم شبَّه السامعين له بالأرض المختلفة التى نزل الغيث بها ، فمنهم العالم المعلِّم فهو بمنزلة الأرض الطيبة التى شربت فانتفعت فى نفسها وأنبتت فنفعت غيرَها .

ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقَّه فيما جَمع لكنه أدَّاه لغيره فهو بمنزلة الأرض التى يستقرّ فيها الماء فينتفع الناسُ به ، وهو المشار إليه بقوله « نضرَّ الله امرأ سمع مقالتى فوعَاها فأدَّاها كما سمعها[4] » .

---

(١) سورة الشورى ٢٨ .

(٢) المخايل : جمع مخيلة ، وهى السحابة يظن فيها المطر .

(٣) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ، وتلك استعارة أصلية .

(٤) سنن الترمذى كتاب العلم ، وسنن ابن ماجه . المقدمة باب رقم ١٨ ، وكتاب المناسك باب رقم ٧٦ ، ومسند أحمد ٤٣٧/١ .

ومنهم من سمع العلمَ فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السَّبْخة أو الملساء التى لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها .

قال الحافظ : وإنما أفرد الطائفتين الأوليَين الممدوحتين[1] لاشتراكهما فى الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النَّفع بها .

ثم ظهر لى أن فى كل مَثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه والثانى : الأول منه من دخل فى الدين ولم يسمع العلم ، أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، وأشير إليها بقوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يَرْفع بذلك رأسا » أى أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثانية منه : من لم يدخل فى الدين أصلاً بل بَلَغه فكفَر به ، ومثالها الأرض الصَّمَّاء المَلْساء المستوية التى يمرُّ عليها الماء فلا تنتفع به ، وأشير إليها بقوله صلى الله عليه وسلم : « ولم يَقْبل هُدَى الله الذى أُرْسلت به » .

وقال الطِّيبِىّ : قال المُظَهِّرِىّ[2] : اعلم أنه ذكر فى الأرض ثلاثة أقسام ، وفى تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسمين : أحدهما من فَقه فى دين الله إلى آخره . والثانى : من لم يرفع بذلك رأساً ، يعنى تكبَّر ولم يقبل الدِّين ، يقال : لم يرفع فلان رأسه بهذا أى لم يلتفت إليه من غاية تكبّره ، وإنما ذكره كذلك لأن القسم الأول والثانى من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه ينتفع به والثانى لاينتفع به ، وكذلك الناس قسمان : أحدهما من يقبل العلم وأحكامَ الدين . والثانى : من لا يقبلهما ، وهذا يوجب جَعْلَ الناس فى الحديث على قسمين : أحدهما ينتفع به والثانى لاينتفع به . وأما فى الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام : فمنهم من يقبل العلم بقَدْر مايعمل به ولم يبلغ درجة الفَتْوى والتدريس وإفادة الناس فهو القسم الأول ، ومنهم من يقبل من العلم بقَدْر ما يعمل به وبلغ أيضا درجة الفتوى والتدريس وإفادة الناس ، فهو القسم الثانى ، ومنهم من لايقبل العلم ، وهو القسم الثالث .

قال الطِّيبِىّ : اتفق الشارحون على هذا الوجه الثانى ، وظاهر الحديث يَنْصر الوجه الأول ، لأن الشَّطْر الأول من التمثيل مركَّب من أمرين ، وذلك أن « أصاب منها طائفة » معطوف على « أصاب أرضا »[3] والضمير فى منها يرجع إلى مُطْلَق الأرض المدلول عليه

(١) ط : المحمودتين .

(٢) انظر هذه النسبة فى اللباب ١٥٢/٣ .

(٣) ط : أيضا .

بقوله أرضا ، ثم قسمت الأرض الأولى بحرف التعقيب فى «فكانت» وعطف كانت على كانت قسمين ، فيلزم اشتمال الأرض الأولى على الطائفة الطيبة و على الأجادب ، والثانية على عكسها . فالواو فى «وكانت» ضمت وترا إلى وتر ، وفى «وأصابت» شفعا إلى شفع ، نظيره قوله تعالى : «وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور[1]» وقوله تعالى «إنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات[2]» قال فى الكشاف : الفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين أن الإناث والذكور جنسان مختلفان إذا اشتركا فى حُكْم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العاطف الثانى فمن باب عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع وكأن معناه : إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعدَّ الله لهم[3] .

وأيضا أن أصل التمثيل مركَّب من أمرين : الهدى والعلم لتغايرهما فى الاعتدال ، ويعضده مراعاة معنى التقابل بين الكلامين من إثبات الكلأ وإمساك الماء فى إحداهما ونَفْيهما فى الآخر على سبيل الحَصْر بقوله صلى الله عليه وسلم : «إنما هى قِيعان» ثم تعقيبهما بالتفصيل فى قوله : «فذلك مثلُ من فَقه فى دين الله ونَفعه» إلى آخر الحديث لأنه ذكَر المثَل فيه مرتين .

ويؤيده ما ذكر النووى أن رعَوْا بالراء من الرعى . هكذا هو فى جميع نسخ مسلم . ووقع فى البخارى : «وزَرعوا» وكلاهما صحيح . وإنما قلنا هذه الرواية تؤيد ما ذكرنا لأن فى الكلام حينئذ لَفًّا ونَشْرا . فإن «رَعَوْا» مناسب لأنبتت الكلأ و«فشربوا وسقَوْا» للأجادِب وأمسكت الماء . فيكون الضمير فى نفع الله بها لـ«أرض[4]» ومعنى كليهما صحيح . لأن زرعوا متعلّق بالأول لا بالأجادب فإنها لا تكفى الشرب والسَّقْى فضلاً عن الزرع .

فعلى هذا يكون قد ذكر فى الحديث الطرفان : الغالِى فى الاهتداء والغالى فى الضلال ،

---

(١) سورة فاطر ١٩ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٣) الكشاف ٢/٥٣٨ (ط الحلبى) .

(٤) غير ط : لأرضا .

فعبَّر عمن قَبِلَ هُدَى الله والعلمَ بقوله : « فَقُه فى الدين » إلى آخره . وكنَّى عمن أبَى قبولَهما بقوله « لم يرفع بذلك رأسا » وبقوله ولم يقبل هُدَى الله ، لأنَّ الثانى عطف تفسيرىّ للأوَّل ، وتركَ الوسَط وهو قسمان : أحدهما : الذى ينتفع بالعلم فى نفسه فحسب ، والثانى : الذى لم ينتفع هو بنفسه ولكن نفَع الغيرَ .

وفى الحديث إشعار بأن الاستعدادات ليست بمكتسَبة ، بل هى مواهب ربّانية يَخْتَصّ بها من يشاء ، وكمالُها أن يُفيض الله تعالى عليها من المِشكاة النبوية ، فإذا وجد من يشتغل بغير الكتاب والسُّنة وماوالاهما عُلم أنه تعالى لم يُرِدْ به خيرا ، فلا يُعبأ باستعداده الظاهر ، وأن الفقيه هو الذى عَلِم وعَمِلَ وعلَّم وفاقد أحدها فاقد هذا الاسم ، وأن العالم العامل ينبغى أن يفيد الناسَ بعلمه كما يفيدهم بعمله ، ولو أفاد بالعمل فحسب لم يُحْظ منه بطائل كأرضٍ مُعْشِبة لاماء فيها فلا يمرى مرعاها ولو اقتصر على القول لأشبه السَّقْىَ مجرَّدا عن الرعى ، فيشبه أخذه المستسقى ، ولو منعهما معاً كان كأرضٍ ذات ماء وعُشب حماها بعضُ الظَّلَمة عن مستحقِّيها كما قال القائل :

ومن منح الجهّالَ عِلْماً أضاعَه ومن منع المستوجِبين فقد ظَلَمْ

الطائفة ، هنا : القطعة من الأرض .

قَبِلت : بفتح القاف وكسر الموحدة من القبول .

الكلأ : بالهمز بلا مد .

وقوله : العُشْب : من ذِكْر الخاصّ بعد العام ، لأن الكلأ يُطْلَق على النَّبْت الرَّطْب واليابس معا والعُشْب للرطب فقط .

أجادِب ـ بالجيم والدال المهملة جمع جَدَب بفتح الدال على غير قياس : وهى الأرض الصُّلْبة التى لاينصبّ منها الماء .

فنفع الله بها : أى الأجادب وفى رواية : «به» أى الماء .

زُعُوا : من الرعى وفى رواية : زرعوا ، من الزرع . قال النووى : كلاهما صحيح ، ورجح القاضى الأول بلا مرجح ؛ لأن رواية زرعوا يدل على مباشرة الزرع ليطابق فى التمثيل مباشرة طلب العلم ، وإن كانت رواية رعَوْا مطابقة لقوله أنبتت ، لكن المراد أنها قابلة للإنبات .

قِيعان : بكسر القاف : جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التى لا تنبت شيئا .

فَقُه : بضم القاف أى صار فقيها .

الثانى : فى بعض فوائد الحديث الثانى .

قال الأشرف :

ذِكر العينين إرشاد إلى أنه صلى الله عليه وسلم متحقق عنده جميع ما أخبر عنه من الأمور تحققَ من رأى شيئا بعينه لا يعتريه وَهْم ولا يخالطه شك .

وقال القاضى والنووى والطِّيبى : قوله : « أنا النَّذير العُرْيان » مثَل سائر يُضرب لشدة الأمر ودنوّ المحذور وبراءة المحذِّر عن التُّهْمة . وأصله : أن الرجل إذا رأى العدو وقد هجم على قومه وأراد أن يفاجئهم ، وكان يخشى لحوقهم عند لحوقه تجرَّد عن ثوبه وجعله على رأس خشبة وصاح ليأخذوا حِذْرهم ويستعدوا قبلَ لحوقهم ، وإنما يفعل ذلك لأنه أَبْيَن للناظر وأَغْرَب وأَشْنَع منظرا . فهو أبلغ فى استحثاثهم فى التأهّب للعدو .

وقيل : الأصل فيه : أن رجلا لقِى جيشًا فسلبوه وأسَروه فانفلت إلى قومه فقال : إنى رأيت الجيش وسَلَبونى فرأوه عُرْيانا فتحققوا صِدْقه لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه فى النصيحة ولا جرت عادته بالتعرى . فقطعوا بصدقه لهذه القرائِن . فضرَب صلى الله عليه وسلم لنفسه ولما جاء به بذلك لِمَا أَبْدَاه من المعجزات والخوارق الدالة على القَطْع بصدقه . تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه .

وقال الطيبى : وهذا التشبيه من التشبيهات المفرَّقة . شبَّه ذاته صلى الله عليه وسلم بالرجل ، وما بعثه الله تعالى به من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومَه بالجيش المصبِّح ، وشبَّه مَن أطاعه مَن أمته ومن عصاه بمن كذَّب الرجل فى إنذاره وصدَّقه .

وفى قول الرجل : أنا النذير العريان الخ أنواع من التأكيد : أحدها : « بعينى » لأن الرؤية لا تكون إلا بها . وثانيها : قوله : « إنى » و« أنا » وثالثها : « العُرْيان » فإنه دالّ

على بلوغ النهاية فى قرب العدوّ . وفى ذلك تنبيه على أنه الذى يختص فى إنذاره بالصدق والذى لاشبهة فيه ، وهو الذى يحرص جدا على خلاص قومه من الهلاك .

وقال فى الفرقة الأولى : « فأطاعنى » وقابله فى الثانية بـ« كذّب » ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ، ويُشعر بأن التكذيب مُسْتَتْبعٌ للعِصْيان ، كأنه جمع فى كل من الفرقتين بين المعنيين . وإلى المعنيين أشار بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى » إلى آخره . وأتبع قوله : « اجتاحهم » قولَه « أهْلَكهم » إعلاما بأنه أهلكهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحـد .

الجيش – بجيم فمثناة تحتية فشين معجمة .

بعَيْنى : روى بالإفراد وبالتثنية .

النَّجاء النجاء – بالمد فيهما ، وبمد الأولى وقصر الثانية ، وبالقصر فيهما تخفيفا ، نَصْباً على المصدر أى انجوا النجاء أو على الإغراء أى اطلبوا النجاء تسْرعوا الهربَ .

أدْلَجوا : بهمزة فسكون أى ساروا أول الليل أو الليل كله على الاختلاف فى مدلول هذه اللفظة .

مَهَلهم – بفتحتين – والمراد به الهَيْنة والسكون . وبفتح أوله وسكون ثانيه : الإمهال وليس مرادا هنا .

الطائفة هنا : الفرقة .

صَبَّحهم : أتاهم صباحا هذا أصله ، ثم كثر استعماله حتى استعمل فيمن طرق بَغْتة فى أى وقت كان .

اجتاحهم : بجيم فمثناة فوقية فألف فحاء مهملة أى استأصلهم من جُحْت الشىء أجُوحه إذا استأصلته والاسم الجائحة وهى الهلاك ، وأطلقت لأنها مُهْلكة .

* * *

الثالث : فى بعض فوائد الحديث :

قال القاضى ناصر الدين البيضاوى فى شرح المصابيح رحمه الله تعالى : هذا الحديث

يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون حكايةً سمعها جابر من النبي صلى الله عليه وسلم فحكاها . وثانيهما : أن يكون إخبارا بما شاهده هو نفسه[1] وانكشف له .

وقول بعض الملائكة : « إن العين نائِمة والقلب يقظان » مناظَرة جرَتْ بيانا وتحقيقا لِمَا أَنَّ النفوسَ القدْسيةَ الكاملة لا يَضْعف إدراكها بضعف الحواس واستراحة الأبدان .

والفاءِ فى « فمن أطاع محمدا » فاء السببية ، أى لمّا كان الرسول يدعوهم إلى الله تعالى بأمره وهو سَفِير من قِبَله فمن أطاع فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله .

وقال الطيبى : قوله : « مثله كمثل رجل » مَطْلَعَ للتشبيه ، وهو مبنى على أن هذا التشبيه ليس من التشبيهات المفرَّقة كقول امرئ القيس :

كأَنَّ قلوب الطير رَطْبـا ويابساً لدى وكرها العِنَّاب والحشَف البالِى[2]

شبَّه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشَف على التفريق ، بل هو من التمثيل الذى يُنْتَزع فيه الوجه من أُمور معدودة متوهَّمة منضمّ بعضها مع بعض إذ لو أُريد التفريق لقيل : مثله كمثل داعٍ بعثَه رجلٌ ومن ثَمّ قَدَّمت الملائكة فى التأويل الردَّ على الداعى وعلى المضيف ، وروعى فى التأويل أَدَب حسَن ، حيث لم يصرح المشبَّه بالرجل لكن لمَّح فى قوله : « من أطاع الله » مايدل على أن المشبَّه من هو . ونظيره فى التمثيل قوله تعالى : «إنما مثل الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلَط به نبات الأَرض » قال فى الكشَّاف : ولِيَ المـاءُ الكافَ وليس الغرض تشبيه الدنيا بالمـاء ولا بمفْرد آخر يتمحَّل لتقديره ، ومما هو بيِّن فى هذا قول لَبِيد :

وما النّاسُ إلا كالديارِ[3] وأهلِها بهـا يوم حَلّوها وغَدْوا بلَاقع[4]

لم يشبِّه الناس بالديار وإنما شبَّه وجودهم فيها وسرعة زوالهم وفَنائهم بحلول أهل الديار فيها ووَشْك نهوضهم عنها وتركها خلاءً خاوية .

---

(١) ط : هو عن نفسه .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٦٦ (ط السندوبى) .

(٣) ت ، م : بالديار .

(٤) ديوان لبيد ص ٨٨ (ط صادر) .

وتحريره أن الملائكة مثَّلوا سَبْقَ رحمة الله تعالى على العالمين بإرسال الرحمة المهداة للخَلْق كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين[1] » ثم إعداده الجنة للخَلْق ودعوته صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الجنة ونعيمها وبهجتها ، ثم إرشاده للخَلْق بسلوك الطريق إليها واتباعهم إياه بالاعتصام بالكتاب والسنة المُدْلَيان إلى العالَم السُّفْلى ، وكأن الناس واقعون فى مَهْواة طبيعتهم ومشتغلون بشهواتها ، وأن الله تعالى يريد بلطفه رَفْعهم فأَدْلَى حبل القرآن والسُّنة إليهم ليخلِّصهم من تلك الوَرْطة ، فمن تمسك بها نجَا وحصل فى الفردوس والجناب الأَقْدَس عند مليك مُقْتدر . ومن أَخْلَد إلى الأرض هلَك وأضاع نصيبه من رحمة الله تعالى : بحال[2] مُضِيف كريم بنَى دارا وجعل فيها من ألوان الأَطعمة المستلذَّة والأَشربة المستعْذَبة مالا يُحْصَى ولا يوصف ثم بعث داعياً إلى الناس يدعوهم إلى الضيافة إكراما لهم ، فمن تبع الداعى نال من تلك الكرامة ، ومن لم يَتْبع حرم منها .

ثم إنهم[3] وضعوا مكانَ حُلول سَخط الله تعالى بهم ونزول العقاب السَّرْمد عليهم قولَهم : « لم يدخل الدارَ ولم يأكل من المأْدُبة » لأن فاتحة الكلام سِيقت لبيان سَبْق الرحمة على الغضب فلم يطابق أن لو خُتِم بما يصرِّح بالعذاب والغضَب ، فجاءوا بما يدل على المراد على سبيل الكناية .

وقولهم : « محمدٌ فَرق بين الناس » كالتذييل للكلام السَّابق ، لأَنه مشتمل على معناه ومؤكد له فى حضور الملائكة ورَجْع بعض الكلام على بعض . وتمثيلهم ذلك ووضعهم المُظْهَر موضعَ المضمَر فى مواضع من الحديث . وتكرير الأَلفاظ مرة بعد أُخرى، وفى تقديم المجمَل ممثَّلا به وتأويله ، دلالةٌ على الإرشاد التام وإزاحة العلل وإيقاظ للسامعين من رَقْدة الغفلة وسِنَة الجهالة ، وحَثٌّ لهم على الاعتصام بالكتاب والسُّنة والإعراض عما يخالفهما من البِدْعة والضلالة .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) متعلق بقوله قبل : أن الملائكة مثلوا سبق رحمه الله إلخ .

(٣) أي الملائكة .

المـأدُبة : قال ابن خطيب الدّهْشة فى تقريبه بالفتح والضم : الطعامُ يُدْعَى إليه الناس .

أوِّلوها : أى فسِّروا الحكاية أو التمثيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أوَّل تأويلا إذا فسَّرَ بما يؤول إليه الشىء ، والتأويل فى إصطلاح العلماء : تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالا غير بَيِّن .

فَرّق : روى بالتشديد أى على صيغة الفعل وبالسكون على المصدر وصِف به للمبالغة كالعَدْل ، أى هو الفارق بين المؤمن والكافر والصالح والفاسق ، إذ به تميزت الأعمال والعُمَّال .

* * *

الرابع : فى بعض فوائد الحديث الرابع :

قوله صلى الله عليه وسلم : « مثَلى » أى فى دعاء الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثلِ ما تزيِّن لهم أنفسهم من التمادى على الباطل « كمثل رجل » إلى آخره والمراد تفسير الجملة بالجملة ، لا تمثيل فَرْد بفرد .

قال النووى : مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبَّه تساقط الجاهلين والمخالِفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وحِرْصَهم على الوقوع فى ذلك ومَنْعَه إياهم ، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه[1] .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : هذا مثلٌ كثير المعانى ، والمقصود أن الخَلْق لا يأتون ما يجرّهم إلى النار على قصد الهَلكة ، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة ، كما أن الفراش يقتحم النار لا ليَهْلِك فيها بلى لما يُعْجبه من الضياء ، وقد قيل إنها لا تُبْصر بحال وهو بعيد . وإنما قيل إنها تكون فى ظُلْمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنه كُوّة يُسْتَظْهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهى لا تشعر . وقيل إن ذلك

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٥/٥٠ (ط المصرية) .

لضعف بصرها فتظن أنها فى بيت مُظْلِم وأن السراج كَوّة فترمى نفسها إليها وهى من شدة طيرانها تجاوزه فتقع فى الظُّلْمة فترجع فتحترق .

وقيل : إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءه فلشدة جهلها تورِّط نفسها فيما لا قدرة لها عليه .

وقال الغزالى : التمثيل[1] واقعٌ على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت فى النار ، ولكن جهل الآدمى أشدّ من جهل الفَراش ، لأنها باغترارها بظاهر الضوء إذا احترقت انتهى عَذابُها فى الحال ، والآدمى يبقى فى النار مدةً طويلة أو أبدا .

وقال الطيبى : تحقيق التشبيه الواقع فى هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى : «ومن يتعدَّ حُدودَ الله فأُولئك هم الظالمون[2]» وذلك أن حدود الله هى محارِمه ونواهيه كما فى الحديث الصحيح : « ألا إنَّ حِمَى الله مَحارِمُه[3] » ورأْس المحارم حبُّ الدنيا وزينتها واستبقاء لذتها وشهواتها ؛ فشبَّه صلى الله عليه وسلم تلك الحدودَ ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيقاد الرجُلِ النارَ ، وشبَّه فُشوَّ ذلك الكَشْف فى مشارق الأَرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حولَ المستوقِد ؛ وشبَّه الناسَ وعدمَ مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعدِّيهم حدودَ الله تعالى وحِرْصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومَنْعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم عنه بأَخذ حُجَزهم : بالفراش اللاتى يقتحمن[4] فى النار ويغلبن المستوقِد على دَفْعه إياها عن الاقتحام ، وكما أن المستوقِد كان غرضُه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك ، والفراشُ بجَهْلها جعلتْه سبباً لهلاكها : كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأُمة واحْتِماءها عما هو سبب هلاكهم ، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لتردِّيهم .

---

(١) ت ، م : التشبيه .
(٢) سورة البقرة ٢٢٩ .
(٣) صحيح البخارى كتاب الإيمان .
(٤) ط : يتقحمن .

وفى قوله : «آخِذ بحجزكم» استعارة مثَّلت حالةَ مَنْعه صلى الله عليه وسلم الأُمَّةَ عن الهلاك بحالة رجل آخذ بحُجْزة صاحبه الذى يَهْوَى ، أن يَهْوِيَ فى قعر بئرٍ مُرْدِية .

والفاء فى قوله : « فأَنا آخذ بحجزكم » فصيحة كما فى قوله تعالى : « أيحبُّ أحدُكم أن يأكل لحمَ أخيه مَيْتًا فكرهتموه[1] » ، فإنه تعالى لما سأَل بقوله : «أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحمَ أخيه ميتا » فأجابوا لا . قال : فإذا كان كذلك « فكَرِهْتموه » وكذلك أنه صلى الله عليه وسلم لمّا قال للناس : « مَثلى ومَثلكم » أى صفتى وصفتكم . ثم شرع فى بيان المشبَّه بقوله : « مَثلُ رَجُلٍ » إلخ ، وعُلم منه ما يقابله من التشبيهات على ما بيَّناها آنفا ، أَتى بما هو أهمّ وأَولى منها وهو قوله : « فأَنا آخذ بحُجزكم » بالفاء . كأَنه قيل : إذا صح هذا التمثيل وأنا مثل المستوقِد وأنتم كالفراش تقتحمون فى النار فأَنا آخذ بحجزكم .

ولهذه الدقيقة التفت من الغيبة فى قوله « مثل الناس » إلى الخطاب فى قوله : « فأنا آخذ بحجزكم » كما أنك إذا أَخذت فى حديث من لك عنايةٌ بشأْنه ، والحال أنه مشتغل بشىء يورِّطه فى الهلاك ، ثم إنك من غاية رأْفتك عليه وشدة حرصك على نجاته تجد فى نفسك أنه حضر عندك فتتحرى خلاصه .

استوقد : بمعنى أَوقد ، ولكن الأَول أَبْلَغ كعَفَّ واستعف .

والإضاءة : فَرْط الإنارة ، واشتقاقه من الضوء وهو ما انتشر من الأَجسام النيِّرة يقال : أضاءت النارُ وأضاءت غيرَها يتعدى ولا يتعدى . فإن جعل متعديا يكون : ماحَوْله مفعولا به ، وإن جُعل لازما يجوز أن يكون ما حوله فاعلا له على تأْويل الأَماكن ، ويجوز أن يكون فاعلَه ضميرُ النار ، وما حوله ظَرْف ، فيجعل حصول إشراق النار فى جوانبها بمنزلة حصولها نفسها فيها مبالغة .

وحَوْل الشىء ، جانبه الذى يمكنه أن يُحَوِّل إليه ، أوسمي بذلك اعتبارا بالدوران والإطافة ، ويقال للعام : حَوْل . لأنه يدور .

---

(١) سورة الحجرات ١٢ .

وفى رواية مسلم : «ماحَوْلها » فيكون الضمير راجعا إلى النار وفى رواية البخارى : « ما حوله » كما فى التنزيل[1] والضمير راجع إلى المستوقِد .

الجنادب : جمع جُنْدَب وفيها ثلاث لغات : جُنْدُب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما . والثالثة حكاها القاضى جِنْدَب بكسر الجيم وفتح الدال . والجنادب هذه الصِّرار التىِ تشبه الجراد . وقيل غير ذلك .

الفراش : اسم لنوع من الطير مستقل له أجنحة أكبر من جثته وأنواعه مختلفة فى الكِبَر والصغر وكذا أجنحته .

وهذه الدواب : قال الحافظ : عطف الدواب على الفَراش يُشْعر بأنها غير الجنادب والجراد . قال النووى وتبعه الطيبي : وقوله « وهذه الدواب » كقوله تعالى : « ماذا أراد الله بهذا مَثَلا » وقول عائشة فى حق عبد الله بن عمرو : « عجبت لابن عمرو هذا » والتأنيث فى هذه باعتبار الخبر لأنه جَمْع . ويجوز أن يراد بالفراش الجنس فيؤنث كقوله تعالى : و« وأوحَى ربُّك إلى النحلِ أن اتخذِى[2]» وتخصيص ذِكْر الدواب - والفراشُ لايسمَّى دابة عرفا - لبيان جهلها ، كقوله تعالى : « إنَّ شَرّ الدوابِّ عندَ الله الصُّمُّ البُكْم»[3] كل ذلك تَعْريض بطالب الدنيا المتهالك فيها .

يتقحَّمْن : التقحم أصله القَحْم وهو الإقدام والوقوع فى الأمور الشاقة من غير تثبت ، ويطلق على رَمْى الشيء بغتة . واقتحم الدارَ : هجمَ عليها .

فأنا آخِذ : بوزن اسم الفاعل ، ويروى بصيغة المضارعة . قال النووى : والأول أشهر .

بحُجَزكم : بحاء مهملة مضمومة فجيم مفتوحة فزاى : جمع حُجْزة وهى مَعْقد الإزار والسراويل .

عن النار : وضع السبب موضع المسبَّب ؛ لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع فى المعاصي التى تكون سببا لولوج النار .

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة البقرة ١٧ : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » .

(٢) سورة النحل ٦٨ .

(٣) سورة الأنفال ٢٢ .

هلم : كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال : تعال . قال الخليل : أصله : لُمَّ من الضمّ والجمع ، ومنه لَمَّ اللهُ شعثه . وكأن المنادى أراد لُمَّ نفسك إلينا . وهاء للتنبيه ، وحذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال وجُعلا اسما واحدا . وقيل فى أصلها غير ذلك . وأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع . وفى لغة نَجْد تَلْحقها الضمائر وتطابِق . وتستعمل لازمةً نحو « هلمَّ إلينا » أى أقبل ومتعدية نحو « هلمَّ شُهَداءَكم »(١) أى أحضروهم .

فتغلبونى : بتشديد النون لأن أصله فتغلبوننى ، فأدغم أحد النونين فى الأخرى ، والفاء فيه سببية على التعكيس كاللام فى « فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَنا »(٢) وتقديره : أنا آخذ بحُجَزكم لأُخلصكم عن النار فعكَسْتم فجعلتم الغَلَبة مسبَّبة عن الأخذ .

تقحَّمون : بفتح المثناة الفوقية والقاف والحاء المهملة المشددة والأصل تتقحَّمون فحذف إحدى التاءين .

* * *

الخامس: فى بعض فوائد الحديث :

سَفْر - بفتح السين المهملة : جمع سافِر كرَكْب وراكب ، يقال سَفر الرجل سَفَرا من باب طلب خرج للارتحال فهو سافِر .

المفازة : الفلاة بلا ماء من المهالك أو من النجاة تفاؤلا .

الحُلَّة : بضم الحاء لا تكون إلا من ثوبين .

حِبَرة : كعِنَبة على الوصف أو الإضافة .

وردْتُ بكم : يقال وردَ الماء والشيء : حضره

رِياضًا : جمع روضة وهى الموضع المعْجِب بالزهور .

مُعْشِبة : ذات عُشْب ، وهو الكلأُ الرَّطْب .

حِياضا ; جمع حوض وهو ما يجمع فيه الماء .

رِوَاءً : بوزن كتاب جمع رَيًّا يقال رَوِى من الماء بالكسر رَيًّا ويُكْسَر . أو المكسور اسم فهو رَيَّان والمرأة رَيَّا كغضبان وغَضْبى وجمعهما رِوَاء .

(١) سورة الأنعام ١٥٠ . (٢) سورة القصص ٨ .

الباب الخامس عشر

فى مثله ومثل الأنبياء من قبله

روى الإمام أحمد والشيخان والبيهقى عن أبى هريرة ، والإمام أحمد ومسلم عن أبى سعيد الخُدْرى ، والإمام أحمد والشيخان عن جابر بن عبد الله . والإمام أحمد والترمذى وصحَّحه عن أُبَىّ بن كعب رضى الله تعالى عنهم . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن مثَلى ومثل الأنبياء من قَبْلى : كمثل رجلٍ بنى بيتًا فأحسَنه وأَجْمَلَه وأتمَّه إلا موضعَ لَبِنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناسُ يدخلون ويطوفون ويتعجبون له ويقولون : لولا موضعُ اللبنة . وفى لفظ : يقولون له : هلاَّ وضعتَ هذه اللبنة فيتمَّ بنيانك ، فأنا فى النبيين موضعُ تلك اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء »[1] .

قال الحافظ : إن قيل المشبَّه به واحد والمشبَّه جماعة . فكيف صح التشبيه ؟

وجوابه : أنه جعل الأنبياء كلَّهم كرجل واحد . لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل . وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البُنْيان . ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلىّ . وهو أن يُؤخذ وصف من أوصاف المشبَّه ويشبَّه بمثله من أحوال المشبَّه به ، فكأنه شبَّه الأنبياء وما بُعثوا به من إرشاد الناس ببيتٍ أُسِّست قواعدُه ورفع بنيانه وبقى منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت . فنبيّنا صلى الله عليه وسلم بُعث لتَتميم مكارم الأخلاق ، كأنه هو تلك اللبنة التى بها إصلاح ما بقى من الدار .

وزعم ابنُ العربى أن اللبنة المشار إليها كانت فى أُسّ الدار المذكورة ، وأنها لولا وَضْعها لانقضّت تلك الدار . قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى .

وهذا إن كان منقولا فحسَن ، وإلا فليس بلازم . نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ وسنن الترمذى كتاب الأدب وكتاب المناقب ، ومسند أحمد ١٣٧/٢ ، ٢٥٦ ، ٣١٢ ، ٣٩٨ ، ٤١٢ .

فى مكان يُظْهر عَدَمَ الكمال فى الدار بفقدها ، وقد وقع فى رواية همَّام عند مسلم : « إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياها » فظهر أن المراد أنها مكمِّلة محسِّنة وإلا لاستلزم أن يكون الأَمر بدونها كان ناقصا ، وليس كذلك فإن شريعة كلٍّ نبيٍّ بالنسبة إليه كاملة ، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية ، مع ما تقدم من الشرائع الكاملة .

الباب السادس عشر

فى الوقت الذى كُتب فيه نبيِّنا صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير أن رجلا سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : متى كنت نبيًّا : قال : بين الرُّوح والطين من آدم[1] .

وروى أيضا عن عبد الله بن شَقِيق عن أبى الجدْعاء قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : « وآدم بين الرُّوح والجسد »[2] - رجاله ثقات - وروى الترمذى وحسّنه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قالوا : يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد[3] » . وتقدمت أحاديث فى الباب الثالث أوائل الكتاب فراجعْها[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٤٨/١ (ط بيروت) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ١ .

(٤) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب .

الباب السابع عشر

فى إعلام الوحش برسالته صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أَحمد عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: حدَّثنا شيخ أَدْرك الجاهلية يقال له عَنْبس[1] قال : كنت أسوق بقرةً لآلٍ لنا فسمعت من جوفها : يا آل ذَرِيح ، قولٌ فصيح . رجلٌ يصيح : لا إله إلا الله .

قال : فقدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خَرَج بمكة[2] .

ذَرِيح – بذال معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة .

وروى الإمام أحمد عن أَبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء ذئب إلى راعى غنم فأَخذ شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تَلٍّ فأَقْعَى فقال : عَمِدْت إلى رزقٍ رزقنيه الله انتزعتَه منِّى ؟ فقال الرجل : تالله إنْ رأَيت كاليوم ! ذئب يتكلم ! فقال الذئب : أَعْجَب من هذا رجلٌ فى النخلات بين الحرَّتَيْن يخبركم بما مضى وما هو كائن . وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأَخبره الخبرَ وصدَّقه النبي صلى الله عليه وسلم . الحديث .

ويأْتى بتمامه فى المعجزات ويأْتى فيها قول الضبّ له : أَنت رسول الله[3] .

---

(١) ص : عباس .

(٢) الوفا ص ١٥٩ .

(٣) مسند أحمد ٣٠٦/٢ وقد أورده الحافظ ابن كثير بطرق متعددة عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة وأنس وابن عمر . شمائل الرسول لابن كثير ٢٧٣ – ٢٨٠ . كما ورد فى الشفا للقاضى عياض ص ٢٦٥ .

الباب الثامن عشر

فى شهادة الرضيع والأبْكَم برسالته صلى الله عليه وسلم

روى البيهقى عن مُعْرض بن عبد الله بن معَيْقيب اليَمامىّ ، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : حججت حجة الوداع فدخلت دارًا بمكة فرأيت فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر ورأيت منه عجبًا . جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال : صدقتَ بارك الله فيك . قال : ثم إن الغلام لم يتكلم بعد حتى شبَّ فكنا نسمِّيه مبَارَكَ اليمامة[1] .

وروى أيضا عن شِمْر بن عطيّة عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها قد شبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولِد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَدْنِيه منِّى فأَدْنته منه فقال : من أنا ؟ قال : أَنت رسول الله[2] .

وسيأْتى فى المعجزات زيادة على ذلك .

---

(١) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبى) ص ٣٠٣ عن البيهقى .

(٢) شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٠٤ .

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

فى تعليم جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

عن أُسامة بن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما أن جبريل أَتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أول ما أُوحى إليه فأَراه الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء حَثَى حفنة من الماء فنضَح بها فَرْجَه .

رواه الإمام أحمد والدارقطنى من طريق رِشْدِين بن سعد وهو ضعيف ، عن عقيل عن قُرّة ، عن عروة ، عن أُسامة . والحارثُ بن أَبى أسامة ، والدارقطنى من طريق بن لَهِيعة وهو ضعيف ، عن عقيل ، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن أُسامة بن زيد ، عن أَبيه فذكره . ورواه الطبرانى فى الأَوسط عن عقيل عن الزهرى به . فينظر فيمن دون عُقَيْل فإن كانوا ثقاة فالحديث سَنده جيد .

ورواه أَبو نُعَيْم من طريق النضر بن سلمة وهو ضعيف ، عن عائشة . ورواه أَبو نعيم والبيهقى من طريق يزيد بن رُومان[1] عن عروة بن الزبير . فذكر مجىْ جبريل عليه السلام وحديث البعث ، وفى آخره : ففتح جبريلُ عينًا من ماء فتوضأً ومحمد صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلى الكعبين ثم نضح فَرْجه وسجد[2] سجدتين مواجهة البيت ففعل محمدٌ كما رأَى جبريلَ يفعل .

ورواه أَبونُعَيْم من طريق يزيد [بن رُومان][3] عن الزهرى عن عروة عن عائشة[4] .

وهذه الطرق يقوِّى بعضها بعضا ، ويدل على أَن للقصة أَصْلا .

وقد ذكر القصةَ ابنُ إسحاق[5] ورواها البلاذُرىّ[6] عن الزهرى وقَتادة والكَلْبى

---

(١) بياض بالأصل وما أثبته من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٤

(٢) ت ، م : ثم سجد .

(٣) بياض فى ت ، م . وما أثبته من دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٤ .

(٤) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٤ وفيها : عن يزيد بن رومان الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ولعل هناك سقطا بين قوله : يزيد بن رومان وقوله : الزهرى .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٤/١ .

(٦) أنساب الأشراف للبلاذرى ١١١/١ .

ومحمد بن قيس قالوا : إن جبريل علَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة و « اقرأْ باسم ربك الذى خَلق » أتاه وهو بأَعلى مكة فهَمز له بعَقِبه فى ناحية الوادى فانفجرت له منه عَينٌ فَتوضأَ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيَف[1] الطَّهُور للصلاة ، ثم توضأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأَى جبريلَ يتوضأ ، ثم أَقام به جبريلُ فصلى به .

وفى حديث عائشة السابق أنه صلى به ركعتين نحو الكعبة واستقبل الحجرَ الأَسود[2] . انتهى .

وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأَ لها يريها كيف الطَّهُور للصلاة كما أَراه جبريل ، فتوضأَت كما توضأَ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلَّى لها كما صلى به جبريل ، فصلَّت بصلاته .

وروى الإِمام أَحمد والبيهقى وابن عبد البَرّ عن إِسماعيل بن إِياس بن عفيف الكندى عن أَبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأً تاجرا فقدمت الحجَّ فى الجاهلية . فأَتيت العباسَ ابن عبد المطلب لأَبْتاع منه بعضَ التجارة فوالله إنى لعنده بمنىً إذ خرج رجل[3] مُجتَمعٌ مِن خباءٍ قريب منه . فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت توضأَ فأَسبغ الوضوء ثم قام يصلى ، ثم خرج غلام قد راهقَ الحُلم من ذلك الخباء فقام يصلى معه ، ثم لم أَلبثْ إلا يسيرا حتى جاءت امرأَة من ذلك الخِباء فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب وركع الغلامُ وركعت المرأَة ، ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت المرأَة ، ثم خرَّ الشاب ساجدًا وخرَّ الغلامُ وخرَّت المرأَة فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟ قال : هذا محمد بن عبد المطلب ابن أَخى . قلت : من هذه المرأَة . قال : هذه امرأَته خديجة بنت خويلد . فقلت : من هذا الفتى ؟ قال : هذا علىّ بن أَبى طالب ابن عمه قلت : فما هذا الذى يصنع ؟ قال : يصلى ، يزعم

---

(١) ت ، م : كيفية .
(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٤ .
(٣) غيْر ص : إذا برجل خرج .

أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى ، وهو يزعم أنه ستُفتح عليه كنوز كسرى وقيصر .

قال عفيف : فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانيا مع على بن أبى طالب(١) .

وهذا الحديث يردّ قولَ من قال : إن فَرْض الصلاة كانت بالغداة والعشيّ فقط .

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : الوضوء على هذا الحديث - يعنى رواية الحارث بن أبى أسامة . عن زيد بن حارثة - مكّى بالفَرْض مدنىّ بالتلاوة ، لأن آية الوضوء مدنية وإنما قالت عائشة : فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهى هى لأن الوضوء قد كان مفروضا قبل ، غير أنه لم يكن قرآنا يُتْلى حتى نزلت آية المائدة .

قلت : قال الحاكم رحمه الله تعالى فى المستدرك : أهلُ السُّنة بهم حاجة إلى دليل الردّ على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول المائدة . ثم ساق حديثَ ابن عباس : دخلتْ فاطمةُ على النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقالت: هؤلاء الملأُ من قريش قد تعاقدوا على قتلك فقال : ائتونى بوَضُوء فتوضأ ثم خرج إلى المسجد .وذكر الحديث(٢) .

وقال أبو عمر رحمه الله تعالى : معلوم عند جميع أهل المغازى أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلِّ منذ افترضت الصلاة إلا بوضوء ، ولا يَدْفع هذا إلا جاهلٌ أو معانِد ، قال : وفى قول عائشة رضى الله تعالى عنها : « فأنزل الله آية التيمم » إشارة إلى أن الذى طرأ إليهم من العلم حينئذ حُكْم التيمم لا حكم الوضوء .

قال : والحكمة فى نزول آية الوضوء مع ما تقدم العمل به ليكون فَرْضه متلوًّا بالتنزيل .

وقال غيره : يحتمل أن يكون أول آية الوضوء نزل قديما فعملوا به ، ثم نزل بقيتُها وهو ذِكْر التيمم فى هذه القصة . وإطلاق آية التيمم على هذا من إطلاق الكلِّ على البعض .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٩/١ ، عن ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير ، وتابعه ابراهيم بن سعد عن ابن إسحاق. والوفا لابن الجوزى ص ١٦٨ .

(٢) المستدرك للحاكم ١٦٣/١ ونصه : « وأهل السنة من أحوج الناس لمعارضة ما قيل إن الوضوء لم يكن » الخ .

قال الحافظ : لكن رواية عمرو بن الحارث عند البخارى فى التفسير تدلّ على أن الآية نزلت جميعُها فى هذه القصة ، فالظاهر ما قاله ابن عبد البّر .

وقال القاضى رحمه الله تعالى : اختلفوا متى فرضت الطهارة للصلاة ؟ فذهب ابن الجَهْم إلى أن الوضوء فى أول الإسلام سُنَّة ثم نزل فَرْضه فى آية التيْمم وقال الجمهور : بل كان قبل ذلك فرضا . انتهى .

* * *

الثانى : قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلَّاها به عند البيت مرتين ، فبيَّن له أوقات الصلوات الخمس أولها وآخرها فإن ذلك كان بعد فرضِيّتها ليلة الإسراء ، كما سيأتى بيان ذلك[1] .

الثالث : زعم ابن حزم أن الوضوء لم يُشْرَع إلا بالمدينة وتُعقب بما تقدم .

الرابع : قال السهيلى : ذكر الحَرْبىّ ويحيى بن سلَّام أن الصلاة كانت قبل الإسراء صلاةً قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها .

ونقل ابن الجوزى عن مُقَاتل بن سليمان قال : فَرض اللهُ تعالى على المسلمين فى أول الإسلام ركعتين بالغَداة وركعتين بالعَشِىّ .

قال الحافظ بعد أن نقل ما ذكره الحَرْبى : وردَّه جماعة من أَهل العلم . وقال قبل ذلك : ذهب جماعةٌ إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما وقع الأَمر به من صلاة الليل من غير تحديد .

* * *

الخامس : ذكَر ابن إسحاق هنا حديثَ ابن عباس فى إمامة جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياه أوقاتَ الصلوات الخمس فى اليومين .

قال فى الرَّوْض : ولم يكن ينبغى له ذِكْره فى هذا الموضع ، لأَن أهل العلم متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه[2] .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٢٧ .

(٢) الروض الأنف ١/١٦٣ .

السادس : فى بيان غريب ما تقدم .

حتى صَبَّ الحَفْنة – بفتح الحاء المهملة : ملء الكفين .

نضح : بالحاء المهملة : رَشَّ .

لَهِيعة : بفتح اللام وكسر الهاء .

عُقَيْل : بضم العين وفتح القاف . هَمَز : أى دفع .

بعقِبه – بفتح العين وكسر القاف : مؤخر القدم .

الطُّهور – بضم الطاء : الوضوء ويجوز فيه الفتح والأكثر فى الماء الفتح ، ويجوز الضم .

عَفِيف – بعين مهملة بالتكبير : صحابى له فى فضل علىٍّ حديثٌ .

مُجْتَمِع – بميم مضمومة فجيم ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فميم مكسورة: وهو الذى بلغ أَشدّه ولا يقال ذلك فى النساء .

إسباغ الوضوء : الوضوء هنا بالضم لأَنه الفعل ويجوز فيه الفتح ، والماء بالفتح ويجوز فيه الضم .

راهَق : قاربَ الاحتلام .

الباب الثانى

فى إسلام خديجة بنت خويلد ، وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم ، واختلاف الناس فيمن أسلم أولا .

قال أبو عمر : اتفقوا على أن خديجة أول من آمن .

وقال أبُو الحسن ابن الأثير : خديجة أول خَلْق الله أسلَم بإجماع المسلمين ، لم يتقدمها رجلٌ ولا امرأة[1] وأقرّه الذهبي . وقال محمد بن كعب القُرَظى : أول من أسْلَمَ[2] من هذه الأُمة برسول الله صلى الله عليه وسلم : خديجةُ رضى الله تعالى عنها .

رواه البيهقى[3]

وروى الدُّولابىّ عن قَتادة والزُّهْرىّ قالا : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال .

وحكى الإمام الثَّعْلبى اتفاقَ العلماء على ذلك ، وإنما اختلافهم فى أول من أسْلَم بعدها .

وقال النووى : إنه الصواب عند جماعة من المحقِّقين .

وقال ابن إسحاق : وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدّقت بما جاء به[4] من الله . ووازَرَتْه على أمره ، فكانت أولَ من آمن بالله ورسوله وصدَّق بما جاء به ، فخفَّف الله بذلك عن رسوله ، لا يَسْمع بشىء يكرهه من رَدٍّ عليه وتكذيب له فَيحْزُنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبِّته وتُخفِّف عليه وتصدِّقه وتهون عليه أمرَ الناس . يرحمها الله تعالى[5] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣٧/٢ (ط بيروت) .

(٢) كذا ، ولعلها : أول من آمن . وفى ابن كثير : وقال محمد بن كعب أول من أسلم من هذه الأمة خديجة .

(٣) سيرة ابن كثير ٤٣١/١ .

(٤) ت ، م : بما جاءه .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ .

وقال الواقدىّ : أجمع أصحابُنا أن أول المسلمين استجابَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة .

***

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدَّق بما جاءه من الله علىٌّ بن أبى طالب ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة يصلِّيان سرًّا ثم إن علىَّ بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعَث به رُسلَه فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكُفْرٍ باللات والعُزَّى . فقال على : هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم . فلست بقاضٍ أمرًا حتّى أحدِّث به أبا طالب . وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُفْشى عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمرُه . فقال له : يا علىّ إذا لم تُسْلم فاكتم هذا . فمكث علىٌّ تلك الليلة . ثم إن الله تبارك وتعالى أَوْقَع فى قلب علىٍّ الإسلامَ فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضتَ علىّ يا محمد : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد .

ففعل علىٌّ رضى الله عنه وأسْلَم ، فمكث علىّ يأْتيه على خوفٍ من أبى طالب وكتم إسلامَه ولم يظهره .

قال مجاهد : وكان مما أنْعَمَ الله على علىٍّ أنه كان فى حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ، لِمَا أراد الله به من الخير ، وذلك أن قريشا أصابتهم أزمةٌ شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه : وكان من أيْسَر بنى هاشم : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة فانطلقْ فخفِّفْ عنه من عياله[1] فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لى عُقَيْلا فاصنعا ما شئتما .

---

(١) ت ، م : من هذه العيال .

قال ابن هشام : ويقال : عُقَيْلا وطالبا ، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه ، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيًّا فاتبعه وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

قال ابن إسحاق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شِعَاب مكة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مُسْتخفيا من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائرِ قومه فيصلِّيان الصلاة فإذا أمْسَيا رجعَا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثَر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ما هذا الذى تَدِين به . قال : أيْ عم هذا دينُ الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم – أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعثنى الله به رسولا إلى العبَاد وأنت أى عم أحقُّ من بذلتُ له النصيحةَ ودعوتُه إلى الهدى وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه . أو كما قال . فقال أبو طالب :أى ابنَ أخى إنى لا أستطيع أن أُفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يَخْلُص إليك شىء تكرهه ما بقيت .

وذكروا أنه قال لعلى : أى بنى ما هذا الدِّين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدَّقت بما جاء به وصلَّيت معه . فزعموا أنه قال له : أمَا إنه لم يَدْعك إلا إلى خير فالزَمْه[1] .

وروى الإمام أحمد عن على رضى الله تعالى عنه قال : ظهر علينا أبو طالب وأنا أُصلِّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا تصنعان ؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقال : ما بالذى تقول من بأْس . ولكن والله لا تَعْلونى اسْتى أبدا .

وروى البيهقى عن محمد بن كعب القُرَظى قال : أول من أسلم من هذه الأُمة خديجةُ وأول رجلين أسلما : أبو بكر وعلى ، وأسلم علىّ قبلَ أبى بكر ، وكان علىّ يكتم إيمانه خوفاً من أبيه حتى لقيه أبوه قال : أسلمتَ ؟ قال : نعم . قال : وازِرْ ابنَ عمِّك وانصره .

قال : وكان أبو بكر أول من أظهر الإسلام[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٤٥ – ٢٤٧ .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤٣١ .

وروى الترمذى واستغربه وابنُ جرير عن جابر قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين وصلى علىٌّ يوم الثلاثاء .

وروى ابنُ جَرير عن زيد بن أَرْقَم قال : أَولُ من أَسْلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أَبى طالب[1] .

قال أَبو عمر : وقد روى عن سَلْمان والمِقْداد وخَبَّاب وجابر وأَبى سعيد الخدرى وزيد ابن أَرْقم أَن على بن أَبى طالب أَول من أَسلم . وبذلك قال ابن إسحاق والزُّهْرى إلا أَنه قال : من الرجال بعد خديجة . وهو قول الجميع فى خديجة[2] .

قال ابن إسحاق : ثم أَسْلَم زيدُ بن حارثة بن شَرَاحِيل – بفتح الشين المعجمة والراء فأَلف فحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية فلام – ابن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكَلْبى مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أَول ذكَر أَسلَم وصلَّى بعد علىّ ابن أَبى طالب .

قال ابن إسحاق : ثم أَسْلَم أَبُو بكر بن أَبى قُحَافة .

روى البيهقى عن ابن إسحاق أَن أَبا بكر – رضى الله تعالى عنه – لقى رسولَ الله – صلَى الله عليه وسلم فقال : أَحقٌّ ما تقول قريشٌ يا محمد من تَرْكك آلهتنا وتسْفيهك عقولَنا وتكفيرك إيانا ؟ فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : بلى– إنى رسول الله ونبيّه بعثنى لأُبلِّغ رسالته . وأَدعوك إلى الله بالحق . فوالله إنه لَحقّ فأَدعوك يا أَبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته . وقرأَ عليه القرآن فلم يعزّ[3] ولم يُنْكر بل أَسلم وكفَر بالأَصنام وخلع الأَنداد وأَقرّ بحق الإسلام . ثم رجع إلى أَهله وقد آمن وصدّق .

قال ابن إسحاق : بلغنى أَن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : ما دعوتُ أَحَدًا

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٣١/١ . وزاد : قال فذكرته للنخعى فأنكره وقال : أبو بكر أول من أسلم .

(٢) انظر جمع ابن كثير بين الأقوال فى أول من أسلم ، السيرة ٤٣٢/١ .

(٣) كذا ، والذى فى ابن كثير ٤٣٣/١ : فلم يقر ولم ينكر . وقال ابن كثير : وهذا الذى ذكره ابن إسحاق فى قوله : « فلم يقر ولم ينكر » منكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله .

إلى الإسلام إلا كانت عنده كَبْوة وتردّد ونظَر إلا أبا بكر ما عكَم عنه حين ذكرتُه له ولا تردّد[1] .

الكَبْوة – بكاف مفتوحة فموحدة ساكنة فواو فتاء تأنيث : قال أبو ذر : يعنى تأخُّرًا وقلةَ إجابة من قولهم كَبَا الزَّنْدُ : إذا لم يُورِنارا .

ما عكَم – بعين مهملة فكاف مفتوحتين : أى ما تلبَّثَ بل أجاب بسرعة .

قال البيهقى : وذلك لِمَا كان يرى من دلائل نبّوته ويسمع بشأنه قبل دعوته ، فلما دعاه وقد سبق فيه تفكُّره ونظره أسلَم على الفور .

قال السهيلى – رحمه الله تعالى – : وكان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا أنه رأى رؤيا قبلُ ، وذلك أنه رأى القمر نزل إلى مكة ثم رآه قد تفرَّق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل فى كل بيت شُعْبَة ، ثم كان جميعه فى حِجْره . فقصّها على بعض أهل الكتابَيْن فعبَّرها له بأن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – المنتظَر قد أظلَّ زمانُه ، اتَّبعْه وتكونُ أسعدَ الناس به . فلما دعاه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لم يتوقف[2] .

وروى ابن الجوزى فى صَفْوة الصفوة عن الشَّعْبي قال : قال ابن عباس : أوّل من صلَّى أبو بكر وتمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكَّرت شَجْوًا من أخى ثقــةٍ ... فاذكر أخــاك أبا بكرٍ بما فعــلاَ
خيرَ البرية أتْقَاهــا وأفْضَلهــا ... بعد النبي وأوْفاهــا بما حَمــلاَ
والثــانىَ التــالى المحمــود مَشْــهده ... وأَوّلَ الناس منهم صَدَّق الرُّسـلاَ[3]

قال السهيلى : وقد مدح حسانٌ أبا بكر بما ذكر وسمعه النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولم ينكره .

وفيه دليل على أنه أَوّل من أسلم .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٣٣/١ . وهذا الذى ذكره المؤلف عن ابن إسحاق ليس فى سيرة ابن هشام ، إذ هو من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق . أما سيرة ابن هشام فهى من رواية زياد البكائى عن ابن إسحاق .

(٢) الروض الأنف ١٦٥/١ . (ط الجمالية) .

(٣) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٨٩/١ .

وقال إبراهيم النَّخَعى : أول من أسلم أبو بكر . رواه الإمام أحمد وصححه.

قال ابن كثير : وقول النَّخعى هو المشهور عند جمهور أهل السُّنة[1] .

وقال المحب الطَّبَرى تبعا لأبى عمرو بن الصلاَح : الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال : أول من أسلم مطلقاً : خديجة . وأول ذكَر أسلم علىّ بن أبى طالب وهو صبى لم يبلغ . وكان مُخْفيا إسلامه . وأول رجل عربىّ بالِغ أسلَم وأظهر إسلامه أبو بكر ابن أبى قُحَافة ، وأول من أسلم من الموالى : زيد . وقال : هذا مُتَّمَق عليه لا خلاف فيه ، وعليه يحمل قول علىّ وغيره : أول من أسلم من الرجال أبو بكر . أى من الرجال البالغين .

ويؤيده ما رواه خيثمة فى فضائل الصحابة عن الحسن بن على بن أبى طالب – رضى الله تعالى عنه – قال : إن أبا بكر سبقنى إلى أرْبع لم أعتضْ بشىء منهن : سبقنى إلى إفشاء الإسلام ، وقِدَم الهجرة . ومصاحبته فى الغار . وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشِّعْب يُظْهر إسلامه وأُخفيه . الحديث .

وجمع بعضُ المحققين بين الاختلاف بالنسبة إلى علىّ وأبى بكر بأن أبا بكر أول من أظهر إسلامه ، وأن علياً أول من أسلم بعد خديجة . ويحققه ما مرَّ .

وقيل : أول رجل أسلم ورقةُ بن نوفل . ومن يمنع يدعى أنه أدرك نبوته عليه الصلاة والسلام لا رسالته . لكن جاء كما تقدم فى بدء الوحى أنه قال لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : أبْشر فأنا أشهد أنك الذى بشَّر به ابنُ مريم . وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبىّ مرسَل . وأنك ستُؤْمَر بالجهاد . وإن أدركتُ ذلك لأُجاهدّن معك . فهذا تصريحٌ منه بتصديقه برسالة محمد – صلَّى الله عليه وسلم .

قال البُلْقينى : بل يكون بذلك أولَ من أسلم من الرجال . وعلى ذلك جرى الحافظُ أبو الفضل العِرَاقى فى نُكَته على كتاب ابن الصلاح .

وقيل : إن خالد بن سعيد أسْلَم قبل علىّ – رضى الله تعالى عنهما .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٣٥/١ .

ثنبيه : فى بيان غريب ما سبق .

وازَرتْه كذا فى نسخ السيرة . وقال الجوهرى : الأَزْر : القوة إلى أن قال : آزَرْت فلانا : عاونته ، والعامة تقول : وازَرْته .

الحِجْر : بفتح الحاء وكسرها .

أَزْمة - بفتح الهمزة ثم زاى ساكنة : وهى الشدة والقَحْط ، يقال أصابتهم سَنَةٌ أزمتهم أى استأصلتهم . وأزم عليهم الدّهر يَأْزم أَزْما اشتد وقلّ خيره .

الشِّعاب - بكسر الشين المعجمة : جمع شِعْب بكسرها أيضاً ، وهو ما انفرج بين الجبلين . وقيل هو الطريق فى الجبل .

عثَر عليهما ، بفتح الثاء المثلثة : اطَّلع .

لا يُخْلَص ، بالبناء للمفعول : أى لا يَصل إليكم أَحدٌ بسوء .

الشَّجْو : الهم والحزن . هذا أصله قال فى الرياض النضرة : هذا أصله ولا أرى له وجها هنا إلا أن يريد به ما كابَده أبو بكر - رضى الله عنه . فأطلق عليه شجوا لاقتضائه ذلك ، أو أراد حزنَ أبى بكر مما جرى على النبى - صلَّى الله عليه وسلَّم[1] .

النواجذ : جمع ناجذ بالجيم والذال المعجمة وهو آخر الأَضراس .

---

(١) راجع الرياض النضرة ١/٥٥ - ٥٧ (الطبعة الأولى) .

الباب الثالث

فى ذكر متقدمى الإسلام من الصحابة – رضى الله تعالى عنهم

تقدّم علىٍّ وزيد بن حارثة

قال ابن إسحاق : فلمّا أسلم أبو بكر – رضى الله تعالى عنه – أظهر إسلامه ودعا إلى الله تعالى وكان رجلا مُؤلَّفا لقومه محبَّبا سهلا ، وكان أنْسَب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان – فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خُلق حسن ومعروف ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لِعلْمه وتجارته وحُسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسْلم على يديه فيما بلغنى :

عثمانُ بن عَفَّان بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصىّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى .

والزبيرُ بن العَوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصَىّ بن كِلَاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، بن عبد الحارث ، بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤى .

وسعد بن أبى وقاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤى .

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب ابن لؤى .

ولما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفلُ بن خويلد بن العدوية فشدَّهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم ، وكان نوفل هذا يُدْعَى أسدَ قريش ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة : القَرينَيْن . وكان النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : اللهم اكفنا ابنَ العدَويّة .

فانطلقوا حتى أتوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام وبما وعدهم الله تعالى من الكرامة ، فآمنوا وأصبحوا مقرِّين بحق الإسلام .

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا فى الإسلام فصلُّوا وصدَّقوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فآمنوا بما جاءه من عند الله[1] .

وروى البخارى عن عمَّار بن ياسر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : رأيت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وما معه إلا خمسة أعْبُد وامرأتان وأبو بكر[2] .

قال الحافظ : أما الأعبد فهم : بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر ، فإنه أسلم قديماً مع أبى بكر.

روى الطبرانى عن عروة أن عامرا كان ممن يعذَّب فى الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

وأبو فُكيهة ـ بفاء مضمومة فكاف مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة: مولى صفوان بن أمية بن خلف، ذكر ابن إسحق أنه أسلم حين أسلم بلالٌ فعذبه أمية فاشتراه أبو بكر فأعتقه

وأما الخامس[3] فيحتمل أن يفسَّر بشَقْران فقد نقل ابن السَّكن فى الصحابة عن عبد الله بن أبى داود أن النبى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ورثه من أبيه هو وأمَّ أيْمن .

وذكر بعض شيوخنا بدل أبى فُكَيْهة عمَّار بن ياسر . وهو محتمَل ، وكان ينبغى أن يكون منهم أبوه ، فإن الثلاثة كانوا ممن يعذَّب فى الله .

وأما المرأتان : فخديجة . والأخرى أمّ أيمن أو سُمَيَّة .

وذكر بعض شيوخنا تبعا للدمياطى أنها أمّ الفضل زوج العباس ، وليس بواضح لأنها وإن كانت قديمة الإسلام إلا أنها [لم][4] تذكر فى السابقين ولو كان كما قال لعُدَّ أبو رافع مَوْلى العباس لأنه أسلم حين أسلمت أمّ الفضل .

وكذا عند ابن إسحاق فى هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال الأحرار مطلقاً . لكن مُراد عمَّار بذلك : من أظهر إسلامه وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم لكنهم كانوا يُخْفون إسلامهم من أقاربهم .

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٥٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب مناقب أبى بكر .

(٣) أى من الأعبد الذين أسلموا أولا .

(٤) زيادة متعينة .

وروى البخارى عن سعد بن أبي وقّاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ: قال لقد رأيتُنى وأنا ثُلْث الإسلام وما أَسْلَم أحدٌ إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وأنا ثُلث الإسلام[1] .

قال الحافظ : قال ذلك سعدٌ بحسب اطلاعه ، والسبب فيه أن من كان أسلم فى ابتداء الأمر كان يُخْفِى إسلامه ولعله أراد بالاثنين الآخرين خديجة وأبا بكر ، أو النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر . وقد كانت خديجة أسلمت قطعا ، فلعله خصَّ الرجالَ .

وبما ذكر يحصل الجمع بين حديث عمار بن ياسر وبين حديثى عمار وسعد ، أو يُحْمَل قولُ سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأَعبد المذكورون أو لم يكن اطلع على أولئك .

ويدل على هذا الأخير أنه وقع عند الإسماعيلى بلفظ : « ما أسلم أحدٌ قَبْلى » وهو مقتضى رواية البخارى ، وهى مُشْكلة لأنه قد أسلم قبله جماعةٌ لكن يحمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ .

ورواه ابن مَنْده بلفظ : ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمتُ فيه وهذه لا إشكال فيها إذ لا مانع أن لا يشاركه أحدٌ فى الإسلام يومَ أسلم .

لكن رواه الخطيب من الطريق التى رواها ابن منده فأثبت «إلا» فتعيَّن الحمْلُ على ما قلته . انتهى .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار بن ياسر ، وأمه سُمَيَّة ـ بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية ـ وصُهَيْب ، وبلال ، والمِقْداد[2] الحديث .

قال ابن إسحاق ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب ـ

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ٢/١٦٦ (ط الأميرية) .
(٢) مسند أحمد ١/٤٠٤ ، وسنن ابن ماجه المقدمة باب رقم ١١ .

بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية – بن ضَبَّةَ – بفتح الضاد المعجمة الساقطة وتشديد الموحدة – ابن الحارث بن فِهْر .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة – بمثناة تحتية مفتوحة فقاف ساكنة فظاء معجمة مُشَالة – بن مُرّة بن كعب بن لؤى .

وأسلم بعده عشرةُ أنفس فكان الحادى عشر : عُتْبة بن غَزْوان – بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى فواو فألف فنون – بن جابر[1] بن وهب المازنى .

حَمْزة بن عبد المطلب ويأتى الكلام على إسلامه فى بابه .

مُصْعَب بن عُمَيْر .*

عيّاش بن أبى ربيعة .

والأَرْقَم بن أبى الأرقم عبد مناف بن أسد . وكان أسد يكنى أبا جُنْدَب ، بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لُؤى .

وعثمان بن مَظْعون – بالظاء المعجمة المُشَالة – ابن حَبِيب – بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة – بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص – بضم الهاء وفتح الصاد المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم صاد مهملة – ابن كعب بن لُؤى .

وروى أبو الحسن خيثمة الأطرابلسى فى فضائله أن هذه[2] الأربعة أسلموا أيضا على يد أبى بكر .

وأخوا عثمان : قدامة وعبد الله ابنا مظعون .

وعُبَيْدة – بضم أوله وفتح الموحدة – بن الحارث بن المطَّلب ، بن عبد مناف ابن قُصَىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط – بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة – ابن رِيَاح – براء مكسورة فمثناة تحتية –

---

(١) ط : ابن خالد . وانظر نسب عتبة بن غزوان فى ابن هشام ١/١٠٧ . ولم يذكر ابن هشام إسلام عتبة بن غزوان عند ذكره للسابقين ١/٢٥٢ .

(٢) كذا ولعلها هؤلاء الأربعة .

ابن رَزّاح – براء مفتوحة فزاى وآخره حاء مهملة – بن عدىّ بن كعب بن لؤى وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيْلِ بن عبد العُزّى أخت عمر بن الخطاب .

روى البخارى عن سعيد قال : لقد رأيتنى وعمرُ مُوثِقِى على الإسلام أنا وأخته ، وما أسلم بعد[1] .

وأسماء وعائشة بنتا أبى بكر رضى الله عنهم .

كذا ذكر ابن إسحاق[2] . قال فى الزَّهْر والعُيون والدُّرر : وهو وَهْم لم تكن عائشة ولدت بعدُ فكيف تُسْلم وكان مولدها سنة أربع من النبوة ؟

وخَبَّاب – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة ابن الأَرت – بتشديد المثناة الفوقية ، حليف بنى زهرة . قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأَرت من بنى تميم . ويقال من خزاعة .

وعُمَيْر بن أبى وقاص .

وعبد الله بن مسعود بن غافل – بغين معجمة وبعد الألف فاء مكسورة – ابن حَبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة – ابن شَمْخ – بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وآخره خاء معجمة – ابن فار – بفاء وراء مخففة – ابن مخزوم بن صاهلة – بصاد مهملة وبعد الألف هاء مكسورة – ابن كاهل – قيَّده الوَقْشِىّ بأنه سمِّى من الفعل – من كاهَلَ يكاهِل . قاله فى الرَّوْض[3] . وسيأْتى فى المعجزات سبب إسلامه .

ومسعود ابن ربيعة – كذا قاله ابن عُقْبة وابن إسحاق . وقال أبو معشر والواقدىّ ربيع القارىّ – بتشديد الياء منسوب إلى القارة . ابن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حِمَالة – بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم – ابن غالب . بن مُحَلِّم – بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة – ابن عائذة – بالمثناة التحتية وبالذال المعجمة – ابن سُبَيْع – بضم السين المهملة وفتح الموحدة مصغَّر .

---

(١) صحيح البخارى كتاب مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ١٨٣/٢ (ط الأميرية) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢٥٤/١ .
(٣) الروض الأنف ١٦٦/١ .

كذا قال ابن إسحاق وتبعه فى العيون والنُّور . وقال البلاذُرِىّ يَيْثَع - بمثناة تحتية مفتوحة فأُخرى ساكنة فمثلثة مفتوحة فغين معجمة ، كذا وجدته مضبوطا بالقلم فى نسخة صحيحة قوبلت ثلاث مرات . ابن الهُون - بضم الهاء وإسكان الواو ثم نون . قال فى الصحاح : الهُون بالضم : الهوان . وهُون بن خزيمة بن مُدْركة انتهى .

وقال البلاذرى : فى الهون جد مسعود بن ربيعة : إنه بفتح الهاء . انتهى .

ابن خزيمة بن القارَة - بالقاف وتخفيف الراء .

وسَلِيط - بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم مثناة تحتية ساكنة ثم طاء مهملة - ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل - بكسر الحاء وسكون السين المهملتين - ابن عامر بن لؤى .

وعيَّاش - بمثناة تحتية وشين معجمة - ابن أَبى ربيعة ، واسم أَبى ربيعة : عمرو ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

وامرأته أَسماء بنت سلَاَمة - بتخفيف اللام - ابن مُخَرِّبة - بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة فراء مشددة مكسورة فموحدة مفتوحة . فتاء تأْنيث ، ابن جَنْدل بن أُبَيْر - بهمزة مضمومة فموحدة فمثناة تحتية ساكنة - ابن نَهْشل بن دارِم الدارمية التميمية .

وخُنَيْس - بخاء معجمة مضمومة فنون مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة - ابن حُذَافة - بحاء مهملة فذال معجمة - ابن عدىّ بن سعيد بن سهم بن عمر بن هُصَيْص ابن كعب بن لؤى . كذا فى السيرة خُنَيس بن عدى بن سعيد بن سَهْم . قال الأَمير أَبو نصر فى القسم المختلف فيه : سعيد بن سَهْم أخو سَعْد بن سَهْم بن عمر بن هُصَيْص ، اسمه سعيد - بفتح السين وكسر العين . وقريش تصغِّره فتسميّه سُعَيْد تصغير سعد .

وقال السّهيلى مانصه : وذكر ابن إسحاق فى السابقين إلى الإسلام من بنى سهم عبدَ الله بن قيس بن الحارث بن عدىّ بن سعيد بن سهم ، حيثما تكرر فى نسب بنى عدى ابن سعد بن سهم . يقول فيه ابن إسحاق : سعيد والناس على خلافه ، وإنما هو سعد وسيأْتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ،وإنما سعيد بن سهم أخو سعد وهو

جد آل عمرو بن العاصى بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . وفى سَهْم سعيدٌ آخر وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطَّلب بن أبى وَدَاعة عوف بن صبيرة بن سَعيد بن سعد . وقد قيل فى صبيرة : ضبيرة - بالضاد المعجمة[1] .

وقال الخُشنى : قول ابن إسحاق فى نسب خنيس هذا : ابن سعيد بن سهم . كذا وقع هنا وصوابه سعد . وإنما سعيد ابنه[2] .

وعامر بن ربيعة العَنْزى - بإسكان النون . وهو فيما ذكر ابن الكلبى عامر بن ربيعة الأصغر ، ابن حُجَيْر - بحاء مهملة مضمومة فجيم مفتوحة ، ابن سَلاَمَان بن مالك بن ربيعة الأكبر - بن رُفَيْدة - براء مضمومة ففاء مفتوحة فمثناة ساكنة فدال مهملة ، ابن عبد الله وهو عَنْز بن وائل بن قاسِط - بقاف وسين وطاء مهملتين . ابن هِنْب بهاء مكسورة فنون ساكنة فباء موحدة بن أَفْصَى - بفتح الهمزة ففاء ساكنة فصاد مهملة مفتوحة - ابن دُعْمىّ - بدال مضمومة فعين ساكنة مهملتين فميم مكسورة فمثناة تحتية مشددة تشبه ياء النَّسَب . ابن جَدِيلة - بجيم مفتوحة فدال مكسورة - ابن أسد بن ربيعة بن نزار حليف آل الخطاب .

وعبد الله بن جحش بن رِئاب - براء مكسورة فمثناة تحتية فهمزة فموحدة - ابن يَعْمَر - بمثناة تحتية وميم مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة . وقيل فيه بضم الميم وهو غير مَصْروف ، ابن ضُبَيْرة - بضاد معجمة وتهمل مضمومة فباء موحدة فمثناة تحتية ساكنة - ابن مرة بن كَبِير - بفتح الكاف وكسر الموحدة . ابن غَنْم - بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة - ابن دُودَان - بدالين مهملتين الأُولى مضمومة بينهما واو ساكنة - ابن أسد بن خزيمة .

وأخوه أبو أحمد واسمه عَبد بغير إضافة . وقيل عبد الله وليس بشىء إنما عبد الله أخوه .

وجعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عُميس - بعين مضمومة وسين مهملة بلا خلاف ، ابن النعمان ابن كعب بن مالك بن خَثْعم .

---

(١) الروض الأنف ١٩٧/١ .

(٢) شرح السيرة لأبى ذر ص ٨٠ .

كذا هو عند ابن إسحاق وعند أبي عمر : أسماء بنت عميس بن مَعد بوزن سَعد أوله ميم . ووقع فى الاستيعاب بفتح العين وتُعقِّب - ابن الحارث ، بن تَميم بن كعب بن مالك ابن قُحَافة بن عامر بن ربيعة بن معاوية بن زيد بن مالك بن نَسْر - بنون مفتوحة فسين مهملة ساكنة - ابن عِفْرِس - بعين مكسورة ففاءٍ ساكنة فراءٍ مكسورة فسين مهملتين ابن وهب الله بن شَهْران - تثنية أحد شهور السنة - ابن حَلْف - بفتح الحاءِ المهملة وإسكان اللام وبالفاءِ نقله الأمير[1] عن ابن حبيب ابن أفْتَل - بهمزة مفتوحة ففاءٍ ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام وهو جمَاع خَثْعم بن أنْمَار على الاختلاف فى أنمار .

وقيل : أسماء بنت عُمَيْس بن مالك بن النعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافة بن عامر ابن زيد بن نَسْر بن وهب الله .

وحاطب - بحاء فطاء مهملتين غير مصروف بن الحارث بن معمر، بفتح الميمين، ابن حبيب بن وهب بن مالك بن حُذافة بن جُمَح -بجيم مضمومة فميم مفتوحة فحاء مهملة .

وامرأته فاطمة بنت المَجلَّل - بجيم مفتوحة وزن اسم المفعول - ابن عبد الله بن قيس ابن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل - بحاء مكسورة فسين ساكنة مهملتين فلامَ - ابن عامر ابن لؤى .

وأخوه خطَّاب بن الحارث .

وامرأته فُكَيْهَة - بضم الفاء وفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء آخره تاء تأنيث - بنت يَسَار - بمثناة تحتية فسين مهملة .

ومَعْمَر - بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة - ابن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب ابن وهب بن دارِم بن جُمَح .

والسائب بن عثمان بن مَظْعون .

والمطَّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد - بغير إضافة - ابن الحارث بن زُهْرة .

وامرأته رَمْلة ، بلام ، بنت عوف بن صُبَيْرة - بصاد مهملة مضمومة فموحدة مفتوحة

---

(١) أبو نصر ابن ماكولا . وتقدمت ترجمته فى أول الجزء الأول من هذا الكتاب .

فمثناة تحتية ساكنة ، ابن سُعَيْد بضم أوله وفتح ثانيه – كما ضبطه الأمير – بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى .

والنحَّام بنون فحاء مهملة مشددة ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أَسِيد – بوزن أمير – ابن عبد الله بن عوف بن عَبِيد – بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية – ابن عَوِيج – بعين مفتوحة مهملة فواو مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فجيم – ابن عدىّ ابن كعب .

وعامر بن فُهَيْرة – بضم الفاء وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وفتح الراء آخره تاء تأنيث . مَوْلى أبي بكر الصديق .

وخالد بن سعيد بن العاصى بن أُمية بن عبد شمس . وقد قيل إنه أسلم قبل أبي بكر .

وامرأته أُمَيْنة بهمزة مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية فنون فتاء تأنيث . كذا فى عدة نسخ من العيون . وكذا وجد مضبوطا بخط الحافظ أبي الحجاج بن خليل .

وقال الحافظ : أُمَيْمة بميمين . ويقال اسمها أُمَيْنة بالنون بدل الميم . ويقال هُمَيْنة بالهاء بدل الألف .

وقال أبو ذر : أميمة روى هنا بالميم ، وأمينة بالنون وبالياء وهو الصواب[1] .

بنت خلف بن أَسْعَد بن عامر بن بياضة ابن سُبَيْع – بضم السين المهملة وفتح الباء – وقال أبو ذر : كذا وقع هنا وصوابه يُثَيْع – بمثناة تحتية مضمومة فثاء مثلثة – قاله ابن الدبَّاغ وغيره . ابن خَثعمة – بخاء معجمة مفتوحة فمثلثة – قال أبو ذر : كذا وقع هنا وصوابه جِعْثِمة – بجيم مكسورة فعين مهملة ساكنة فثاء مثلثة مكسورة – قاله ابن الدباغ . انتهى. وكذا وجد فى نسخة من الإكمال بخط الحافظ أبي الحجاج بن خليل بن سعد .

ابن مُلَيْح – بميم مضمومة فلام مفتوحة – بن عمرو ابن خزاعة .

وحاطب – بالحاء المهملة – بن عمر بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن عتبة بن ربيعة بن حِسْل بن عامر بن لؤى .

---

(١) شرح السيرة لأبى ذر ص ٨٠ .

وأبو حذيفة ، قال ابن هشام : اسمه مِهْشم - بكسر الميم وسكون الهاء .

وقال السهيلى : قول ابن هشام وَهْم عند أهل النسب فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة ابن المغيرة أخو هاشم ، وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وأما أبو حذيفة ابن عتبة فاسمه قيس فيما ذكروا . انتهى .

وكذا ذكر أبو ذر . وقال فى الزَّهْر : فيما ذكَره السُّهيلى نظر ، لأن الواقدى وأبا نعيم والعسكرى والبغوى والحاكم وابن عبد البَرّ سموه مِهْشمًا ، زاد العسكرى : ويقال أيضاً هُشَيْم ، ويقال هشام - وعند الحاكم عن جماعة من القدماء حِسْل - بكسر الحاء وسكون السين المهملتين . وقيل بَحْشَل - بفتح الباء وسكون المهملة . فيُنْظَر مَن النسَّابون الذين سموه قَيْسًا ، وينظر من ذكر أبا حذيفة بن المغيرة فى السابقين إلى الإسلام أو فى الصحابة جملة[1] .

قلت : لم يذكره الحافظُ فى الإصابة . فكأنه هَلَك كافرًا .

وواقد - بالقاف والدال المهملة - ابن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرِين - بعين مهملة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فنون - ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم حليف بنى عدى .

وخالد وعامر وعاقل - بعين مهملة فألف فقاف ، وإياس بنو البُكَيْر - بضم الموحدة ابن عبد يليل - بمثناة تحتية فلام مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام - ابن ناشِب - بنون فألف فشين معجمة مكسورة فموحدة - ابن غِيَرة - بغين معجمة مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة فراء فتاء تأنيث من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة حلفاء بنى عدى .

وعمَّار - بعين مهملة مفتوحة فميم مشددة - بن ياسر - بمثناة تحتية فألف فسين مهملة ابن عامر بن مالك ابن كنانة بن قيس بن الحُصَيْن - بحاء مهملة مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين - ابن الوَذِيم - بواو مفتوحة فذال معجمة مكسورة فمثناة تحتية - ابن ثعلبة

(١) فى الإصابة ٤٢/٤ : « أبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى قال معاوية : اسمه مهشم . وقيل : هشيم ، وقيل : هاشم . وقيل : قيس » وفى أسد الغابة ١٧٠/٥ (ط طهران) : « أبو حذيفة بن عتبة . . يقال اسمه مهشم وقيل هشيم وقيل هاشم » .

ابن عوف بن حارثة - بحاء مهملة ومثلثة - ابن عامر الأكبر بن يام - بمثناة تحتية وَزنْ سام - بن عَنْس - بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فسين مهملة - وهوزيد بن مالك ابن أُدَد . ومالك جِماع مَذْحِج - بميم مفتوحة فذال معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة فجيم - حليف بني مخزوم .

وصُهَيْب - بضم الصاد وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وآخره موحدة - ابن سِنَان ابن مالك بن عبد عمرو بن عُقَيْل - بضم المهملة وفتح القاف . كما وجد بخط ابن الأمين فى حاشية الاستيعاب - بن عامر بن جَنْدَلة - بجيم فنون فدال مهملة - ابن سعد بن جذيمة - بجيم فذال معجمة فمثناة تحتية - ابن كعب بن سعد ابن أَسْلَم بن أَوْس مناة ، ابن النَّمر بن قاسط - بالقاف والسين المهملة . كذا هو عند ابن الكلبي وعند أبى عمر سِنَان ابن خالد بن عبد عمرو . بن الطفيل بن عامر بن جَنْدَلة بن سعد بن خُزَيمة - بالخاء المعجمة والزاى - ابن كعب بن سعد . ومنهم من يقول ابن سفيان . بن جندلة بن مُسْلم بن أوس ابن زيد مناة بن النَّمر بن قاسِط . ويقال له الرومى ، وكان مولى لعبد الله بن جُدْعان .

وذكر أبو عمر فيهم(1) : عُتْبة بن مسعود . أخو عبد الله بن مسعود .

وأبا نجيح عمرو بن عَبَسَة - بعين مهملة فموحدة فسين مهملة مفتوحات وزن عَدَسَة - ابن مُنْقِل - بميم مضمومة فنون ساكنة فقاف مكسورة فلام - ابن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن حذيفة بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بُهْثة - بباء موحدة مضمومة فهاء ساكنة فمثلثة مفتوحة فتاء تأنيث - ابن سليم .

ومازن بن مالك ، أمه بَجْلَة - بفتح الباء وسكون الجيم وفتح اللام - بنت هُنَاءة - بضم الهاء فنون فألف ممدودة فتاء تأنيث - ابن مالك بن فَهْم - بفتح الفاء وسكون الهاء - وإليها ينسب البَجْلي - بسكون الجيم - ذكره كذلك الرشاطىّ . وحكى عن ابن عمر فى نسبه غير ذلك وصحح ما تقدم . وحكى عن أبى عمر فى نسبه غاضرة - بغين وضاد معجمتين بينهما ألف وآخره راء بعدها تاء تأنيث - ابن عتاب بعين - مهملة فمثناة فوقية فألف فموحدة - وزعم أنه خطأ وأن الصواب فى ذلك النسب : ناضرة بالضاد المعجمة

(1) فى السابقين الأولين .

الساقطة ، كما استظهره فى النور . ابن خُفاف – بخاء معجمة مضمومة ففاء مخففة فألف ففاء أُخرى .

روى الشيخان والبَرْقانى أن أبا أُمامة قال لعمرو بن عَبَسة : بأى شىء تَدَّعى أنك رُبْع الإسلام ؟ قال : كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على غير شىء وأنهم ليسوا بشىء وهم يعبدون الأوثان . قال فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتى فقدِمْت عليه فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مستخفيًا جِرَاءٌ[1] عليه قومُه فتلطَّفْت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له : ماأنت ؟ قال : نبىٌّ . قلت : وما نبى ؟ قال : أرسلنى الله . قلت : بأى شىء أرسلك ؟ قال : أرسلنى بصلة الرحم وكسر الأوثان وأن يوحَّد الله لا يُشْرَك به . فقلت : من معك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعبد . قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال[1] .

وذكر أبو عمر أيضا أبا ذَرّ جُنْدَب – بجيم مضمومة فنون ساكنة فدال مهملة تضم وتفتح – بن جنادة بن سفيان بن عبد حَرام – بفتح الحاء والراء المهملتين – ابن غِفَار بغين معجمة ففاء مخففة فراء – ابن مُلَيْل بميم مضمومة ولامين الأُولى مفتوحة بينهما مثناة تحتية – ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

روى الحاكم عنه : قال كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع .

قال أبو عمر : ولكنهما يعنى أبَا نجيح وأبا ذَرّ رجعا إلى بلاد قومهما .

وأنيس أخو أبو ذر كما سيأتى .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ٢٩٤ .
ومسند أحمد ١١١/٤ ، ١١٢ .

الباب الرابع

فى قصة إسلام أبى ذر وأخيه أنيس رضى الله تعالى عنهما

روى أبو داود الطيَالسى والإمام أحمد ومسلم عن عبد الله بن الصامت . والبخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، كلاهما عن أبى ذر . قال ابن الصامت عنه : قد صلَّيت يا بن أخى قبل أن ألقى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ثلاثَ سنين . قلت : لمن ؟ قال لله . قلت فأين توجّه ؟ قال : حيث يوجِّهنى ربى عز وجل أصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت نفسى كأنى خِفَاء حتى تَعْلونى الشمس . قال فقال لى أنيس أخى : إن لى حاجة بمكة فاكفنى ، فانطلق . ثم جاء .

وقال ابن عباس عنه : كنت رجلا من غِفَار فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبى فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل فكلِّمه وائتنى بخبره . فانطلق أنيْس حتى أتى مكةَ فراث علىّ ثم جاء فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن الشر . وفى رواية لقد رأيت[1] رجلا بمكة على دِينك يزعم أن الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر كاهن ساحر . وكان أُنَيْس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قولَ الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحدٍ بعدى أنه شعر . والله إنه لصَادق وإنهم لكاذبون – قال : فقلت : لم تَشْفنى من الخَبر فاكفِنى حتى أذهب فأنظر . قال : نعم وكن على حَذر من أهل مكة فإنهم قد شنِفوا له وتجهَّموه . قال : فحملت شَنَّةً لى فيها ماء . وفى رواية : فأخذت جرابا وعصا ثم أقبلت إلى مكة فأتيت المسجدَ ألتمس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولا أعرفه وأكره أن أسأل عنه . وفى رواية ابن الصامت : فتضعَّفْتُ رجلاً منهم فقلت : أين هذا الرجل الذى تَدْعونه الصابئ ؟ فأشار إلى : فقال : الصابئ الصابئ

(١) ط : لقيت رجلا .

فمال عليّ أهلُ الوادى بكل مَدَرة وعَظْم حتى حَرَرْتُ مغشيًّا عليَّ . قال : فارتفعت حين ارتفعت كأنى نُصبٌ أحمر ، فأتيت زمزمَ فغسلت عنى الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت ثلاثين بين ليلةٍ ويوم وما كان لى طعامٌ إلا ماء زمزم ، فسمنْت حتى تكسَّرت عُكَن بطنى وما وجَدْت على كبدى سَخْفة جوع . فدخلت بين الكعبة وأستارها فبينا أهلُ مكة فى ليلة قَمْراء إضْحيان إذ ضُرب على أصْمِختهم فما يطوف بالبيت أحدٌ وامرأتان منهم تدعوان إسافا ونائلة فأتتا عليَّ فى طوافهما فقلت : أنكحوا إحداهما الأُخرى . فما تناهتا عن قولهما ، فأتتا عليّ فقلت : هَنٌ مثل الخشَبَة[1] . غير أنى لا أكَنِّى . فانطلقتا تُوَلْوِلان وتقولان : لو كان ها هنا أحدٌ من أنفارنا .

فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطتَان قالا : ما لكما ؟ قالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قالا : ما قال ؟ قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأُ الفم .

وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجَر وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلَّى . فلما قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاته أتيت فقلت : السلام عليك يا رسول الله . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فرأيت الاستبشارَ فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر : فكنت أولَ من حيَّاه بتحية الإسلام فقال : وعليك السلام ورحمة الله . ثم قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من غِفَار . فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته فقلت فى نفسى : كره أن انتمَيْت إلى غِفَار . فذهبت آخذ بيده فقدَعنى . صاحبى وكان أعلم به منى ، ثم رفع رأسه فقال : متى كنت هاهنا ؟ قلت : كنت من ثلاثين بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يُطْعمك ؟ قلت : ما كان لى طعام إلا ماءُ زمزم فسمنْتُ حتى تكسَّرت عُكَن بَطْنى وما أجد على بطنى سَخْفة جوع . قال : مباركة ، إنها طَعام طُعْم وشفاء سُقْم .

وفى رواية ابن عباس عن أبى ذر قال : أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه ، وأشربُ من ماء زمزم وأكون فى المسجد ، واضطجعت . قال : فمرَّ بى عليٌّ فقال : كأنَّ الرجل غريب ؟ قلت : نعم . قال : فانطلقْ إلى المنزل . قال فانطلقت معه

---

(١) ط : مثل خشبة .

لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت احتملت قِرْبتي وزادي إلى المسجد أسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس أحدٌ يخبرني عنه بشيء. فظللت ذلك اليوم حتى أمسيت فعدت إلى مضجعي فمرَّ بي عليّ فقال : أما نال[1] للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا . قال : انطلقْ معي . فذهبت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره عن شيء ، فلما كان اليوم الثالث فعل ذلك ، فأقامه فذهب معه ثم قال له : ألاَ تحدثني ما الذى أقْدَمك هذا البلدَ ؟ فقلت له : إن كتمتَ عليَّ أخبرتُك . وفى رواية : إن أعطيتنى عهدا وميثاقاً لتَرشدنِّي فعلتُ . ففعل فأخبرته فقال : أمَا إنك قد رشَدْت إنه حَقّ وإنه رسول الله . فإذا أصبحتَ فاتبعني فإن رأيتُ شيئا أخافه عليك قمتُ كأنى أريق ماء . وفى رواية : قمتُ إلى الحائط كأنى أُصْلح نَعْلى وامضى أنت . فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مَدْخلى . فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : اعرض عليّ الاسلام ، فعرض فأسلمتُ مكانى فقال : يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى قومك فأخبرهم بأمرى ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت : والذى بعثك بالحق – وفى رواية : والذى نفسى بيده – لأصرخن بها بين ظَهْرانيهم .

فخرجتُ حتى آتى[2] المسجدَ وقريشٌ فيه فناديت بأعلى صوتى : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدأن محمدا رسول الله . فقال : قوموا إلى هذا الصابئ . فثار القومُ فضُربت لأموت. وفى رواية حتى أضجعونى فأدركنى العباس فأكبَّ عليّ ثم قال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غِفَار وأن طريق تجارتكم عليهم ؟ ! فأقلَعوا عنِّى .

فلما أصبحت الغدَ رجعت فقلت مثلَ ما قلت بالأمس. فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فصُنع بى ما صنع بالأمس . وأدركنى العباسُ فأكبَّ عليَّ وقال مثلَ مقالته بالأمس .

وفى حديث ابن الصامت فقال أبو بكر : يا رسول الله ايذن لى فى طعامه الليلة . فانطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما . ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلتُ بها . ثم أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه

---

(١) ص : أما آن .
(٢) ت ، م : حتى أتيت .

وسلم فقال : إنى وجِّهت لى أَرضٌ ذات نخل ولا أَراها إلا يَثْرب فهل أنت مبلِّغ عنى قومَك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجُرك فيهم ؟

قال : فأَتيت أُنَيْسًا فقال ما صنعتَ ؟ قلت : قد أسلمتُ وصدَّقت . فقال : ما لى رغبة عن دينك فإنى قد أَسلمت وصدقت . فأُتينا أمَّنا فقالت : ما بى رغبةٌ عن دينكما فإنى قد أَسلمت وصدقت ، فاحتملنا حتى أَتينا قومنا غفارًا فأَسلم نصفُهم وقال نصفهم : إذا قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أَسلمنا . فقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأَسلم نصفُهم الباقى وجاءتْ أَسْلَم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نُسْلم على الذى أَسْلَموا عليه . فأَسلموا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غِفَار غَفر الله لها وأَسْلَم سالَمها الله[1] » .

تَنْبيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : قول أَبى ذرّ لأَخيه : ما شفَيْتَنى مغايرٌ فى الظاهر لما فى حديث ابن الصامت . ويمكن الجمع بأَنه أَراد منه أَن يأتيه بتفاصيل من كلامه وأَخباره فلم يأته إلا بمُجْمَل .

وفى حديث ابن عباس أَن لَقْياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علىّ ، وفى حديث ابن الصامت أن أَبا ذر لقى النبىَّ صلى الله عليه وسلم وأَبا بكر فى الطواف بالليل ، كما هو مذكور فى القصة ، وأَكثره يغاير ما فى حديث ابن عباس هذا عن أَبى ذر ، ويمكن التوافق بينهما بأَنه لقيه أَولاً مع على ثم لقيه فى الطواف ، أَو بالعكس ، وحَفِظ كلٌّ منهما ما لم يحفظ الآخر .

الثانى : قال فى المُفْهِم : فى التوفيق بين الروايتين تكلُّف شديد لاسيما أَن فى حديث عبد الله ابن الصامت أَن أَبا ذر أَقام ثلاثين لا زاد له . وفى حديث ابن عباس أَنه كان معه زاد وقِرْبة ماء إلى غير ذلك .

---

(١) قصة إسلام أبى ذر فى صحيح البخارى كتاب المناقب باب مناقب الأنصار . وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ١٣٢ ، ومسند أحمد ١٧٥/٥ .

قال الحافظ : ويحتمل الجمع بأن المراد بالزاد فى حديث ابن عباس ما تزوّده لمّا خرج من أرض قومه . ففرَغَ لما أقام بمكة . والقِرْبة التى كانت معه كان فيها الماء حال السفر ، فلما أقام بمكة لم يحتَجْ إلى مَلْئها ولم يطرحها . ويؤيده أنه وقع فى رواية أبى قتيبة عند البخارى : فجعلتُ لا أعرفه - يعنى النبى صلى الله عليه وسلم - وأكره أن أسأل عنه ، وأشربُ من ماء زمزم وأكون فى المسجد .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما سبق

الخِفَاء - بخاء معجمة وفاء - وزن كِتاب : الكِسَاء ، أو رداء تلبسه المرأة أو العروس فوق ثيابها .

فأين كنت تَوجَّه : بفتح التاء والجيم ، وفى رواية تُوجِّه بضم التاء وكسْر الجيم - وكلاهما صحيح .

راث يَريث بالمثلثة : أبطأ .

أقْراء الشعر . بالقاف والراء وبالمد : طُرقه وأنواعه . شَنِفُواله ، بشين معجمة مفتوحة فنون مكسورة ففاء . أى أبغضوه يقال شنِف له شنفًا إذا أبغضه .

تجهموه - بالجيم : أى تلقوه بالغلظة والوجه الكريه .

الشَّنَّة . بفتح الشين المعجمة والنون المشددة : القربة البالية .

نضعَّفتُ رجلاً : أى نظرت إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالبا .

الصَّابئ : من صَبَأَ يَصْبَأُ ، إذا انتقل من شىء إلى شىء وكانوا يسمون من أسلم صابئا .

مال عليه أهل الوادى : تحاملوا .

المدَرة : القِطْعة من الطين .

النُّصُب - بضم الصاد المهملة وبسكونها : حَجَر نُصِب فعُبد من دون الله وجمعه أنصاب ، كانوا يذبحون عليه فيحمرّ بالدم .

تكسَّرت : تثنَّت لكثرة السِّمَن وانطوت .

عُكَن بطنى : بضم العين المهملة وفتح الكاف وأعكانه جمع عُكْنة وهى الطىّ الذى فى البطن من السِّمَن .

السَّخْمة – بفتح السين المهملة وسكون الخاء المعجمة : ما يَعْترى الإنسان من الخفَّة عند الجوع . وبضم السين : الخفَّة فى العقل .

قَمْراء : مقمرة ليس فيها غَيْم .

إضْحيان – بكسر الهمزة والحاء المهملة وإسكان الضاد المعجمة بينهما : أى مضيئة .

أصْمخة[1] – بالسين وبالصاد أيضا فخاء معجمة جمع صِمَاخ وهى ثقب الأُذن المتصل بالدماغ والمراد بالضرب هنا : النومُ المانع من نفوذ الكلام إلى الأُذن .

إساف – بكسر الهمزة ونائلة بالنون والمثناة التحتية المكسورة : صنمان كانا لهم فى الجاهلية .

فما تناهيتَا عن قولهما : أى ما انتهتا عن قولهما بل دامتا عليه .

الهَنُ . والهنة – بفتح الهاء وتخفيف النون : كناية عن كل شىء وأكثر ما يستعمل كناية عن الفَرْج والذَّكَر أى قال لهما : ذكَر كالخشبة فى الفَرْج . وأراد بذلك سَبَّ إساف ونائلة وغَيْظ الكفار بذلك .

الوَلْولة : الدعاءُ بالويل .

الأَنفار : جمع نفر أو نفير وهو الذى يَنْفر عند الاستغاثة أى لو كان هنا أحد من أنفارنا لانتصرلنا .

كلمة تملأُ الفم : أى لا يمكن ذِكرها وحكايتها كأنها تسدّ فم حاكيها وتملأه ، لاستعظامها .

أما نال للرجل : يقال نال له إذا آن له كما فى رواية بمد الهمزة . ويروى : أما أنَى بالقصر وبفتح النون . وفى رواية مسلم : أمَا آن أن يعلم منزله . ويروى بدون همزة

(١) الأصل بالسماخ ، وهو تحريف .

الاستفهام في اللفظ أي ما جاء الوقت الذى يعرف به منزل الرجل بأن يكون له مسكن معيّن .

قد رَشِدت : من رشد يرشد من باب عَلِم يعلم رَشَدًا بفتحتين . ورَشد يَرشُد من باب نصر ينصر رُشْدا- بضم الراء وسكون الشين . والرشد : خلاف الغيّ .

بين ظَهْرانَيْهم – بفتح النون وبَين أظهرهم أى وسطهم .

فثار القوم – بثاء مثلثة فراء أى نهضوا .

فضُربت : بالبناء للمفعول .

لأموت : أى لأن أموت ، يعنى ضربوه ضربَ الموت .

فأكبّ علىّ : أى رمى نفسه علىّ .

فأقْلَعوا عنى : أى كفُّوا عنى .

قَدَعنى – بقاف فدال فعين مهملتين أى كفنى ، يقال قدَعه وأقدَعه إذا كفَّه .

طُعْم – بضم الطاء وإسكان العين أى تشبع شاربَها كما يشبعه الطعام .

وجِّهت لى أرضٌ : أى رأيت جهتها .

لا أُراها – بضم الهمزة وفتحها .

إلا يثرب : هذا كان قبل النبى عن تسمية المدينة بذلك .

احتملنا : أى احتملنا[1] أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسِرْنا .

ما بى رَغْبة عن دينك : أى لا أكرهه بل أدخل فيه .

---

(١) ط : أى حملنا .

الباب الخامس

في سبب دخول النبي صلى الله عليه وسلم دارَ الأَرْقم بن أَبي الأَرقم
واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربهم تبارك وتعالى

دخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم دارَ الأَرقم بن أَبي الأَرقم يعبد الله تعالى فيها سرًّا من قومه ، ودخل معه جماعةٌ حتى تكامَل المسلمون أَربعين رجلا وكان آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . فلما تكاملوا أَربعين رجلا خرجوا فلما أَسلم عمر قال : يا رسول الله علامَ نُخْفى ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليلٌ . فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق لا يبقى مجلسٌ جلست فيه بالكفر إلا أَظهرتُ فيه الإيمان .

وسيأتى بسط ذلك فى إسلام عمر رضى الله عنه

روى الحافظ أَبو الحسن سليمان بن خيثمة الأَطرابُلسى عن عائِشة رضى الله تعالى عنها قالت : لمّا اجتمع أَصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا أَلحَّ أَبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور . فقال : يا أَبا بكر إنا قليل . فلم يزل أَبو بكر يلحّ حتى ظهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتفرّق المسلمون فى نواحي المسجد كلُّ رجل فى عشيرته . وقام أَبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أَولَ خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . وثار المشركون على أَبي بكر وعلى المسلمين فضربوا فى نواحي المسجد ضرباً شديدا . ووطئ أَبو بكر وضُرِب ضرباً شديدا . ودنا منه الفاسقُ عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرِّفهما[1] لوجهه من[2] على بطن أَبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أَنفه . وجاءت بنو تَيْم يتعادَوْن فأَجْلَت المشركين عن أَبي بكر وحملت بنو تَيْم أَبا بكر فى ثوب حتى أَدخلوه منزله ولا يشكُّون فى موته ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجدَ وقالوا : والله لئن مات أَبو بكر لنقتلن عتبةَ بن ربيعة . فرجعوا إلى أَبي بكر فجعل أَبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أَبا بكر

---

(١) ويمرهما .　　　(٢) بياض بالاصل .

حتى أجاب فتكلم فى آخر النهار فقال : ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعَذلوه وقالوا لأُمه أم الخير انظرى أنتطعميه شيئًا أوتسقيه إياه .فلما خلتْ به ألحَّت عليه وجعل يقول : ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : والله مالى عِلْم بصاحبك فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أمَّ جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمدَ بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت: نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دَنِفًا فدنت أمُّ جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إنَّ قومًا نالوا هذا منكَ لأهلُ فسق وكُفْر وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : فأين هو ؟ قالت : فى دار الأرقم . قال : فإن لله علىّ أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فأَمْهَلْنَا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكَن الناسُ خرجنا به يتكئ علىّ حتى أدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّله وأكبَّ عليه المسلمون ورقَّ له رسول الله – صلى الله عليه وسلم رقةً شديدة.فقال أبو بكر : بأبى وأمِى يا رسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الناسُ من وجهى وهذه أمى بَرَّة بولدها وأنت مبارَك:فعسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعا لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت .

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهرًا وهم تسعة وثلاثون رجلا ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب أبو بكر .

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب أو لأبى جهل بن هشام ، فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس فكبَّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأهلُ البيت تكبيرة سُمعت بأعلى مكة ، فقام عمر فقال : يا رسول الله علام نُخْفى ديننا فذكر نحو ما سبق .

وذِكْر إسلام عمر هنا غريب والصحيح أنه أسلم بعدَ الهجرة الأُولى إلى الحبشة .

قال ابن إسحاق : ودخل الناسُ أَرْسَالاً الرجالُ والنساء فى دين الله ، حتى فشا الإسلامُ بمكة وتحدِّث به . وكان أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ذهبوا فى الشِّعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أَبى وقاص فى نفر من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شِعْب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلُّون فناكروهم وعابُوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أَبى وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْيِ بعير فشجَّه وكان أَولَ دم أُهرِيق فى الإسلام(1) .

تنبيهات

الأَول : دارُ الأَرقم هى الدار المعروفة الان بدار الخَيْزران عند الصفا .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق .

أَلحَّ : أَلحف فى المسأَلة .

نعلين مَخْصوفين : مُطْبَقتَيْن .

فمسُّوا منه بأَلسنتهم : أَى عنَّفوه ونالوا منه .

الدَّنَف : ملازمة المرض .

أَمْهَلنا : صبرنا .

هدأَت الرِّجْل : سكنت .

أَرسالا : بفتح الهمزة : جمع رَسَل بفتح الراء والسين ، أَى أَفواجا وفِرَقا .

فشا ، بغير همز : أَى ظهر وذاع .

تحدِّث : بالبناء للمفعول .

الشِّعاب : جمع شعب .

بلَحْيِ بعير : هو تثنية لَحْى وهو العظم الذى عليه الخدّ وهو من الإنسان : العظم الذى تنبت عليه الأَسنان .

فشجَّه : جرحه .

---

(1) سيرة ابن هشام ٢٦٣/١ .

الباب السادس

فى أمر الله سبحانه وتعالى رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإظهار الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى : « فاصدَعْ » فاظهر « بما تُؤْمَر » بالقرآن وما فيه من الأَحكام . وأصل الصدع : الشق والبينونة أو أصله الشق فى الشئ الصُّلْب كالزجاج ثم استعير لغيرها ، أى اكشف الحقَّ وأَبِنْه عن غيره « وأَعْرِض عَن المشركين »[1] اكفُفْ عنهم ولا تبالِ بهم والكف عنهم . نُسخ بآية السيف .

وقال تعالى : « وأَنْذرْ » خوِّف « عشيرتَك الأَقربين[2] » وهم بنو هاشم وبنو المطَّلب وقد أنذرهم جهارا .

روى ابن سعد – عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه قال : أُمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يَصْدع بما جاء به من عند الله وأن يُبَادى الناسَ بأَمره وأن يدعو إلى الله تعالى . فدعا فى أول ما نزلت عليه النبوة ثلاثَ سنين مُسْتخفيًا إلى أن أُمر بظهور الدعاء[3] .

وروى البلاذُرىّ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سرًّا أربع سنين[4] .

وروى أيضا عن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم قال : لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم : « وأَنذر عشيرتَك الأَقربين » اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذَرْعا ، فمكث شهرا أو نحوه جالسًا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاكٍ فدخَلْن عليه عائِدات فقال : ما اشتكيتُ شيئًا لكن الله أَمرنى أن أُنذر عشيرتى الأَقربين فأَردت جمعَ بنى عبد المطلب

---

(١) سورة الحجر ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/١٩٩ (ط بيروت) .

(٤) أنساب الأشراف ١/١١٦ .

لأدعوهم إلى الله تعالى قلن : فادعهم ولا تجعل عبدَ العُزّى فيهم – يعنى أبا لهب ، فإنه غير مُجيبك إلى ما تدعوه إليه . وخرجن من عنده فلما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى عبد المطلب فحضروا ومعهم عدة من بنى عبد مناف وجميعهم خمسة وأربعون رجلا وسارع إليه أبو لهب وهو يظن أنه يريد أن يَنْزع عما يكرهون إلى ما يحبّون ، فلما اجتمعوا قال أبو لهب : هؤلاء عُمومتك وبنو عمك فتكلّمْ بما تريد ودع الصلاة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وإن أحبَّ من أخذك فحبسك أسرتُك وبنو أبيك إن أقمتَ على أمرك فهو أيْسَر عليهم من أن يَثب بك بطونُ قريش وتُمدّها العرب ، فما رأيتُ يابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومَه بشرٍّ مما جئتَهم به .

فأُسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلم فى ذلك المجلس ومكث أياما وكَثُر عليه كلامُ أبى لهب ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فأمره بإمضاء ما أمره الله به وشجّعه عليه ، فجمعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثانيةً فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثم قال : إن الرائد لا يَكْذب أهلَه والله لو كذَبْتُ الناسَ جميعًا ما كذَبْتكم ولو غَرَرْتُ الناسَ ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافة ، والله لَتموتن كما تنامون ولُتبعثن كما تستيقظون ولَتحاسَبُنَّ بما تعملون ، ولَتُجْزَونّ بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا . وإنكم لأول من أُنْذر ، ومَثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهلَه فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه . فقال أبو طالب : ما أحبَّ إلينا معاونتك ومُرَافدتك وأقْبَلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم ، غير أنى والله أسْرَعهم إلى ما تحب فامضِ لما أُمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أنى لا أجد نفسى تطوّع إلى فراق دين عبد المطلب حتّى أموت على ما مات عليه .

وتكلم القومُ كلاما ليِّنا غير أبى لهب فإنه قال : يا بنى عبد المطلب هذه والله السَّوءة خُذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيرُكم فإن أسْلمتموه حينئذ ذلَلْتم وإن منعتموه قُتلتم . فقال أبو طالب : والله لَنَمنَعنّه ما بقينا .

وقالت صفية بنت عبد المطلب لأبي لهب : أى أخى أيحسن بك خُذْلان ابن أخيك وإسلامه ؟ فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضِئضئ عبدِ المطلب نَبِىٌّ فهو هو. فقال: هذا والله الباطل والأماني وكلام النساء فى الحِجَال ، إذا قامت بطون قريش كلها وقامت معها العرب فما قوّتنا بهم ؟ فوالله ما نحن عندهم إلا إكْلَة رأس[1] .

وروى الشيخان والبلاذرىّ عن ابن عباس ، والشيخان عن أبى هريرة ، ومسلم عن قَبِيصة ابن المخارق رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُنزل عليه « وأنذر عشيرتك الأقربين » قام على الصَّفَا فعَلا أعْلاها حَجرا ثم نادى : يا صباحاه . فقالوا: من هذا ؟ وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يُرسل[2] رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ أخبرتكم أن خَيْلا تخرج من سَفْح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقىَّ ؟ قالوا : ما جرَّبنا عليك كذبا .

فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنى لا أُغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أُغْنى عنكم من الله شيئًا ، يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أُغنى عنكم من الله شيئًا ، يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذ نفسك من النار فإنى لا أُغنى عنك من الله شيئًا ، ياصفية عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فإنى لا أملك لكما من الله شيئًا ، غير أن لكما رحما سأبلّها ببَلاَلها ، إنى لكم نذيرٌ بَيْن يدَىْ عذابٍ شديد .

فقال أبو لهب : تبًّا لك سائرَ اليوم ألهذا جمعتنا ؟

فنزلت : « تبت يَدا أبى لهب »[3] إلى آخرها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة .

---

(١) أنساب الأشراف ١/١١٨ – ١١٩ .

(٢) ت ، م : أرسل .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) . وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ . ومسند أحمد ٢/٤٣، ٩٧ وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

وروى ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم عن على وأبو نعيم عن البرّاء بن عازب رضى الله عنهم قال : لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأَقْرَبين » على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا على اصنع لنا رجْل شاة على صَاع من طعام . وفى رواية : مُدّ . وأعدَّ لنا عُسّ لبنٍ ثم اجمع بنى عبد المطلب .

قال علىّ : ففعلت، فاجتمعوا له وهو يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فقدّمت إليهم تلك الجَفْنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حُذْية فشقَّها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : كلوا باسم الله . فأكل القوم حتى نَهلوا عنه ما ترى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدَّمتُ لجميعهم . ثم قال: اسق القومَ ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتى رَوُوا جميعا . والله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثلَه . وفى رواية من يأكل المسِنَّة ويشرب العُسّ .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدَره أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهدَّ ما سحَرَكم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلِّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان الغد قال يا علىّ عُدْ لنا بمثل الذى صنعت بالأمس من الطعام والشراب ففعلت ثم جمعتهم إليه فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نَهلوا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة . ثم قال : من يؤازرنى على ما أنا عليه ؟ قال على : فقلت : أنا يا رسول الله وإنى أَحْدَثهم سِنًّا وسكت القوم . ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنَك . قال : دعوه فلن يَألوا ابنَ عمه خَيرا(١) .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٨٧ . مختصرا . والوفا لابن الجوزى ١/١٨٤ .

تنبيه

فى بيان غريب ما سبق .

يُبادى : قال فى النور : الظاهر أنه بالموحدة أى يجاهر .

ضاق به ذَرْعا : يقال ضاق بالأمر ذَرْعًا أى عجز عن احتماله، وذَرْع الإنسان: طاقته التى يَبْلغها .

أُسْرة الرجل : وِزَان غُرْفة : رَهْطه .

يَرْبأ أهله ، بمثناة تحتية فراءٍ فباء موحدة فهمزة ، يقال ربأْت القوم أربؤهم رَبْأً : كنت طليعةً لهم فوق شرف خوفًا أن يكبسهم العدوّ على غِرَّة .

الحُذَيَّة : تصغير حُذْوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الذال المعجمة : القطعة من اللحم . وقيل : إذا كسرت الحاء كانت بمعنى أن يقطع اللحم طولا .

المُسنة : الشاة التى سقطت ثناياها .

العُسّ : بضم العين وبالسين المهملة المشددة : القدح الكبير .

نهَلوا : بنون : أى شربوا حتى رَوُوا .

لَهَدًّ : بفتح اللام والهاء والدال المهملة المشددة : كلمة يُتعجب بها ، فيقال : لَهَدَّ الرجل أى ما أجلدَه، ويقال إنه لَهدّ الرجل ، أى لنعم الرجل وذلك إذا أُثنى عليه لجَلَدِه وشدة بأْسه . واللام فيه للتأْكيد والمعنى هنا : لنعم ما سَحركم به .

الباب السابع

فى مشى قريش إلى أبى طالب
ليكف عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال الزُّهْرى وابن إسحاق : فلما بادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه بالإسلام وصدعَ به كما أمره الله لم يَبْعَد منه قومُه ولم يردُّوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وَعَابَها .

قال العُتَقى : وكان ذلك سنة أربع .

فلما فعل ذلك أَعْظَموه وناكَروه وأجمعوا لخلافه وعداوته إلا من عَصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مُسْتَخْفون .

وحَدِب على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومَنعه وقام دونَه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لأمره لا يردُّه عنه شىء .

فلما رأت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتبهم من شىء أنكروه عليه من فِراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه ولم يُسْلمه لهم . مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعابَ دِيننا وسفَّه أحلامنا وضلَّل آباءنا فإما أن تكفَّه وإما أن تخلِّىَ بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردَّهم ردًّا جميلا . فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظْهر دِين الله ويدعو إليه ثم شَرِى الأَمرُ بينه وبينهم حتى تباعدَ الرجالُ وتضاغنُوا وأكثرت قريش من ذِكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامَروا فيه وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أُخرى فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سِنًّا وإن لك شرفًا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهَيْناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنَّا وإنا والله لا نصبر على

هذا من شَتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعَيْب آلهتنا حتى تكفَّه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه .

فَعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ولا خِذْلانه ، فأرسل خلفه فقال : يا بن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا . للذى كانوا قالوا له . فأَبْقِ على نفسك وعلىَّ ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق .

فظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدا لعمِّه فيه بدَاء وأنه خاذِله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّ والله لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهْلِك فيه ما تركته ثم استعبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما ولّى ناداه أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسْلمك لشىء أبدا . ثم قال أبو طالب :

والله لن يَصِلوا إليك بجَمْعهم ... حتى أُوسَّـد فى التراب دَفِينَـا
فامضِى[1] لأمرك ماعليك غَضاضةٌ ... وابْشر وقرّ بذاك منك عُيونـا
ودعوتَنى وزعمتَ أنك ناصحى ... فلقد صدقتَ وكنت ثَمَّ أمينَـا
لولا الملامةُ أو حِـذَارى سُـبَّة ... لوجَدْتنى سمحاً بذاك مُبينـا

قال فى الرَّوْض : خصَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشمسَ باليمين لأنها الآية المبصرة وخصَّ القمر بالشمال لأنه الآية الممحوّة ؛ وخص صلى الله عليه وسلم النيِّرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس ، فالنور الذى جاء به من عند الله ، وهو الذى أرادوه على تركه ، هو أشرف لا محالة من النور المذكور . قال الله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى اللهُ إلاّ أن يتم نوره »[2] فاقتضت بلاغة النبوّة لمّا أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى وأن يخص أعلَى النيرين وهى الآية المبصِرة بأشرف اليدين وهى اليمين ، بلاغةٌ لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فَضْلها . انتهى[3] .

* * *

(١) كذا بإثبات الياء للوزن .
(٢) التوبة : ٣٢
(٣) الروض الأنف ١/١٧٠ .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبىَ خِذْلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه ، وإجماعَه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعُمَارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عُمَارة بن الوليد أنْهَد فتىً فى قريش وأَجْمَله ، فخذه فلك عَقْله ونَصْره واتخذه ولدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالف ديننا ودين آبائِك وفرَّق جماعة قومك وسفَّه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجلٌ برجل .

قال : والله لبئس ما تَسُومونني ! أتُعْطونى ابنكم أَغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدًا ، أرأيتم ناقةً تحِنّ إلى غير فَصِيلها ؟

فقال المُطْعِم بن عَدِىّ بن نوفل : والله يا أبا طالب لقد أنصفَك قومُك وجَهَدوا على التخلّص مما تَكْره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا . فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعتَ خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال . فحَقِب الأَمرُ وحَميت[1] الحربُ وتنابذَ القوم وبادَى بعضُهم بعضا .

فقال أبو طالب يعرِّض بالمطعم بن عدىّ ويعمّ من خَذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعدَ من أمرهم :

ألا قُلْ لعمرٍ والوليدِ ومُطْعِمٍ ... ألا ليت حَظِّى من حِيَاطتكم بَكْرُ
من الخُور خَبْخَاب كثيرٌ رُغَاؤه ... يرشّ على الساقين من بوله قَطْرُ
تخلَّف خَلْف الورْد ليس بلاحقٍ ... إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وَبْرُ
أرى أَخَوَيْنا من أبينا وأُمِّنا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأَمْر
بلى لهما أمرٌ ولكن تجرْجَما ... كما جَرْجمت من رأس ذى علق صَخْرُ
أخصّ خصوصًا عبدَ شَمس ونوفلاً ... هما نَبذانا مثل ما نُبذ الجَمْر
هما أغْمزَا للقوم فى أَخَوَيْهما ... فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ
هما أشْرَكا فى المجد من لا أبَاله ... من الناس إلا أن يرسّ له ذكر

(١) ت ، م : وقويت .

وتَــيْم ومخـــزوم وزُهْـــرة منهم   وكانوا لنـــا مَوْلىً إذا بُغى النصرُ
فوالله لا تنفكّ منـــا عـــداوة   ولا منهم ما كان من نَسْلنا شــفرُ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامَروا بينهم على من فى القبائِل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذِّبونهم ويَفْتنونهم عن دينهم ، ومنع الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدوّ الله الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه فى جدِّهم معه وحَدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأْيهم وليَحْدِبوا معه على أمره فقال :

إذا اجتمعت يومًا قريشٌ لمَفْخَـرٍ   فعبدُ منـــاف سِـرُّهـا وصميمُهـــا
وإن حصِّلت أشـــرافُ عبدِ منافهـا   ففى هـاشم أشرافهـــا وقَدِيمُهـــا
وإن فخـــرتْ يومًـا فـإن محمدا   هـو المصطفَى مـن سِـرِّهـا وكريمهـا
تداعت قريش غَثُّهـا وسَمِينهـــا   علينا فلم تظفـر وطاشَتْ حلومُهـــا
وكنـــا قديمـــاً لا نقـــر ظلاَمـة   إذا ما ثنَـوْا صُعْر الخـدودِ نقيمها
ونَحْمِى حماهـا كلَّ يـوم كريهـة   ونضرب عن أَحجارهـا من يَرُومُها
بنـا انتعش العُـود الذواء وإنمـا   بأَكتافنا تَنْـدى وتنمى أُرومُهـا

[تفسير الغريب]

حَدِب عليه ، بفتح الهاء وكسر الدال المهملتين فموحدة : أى عطف عليه ومنعه ، وأَصل الحدب انحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورقَّ له .

لا يُعْتبهم : بضم أوله وكسر المثناة فوق : أى لا يرضيهم .

سفَّه أحلامنا : بتشديد الفاء وبالهاء ، وهو فعل ماض ، أحلامنا مفعوله أى قال إنا قليلو العقل .

رَفِيقًا : براء ففاء فمثناة تحتية فقاف .

ثم شَرِى الأَمر بينه وبينهم : بفتح الشين المعجمة فراء مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة أى كثر وتزايد ، يقال شرى البَرْق يَشْرى إذا كثر لمعانه ويقال أشرى الرجل أيضا إذا غضب .

تضَاغَنُوا : تعادَوْا . والضِّغْن : العداوة والحقد .

فتذامروا : بالذال المعجمة : أى حضَّ بعضُهم بعضا على حَرْبه وعداوته .

استنهيناك : أى طلبنا منك أن تنهاه .

أو ننازِلَه وإياك أى : نحاربه وإياك .

يَهْلِك : بكسر اللام .

فأَبْق : بقطع الهمزة فموحدة ساكنة : فعل أمر . بَدا : بغير همز أى ظهر .

بَداء : بفتح الموحدة ممدودا : أى نشأ له فيه رأى .

استعبر : أى دمعت عيناه .

أوسَّد : أُوضَع .

غضاضة : نقصان .

الملامَة : العَذْل .

السُّبَّة بالضم : العار .

خذْلانه : أى تركه ونصرته .

إجماعه : عزمه .

بعُمارة : بضم العين وتخفيف الميم : كان من أجمل الناس وله قصة مع النجاشي .

أَنْهَد فتى : بنون فهاء فدال مهملة : أى أشدّه وأقواه .

عَقْله بعين مهملة مفتوحة : أى دِيته ، وأصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقَلها بفناء أولياء المقتول أى شدها فى عقلها ليسلمها إليهم .

تَسُومونى : تكلِّفونى . . أغْذُوه – بالغين والذال المعجمتين .

المطْعِم ، بكسر العين ، هلك كافرا قبل وقعة بدر .

المظاهَرة : بالظاء المعجمة المشالة : المعاونة .

ما بدالك : بغير همز أى ظهر .

فحقب الأمر : بحاء مهملة فقاف مكسورة فموحدة : أى زاد واشتد .

وتنابذ القومُ بموحدة مفتوحة فذال معجمة أى تركوا ما كان بينهم من عَهْد .

قول أبى طالب : ألا ليت حظى من حفاظكم[1]: بكسر الحاء ، الحِفَاظ والحفيظة : الغضب . وقال بعضهم : لا يكون الحفاظ إلا فى الحرب خاصة .

قال أبو ذر : والقول الأول هو الصحيح . ويروى : من حِيَاطتكم وهى الحفظ .

البَكْر : الفتىّ من الإبل أى أنّ بكرًا من الإبل أنفعُ لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم .

الخُور : بضم الخاء المعجمة : جمع أَخْوَر وهو الضعيف.

خَبْخاب : يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة وبالجيم . قال ابن السراج : الجبجاب بالجيم : الكثير الكلام فاستعاره هنا للرغاء ،والحبحاب –بالحاء المهملة : القصير . وبالخاء المعجمة : الضعيف .

الفَيْفاء : القَفْر .

الوِرْد بكسر الواو : المـاء الذى ترده الإبل .

والوَبْر : دُوَيّبة قَدْر الهر ، أى يشبَّه بالوبر لصغره . ويحتمل أن يكون أراد يصْغر فى العين لعلوّ المكان وبعده .

تجَرْجَما : بمثناة فوقية فجيم مفتوحتين فراء ساكنة فجيم : أى سقط وانحدر . يقال : تَجَرْجَم الشىء إذا سقط .

---

(١) كذا والذى سبق فى الأبيات : من حياطتكم .

ذو عَلَق : بعين مهملة فلام مفتوحتين فقاف : جبل فى ديار بنى أسد ، ترك صَرْف عَلَق إما لأنه جعله اسم بُقْعة ، وإما لأنه تركه لضرورة الشِّعر .

أَغْمَزا للقوم : أى سبَّبا لهم الطعن فيهم ، يقال : غمزت الرجل إذا طعنتُ فيه .

الصِّفْر بكسر الصاد : الخالى[1] .

إلا أن يَرسّ له ذِكْر : أى يذكر ذلك خفيًّا ، يقال رسَسْت الحديثَ إذا حدَّثت به فى خفاء .

شَفْر بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء : أى أحد .

سرّها وصميمها : أى خالصها وكريمها .

غَثّها وسمينها : أصل الغث : اللحم الضعيف ، فاستعاره هنا لمن ليس نَسبه هناك .

طاشت : ذهبت .

حُلومها : عقولها .

ثَنَوا : عطَفوا .

صُعْر الخدود : بالعين المهملة : أى مائلة ، يقال صَعَّر خدَّه إذا أماله إلى جهة ، فعلَ المتكبِّر .

ونَضْرب عن أحجارها : بحاء مهملة فجيم : أى ندفع عن حصونها ومعاقلها ، يريد عن مواضعها المانعة . ومن رواه بالجيم والحاء أراد عن منازلها وبيوتها . والحجر هنا مستعار .

انتعش : حىّ وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نَعش : رفع ، يقال نعشَه الله أى رفعه وبه سمى النَّعْش نعشًا .

العُود الذَّوَاء : بذال معجمة مشدَّدة وبالهمز : الذى جفَّت رطوبته ولم ينته إلى حد اليبْس .

الأكناف : النواحى .

أُرُومها : جمع أرومة وهى الأَصْل .

---

(١) فيما ذكره المصنف نظر لأن الوزن يقتضى الصرف .

الباب الثامن

فى إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

روى ابن أبى حاتم عن الأَجْلَح قال : كان حمزة بن عبد المطلب رجلا حسنَ الشَّعر حسن الهيئة صاحب صَيْد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على أبى جهل فولع به أبو جهلٍ وآذاه ، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهما : لو علم ذا ما صنع أبو جهل بابن أخيه أَقْصَر عن مِشْيته . فالتفت إليهما فقال : وماذاك ؟ قالت : أبو جهل فَعل بمحمد كذا وكذا .

فدخلته الحميّة فجاء حتى دخل المسجدَ وفيه أبو جهل فعلا رأْسَه بقَوْسه ثم قال : دِينى دينُ محمدٍ ، إن كنتم صادقين فامنعونى . ووثبت إليه قريشٌ فقالوا : يا أبا يَعْلى . يا أبا يَعْلى فأَنزل الله تعالى : « إذ جعلَ الذين كفروا فى قلوبهم الحميَّة » إلى قوله : «وأَلْزَمهم كلمةَ التقوى[1]» .

قال الأَجلح : أَراد حمزةَ بن عبد المطلب .

وروى ابنُ اسحاق قال : حدثنى رجل من أَسْلَم وكان واعِيَةً ، والطبرانى برجال ثقات ، عن يعقوب عن عتبة بن المغيرة والطبرانى برجال ثقات عن محمد بن كعب القُرَظى رحمهم الله ، أن أبا جهل مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفَا فآذاه وشتمه ونال منه بعضَ ما يكره من العَيْب لدينه والتضعيف لأَمره فلم يكلِّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبدِ الله بن جُدْعان فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمدَ إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بنعبد المطلب أن أقبل متوشِّحا قَوْسَه راجعاً من قَنَص له ، وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، فكان إذا رجع من قنصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادى قريش

---

(١) سورة الفتح ٢٦ .

إلا وقف وسَلَّم وتحدث معهم ، وكان أعزَّ فتىً فى قريش وأشدَّهشكيمةً ، فلما مرَّ بالمَوْلاة وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمَارة : لو رأيت ما لقى ابنُ أخيك محمد آنفا من أبى الحكم ابن هشام ، وجده هنا جالسًا فآذاه وسبَّه وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمد .

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله تعالى به من كرامته ، فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًّا لأبى جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالساً فى القوم فأقبل نحوه . حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجَّه بها شجة مُنْكَرة وقال : أتشتمه وَأنا[1] على دينه أقول ما يقول ؟ فرُدَّ علىَّ ذلك إن استطعت .

فقامت رجالٌ من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دَعُو أبا عمارة فإنى والله قد سبَبْت ابنَ أخيه سبًّا قبيحا .

زاد يونس بن بُكَيْر عن ابن اسحاق : ثم رجع حمزةُ إلى بيته فقال : أنت سيد قريش اتبعتَ هذا الصابئَ وتركت دينَ آبائك ؟ لَلْموتُ خيرٌ لك مما صنعتَ . وقال : اللهم إن كان رُشْدًا فاجعل تصديقه فى قلبى . وإلا فاجعل لى مما وقعتُ فيه مَخْرَجا . فبات بليلة لم يبت مثلَها من وَسْوسة الشيطان ، حتى أصبح فغَدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمرٍ لا أعرف المخْرَج منه وإقامةُ مثلى على مالا أدرى ما هو أَرُشْد أم هو غَىٌّ شديدٌ فحدِّثنى حديثا فقد اشتهيتُ يابن أخى أن تحدِّثنى .

فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه فذكَّره ووعظه وخوَّفه وبشَّره ، فألقى اللهُ تعالى فى قلبه الإيمانَ بما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد إنَّك لصادق فأَظهر يا ابن أخى دِينك فوالله ما أحبُّ أن لى ما أَظَلَّتْه السماءُ وأنى على دينى الأول .

وتمَّ حمزةُ على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قوله .

فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَزَّ وامتنع ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه . وقال حمزةُ حين أَسْلَم :

---

(١) غير ص : فأنا .

حمدتُ الله حين هَدى فؤادى ... إلى الإسلامَ والدينِ الحنيفِ
لِدينٍ جاء من ربٍّ عزيز ... خبيرٍ بالعباد بهم لطيفِ
إذا تُليت رسائله علينا ... تحدَّر دمعُ ذى اللُّب الحصيفِ
رسائِل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبيِّنة الحروفِ
وأحمد مُصْطفًى فينا مطاعٌ ... فلا تغشوه بالقولِ الضعيفِ
فلا والله نُسْلمه لقوم ... ولَّما نَقْضِ فيهم بالسيوفِ
ونترك منهم قَتْلى بقاع ... عليها الطير كالوِرْد العُكوفِ
وقد خبِّرت ما صنعت ثقيف ... به فجزَى القبائلَ من ثقيفِ
إلهُ الناس شرَّ جزاءِ قوم ... ولا أسقاهُم صَوْبَ الخريفِ[1]

[تفسير الغريب]

داعيةً : حافظا لما يسمع .

ابن جُدْعان : بضم الجيم وإسكان الدال ، ثم عين مهملتين : هلَك على كُفْره .

فعمَد : بفتح الميم فى الماضى وكسرها فى المستقبل .

إلى نادٍ من قريش : أى أهلُ نادٍ من قريش .

القَنَص : بفتح القاف والنون وبالصاد المهملة : الصيد .

الشَّكيمة : بفتح الشين المعجمة وكسر الكاف فمثناة تحتية ساكنة فميم مفتوحة فهاء تأنيث . يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أبيًا قويا وأصله من شكيمة اللجام وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

آنفا : بمد الهمزة وقصرها أى الآن والساعة .

فاحتمل حمزةَ : مفعول مقدَّم والغضبُ : فاعلٌ مؤخر .

---

(١) قصة إسلام حمزة فى سيرة ابن هشام ٢٩١/١ . وسيرة ابن كثير ٤٤٥/١ .

فشجَّه أى أثَّر فى رأسه أثرا .

أتشتِمه : بكسر المثناة الثانية ويجوز ضمها . حكاه ابن دُرَيْد . وعلى ما تابَع : بالمثناة الفوقية وبعد الأَلف باء موحدة . وفى بعض النسخ الصحيحة : بايع بالموحدة وبالمثناة بعد الأَلف ، من المبايعة ، والأَول أَظهر من سياق القصة .

الباب التاسع

فى إرسال قريش عتبةَ بن أبى ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض عليه أشياء ليكفّ عنهم

روى ابن أبى شيبة وَعبْد بن حُمَيْد وأبو يعلى والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله والبيهقى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم قالا : اجتمع نفرٌ من قريش يوماً فقالوا : انظروا أعْلَمكم بالسِّحْر والكَهانة والشِّعر فليأْت هذا الرجلَ الذى فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب دِيننا . فليكلِّمه ولينظر ماذا يردّ عليه .

فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة .

وعند ابن اسحاق وابن المنذر عن محمد بن كعب القُرَظى : أن عتبة بن ربيعة قال يوما ، وكان جالسا فى نادى قريش ، والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأُكلِّمَه وأَعْرض عليه أُمورًا لعله يقبلُ بعضها فنعطيه ايَّها شاء ويكفُّ عنا . وذلك حين أَسلم حمزة ورأَوا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويَكْثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلِّمه .

وروى أبو يعلى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : اجتمعت قريشٌ للنبى صلى الله عليه وسلم يومًا فقالوا : انظروا أعْلمكم بالسحر والكَهانة والشِّعر فليأْت هذا الرجُلَ الذى فرَّق جماعتنا وشتَّت أَمرنا وعابَ دِيننا فيكلِّمه ولينظر ما يردّ عليه . قالوا : ما نعلم أَحدًا غير عُتْبة بن ربيعة فقالوا : أَنت أَبا الوليد . انتهى .

فقام عتبة حتّى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أَخى إنك منا حيث قد علمتَ من السِّطَة فى العشيرة والمكان فى النَّسب وإنك قد أَتيت قومَك بأَمرٍ عظيم فرَّقت به جماعتهم وسفَّهت أَحلامَهم وعِبْت آلهتهم ودينهم وكفَّرت من مَضى من آبائهم ، يا محمد أَنت خيرٌ أَم عبدُ الله ؟ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أَنت خيرٌ أَم

عبدُ المطلب ؟ . فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عَبدوا الآلهة . وإن كنت تزعم أنك خيرٌ منهم فتكلَّم نَسمعْ قولك ، إنا والله ما رأينا سخْلة قط أشْأم على قومه منك ، فرَّقت جماعتنا وأشتَتَّ[1] أمرَنا وعِبْت دِيننا وفضحتنا فى العرب ، حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنًا والله ما نَنْتظر إلا مثلَ صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضُنا بعضا إليك بالسيوف حتى نتفانَى ، أيها الرجل اسمع منى أعرض عليك أُمورًا تنظر فيها لعلك تَقْبل منا بعضَها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أبا الوليد أَسمعْ .

قال : ياابن أخى . إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به الشرف سوَّدْناك علينا حتى لا نَقْطع أمرًا دونك . وإن كنت تريد مُلْكا ملَّكناك علينا . وإن كان هذا الذى يأْتيك رَئِيًّا لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالَنا حتى نُبْرئك منه . فإنه ربما غلَب التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عُتْبَة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له : أقد فرغتَ أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع منى قال : أفعلُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم «حم» الله أعلم بمراده به . «تنزيلٌ من الرحمن الرحيم» مبتدأ «كتابٌ» خبره «فُصِّلت آياته» بيِّنت بالأحكام والقصص والمواعظ «قرآنا عربيًّا» حال من الكتاب بصفته «لِقَوْمٍ» يتعلق بفصلت «يَعْلمون» يفهمون ذلك . وهم العرب أو أهل العلم والنظر وهو صفة أُخرى لقرآنا «بشيرا» للعاملين به «ونذيرا» للمخالِفين له «فأَعْرَض أكثرُهم» عن تدبّره وقبوله «فهم لا يسمعون» سماعَ تأمل وطاعة «وقالوا» للنبى . «قلوبُنا فى أكِنَّة مما تَدْعونا إليه» أغطية جمع كِنَان «وفى آذاننا وَقْرٌ» صَمَمٌ وأصله الثقل «ومن بَيْننا وبينك حِجَابٌ» خلاف فى الدين «فاعْمَلْ» على دينك «إننا عاملون» على ديننا .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعه عتبة أنصت لها

(١) كذا فى ت ، م . وفى ص : واستثنيت . وفى ط : واستشتت .

وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما ، فسمع منه إلى أن بلغ: «فإن أعرضوا» أى كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان «فقل أنذرتكم» خوّفتكم «صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود» مُنع من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه أُريد به القبيلة ، أى عذابا يهلككم مثل ما أهلكهم .

فأمسك عتبة على فِيه وناشَده الرَّحِمِ أن يكفَّ عنه ، ثم انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى السَّجْدة منها فسجَد ثم قال :قد سمعتَ أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقال : ما عندك غير هذا ؟ فقال : ما عندى غير هذا .

فقام عُتْبة ولم يعدْ إلى أصحابه واحتبس عنهم فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صَبا إلى محمد وأعجبه طعامُه . وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلِقوا بنا إليه . فأتوه. فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبَوْت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان لك حاجة جمَعْنا لك من أموالنا ما يُغْنيك عن طعام محمد .

فغضب وأقسم لا يكلِّم محمدا أبدا وقال : لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالاً ولكنى أتيته . فقصَّ عليهم القصة .

قالوا : فما أجابك ؟ قال : والله الذى نصبها بَنِيَّة ما فهمتُ شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود فأمسكتُ بفيه وناشدتُه الرحم أن يكفّ ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يَكْذب فخفْت أن ينزل عليكم العذاب .

قالوا : ويلك يكلِّمك الرجلُ بالعربية لا تدرى ما قال ؟ !

قال : والله ما سمعتُ مثلَه ، والله ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخَلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ نبأ فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْككم وعِزُّه عزكم وكنتم أسعدَ الناس به . يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر واعصونى بعدَه ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلامًا ما سمعتْ أُذناى كلامًا مثلَه وما دريت ما أردُّ عليه .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد .

قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

[تفسير الغريب]

السِّطَة ـ بكسر السين وفتح الطاء المهملتين ـ أي من الوسَط حَسبًا ونَسبا ، وأصل الكلمة الواو ، والهاء عوض عن الواو كعِدَة من الوعد . وتقدم ذلك فى سَفَره إلى الشام ونكاحه خديجةَ .

سفَّهت أحلامَنا : أى قلت إنهم صغيرو العقول .

أَعْرِضْ عليك : وهو مجزوم جواب شرطٍ مقدَّر ويجوز رفعه ، وكذلك قوله أَسْمَع

رَئيًّا : الرئى : التابع من الجن بوزن كمىّ . وهو فعيل أو مفعول سمِّى به لأنه يتراءى لمتبوعه أو هو من الرَّأى من قولهم : فلان رئىّ قومه . إذا كان صاحب رأيهم وقد تكسر راؤه لإتباعها ما بعدها .

الطِّب : مثلث الطاء : العلاج فى النفس والجسم .

يداوَى : بفتح الواو مبنى للمفعول .

أَفعلْ : بالجزم جواب شرط مقدر ويجوز رفعه .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢٠١/١ . وسيرة ابن كثير ٥٠١/١ عن عبد بن حميد .

الباب العاشر

فى أسئلة المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
أنواعًا من الآيات وخَرْق العادات على وجه العِنَاد لا على وجه الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما سألوا لعلم الله سبحانه وتعالى أنهم لو عاينوا أو شاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يَعْمهون ولظلّوا فى غيهم وضلالهم يتردّدون ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف.

قال الله تعالى : «أَوَلم يَكْفهم أنا أَنْزلنا عليك الكتابَ يُتْلَى عليهم[1]» .

وفى هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيَّنة كانت بَداهتُه تُنْبيك بالخبر[2] .

قال الله تعالى : «ولو أننا نَزَّلنا إليهم الملائكةَ وكلَّمهم الموتى» كما طلبوا «وحشَرْنا» جمعنا عليهم «كلَّ شيء» طلبوه «قِبَلا» بكسر القاف وفتح الباء أى معاينَةً ، فنصبه مصدر فى موضع الحال ، وبضمها جمع قبيل أى فَوجا فوجا ، فنصبه حالٌ من كلّ وإن كان نكرة نافية من العموم ، أى : ولو جئناهم بالملائكة قبيلا قبيلا وبما طلبوا ورأوا ذلك معاينة «ما كانوا ليؤْمنوا إلا أن يشاء الله» استثناء منقطع أو متصل أى ما كانوا ليؤمنوا إلا فى حال مشيئة الله «ولكن أَكْثرَهم» أى الكفار «يَجْهلون» . فيحلفون أنهم يؤمنون عند نزول الآيات . أو المؤمنون يجهلون أن الكافرين لا يؤمنون فيطلبون نزول الآيات ليؤمنوا .

قال فى الرَّوْض : وكان سؤالهم تلك الآيات جهلاً منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الْخَلْق وتعبّدهم بتصديق الرسل وأن يكون إيمانهم عن نَظَر وفِكْر فى الأَدلة ، فيقع الثوابُ على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضرورى لطلب الحكمة التى من أجلها

---

(١) سورة العنكبوت ٥١ .

(٢) ت ، م : من خبر . والبيت لعبد الله بن رواحة .

يكون الثواب والعقاب إذ لا يُؤْجَر الإنسانُ على ما ليس من كَسبه كما لا يُؤْجر على ما خُلق فيه من لونٍ وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظرُ فيه العلمَ الكَسْبى .

وروى ابن اسحاق وابن جرير والبيهقى عن ابن عباس أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصِموه حتى تُعْذروا فيه . فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنْ قد بَدَا لهم فيما يكلمهم فيه بَدَاء ، وكان حريصا عليهم يحب رُشْدهم ويعزّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعِبْت الدين وشتمت الآلهة وسفَّهت الأحلام وفرَّقتَ الجماعةَ ، فما بقى أمرٌ قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك . أو كما قالوا له . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنتَ إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسوِّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلْكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأْتيك رَئِيًّا تراه قد غَلَب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيًّا ـ فربما كان ذلك بذلْنا أموالَنا فى طلب الطبّ لك حتى نُبْرِئك منه أو نُعْذر فيك .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرفَ فيكم ولا المُلْك عليكم ، ولكن الله تعالى بعثنى إليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلَّغتكم رسالاتِ ربى ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة وإن تردُّوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

قالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضنا لك فإنك قد علمت أنه ليس أحدٌ أضيقَ بلدًا ولا أقلَّ مالا ولا أشدَّ عَيشا منا ، فاسأَل لنا ربَّك أنهارا كأنهار العراق والشام ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن ممن يبعث لنا منهم قُصَىّ بن كِلَاب ، فإنه كان شيخَ صِدْق فنسأَلهم عما تقول : أحقٌّ هو أم باطل ، فإن صدَّقوك وصنعتَ ما سأَلناك صدَّقناك وعرَفْنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعثت لكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلَّغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه أصبر لأَمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل فخُذْ لنفسك . سَلْ ربَّك يبعث معك ملَكا يصدِّقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جنَانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يُغْنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأَسواق وتلتمس الرزقَ وتلتمس المعاشَ كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك إن كنت رسولا .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى سأَل ربَّه هذا وما بعثت إليكم بهذا . ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أَو كما قال . فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة . وإن تردوه علىّ أصبر لأَمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأَسقطْ السماء علينا كِسَفًا كما زعمت أَن ربك إن شاء فَعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أَن تفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله عز وجل ، إن شاء أَن يفعله بكم فعله .

قالوا : يا محمد فَما عَلِم ربُّك أَنا سنجلس معك ونسأَلك عما سأَلناك عنه ونطلب إليك ما نطلب فيتقدم إليك فيعْلِمك ما تُراجعنا به ويخبرك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحمن. وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلَغت منا حتى نُهْلكك أَو تهلكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأْتينا بالله والملائكةِ قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبدُ الله بن أَبى أُمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته وهو لعاتكة بنت عبد المطلب،

وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه ، فقال : يا محمد عرَض عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله تعالى كما تقول ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فَضْلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل . أو كما قال له . فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلّما ثم ترْقَى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأْتيها ثم تأْتى بصَكٍّ معه أربعة من الملائكةِ يشهدون لك أنك كما تقول وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أُصدّقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينًا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، لِمَا رأى من مباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد أبَىَ إلا ما تروْن من عَيْب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لَأَجلسنَّ له غدًا بحجر ما أطيق حَمْله . أو كما قال . فإذا سجد فى صلاته فضَخْت به رأسَه فأَسْلِمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بَدا لهم . قالوا : والله لا نُسْلمك لشىء أبدا فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حَجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان بمكة وقِبْلَتُه إلى الشام ، وكان إذا صلى صلى بين الركنين الركن اليمَانى والحجَر الأَسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى وقد غَدتْ قريشٌ وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجرَ ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مهزومًا مُنْتقعا لونُه مَرْعوبا قد يبستْ يداه على حَجره حتى قذَف بالحجز من يده .

وقامت إليه رجال من قريش فقالوا : ما بك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرَض لى دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثلَ هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ بى أن يأْكلنى .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل لو دَنا لأخذه .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فيما سأله قومهُ لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم : «ولو أنّ قُرْآنا سُيِّرت» نقلت «به الجبالُ» عن أماكنها «أو قطِّعت» شققت به الأرض فجعلت أنهارا وعيونا «أو كُلِّم به الموتى» بأن يَحْيَوْا وجواب لو محذوف اكتفى بمعرفة السامعين مراده وتقديره : لكان هذا القرآن أو وهم يكفرون بالرحمن وإن أجيبوا إلى سؤالهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى «بل لله الأمرُ» أى أمر خلقه «جميعا» فيتصرف فيهم كيف يشاء .

وأنزل أيضاً : « وما منَعنا أن نُرْسل بالآيات » التى اقترحها أهل مكة « إلا أن كذَّب بها الأوَّلون » لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذَّبوا بها واستحَقُّوا الإهلاك ، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم :

قال ابن إسحاق : وأنزل الله سبحانه وتعالى فى قولهم : خذ لنفسك سَلْ ربك أن يبعث معك ملَكا يصدِّقك الى آخره : «وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكُلُ الطعامَ ويَمْشى فى الأسواقِ لولا» هلا «أُنْزل إليه مَلك فيكون معه نَذِيرا» يصدِّقه «أو يُلْقَى إليه كنزٌ» من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش « أو تكون له جَنَّة» بستان «يأْكل منها» أى من ثمارها فيكتفى بها وفى قراءة : « نأْكل» بالنون أى نحن فيكون له علينا مزيّة بها . «وقال الظالمون» أى الكافرون للمؤمنين «إن» ما «تتبعون إلا رجلاً مَسْحورا» مَخْدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى : « اُنظر كيف ضَربوا لك الأمثالَ» بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى مَلَك يقوم معه بالأَمْر «فَضَلُّوا» بذلك عن الهدى «فلا يستطيعون سبيلاً» طريقا إليه «تبارك» تكاثر خيرُ «الذى إن شاء جعلَ لك خَيْرا من ذلك» الذى قالوا من الكنز والبستان «جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار» أى فى الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها فى الآخرة «ويجعلْ لك قصورًا» أيضا إلى قوله تعالى : «وما أرسلنا قَبْلك من المُرْسلين إلا إنهم لَيأْكلون الطعامَ ويَمْشون فى الأسواق» فأنت مثلهم فى ذلك ، وقد قيل لهم كما قد قيل لك «وجعلنا بَعْضكم لبعض فِتْنة» بلية ابتلى بها الغنىّ بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كلّ : مالى لا أكون كالأول فى كلّ «أتَصْبرون» على

ما تسمعون ممن ابتليتم بهم، استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا «وكان ربُّك بصيرا» بمن يَصْبر وبمن يجزع .

وأنزل الله تعالى فيما قال عبد الله بن أبى أُمية - وقد تقدم أنه أسلم بعد : «وقالوا لن نُؤمِن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض يَنْبوعا» عينا ينبع منها الماء «أو تكون لك جَنَّة» بستان «من نخيل وعنبٍ . فتفجِّر الأنهارَ خِلَالها» وسطها «تفجيرا أو تُسْقط السماء كما زعمتَ علينا كِسَفا» قطعا «أو تأْتِىَ بالله والملائكة قَبِيلاً» مقابَلةً وعِيانا فنراهم . «أو يكون لك بيتٌ من زُخْرف» ذهب «أو تَرْقَى» تصعد «فى السماءِ» بسلَّم «ولن نُؤْمن لرقيِّك» لو رقيت فيها «حتى تنزِّل علينا» منها «كتابًا» فيه تصديقك «نَقْرؤه» قل لهم : «سبحان ربِّى هل كنتُ إلا بَشَرًا رسولا» كسائر الرسل والبشر ولم يكونوا يأْتون بآية إلا بإذن الله .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى قولهم فيما قد بلغنا : إنما يعلِّمك رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن : ولن نؤمن به أبدا . يعنون به مسيلمة بن حبيب الحنفى ، روى وُثَيْمة بن موسى عن سعيد بن المسيّب أن مسيلمة تسمَّى بالرحمن فى الجاهلية قبل أن يولد عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم كان من المعمَّرين : «كذلك» أى مثل إرسالنا الرسلَ قبلك يا محمد «أرسلناك» ثم بين المرسَل إليهم فقال : «فى أُمة قد خلَتْ» مضت «من قبلها أُمَمٌ لتتلوَ» لتقرأ عليهم «الذى أَوْحينا إليك» من القرآن وشرائع الإسلام «وهم يَكْفرون بالرحمنِ» . قل لهم يا محمد الرحمن الذى أنكرتم معرفته : «هو ربِّى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه مَتَاب» توبتى ومرجعى .

وأنزل الله تعالى فيما عرضوا عليه من أموالهم : «قُلْ ما سأَلتكم» على الإنذار والتبليغ «من أجرٍ فهو لكم» أى لا أسأَلكم عليه أجرا إن «أَجْرىَ» ما ثوابى «إلا على الله ، وهو على كل شىءِ شهيد» مُطَّلع يعلم صدقه .

وأنزل الله تعالى فيما قال أبو جهل وما همَّ به : «أرأيت» فى مواضعها الثلاثة للتعجب «الذى يَنْهَى» هو أبو جهل «عَبْدًا» هو النبى صلى الله عليه وسلم «إذا صلَّى أرأيت إن كان» أى المنْهى «على الهُدَى أو» للتقسيم «أمَر بالتقوى . أرأيت إن كذَّب» أى الناهى النبىَّ «وتولَّى» عن الإيمان . «ألم يعلم بأن الله يرَى» ما يَصْدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه .

أى : أعجبتَ منه يا مخاطَب ، من حيث نَهْيه عن الصلاة ، ومن حيث أن المنهىَّ على الهُدَى آمرٌ بالتقوى ، ومن حيث أن الناهى مكذِّب متولٍّ عن الإيمان .

«كلاَّ» رَدْع له «لئن» لام قسم «لم يَنْته» عما هو عليه من الكفر «لَنَسْفعنْ بالناصية» لَنجرّن بناصيته إلى النار «ناصية» بدل نكرة من معرفة «كاذبة خاطئة» وصفها بذلك مجازا والمراد صاحبها . «فليَدْعُ نادِيَه» أى أهل ناديه وهو المجلس يَنْتدى أى يتحدث فيه القوم . وكان قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة : لقد علمت ما بها أكثر ناديًا منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلاً جُرْدًا ، ورجالاً مُرْدًا .

«سنَدْعُ الزبانية» الملائكة الغِلاظ الشداد لإهلاكه . فى الحديث : «لو دعا نَاديَه لأخذته الزبانية عيانًا» .

«كلا» رَدْع له «لا تُطِعْه» يا محمد فى ترك الصلاة «واسجُدْ» صلِّ لله «واقتربْ» منه بطاعته[1] .

وروى أبو يعلى وأبو نعيم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت : «وأنذرْ عَشِيرتَك الأقربين» صاح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبى قُبَيْس : ياآل عبد مناف إنى نذير . فجاءته قريشٌ فحذَّرهم وأنذرهم قالوا : تزعم أنك نبى يوحى إليك ، وإن سليمان سخِّر له الريحُ والجبال . وإن موسى سخر له البحر ، وإن عيسى كان يحيي الموتى ، فادع الله أن يجعل هذه الصخرة التى تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم . فبَيْنا نحن حوله إذ نزل عليه الوحى فلما سرِّى عنه قال : والذى نفسى بيده لقد أعطانى ما سألتم ولو شئت لكان ، ولكنه خيَّرنى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن منكم وبين أن يَكِلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلُّوا عن باب الرحمة ولا يؤمن منكم . فاخترتُ باب الرحمة فيؤمن منكم ، وأخبرنى إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم به يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين .

فنزلت : «وما منَعَنَا أن نُرْسلَ بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون» حتى قرأ ثلاث آيات . «ولوْ أن قرآنًا سيرِّت به الجبال» الآية .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٠٩ – ٣١٣ .

وروى الإمام أحمد والنسائى والحاكم والضياء فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل أهلُ مكة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحِّى عنهم الجبال فيَزْرعون ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا فمن كفرَ منهم بعد ذلك عذَّبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم بابَ التوبة والرحمة . قال : أى رب بابَ الرحمة .

وفى رواية : إن شئت أن تستأنى بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فإن كفروا أهلكتُهم[1] كما أهلكتُ مَنْ قبلَهم من الأمم . قال : لا بل أستأنى بهم . فأنزل الله : «وما منعنا أن نُرْسل بالآيات إلا أنْ كذَّب بها الأولون» .

وروى ابن جرير عن قَتادة قال : قال أهلُ مكة فذكر نحوه وفيه : فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان الذى سألك قومُك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنْظروا ، وإن شئت استأنيتَ بقومك . قال : بل أستأنى بقومى . فأنزل الله تعالى : «وما مَنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون» الآية .

وأنزل الله تعالى : «ما آمنت قبلَهم من قريةٍ أهلكناها أفهم يؤمنون» .

[تفسير الغريب]

أصبرْ : بالسكون جواب الشرط .

اليمامة - بفتح المثناة التحتية : مدينة باليمن .

الصَّكّ - بفتح الصاد المهملة وتشديد الكاف : الكتاب .

وايم الله : من ألفاظ القسم كقولك : لعَمْر الله وعهد الله وفيها لغات كثيرة ، تفتح همزتها وتكسر ، وهى همزة وصلٍ وقد تقطع .

أسلِمونى : بقطع الهمزة المفتوحة .

ما بدا لهم : بغير همز أى ظهر .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٨٢/١ .

مُنْتقَعًا – بفتح القاف– امتقع لونه فهو منتقَع لغة فى انتقع أى تغير من حزن أصابه.

الفحل – بفتح الفاء وإسكان الحاء – الذكَر من الحيوان والمراد به هنا من الإبل .

الحجرَ – بفتح الحاء والجيم .

هامته – بميم مخففة مفتوحة : الرأس .

القَصَر – بفتح القاف والصاد المهملة والراء . والقَصرة : أَصل العُنق . والجمع قَصَر بفتحهما .

الباب الحادى عشر

فى امتحانهم إياه بأشياء لا يعرفها إلا نبى

قال ابن إسحاق : إن النَّضْر بن الحارث ، وكان من شياطين قريش ، وكان ممن يُؤْذِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . والصواب أنه هلك ببدر وهو مشرك على يدى على ابن أبى طالب رضى الله عنه . فقال : يا معشر قريش والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحِيلة بعدُ . قد كان محمدٌ فيكم غلاما حَدثًا أرْضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم الشَّيبَ فى صُدْغيه وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر . ولا والله ما هو بساحر ، وقد رأينا السَّحَرة ونَفْثهم وعَقْدهم . وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن . قد رأينا الكهنة تَخالُجَهم وسمعنا سَجْعهم . وقلتم : شاعر . لا والله ما هو بشاعر . لقد روَيْنا الشِّعر وسمعنا أصنافه كلها هَزجه ورَجَزه . وقلتم : مجنون . لا والله ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النضر قد قدِم الحِيرةَ وتعلَّم بها أحاديث ملوك الفُرْس ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا فذكَّر فيه بالله وحذَّر قومه ما أصاب مَن قبلَهم من الأُمم من نِقْمة الله عز وجل . خَلَفه فى مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أَحْسَنُ حديثاً منه . فهلم إلىّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟ وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتَتبها كما كتبتها .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس يقول فيما بلغنى : إنه أنزل فيه ثمانى آيات من القرآن : قوله تعالى «إذا تُتْلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين[1]» وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن .

---

(١) سورة القلم ١٥ .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود المدينة وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصِفَا لهم صفته وأخبِراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علمٌ ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى قدِما المدينةَ فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفَا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا : إنكم أهلُ التوراة وقد أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاثٍ نأمُركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبيٌّ مرسَل وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل[1] فرَوْا فيه رأيكم : سَلُوه عن فِتْية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيب ، واسألوه عن رجل طوّاف قد بلغ مَشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نَبؤه ، واسألوه عن الروح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّل[2] فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

فأقبل النَّضْر بن الحارث وعقبةُ بن أبى مُعَيْط حتى قدِما مكةَ على قريش فقالا : قد جئناكم بفصلِ ما بينكم وبَيْن محمد ، قد أمرنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبيٌّ وإن لم يفعل فالرجل مقتول فروْا فيه رأيكم .

فجاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فى تلك الأشياء فقال لهم : أُخبركم بما سألتم عنه غدًا . ولم يَسْتثن . فانصرفوا عنه .

قال ابن إسحاق : ومكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وفى سِيرَ الزُّهْرى وموسى بن عُقْبة : أن الوحى إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام لا يحْدِث الله تعالى فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبريلُ ، حتى أرْجَف أهلُ مكة وقالوا : وعدنا محمدٌ غدًا واليومَ خمسة عشر ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه . حتى أحزَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه وشقَّ عليه ما يتكلم به أهلُ مكة .

ثم جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بسورة الكهف وفيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخَبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف والروح .

---

(١) ص : مفتون . وبقية النسخ : مقتول . وما أثبته من ابن هشام ١/٣٠١ .

(٢) الأصل : مقتول . ولعله تحريف .

قال ابن إسحاق : فذكِر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤْتُ ظنا . فقال له جبريل : «وما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأَمرِ ربِّك له ما بين أَيدينا وما خَلْفَنا ومَا بَيْن ذلك وما كان ربُّك نَسِيًّا» فافتتح اللهُ سبحانه سورة الكهف بحَمْدِه وذكر نبوّة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : «الحمدُ» وهو الوصف بالجميل الثابت «لله» وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هُمَا ؟ احتمالات أفيَدها الثالث «الذى أَنْزَل على عبده» محمد «الكتابَ» القرآن «ولم يَجْعل له» أى فيه «عِوَجاً» اختلافا وتناقضا «قيِّما» مستقيما «لِيُنْذر»» يخوف بالكتاب الكافرين «بأْسًا» عذابا «شديدًا من لَدُنْه» من قِبَل الله «ويبشِّر المؤمنين الذين يَعْملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حَسنًا ماكثين فيه أَبدا» وهو الجنة «ويُنْذر» من جملة الكافرين «الذين قالوا اتَّخَذَ اللهُ ولدًا ما لهم به» بهذا القول «مِنْ عِلْمٍ ولا لآبائهم» من قبلهم القائلين له «كَبُرَتْ» عَظُمت «كلمةً تَخْرجُ مِنْ أَفواههم» كلمة تمييز مفسِّر للضمير المبْهَم ، والمخصوص بالذمّ محذوف أى مقالتهم المذكورة «إنْ» ما «يَقُولون» فى ذلك إلا مَقُولاً «كذبًا» «فلعلَّك باخِعٌ» مُهْلك «نفسَك على آثارهم» بعد تولِّيهم عنك «إن لم يُؤْمنوا بهذا الحديثِ» القرآن «أَسَفًا» غيظًا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم «إنا جعَلْنا ما علَى الأَرضِ» من الحيوان والنبات والشجر والأَنهار وغير ذلك «زِينةً لها لنَبْلوهم» لنختبر الناسَ ناظرين إلى ذلك «أَيُّهم أَحْسنُ عملاً» فيه أى أزهد له «وإنا لَجاعِلُون ما عليها صَعِيدا» فُتَاتا «جُرُزًا» يابسا لاينبت.

ثم استقبل قصة الخبر فيما سأَلوا عنه من شأْن الفتية فقال : «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحابَ الكهفِ» الغار فى الجبل «والرَّقيمِ» اللوح المكتوب فيه أَسماؤهم وأَنسابُهم «كانوا» فى قصتهم «من» جُمْلة «آياتنا عَجبا» خبر كان وما قبله حال ، أى كانوا عجبًا دون باقى الآيات وأَعجبها ؟ ليس الأَمر كذلك .

اذكر «إذ أَوَى الفِتْيةُ إلى الكَهْف» جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار «فقالوا رَبَّنَا ربُّ السمواتِ والأَرض لن نَدْعُوَ من دونه» غيره «إلهًا . لقد قُلْنا إذًا شَطَطًا» أى قولا ذا شطط ، أى إفراط فى الكفر إن دعونا إلها غير الله فَرْضًا

«هؤلاء» مبتدأ «قَوْمُنا» عطف بيان «اتخذوا من دُونِه آلهةً» الخبر : «لولا» هلا

« يأتون عليهم » على عبادتهم « بسُلْطانٍ بَيِّن » بحجة ظاهِرة « فمن أَظْلَم » أى لا أحد أظلم « ممن افْتَرى على الله كَذِبا » بنسبة الشريك إليه تعالى إلى آخر القصة .

ثم قال تعالى : « سيقولون » أى المتنازعون « فيهم » فى عدَد الفتية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أى يقول بعضهم : هم « ثلاثةٌ رابعهم كَلْبهم » « ويقولون » أى بعضهم : « خمسةٌ سادسهم كَلْبهم » والقولان لنصارى نجران « رَجْمًا بالغيبِ » أى ظنا فى الفتية عنهم ، وهو راجع إلى القولين معا ونَصْبه على المفعول أى لظنهم ذلك . « ويقولون » أى المؤمنون « سَبْعةٌ وثامنهم كَلْبُهم » الجملة من المبتدأ والخبر صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيد أو دلالة على لَصْق الصفة بالموصوف ، ووصف الأَوَّلَيْن بالرجم دون الثالث يدل على أنه مَرْضِيّ صحيح « قل ربِّ أَعْلَم بعِدَّتهم ما يَعْلمهم إلا قليل » من الناس . قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل . وذكر أنهم سبعة « فلا تُمَارِ » تجادل « فيهم إلا مِرَاء ظاهرا » بما أُنزل إليك . « ولا تَسْتَفْتِ » تطلب الفتيا « فيهم منهم » من أَهل الكتاب اليهود « أحدا . ولا تقولنَّ لشىءٍ إنى فاعلٌ ذلك غدًا » أى فيما يُستقبل من الزمان « إلا أن يشاء الله » أى إلا ملتبسًا بمشيئة الله بأن تقول : إن شاء الله « واذكُرْ ربَّك » أى مشيئته معلِّقا بها « إذا نسيتَ » التعليقَ بها ويكون ذِكْرها بعد النسيان كذِكْرها مع القول . قال الحسن وغيره : ما دام فى المجلس . وروى ابن أَبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس فى الآية قال : إذا نسيت الاستثناء استَثْنِ إذا ذكرت . قال : وهى خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وقُل عَسى أن يَهْدِين ربِّ لِأَقْربَ مِنْ هذا » من خبر أَهل الكهف فى الدلالة على نبوّتى « رَشَدًا » هداية وقد فعل الله تعالى ذلك .

« ويسأَلونك عن ذى القَرْنين » اختلف فى اسمه فقيل اسمه الصَّعب . وبه جزم كعب الأَحبار ونقله ابن هشام فى التيجان عن ابن عباس . وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخُطَط : إنه التحقيق عند علماء الأَخبار . وقال الحافظ فى الفتح بعد أن أورد قول أعشى ابن ثعلبة :

والصعبُ ذو القرنين أَمْسَى ثاويًا ... بالحِنْو فى جَدَث هناك مقيمُ

والحنْو ـ بكسر الحاء المهملة وسكون النون فواو : مكان فى ناحية المشرق . ثم ذكر

شواهدَ أُخر يؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح فى اسمه الصعب . وقيل المنذر : . وقيل غير ذلك.

ولقِّب بذى القرنين قيل لأنه بلَغ قَرْن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مَطْلعها رواه الزبير بن بَكَّار عن الزُّهرى . وقيل لأَنه مَلكهما . وقيل لأنه رأى فى منامه أنه أخذ بقَرْنى الشمس، وقيل لأَنه كان له قرنان حقيقة . وهذا أنكره الإمام على بن أَبى طالب رضى الله عنه . وقيل لأَنه كان له ضَفيرتان تواريهما ثيابه . وقيل كانت الغَدِيرتان طويلتين من شَعره حتّى كان يطَأ عليهما . وقيل لأَنه دخل النور والظُّلْمة . وقيل لأنه عُمِّر حتّى فَنِى فى زمانه قرنان من الناس . وقيل غير ذلك .

واختلف فى نبوته : فقيل كان نبيّا . وبه جزم جماعة . وهو مرويّ عن عبد الله بن عمرو بن العاصى . قال الحافظ : وعليه ظاهر القرآن وروى الحاكم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا أدرى ذو[1] القرنين كان نبيّا أولا» وذكر وهب فى المبتدأ أنه كان عبدًا صالحا وأن الله تعالى بعثه إلى أربعة أُمم اثنتين منها طول الأَرض ، واثنتين منها عرض الأَرض فذكر قصةً طويلة ذكرها الثعلبى فى تفسيره .

وروى الزبير بن بكّار وسفيان بن عُيْينة فى جامعه والضياءُ المقدسى فى صحيحه ، كلاهما من طريق آخر بسند صحيح كما قال الحافظ عن أَبى الطفيل أَن ابن الكوّاء قال لعلى رضى الله عنه : أخبرنى عن ذى القرنين نبيًّا كان أم مَلِكا ؟ قال : لم يكن نبيا ولا مَلِكا ولكن كان عَبْدا صالحا أَحبه الله فأَحبَّه ، ونصَح لله فنصَحه . بعثه إلى قومه فضربوه على قَرْنه ضربةً مات فيها ، ثم بعثه الله إليهم فضربوه ، ثم بعثه فسمِّى ذا القرنين . قال الحافظ : وفيه إشكال لأن قوله : لم يكن نبيا مغايرٌ لقوله : بعثه الله إلى قومه إلا أن يحمل البَعْث على غير رسالة النبوّة .

والأَكثر : أنه كان من الملوك الصالحين . وذكره البخارى قبل ترجمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ : وفى ذلك إشارة إلى تَوْهين قول من زعم أنه الإسكندر اليونانى . لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى ، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من

(١) ط : ذا القرنين .

ألفى سنة . والذى يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذى القرنين تشبيهًا بالمتقدم لسعَة مملكته وغلبته على البلاد الكثيرة ، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له مُلْكُ المملكتين الواسعتين الرُّوم والفرس فلقِّب ذو القرنين بذلك .

والحق : أن الذى قصَّ الله نبأه فى القرآن هو المتقدم ، والفرق بينهما من أوجه : أحدها ما ذكرته . والذى يدلّ على تقدم ذى القرنين ما رواه الفاكهىّ عن عُبَيْد بن عمير أحد كبار التابعين : أن ذا القرنين حجَّ ماشيا فسمع به إبراهيم فتلقَّاه .

وذكر ابن هشام فى التيجان أن إبراهيم تحاكم إلى ذى القرنين فى شىء فحكم له .

ثانى الأَوْجُه : قال الإمام فخر الدين كان ذو القرنين نبيّا وكان الإسكندر كافرا . ولكن الجمهور على خلاف قوله إنه كان نبيا .

ثالثها : كان ذو القرنين من العرب . وأما الإسكندر فهو من اليونان .

وشُبْهة من قال إن ذا القرنين هو الإسكندر : ما رواه ابنُ جرير بإسناد فيه ابن لَهِيعة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فقال : كان من الروم فأُعطى مُلْكا فسار إلى مصر وبنىَ الإسكندرية . إلى آخره .

وهذا لو صحَّ لدفع النزاعَ ، ولكنه ضعيف .

هذا خلاصة كلام الحافظ فى الفتح[1] .

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخُطَط : اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله تعالى فى القرآن اسمه الصَّعْب بن الحارث . وساق نسَبه إلى قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضا العرب العَرْباء .

كان ذو القرنين تُبَّعا متوَّجًا ولما تولى المُلْك تجبَّر ثم تواضع لله تعالى . وقد غلط من ظن أن الإسكندر هو ذو القرنين الذى بنى السَّدَّ فإن لفظة «ذو» عربية ، وذو القرنين من ألقاب ملوك اليمن . وذاك رومى يونانى وبسَط الكلام على ذلك[2] وذكر الحافظ عمادُ

(١) انظر فتح البارى ١٩١/٧ - ١٩٣ .

(٢) خطط المقريزى ٢٦٨/٢ (ط لبنان) .

الدين ابن كثير نحو ما سبق عن الحافظ وصوّب أن ذا القرنين غير الإسكندر اليونانى وبسَط الكلامَ على ذلك[1] . « قل سأَتْلُو » سأَقصّ «عليكم منه » من حاله «ذِكْرا» خبرًا . إلى آخر القصة .

وقال تعالى فيما سأَلوه عنه من الروح الذى يحيا به البدَن : «قل» لهم «الروحُ من أمْرِ ربى» أى علمه لا تعلمونه . «وما أُوتيتم من العِلْم إلا قليلاً» بالنسبة إلى علمه تعالى . وكلام ابن اسحاق يدل على أن هذه الآية مكِّية . ورواه الترمذى عن ابن عباس ، ورجالُه رجال مسلم .

وفى الصحيحين أن اليهود سأَلوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية[2] .

قال الحافظ : ويمكن الجمع بأَن يتعدَّد النزول ويحمل سكوته فى المرة الثانية على توقُّع مزيد بيان فى ذلك وإلا فما فى الصحيح أَصحّ .

* * *

قال ابن اسحاق : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرَفوا صدقه فيما حدَّث ومَوْقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيب حين سأَلوه عنه ، حال الحسدُ منهم له بَيْنهم فقال قائِلهم : «لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه» أى اجعلوه لغوًا باطلا وهُزُوًا «لعلكم تَغْلبون» بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم بذلك .

فقال أَبو جهل يومًا ، وهو يهزأُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أَتى به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذِّبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأَنتم الناس عددًا وكثرة ، فيَعْجز كلُّ مائة منكم عن رجل منهم ؟

فأَنزل الله تعالى فى ذلك : «وما جَعْلنا أَصحابَ النار إلا ملائِكةً» فلا يطاقون كما تتوهَّمون «وما جعلنا عِدَّتهم إلاَّ فتنةً» ضلالا «للذين كَفروا» بأَن يقولوا : لِمَ كانوا تسعة

---

(١) البداية والنهاية ٢/١٠٥ ، ١٠٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الكهف) .

وصحيح مسلم كتاب المنافقين حديث رقم ٣٢ .

عشر «ليستيقن الذين أوتوا الكتابَ» أى اليهود صِدْقَ النبي صلى الله عليه وسلم فى كونهم تسعة عشر الموافق لِمَا فى كتابهم «ويَزْداد الذين آمَنُوا» من أهل الكتاب «إيماناً» تصديقا لموافقة ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لِمَا فى كتابهم[1]. «ولا يَرْتاب» يشك «الذين أُوتوا الكتابَ والمؤمنون» من غيرهم فى عدد الملائكة «ولِيقولَ الذين فى قلوبهم مَرضٌ» شكٌّ بالمدينة «والكافرون» بمكة «ماذا أراد اللهُ بهذا» العدد «مَثَلا» سمَّوه مثلاً لغرابته وأغرب حالاً . «كذلك» أى مثل إضلال مُنْكِر هذا العَدد وهدى مصدِّقه «يضلّ اللهُ من يشاء ويَهْدى من يشاء ، وما يَعْلم جنودَ ربِّك» أى الملائكة فى قوّتهم وأعوانهم «إلا هو» سبحانه وتعالى[2] .

تنبيه

فى بيان غريب ما سبق .

النَّضْر : بنون وضاد معجمة .

مُكْثُ : مرفوع فاعل أَحْزَن .

---

(١) ص : كتبهم .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣١٣ .

الباب الثانى عشر

فى سبب نزول قوله تعالى : «ولا تَجْهر بصلاتك ولاتُخَافِتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلا[1]»

روى سعيد بن منصور والإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس ، وابن اسحاق وابن جرير عنه من طريق آخر فى الآية قال : نزلت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة مُتَوارٍ ، فكان إذا صلَّى بأَصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به وتفرقوا عنه وأَبَوْا أَن يسمعوا منه ، وكان الرجل إذا أَراد أَن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلوه وهو يصلى استرق السَّمْع دونَهم فرَقًا منهم ، فإن رأَى أَنهم قد عرفوا أَنه يستمع ذهب خشيةَ أَذاهم فلم يستمع ، فإن خفَض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأَنزل الله تعالى : «ولا تَجْهر بصلاتك[2]» بقراءتك فيها فيسبّ المشركون القرآن ويتفرقوا عنك «ولا تُخَافِتْ» تُسِرّ «بها» فلا ينتفع بها أَصحابُك ولا من أَراد أَن يسمعها ممن يَسْترق[3] ذلك لعله يَرْعوى إلى بعض ما يستمع فينتفع به . «وابْتغِ» اقصدْ «بَيْن ذلك» بين الجهر والمخافتة «سبيلًا» طريقا وسَطا .

قال عُرْوة بن الزبير فيما رواه ابن اسحاق عنه : أَول من جَهر بالقرآن بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبدُ الله بن مسعود ، اجتمع يومًا أَصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعتْ قريشُ هذا القرآن يُجْهَر لها به قطّ . فمَنْ رجلٌ يُسْمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أَنا . قالواْ : إنا نخشاهم عليك . إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أَرادوه . قال : دَعُونى فإن الله تعالى سيمنعنى .

---

(١) سورة الإسراء ١١٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الإسراء وكتاب التوحيد ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٥ .

(٣) ت ، م : يستمع .

فغَدَا ابنُ مسعود حتّى أتى المقامَ فى الضحى وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقـام ثـم قال : بسم الله الرحمن الرحيم : «الرحمنُ عَلَّم القرآن» ثم استقبلها يقرؤها وتأمّلوه يقولون: ماذا قال ابن أُمِّ عَبْد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا بوجهه فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . قال: ما كان أعداء الله تعالى أهْوَن علىّ منهم الآن ولئن شئتم لأُغَادينهم بمثلها غدًا . قالوا : لا حَسْبك ، قد أَسْمَعتَهم مايكرهون(١) .

لأُغادينهم : أى آتيهم غدوةً بذلك .

(١) سيرة ابن هشام ٣١٤/١ .

الباب الثالث عشر

فى اعتراف أبى جهل وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى ابن اسحاق والبيهقى عن الزُّهْرى والحافظ محمد بن يحيى الذُّهْلى فى الزُّهْريات عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب بسند صحيح أنه حدّث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل والأَخْنَس بن شَرِيق خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّى من الليل فى بيته ، فأَخذ كلٌّ رجل منهم مجلسا يسمع فيه وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا فجمعهم الطريق فتلاوَموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأَوقعتم فى قلبه شيئاً . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثلَ ما قالوا أولَ مرة . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلٌّ واحد منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نَعُود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أَصبح الأَخنس بن شَرِيق أَخذ عصاه ثم خرج حتى أَتى أَبا سفيان فى بيته فقال : أَخبرنى يا أَبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد . ولفظ الذهلى : إن أَبا سفيان قال للأَخنس : فما تقول أنت ؟ قال : أَراه الحق . انتهى قال أَبو سفيان : والله يا أَبا ثعلبة لقد سمعتُ أَشياء أَعرفها وأَعرف ما يراد بها وسمعت أَشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأَخنس : وأَنا والله كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أَتى أَبا جهل فدخل عليه بيتَه فقال : يا أَبا الحكم ما رأْيك فيما سمعتَ من محمد ؟ قال : ما سمعت؟ تنازعنا وبنو عبد مناف الشرفَ فأَطْعموا فأَطْعَمْنا وحَملوا فحملنا وأَعطوا فأَعطينا حتى إذا تجاثَيْنا على الرُّكَب وكنا كفرسَىْ رِهَان قالوا

منا نبيٌّ يأْتيه الوحى من السماء فمتّى ندرك مثل هذه ؟ ! والله لا نُؤْمن به أبدا ولانُصَدِّقه[1].

تنبيه

اختلف فى إسلام الأَخْنَس بن شَرِيق وسيأْتى بَسْط الكلام على ذلك .

وروى البيهقى عن المغيرة بن شُعبة قال : أول يوم عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَنى كنت أَمشى مع أَبى جهل بن هشام فى أَزقّة مكة إذ لقينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأَبا الحكَم هلمّ[2] إلى الله وإلى رسوله أَدعوك إلى الله ؟ فقال أَبو جهل : يا محمد هل أَنت مُنْتهٍ عن سبٍّ آلهتنا هل تريد أَن نشهد أَنك قد بلَّغت ؟ فوالله لو أَعلم أَن ما تقول حقٌّ اتبعتك . فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. فأَقبل علىّ فقال : والله إنى لأَعلم أَن ما يقول حق ، ولكن بنى قُصَىّ قالوا فينا الحجابة . قلنا نعم ، ثم قالوا : وفينا النَّدْوة قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا اللِّوَاء . قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا السِّقاية . قلنا نعم . ثم أَطعموا وأَطعمنا حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب قالوا منا نبى ! والله لا أَفعل[3] .

[تفسير الغريب]

الأَخْنَس : بفتح الهمزة فخاء معجمة ساكنة فنون مفتوحة فسين مهملة .

شَرِيق : بشين معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فقاف .

تجاذَيْنا : بمثناة فوقية مفتوحة فجيم فأَلف فذال معجمة مفتوحة فياء مثناة ساكنة فنون فأَلف : قال فى الصِّحاح : الجاذِى المُقْعِى منتصبَ القدمين وهو على أَطراف الأَصابع والجمع جِذاء مثل نائم ونِيام . قال أَبو عمرو جذا وجَثَا لغتان . قال ابن الأَعرابى : الجاذى على قدميه والجاثى على ركبتيه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٥ .

(٢) الأصل : هل إلى الله . وما أثبته من سيرة ابن كثير عن البيهقى .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٤٠٦ .

الباب الرابع عشر

فى تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآنَ والآيات التى أُنزلت فيه

روى ابن إسحاق ومقاتل فى تفسيره وابن أبى حاتم وأبو نُعَيْم والبيهقى والواحدىّ من طرق عن ابن عباس قال : لما أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم سورة غافر قرأها النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسمعها الوليد ثم انطلق إلى مجلس بنى مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاما آنفاً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إنَّ أسْفله لَمُغْدق وإن أعلاه لَمُونِق . وإن له لحَلاوة وإن عليه لَطَلاوة . وإنه يَعْلو ولا يُعْلَى . ثم انصرف .

فقالت قريش : لقد صبأَ الوليد ، والله لئِن صبأَ الوليد لتَصْبأَنّ قريش كلها . وكان يُقال للوليد ريحانةُ قريش . فقال أبو جَهْل : أنا أكفيكموه .

فانطلق حتى دخل عليه وهو حزين فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرَّض لما قِبَلَه .

فقال : لقد عَلمتْ قريش أنى من أكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك «أنك كاره له . قال : وماذا أقول فيه ؟ والله إنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجِن . فقال له أبو جهل : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : دعنى أفكر فيه .

فلما اجتمع بقومه قال وقد حضر الموسم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستَقْدَم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمرِ صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيًا واحداً ولا تختلفوا فيكذِّب بعضكم بعضاً . قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس أقم لنا رأياً نَقولُه فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكُهَّانَ فَمَا هو بزَمْزمةِ الكاهن ولا سجْعِهِ .

قالوا : فنقول مجنون . قال : والله ما هو بمجنون فقد رأينا الجنونَ وعَرَفْناه فما هو بخَنقِه ولا تَخَالُجه ولا وسوسته .

قالوا: فنقول شاعر . قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعركله رَجَزه وهَزَجه وقَرِيضه ومقبوضه ومَبْسوطه فما هو بشاعر .

قالوا : فنقول ساحر . قال : والله ما هو بساحر لقد رأينا السحَّار وسِحْرهم فما هو بنَفْثه ولا عُقَدِه .

قالوا : فما نَقُول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لمُغْدق وإن فرعه لمثْمر وما أنتم بقائِلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر ، فَما يقول سِحْرٌ يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته .

فتفرَّقوا عنه بذلك ، وجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدِموا الموسمَ لا يمرُّ بهم أحد إلا حذَّروه إياه وذكروه لهم .

وأنزل الله تعالى فى الوليد وفى ذلك من قوله : «ذَرْنى» أى اتركنى . وهى كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه[1] وغضبه وكره أن يُشْفَع لمن اغتاظ عليه . «ومن خلقتُ وحيداً» أى منفرداً بلا أهل ولا مال «وجعلت له مالا ممدودا» واسعًا متصلا من الزروع والضروع والتجارة . «وبنين» عشرة أو أكثر «شهودا» يشهدون المحافل وتُسْمع شهادتهم «ومَهَّدتُ» بسطتُ «له» فى العيش والعمر والولد «تمهيدا . ثم يَطْمع أن أَزِيدَ كَلاَّ» لا أزيده على ذلك «إنه كان لآياتنا» أى القرآن «عنيدا» معاندا «سأُرْهقه» أُكلِّفه «صَعُودا» مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدا «إنه فَكَّر» فيما يقول فى القرآن الذى سمعه

(١) ص : من شدة غيظه .

من النبي صلى الله عليه وسلم . وقُدّر فى نفسه ذلك . « فقُتل » لُعن وعذِّب « كيف قَدَّر » على أى حال كان تقديره . «ثم قتل كيف قدر» تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أَبْلَغ من الأُولى وفيما يقدِّر على الأَصل . «ثم نَظَر» فى وجوه قومه أو فيما يَقْدح به فى القرآن . «ثم عَبَس» قبض وجهه وكَلَّحه ضِيقًا بما يقول «وبَسر» زاد فى القبض والكلوح «ثم أَدْبَر» عن الإيمان «واسْتكبر» تكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيما جاء به : «إنْ» «ما هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثر» ينقل عن السحرة «إنْ» ما «هذا إلا قول البشر» . كما قالوا : إنما يعلِّمه بَشَرٌ «سأُصْليه» أُدْخله «سَقَر» جهنم «وما أدراك ما سقر» تعظيم لشأْنها «لا تُبْقِي ولا تَذَر» شيئاً من لحم ولا عصب إلا أَكلتْه ثم يعود كما كان «لَوَّاحة للبشر» مُحْرقة لظاهر الجلد .

قال ابن اسحاق : وأنزل الله تعالى فى النفر الذين كانوا معه يُسِفُّون[1] القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به : «الذين جعلوا القرآن عِضِين» أَصنافا ، وواحدة العِضين عِضة « فوربِّك لنَسْأَلنهم أَجمعين» سؤال توبيخ «عما كانوا يعملون» .

قال ابن إسحاق : وصدرت العرب من ذلك الموسم بأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذِكْرُه فى بلاد العرب كلها[2] .

[تفسير الغريب]

الطُّلَاوة : بضم الطاء المهملة وبفتحها : الحُسْن والقبول .

مُونق : حَسَن مُعْجب .

الزَّمْزمة : كلام خفىّ لا يُفْهَم .

السَّجْع : الكلام المنثور الذى له نهايات كنهايات الشعر .

بخَنقِه : يريد الاختناق الذى يصيب المجنون .

التخالُج : اضطراب الأَعضاء وتحركها من غير إرادة .

---

(١) كذا بالأصل . وفى ابن هشام : يصنفون القول .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٧٠ .

الوُسْوسة : ما يلقيه الشيطان فى نفس الإنسان . الرَّجَز والهزج والقريض والمقبوض والمبسوط : هذه الخمسة أنواع من الشعر وقوله فما هو بنَفْثه ولا بعَقْده إشارة إلى ما كان يفعل الساحر من أن يعقد خيطا ثم ينفث ومن ذلك قوله تعالى : «ومن شرِّ النفَّاثات فى العُقَد» يعنى الساحرات .

العَذْق :-بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة الكثير الشُّعَب والأَطراف . هذه رواية ابن اسحاق قال فى الروض : استعارة من النخلة التى ثبت أَصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى . وهذه الرواية أفصح من التى بعدها لأَنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله وفى رواية ابن هشام بغين معجمة فدال مهملة : الماء الكثير .

وإن فرعها لجناة أى فيه ثَمر يُجْنَى .

السُّبُل : بضم أَوله وثانيه جمع سبيل وهو الطريق .

الباب الخامس عشر

فى عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشاً تذامَروا بينهم على من فى القبائِل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذِّبونهم ويفتنونهم عن دينهم فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ممن استضعفوه منهم ، فمنهم من يَفْتتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ومنهم من تصلَّب لهم ويعصمه الله تعالى .

روى ابن إسحاق عن سعيد بن جُبَيْر قال : قلت لابن عباس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُعْذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إنْ كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه[1] ويعطشونه حتى ما يقدر يستوى جالسًا من شدة الضُّرِّ الذى نزل به حتى يقولوا له : اللات والعُزَّى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتى إن الجُعل ليمرّ بهم فيقولون له : هذا الجُعل إلهك من دون الله فيقول نعم . افتداء منهم مما يَبْلغون من جهدهم .

وكان أبو جهل الخبيث هو الذى يُغْرى بهم رجالَ قريش . إذا سمع بالرجل أَسْلَم له شَرَف ومَنعةٌ أَنَّبه وأَخْزَاه[2] فقال : تركت دين أبيك وهو خير منك . لنسفهن حِلمك ولَنفيِّلَنَّ رأيك ولنضعن شَرفك . وإن كان تاجرا قال : والله لنكْسِدن تجارتك ولنهلكن مالَك . وإن كان ضعيفا ضربه وأَغْرى به .

فمن المستضعفين بلال رضى الله عنه ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب .

قال ابن إسحاق وغيره : فكان أُمية بن خلف يخرجه إذا حَمِيت الظَّهِيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأْمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال

---

(١) ص : ويجوعونه .

(٢) الأصل : وحرا . وما أثبته من ابن هشام ١/ ٣٢٠ .

هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزّى فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحَد أَحَد أنا كافر باللات والعُزّى(١) .

وروى البلاذُرىّ عن عمرو بن العاص قال : مررت ببلال وهو يعذّب فى الرمضاء ولو أن بَضْعة لحمٍ وضِعت عليه لَنَضِجَت وهو يقول : أنا كافر باللات والعزى . وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذابا فيُقْبل عليه فيَدْغت فى حَلْقه فيُغْشَى عليه ثم يفيق(٢) .

وروى ابن سعد عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : حجَجْت - أو قال اعتمرت - فرأيت بلالاً فى حَبْلٍ طويل يمده الصبيان وهو يقول : أَحَد أحد أنا أكفر باللات والعزى وهُبَل ونائلة وبُوَانة فأَضجعه أُمية فى الرمضاء(٣) .

وروى البلاذرى عن مجاهد قال : جعلوا فى عُنق بلال حبلا وأمروا صبيانهم أن يشتدُّوا به بين أَخْشَبىْ مكة - يعنى جبليها - ففعلوا ذلك وهو يقول : أَحَد أَحَد(٤).

وروى ابن سعد عن عروة قال : كان بلال من المستضعفين من المؤمنين وكان يُعَذَّب حين أَسْلَم ليرجع عن دينه فما أعطاهم قط كلمة مما يريدون ، وكان الذى يعذبه أُمية بن خلف الجُمحى(٥) .

وروى البلاذرى عن عمير بن إسحاق قال : كان بلالٌ إذا اشتدّ عليه العذاب قال : أَحد أَحد . فيقولون له : قل كما نقول فيقول : إن لسانى لا ينطق به ولا يُحسنه(٦) .

قال البلاَذُرىّ : وروى أن بلالاً قال أعطشونى يوماً وليلة ثم أخرجونى فعذّبونى فى الرمضاء فى يوم حارّ(٧) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرّ ببلال وهو يعذَّب وهو يقول : أَحد أَحد . فيقول ورقة : أَحَد أَحد والله يا بلال . ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٨ ، ٣٢٠ .
(٢) أنساب الأشراف ١/١٨٥ . وفيه : فيذهب خلقه . محرفة .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .
(٥) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .
(٦) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .
(٧) أنساب الأشراف ١/١٨٦ .

يُقْبل على أمية بن خلَف ومن يصنع ذلك به من بنى جُمَح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه لأتخذنه حَنانًا .

حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنهما وهم يصنعون به ذلك ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال أبو بكر لأُمية : ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى تعذبه ؟ قال أنت أفسدتَه فأنقذه مما ترى[1] . قال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجْلَد منه وأقوى على دينك أعطيكه به . قال : قد قبلت . قال : هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه[2] .

وروى البلاذرى بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : لمّا أسلم بلال أخذه أهله فقَمَطوه وألقوا عليه من البطحاء ، وجعلوا يقولون : ربُّك اللاتُ والعزى . فيقول أَحَد أحد . فأتى عليه أبو بكر رضى الله عنه فقال : عَلاَمَ تعذِّبون هذا الإنسان ؟ فاشتراه بسبع أواقٍ وأعتقه . فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم أنه قد اشتراه فقال : الشركةَ يا أبا بكر . فقال : قد أعتقتُه يا رسول الله[3] .

وروى البلاذرى بسند جيد عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس قال : اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواقٍ[4] .

* * *

ومنهم خبَّاب بن الأَرتّ بالمثناة الفوقية .

قال البلاذرى : قالوا كان الأَرت سَوَادِيًّا ، فأغار قومٌ من ربيعة على الناحية التى كان فيها فسبَوْه وأتوا به الحجاز فباعوه فوقع إلى سِبَاع بن عبد العزى الخزاعى حليف بنى زهرة . وزعم أبو اليقظان أن خَبَّابا كان أخا سِبَاع لأُمِّه[5] .

(١) ت ، م : مما ترى فيه .
(٢) سيرة ابن هشام ٣١٨/١ .
(٣) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .
(٤) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .
(٥) أنساب الأشراف ١٧٥/١ .

قال البلاذرى : وخَبَّاب فيما يقول ولده : ابن الأَرتّ بن جندلة بن سعد بن خُزَيمة ، من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وإنه وقع عليه سَبْى فصار إلى أم أَنْمار مولاته فأَعتقته وإنه كانت به رتَّة ، كان أَلْكَن إذا تكلم بالعربية فسمى الأَرَتّ[1] .

وروى البلاذرىّ عن كردوس أن خَبَّابا أَسلم سادسَ ستة[2] .

وروى البلاذرى عن الشَّعْبى قال : أَعطوهم ما أَرادوا حين عذَّبوا إلا خَبَّاب بن الأَرت فجعلوا يُلْصقون ظهره بالأَرض على الرَّضْف حتى ذهبَ ماءُ مَتْنه[3] .

وروى البلاذرى عن الشَّعْبى ، ومن طريق آخر عن أَبى ليلى الكِنْدى قال : جاء خَبَّاب إلى عمر رضى الله عنهما فقال له عمر : اذْنُه ادنه . فأَجلسه على مُتَّكئه وقال : ما أَحدٌ أَحق بهذا المجلس منك إلا رجل واحد . قال : ومن هو يا أَمير المؤمنين ؟ قال : بلال – وفى رواية الشعبى . عمار بن ياسر . قال : ما هو بأَحق منى إن بلالا كان له فى المشركين من يمنعه[4]. الله به ، ولم يكن لى أَحد ، لقد رأَيتُنى يومًا وقد أَوقدوا لى نارًا ثم سلقونى فيها ثم وضع رجل رِجَله على صدرى فما اتقيت الأَرض إلا بظهرى ثم كشف خَبَّاب عن ظهره فإذا هو قد بَرص[5] .

وروى البلاذرى عن أَبى صالح قال كان خباب قَيْنًا وكان قد أَسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأْلفه ويأْتيه فأُخبرت بذلك مولاته فكانت تأْخذ الحديدة وقد أَحْمتها فتضعها على رأْسه ، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم انصر خَبَّابا فاشتكت مولاته رأْسها وهى أم أَنمار فكانت تَعْوى مع الكلاب ، فقيل لها اكتوى فكان خباب يأْخذ الحديدة قد أَحماها فيكوى بها رأْسها[6] .

قال محمد بن عمر الأَسْلَمى وكان الذى يعذِّب خبابا حين أَسلم ولازم رسولَ الله

---

(١) أنساب الأشراف ١٧٦/١ .
(٢) أنساب الأشراف ١٧٦/١ .
(٣) أنساب الأشراف ١٧٦/١ .
(٤) غيرط : منعه .
(٥) أنساب الأشراف ١٧٧/١ .
(٦) أنساب الأشراف ١٧٨/١ .

صلى الله عليه وسلم عتبةُ بن أبى وقاص . وقيل وهو الثبت الأسود بن عبد يَغُوث[1].

وروى البخارى ومحمد بن عمر الأسلمى والبيهقى عن خَبَّاب رضى الله عنه قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُرْدَه فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدةً شديدة فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد مُحمرًّا وجهه فقال : إنْ كان من كان قبلكم ليمشَّط أحدُهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعَصب ما يَصْرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشارُ على مَفْرِق رأس أحدهم فيُشقّ باثنتين ما يَصْرفه ذلك عن دينه ، وليتمنّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه[2] .

* * *

ومنهم صُهَيْب بن سِنَان الرومى .

روى ابن سعد عن عروة قال : كان صهيب من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يعذبون فى الله[3] .

* * *

ومنهم عامر بن فُهيرة .

قال البلاذرى : قالوا كان عامر من المستضعفين فكان يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه[4] .

وروى ابنُ سعد عن محمد بن كعب القُرَظى – بضم القاف وكسر الظاء المُشَالَة المعجمة – قال : كان عامر بن فهيرة يعذَّب حتى لا يدرى ما يقول[5] .

ومنهم أبو فُكَيْهة واسمه أفلح ويقال يَسار . وكان عبدًا لصفوان بن أُمية فأسلم حين أسلم بلال ، فمرّ به أبو بكر رضى الله عنه وقد أخذه أُمية بن خلف فربط فى رجله حبلاً

---

(١) أنساب الأشراف ١٧٩/١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب وكتاب الإكراه . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٥٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١٨١/١ .

(٤) أنساب الأشراف ١٩٤/١ .

(٥) أنساب الأشراف ١٥٨/١ .

وأمر به فجرّ ثم ألقاه فى الرمضاء فمر به جُعْلٌ فقال : أليس هذا ربك فقال : الله ربى خلقنى وخلقك وخلق هذا الجُعْل فغلظ عليه وجعل يَخْنقه ومعه أخوه أُبَىّ بن خلف يقول : زِدْه عذابًا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحْره . فأخرَجه نصفَ النهار فى شدة الحرّ مقيدًا إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانُه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمرّ به أبو بكر رضى الله عنه فاشتراه وأعتقه[1] .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرَظى قال : كان أبو فُكَيْهة يعذَّب حتى - لا يدرى ما يقول[2] .

* * *

ومنهم عمّار بن ياسر وأبوه وأمه سُمَيَّة وأخوه عبد الله رضى الله عنهم .

روى البلاذرى والبيهقى عن مجاهد قال : أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وخَبَّاب وصُهَيْب وعمَّار ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الآخرون فألْبسوا دروعَ الحديد وصُهروا فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم ، وجاء أبو جهل إلى سُمَيَّة فطعنها فى قلبها فهى أول شهيدة فى الإسلام[3] .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرظى قال : أخبرنى من رأى عمارَ بن ياسر متجردًا فى سراويل . قال : ونظرت إلى ظهره فإذا فيه حَبَط فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا ما كانت قريش تعذِّبنى فى رَمْضاء مكة[4] .

وروى البلاذُرى عنه أيضا قال : كان عمار يعذَّب حتى لا يدرى ما يقول[5] .

وروى البلاذرى عن أُم هانئ رضى الله عنها أن عمار بن ياسر وأباه ياسرًا وأخاه عبدالله ابن ياسر وسُمَيّة بن عمار كانوا يعذَّبون فى الله فمرَّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٤ .
(٢) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٥) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .

صَبْرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة . فمات ياسر فى العذاب وأغلظت سمية لأبى جهل فطعنها فى قلبها فماتت ، ورُمى عبد الله فسقط[1] .

* * *

ومنهم جارية بنى المؤمل بن حبيب .

قال البلاذرى : وكان يقال لها فيما ذكر أبو البخترىّ : لَبِيبة[2] ، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب فكان عمر يغذِّبها حتى يَفْتر فيدَعها ثم يقول : أما إنى أعتذر إليك بأنى لم أدَعْك إلاسآمة[3] فتقول : كذلك يعذبك ربك إن لم تُسْلم .

وروى ابن سعد عن حسان قال : قدمت مكة معتمرا والنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يؤذَوْن ويعذَّبون . فوقفتُ على عمر وهو متوزر[4] يَخْنق جارية بنى عمرو بن المؤمل حتى تسترخى فى يديه فأقول قد ماتت . فاشتراها أبو بكر فأعتقها[5] .

* * *

ومنهم زِنِّيرة – بزاى فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهى فى اللغة الحصاة الصغيرة ويروى : زَنْبَرة بزاى مفتوحة فنون ساكنة فباء موحدة – الرومية كان عمر بن الخطاب وأبو جهل يعذِّبانها .

قال البلاذرى : قالوا وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء واتباعهم محمداً ؟ فلو كان ما أتى به محمدٌ خيرا وحقا ماسبقونا إليه أفسبقَتْنا زِنِّيرة إلى رُشْد وهى من ترون . وكانت زنيرة قد عذِّبت حتى عميت فقال لها أبو جهل : إن اللات والعزَّى فعلتا بك ما ترين . فقالت ، وهى لا تبصر : وما تدرى اللات والعزى من يَعْبدهما ، ولكن هذا أمرٌ من السماء وربِّى قادر على أن يرد بَصرى . فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها ، فقالت

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٠ .

(٢) كذا وفى أنساب الأشراف : لبينة .

(٣) فى أنساب الأشراف : إلا عدامة . ولعله تحريف .

(٤) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : وهو موتور . وفى أنساب الأشراف : مؤتزر .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٥ ، ١٦٦ .

قريش : هذا من سِحْر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها[1] .

* * *

ومنهم أم عُنَيْس – بعين مهملة مضمومة فنون فمثناة تحتية فسين مهملة – ويقال عبيس بباء موحدة فمثناة تحتية . أمَة لبنى زُهْرة ، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر[2] .

* * *

ومنهم النَّهْدية وابنتها . وكانت مولَّدة لبنى نهد بن زيد فصارت لامرأة من بنى عبدالدار فكانت تعذبهما وتقول : والله لا أقْلعت عنكما أو يعتقكما بعضُ من صبأبكما[3] . فمر بهما أبو بكر رضى الله عنه وقد بعثَتْهما فى طَحِين لها وهى تقول : والله لا أعتقكما أبدًا فقال : حل يا أُم فلان فقالت حل أنت والله أفسدتهما فأعتِقْهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما به وهما حُرَّتان أرجعا إليها طحينها قالتا : أوْ نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال : أو ذاكما إن شئتما .

ومنهم أم بِلاَل حمامة . ذكرها أبو عمر فى الدُّرَر فيمن كان يعذَّب فى الله فاشتراها أبو بكر وأعتقها . وأهملها أبو عمر فى الاستيعاب واستدركوها على الاستيعاب .

* * *

والحاصل مما تقدم : أن أبا بكر رضى الله عنه اشترى جماعة ممن كان يعذب فى الله تعالى ، وهم بلال وأمه وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وجارية بنى المؤمل والنهدية وابنتها وزِنِّيرة .

وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال : قال أبو قحافة لأبى بكر رضى الله عنهما : يا بنى أراك تعتق رقابًا ضعافا فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالا جُلَداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت إنما أريد ما أريد لله

---

(١) أنساب الأشراف ١٩٦/١ .
(٢) أنساب الأشراف ١٩٦/١ .
(٣) أنساب الأشراف : لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض من صباتك .

عز وجل . فأنزل الله تعالى : « فأمّا من أعطى واتق وصدّق بالحسنى » إلى آخر السورة[1].

قال عمار بن ياسر رضى الله عنه يذكر بلالا وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر مما كانوا فيه من البلا وكان اسم أبي بكر عَتِيقا :

جزى الله خيرًا عن بلالٍ وصَحْبه — عَتِيقا وأَخْزى فاكها وأبا جهلِ
عشيَّة هَمَّا فى بلال وصحبه — ولم يَحْذَرا ما يحذر المرءُ ذو العقل
بتوحيده ربَّ الأنام وقوله — شهدت بأن الله ربى على مَهْلِ
فإن تقتلونى تقتلونى ولم أكن — لأُشْرِك بالرحمن من خِيفة القَتْلِ
فيارَبَّ إبراهيم والعبد يُونسٍ — وموسى وعيسى نَجِّنى ثم لا تُمْلِ
لمن ظل يَهْوَى العز من آل غالب — على غير حق كان منه ولا عَدْلِ

[تفسير الغريب]

رمضاء مكة : الحجارة التى أحرقتها الشمس .

الجُعْل – بضم الجيم وسكون العين : دابة من الحشرات .

أنَّبه : بالَغ فى توبيخه . الذَّعت – بذال معجمة فعين مهملة : الخَنْق والدَّعت بالدال والذال : الدفع العنيف . والدعت أيضا : المَعْك فى التراب .

لأتخذنه حَنانا : يعنى لئن قتلتموه وهو على هذه الحالة لأتخذنه حنانا أى أتخذنّ قبره مَسْكَنا ومُسْتَرْحما ، والحنان : الرحمة . كذا ذكر عُرْوةُ قولَ ورقة هنا فدلَّ على أنه عاش بعد البعثة . وتقدم الكلام على ذلك فى باب بدء الوحى .

سَواديًّا : أى من أهل سواد العراق .

ماء مَتْنه : بمدّ ماء قال فى الصحاح : مَتُن الشئُ بالضم متانة فهو متين أى صُلْب . ومَتْنا الظهر : مُكْتَنفا الصُّلْب عن يمين وشمال من عَصب ولحم ، يذكَّر ويؤنث

القَيْن : الحدَّاد . صَهروهم : أحرقوهم .

الرَّضْف : الحجارة المحمّاة .

جُلَداء بضم الجيم وبالمد جمع جَلْد بالفتح وهو القوىّ الشديد .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٩٣/١ .

الباب السادس عشر

فى الهجرة الأُولى إلى الحبشة وسبب رجوع من هاجر إليها من المسلمين

وكانت فى شهر رجب سنة خمس من المبعث .

قال ابن إسحاق فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابَه من البلاء وما هو فيه من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبى طالب ، وأنه لا يَقْدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلِكًا لا يُظْلَم عنده أحد وهى أرض صِدْق ، حتى يجعل الله تعالى لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله تعالى بدينهم فكانت أولَ هجرة كانت فى الإسلام .

وكانوا – فيما قيل – اثنى عشر رجلا وامرأتين . وقيل عشرة رجال . وبه قال ابن إسحق وابن هشام وقيل اثنى عشر رجلا وثلاث نسوة . وقيل اثنى عشر رجلا وأربع نسوة . وقيل : اثنى عشر رجلا وخمس نسوة . وجزم به العراقىّ فى الدُّرَر .

وكان أول من هاجر منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى يعقوب بن سُفْيان رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن عثمان لأَول من هاجر بأهله بعد لوط .

وعبد الرحمن بن عوف . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيْل بن عمرو . والزبير بن العوام بن ربيعة(١) . ومُصْعَب بن عُمَيْر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أُم سلمة بنت أَبى أُمية بن المغيرة ، وعثمان بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أَبى حَثْمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد .

---

(١) كذا بالأصل ، والذى فى ابن هشام ٣٢٢/١ : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

قال الحافظ الوقشى : كذا وقع وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عُبيد بفتح العين المهملة — ابن عَوِيج بفتح العين المهملة وكسر الواو فمثناة تحتية فجيم وأقره الخُشنى وذكر أبو عمر مثله .

وروى الطبرانى بسند صحيح عن ليلى بنت أبى حَثْمة قالت : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا ، فلما تَهَيأنا للخروج إلى أرض الحبشة أتانا عمر بن الخطاب وأنا على بعيرى وأنا أريد أن أتوجه فقال : أين يا أمّ عبدِ الله ؟ فقلت : آذيتمونا فى ديننا فنذهب فى أرض الله حيثُ لا نُؤْذى . فقال : صَحِبكم الله . ثم ذهب فجاء زوجى عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رِقَّة عمر فقال : ترجِّين أن يُسْلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمارُ الخطاب !

وسهيل بن بَيْضاء وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم العامرى ويقال بدله : حاطب بن عمرو العامرى . زاد بعضهم : وأم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو امرأة أبى سَبْرة بن أبى رُهْم ، وعبد الله بن مسعود وجَزم ابن إسحاق بأنه إنما كان فى الهجرة الثانية وصححه الحافظ .

قال ابن هشام وكان عليهم عثمان بن مَظْعون فيما ذكر لى وأنكر ذلك الزُّهْرى وقال : لم يكن لهم أمير .

فخرجوا متسلِّلين سرًّا حتى أتوا الشُّعَيْبِية منهم الراكب ومنهم الماشى ، ووفق الله للمسلمين ساعةَ جاءوا سفينتين للتجار حمَلوهم فيهما بنصف دينار وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدًا .

قالوا : وقدِمْنا أرضَ الحبشة فجاوَرْنا بها خيرَ جار أَمِنًّا على دِيننا وعبَدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئًا نكرهه .

وكان المشركون يقولون : لو ذكر محمد آلهتنا بخير قَرَّرناه وأصحابَه ولكنه لا يذكر من خالفه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما نال أصحابَه من أذاهم وتكذيبهم وأحزَنتْه ضلالتهم ، وكان يتمنى هداهم ، فاتفق أنه قرأ يومًا سورة النجم وكان يرتل

قراءته فلما بلغ : « أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأُخْرى[1] » ارتصدهُ الشيطان فى سَكْتة من سكتاته فألقى عندها : وإنهن الغَرانيق العُلاَ وإنّ شفاعتهن لترتجى . محاكيًا نَغْمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قول النبى صلى الله عليه وسلم وأشاعها فوقعت فى قلب كل مشرك بمكة وزلّت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا : إن محمدا قد رجع إلى ديننا . فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ النَّجم سجد وسجد معه كلُّ مُشْرك غير الوليد بن المغيرة كان شيخا كبيرا ملأ كفَّه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود بسجود النبى صلى الله عليه وسلم . وعجب المسلمون لسجود المشركين معهم ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطانُ كما قاله موسى بن عُقْبة ، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وفشَتْ تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرضَ الحبشة ومن بها من المسلمين .

ولما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ساءه فأنزل الله تعالى : « وما أرسَلْنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تَمَنّىٰ » قرأ « ألقى الشيطانُ فى أُمْنيته » أى فى قراءته كما قال الفرّاء ويؤيده ما رواه ابن جرير وعلقه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى : « إذا تمنىٰ ألقى الشيطان فى أمنيته » قال : إذا حَدَّث ألقى الشيطانُ فى حديثه[2] « فَيَنْسخُ الله » يُبْطل « ما يُلْقِى الشيطان ثم يُحْكم الله آياته » يثبتها « والله عليمٌ » بإلقاء الشيطان ماذكر « حَكِيم » فى تمكينه منه يفعل ما يشاء إلى آخر الآية .

والذى قدمناه من قصة الغرانيق له طرق كثيرة ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهى مَراسيل يَحتجّ بمثلها من يحتج بالمرسَل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعْضها بعضًا روى الأَولَ : ابنُ جَرِير وابن المنذر وابن أَبى حاتم عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس .

قلت : ورواه الحافظ ضياء الدين المقْدسى فى صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

---

(١) سورة النجم ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الحج) .

والثانى : رواه ابن جرير عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

والثالث :رواه ابن جرير عن أبى العالية .

قال الحافظ : وقد تجرأ أبو بكر بن العربى كعادته فقال : ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها . وهو إطلاق مردود عليه . وكذا قول القاضى : هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقةٌ بسند سليم إلى آخر كلامه . قال الحافظ : جميع ذلك لا يتمشَّى على القواعد ، فإنَّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّ ذلك على أن للقصة أصلا[1] . انتهى وسيأْتى الكلام على ذلك بأَبْسط مما هنا فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال ابن إسحاق فلما أن بلغ المسلمين الذين بأَرض الحبشة ذلك وأن أهل مكة أسلموا حتى إن الوليد بن المغيرة وأبا أُحَيْحة قد سجدَا خلفَ النبى صلى الله عليه وسلم فقال القوم : فمن بقى بمكة إذا أسلم هؤلاء ؟ وقالوا : عشائرنا أَحبُّ إلينا . فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركْبًا من كِنَانة فسأَلوهم عن قريش وعن حالهم فقال الركب : ذكَر محمدٌ آلهتهم بخير فتابعه الملأُ ثم رجع فعاد لشَتْم آلهتهم وعادوا له بالشرّ فتركناهم على ذلك .

فائتمر القومُ بالرجوع إلى الحبشة ثم قالوا : قد بَلَغْنا نَدْخل فننظر ما فيه قريش ويُحْدِثُ عَهْدًا من أراد بأَهله ثم يرجع .

ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع

---

(١) قصة الغرانيق هذه مفتراة لا أصل لها ، كما ذكر ابن العربى وغيره ص ٣٥٤ الاكتفاء .

قال السهيلى : وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة . ثم قال : والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته .

وقال القاضى عبد الجبار فى كتابه : «تنزيه القرآن عن المطاعن » ص ٢٤٣ : «فإن قيل : فما المراد بقوله : « إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » وكيف يصح ذلك على الأنبياء ؟

وجوابنا : أن المراد : إذا تلا يلحقه السهو فى قراءته وذلك معروف فى اللغة ، فلذلك قال بعده : « فينسخ الله ما يلق الشيطان ثم يحكم الله آياته » ولو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك . فأما ما يرويه الحشوية من أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فى قراءته أصنامهم وقال : إن الغرانيق العلا شفاعتهن ترتجى . حتى فرح الكفار فلا أصل له ، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة » .

إلى أرض الحبشة وكانوا خرجوا فى رجب سنة خمس فأقاموا شعبان ورمضان ، وكانت السجدة فى رمضان وقدِموا فى شوال من السنة المذكورة .

وكان من قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من أقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بَدْرا ومنهم من حُبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومنهم من مات بمكة . ودخل عثمانُ بن مَظْعون بجوارٍ من الوليد بن المغيْرة .

فلما قدم أولئك النفر مكة اشتد عليهم قومهم وسطَتْ عليهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديدًا .

ولما رأى عثمان بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان الوليد بن المغيرة قال : والله إنّ غدوّى ورواحى آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهلُ دِينى يَلْقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لَنقصٌ كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفَتْ ذِمتُك وقد ردَدْتُ إليك جوارك . قال : لِمَ يا بن أخى ، لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ولكنى أَرْضَى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ علىَّ جوارى علانية كما أجَرْتُك علانيةً . فانطلقا حتى أتيَا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى . قال : صَدَق قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار ولكننى قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره .

ثم انصرف عثمان ولَبِيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش يُنْشدهم قبلَ إسلامه ، فجلس عثمان معهم فقال لبيد :

ألا كل شئٌ ما خلاَ الله باطلُ

فقال عثمان : صدقتَ .

فقال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا محالَة زائلُ

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لا يزول . قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان

يُؤْذى[1] جَلِيسكم فمتى حَدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا دِيننا فلا تجدنّ فى نفسك من قوله . فردَّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما فقام ذلك الرجل فلطَم عينه فخضَّرها[2] والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلَغ عثمان فقال : أمَا والله يا ابن أخى إنْ كانت عينُك عما أصابها لَغَنيّة ولقد كنت فى ذمة مَنِيعة . فقال عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لَفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله عز وجل وإنى لفى جوار من هو أعزّ منك وأقْدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلمّ يا ابن أخى إن شئت إلى جوارك فعُدْ . فقال : لا .

ولما أجار أبو طالب أبا سلمة بن عبد الأسد مشى إليه رجالٌ من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعتَ ابنَ أخيك محمدًا فمالك ولصاحبنا تمنعه ؟ فقال : إنه استجار بى وهو ابن أُختى وإن أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابنَ أخى . فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثّبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يَبْلغ ما أراد . قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَبقَوْا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن امرءاً أبو عتيبة عمُّه ... لفى رَوضةٍ ما إنْ يُسَام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتى ... أبا معتب ثبِّت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهرَ ما عشت خُطَّةً ... تُسَبُّ بها إمّا هبطت المواسما
وولِّ سبيل العَجْز غيرك منهم ... فإنك لم تُخْلق على العجز لازمًا
وحاربْ فإن الحرب نصْف ولن ترى ... أخا الحرب يعطِى الخسفَ حتى يُسالِما

(1) ط : ما كان يؤذيكم .
(2) خضرها : ورمها .

وكيف ولم يَجنُوا عليك عظيمةً ... ولم يخذُلوك غانمـاً أو مُغارمـا
جزَى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفـلا ... وتيْما ومَخْزوما عُقوقًا ومَأْثَمـا
بتفريقهم من بعـد ودٍّ وألفـة ... جماعتَنـا كَيما ينـالوا المحارمَا
كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى مُحَمَّدًا ... ولمّا تروا يومًا لدى الشِّعْب قائمًا(١)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ظاهر كلام ابن إسحاق أن رجوع من هاجر إلى الحبشة كان بعد أن صار المسلمون هناك زيادة على الثمانين ، فإنه بعد أن ذكر خروجَ أصحاب الهجرة الأُولى ذكر خروج جعفر وأصحابه ، ثم ذكر بعد ذلك أن المهاجرين إلى الحبشة بلغَهم إسلامُ أهل مكة فأقبلوا لمّا بلَغهم ذلك . فذكر نحو ما تقدم ، وأن الراجعين : عثمان بن عفان ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سُهَيْل ، وعبد الله بن جحش ، وعُتْبة بن غَزْوان ، والزبير بن العوّام ، ومُصْعَب بن عمير ، وسُوَيْبط بن سعد ، وطُلَيْب بن عمرو ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلَمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة ، وشَمّاس ابن عثمان ، وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمُّه بمكة فلم يَقْدم إلا بعدَ بَدْر وأُحد والخندق ، وعَيّاش بن أبي ربيعة ، وعمار بن ياسر – شكّ فيه أكان خرج – ومُعَتِّب بن عوف ، وعثمان ابن مَظْعُون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخوا عثمان : قُدَامة وعبد الله ، وخُنَيْس بن حُذَافة ، وهشام بن العاصي حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدِم بعد بدر وأُحد والخندق . وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم وعبد الله ابن مَخْرَمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو وكان حُبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدراً ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم وامرأته أم كلثوم بنت سهل بن عمرو ، والسَّكْران بن عمرو وامرأته سَوْدة بنت زَمْعة ، مات بمكة قبلْ مُهَاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعد بن خَوْله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل ابن بيضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٠ – ٣٧١ .

قال : فجميع من قدم مكةَ من أَصحابه من أُرض الجبشة ثلاثة وثلاثون رجلا[1] . انتهى .

وموسى بن عقبة ذكر أَن الراجعين من الحبشة للسبب السابق هم المهاجرون أَولاً وبه صرح فى الطبقات والعيون والإِشارة والمورد .

* * *

الثانى : ذكر موسى بن عُقْبة أَن ابن مسعود مكث بمكة قليلا ورجع إِلى الحبشة حتى قدم فى المرة الثانية مع من قدِم وتعقبه فى زاد المعاد بأَن عبد الله بن مسعود شهد بدرًا وأَجهز على أَبى جهل ، وأَصحاب هذه الهجرة إِنما قدموا المدينة مع جعفر وأَصحابه بعد بدر بأَربع سنين أَو خمس . وبسَط الكلام على ذلك . ثم قال : وقد ذكر – يعنى ابن عُقْبة – فى هذه الهجرة الثانية عثمانَ بن عفان وجماعة ممن شهدوا بدرًا ، فإِما أَن يكون هذا وَهْمًا وإِما أَن يكون لهم قَدْمةٌ أُخرى قبل بدر ، فيكون لهم ثلاث قَدمات : قَدْمة قبل الهجرة ، وقَدْمَة قبل بَدْر ، وقَدْمَة عام خَيْبر .

قلت : هذا هو الصحيح بلا شك .

قال : وعلى هذا فيزول الإِشكال . انتهى ملخصا .

التنبيه الثالث

فى بيان غريب ما سبق

الشُّعَيْبة : بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الموحدة تصغير شعبة مكان على ساحل البحر بطريق اليمن .

الغرانيق : بالغين المعجمة ها هنا الأَصنام وهى فى الأَصل الذُّكور من طَيْر الماء وقيل طير الماء مطلقا إِذا كان أَبيض طويل العنق واحدها غُرْنوق بضم الغين وفتح النون . وغِرْنَيْق بكسر الغين وفتح النون، سمِّى به لبياضه وقيل هو الكرْكِىّ . وكانوا يزعمون أَن الأَصنام تقرِّبهم من الله وتشفع لهم فشبِّهت بالطيور التى تَعْلُو فى السماء وترتفع .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٤ – ٣٦٩ .

الباب السابع عشر

فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر عقب الهجرة الأُولى إلى الحبشة .

قال فى « الزَّهْر » : وكان إسلامه فى ذى الحجة سنة ست من المبعث وله ست وعشرون سنة فيما ذكره ابن سعد عن ابن المسيَّب .

وقال ابن الجوزى : سنة خمس . قال أبو نعيم : بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام .

قال ابن إسحاق : وكانوا – أى المسلمون – قريبا من أربعين من رجال ونساء وتقدم ذكرهم فى الباب الثالث من أبواب المبعث .

وقال ابن المسيّب فيما رواه ابن سعد : كانوا أربعين رجلا وعشر نسوة .

وروى إسحاق بن بشر عن ابن عباس أنهم كانوا يومئذ تسعة وتسعين[1] رجلا وثلاثا وعشرين امرأة ثم إن عمر أَسْلَم .

قال فى الزَّهْر : ولعل هذا هو الصواب ، فقد كان فى الحبشة ثلاثة وثمانون كما ذكرَ ابن إسحاق .

قلت : ابن إسحاق إنما ذكر ذلك فى الذين هاجروا ثانياً وإسلام عمر كان بين الهجرتين كما تقدم عن ابن عباس ، فالزيادة على الأربعين حصلت بعد إسلام عمر وإسحاق كذّاب يَضع ، لا يُصَادم ما رواه ما ذكره الثقات . والله أعلم .

* * *

واختلف فى سبب إسلامه كما سأُبينه .

وقد روى قصة إسلامه ابنُ إسحاق ، وابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم عن أنس ، والبزار والطبرانى عن أَسْلَم مولاه عنه ، وأبو نُعَيْم عن ابنِ عمر .

(١) كتب فوقها فى ط : وثلاثين . وعليها حرف ظ .

قال أَسْلَم مولاه عنه : أتحبون أن أعلمكم بإسلامى ؟ قلنا : نعم قال : كنت أشد الناسِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست يومًا مع أبى جهل بن هشام أو شيبة ابن ربيعة ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد شتَم آلهتكم وسفَّه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار ، ألاَ ومن قتل محمدا فله علىَّ مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة .

قال عمر : فخرجت متقلدًا السيفَ مُتَنكِّبا كِنانتى أريد النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فمررت على عِجْل وهم يريدون ذَبْحه فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل : ياَلَذريح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال عمر : فقلت فى نفسى إن هذا لأمرٌ مايراد به إلا أنا . قال : ثم مررت بغنم فإذا هاتف يهتف ويقول :

يا أيها النـاس ذَوُوا الأجسـام ما أنتم وطائِش الأحـلام[1]
ومُسْند الحكم إلى الأصنـام فكلكم أَوْرَه كالكهـام
أمَا تـرون ما أرى أمـامى من ساطع يَجْلو دُجَى الظلام
قـد لاحَ للناظر من تهـام أكـرمه الرحمنُ مـن إمـام
قـد جـاء بعدَ الكفر بالإسلام والبرِّ والصِّـلات للأرحـام
ويزجُـر النـاس عن الآثـام فبادِروا سـبقًا إلى الإسلام

بلا فتـور وبلا إحجـام

قال عمر : فقلت والله ما أراه إلا أرادنى . ثم مررت بالضِّمار فإذا هاتف يهتف من جوفه :

تُـرك الضمار وكان يُعْبَدُ مـرةً قبـلَ الصـلاة مع النبى محمدِ
إنّ الذى وَرِث النبوة والهـدَى بعد ابن مريم من قريش مهتدِى
سيقول من عبدَ الضمارَ ومثلَـه ليت الضمارَ ومثـلَه لم يُعْبَـدِ
فاصبر أبـا حفصٍ فإنك امرؤٌ يـأتيك عِـزٌ غير عز بنى عَـدِى

(١) كذا . وقد سبقت رواية الأبيات بغير هذا الترتيب فى باب الهواتف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

لا تَعْجلن فأنت ناصرُ دِينه حقًّا يقينا باللسانِ وباليدِ[1]

قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادني . فَلَقِيَني رجل من قريش .

قال ابن إسحاق : هو نُعَيم بن عبد الله النحّام وكان قد أسلم وكان يخفي ذلك فرقًا من قومه . فقال : أين تذهب يابن الخطاب ؟ قلت : أُريد هذا الصابىء الذى فرّق أمرَ قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلتَ محمدًا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم ؟! قال : وأىّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمر وأُختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسْلَما وتابعَا محمدا على دينه فعليك بهما . وإنما فعل ذلك نُعَيم ليَصرف عمرَ عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرجع عمر عامدًا إلى أخته وخَتَنه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم بعضُ من لا شئ له ضمَّ الرجلَ والرجلين إلى الرجل يُنْفق عليه ، وكان ضمَّ رجلين من أصحابه إلى زوج أُخت عمر فقرع عمر عليهم الباب وعندهم خبَّاب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خبَّابٌ فى مَخْدَع لهم أوفى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع حين دنا من البيت قراءةَ خَبَّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئا . قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابَعْتما محمدًا على دينه . وبطشَ بختَنه سعيد بن زيد فقامت إليه أُخته بنت الخطاب لِتكفَّه عن زوجها ، فضربها فشجَّها فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتَنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بَدا لك .

فلما رأى عمر ما بأُخته من الدم ندم على ما صنع فارعوَى وقال لأُخته أعطيني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد . وكان عمر كاتبًا فلما قال ذلك قالت له أُخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافى . وحلَف لها بآلهته ليردّنها إذا

---

(١) تبدو أمارات الصنع على هذه الرواية ، وقد نسب مثل هذا إلى العباس بن مرداس .

قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت : يا أخى أنت نَجِس على شِرْكك وإنه لا يمسّه إلا الطاهر . فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ صدرًا منها فقال ما أَحْسَن هذا الكلام وأكرمَه .

وفى رواية أنه وجد فى الصحيفة : بسم الله الرحمن الرحيم . فذكر من أين اشتق . ثم رجع إلى نفسه فقرأ سَبَّح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم حتى بلغ « آمنوا بالله ورسوله وأنفِقوا مما جعلكم مُسْتَخْلَفين فيه » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . انتهى .

فلما سمع ذلك خَبَّاب خرج إليه فقال له يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصَّك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيِّد الإسلامَ بأبى الحكَم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب فاللهَ الله يا عمر . فذكر الحديث .

* * *

وفى رواية مجاهد عمن روى أن عمر قال : كنت للإسلام مُبَاعدا وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أصبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزَوَّرة عند دُور آل عمر بن عبد عمران المخزومى ، فخرجت ليلةً أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا فقلت فى نفسى : فلو أنى جئت فلانا الخمَّار وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها فخرجت فلم أجده . فقلت فى نفسى : فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلِّى وكان إذا صلى استقبل الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، فكان مُصَلَّاه بين الركنين الركن الأسود والركن اليمَانى فقلت حين رأيته : والله لو سمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمعَ ما يقول . فقلت لئن دنوت منه أستمع لأُروِّعنه فجئت من قِبَل الحجر فدخلت تحت ثيابه فجعلت أمشى رويدًا رويدا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائِم يصلِّى يقرأ القرآن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثيابُ الكعبة ، فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبى فبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل قائِما فى مكانى

حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاتَه وانصرف، فتبعته حتى دخل بين دار عباس ودار ابن أزْهر[1] أدركتُه ، فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حِسِّى عَرفنى فظن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنما تبعته لأُوذيه فنَهمنى[2] ثم قال : ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قلت : جئت لأُومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله تعالى ثم قال : قد هداك الله يابن الخطاب . ثم مسَح صدرى ودعا لى بالثبات . ثم انصرفتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

وفى رواية أن خبَّابا لما قال لعمر : فالله الله يا عمر . قال له عمر عند ذلك : دُلَّنى يا خبَّاب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال خباب : هو فى بيته عند الصفا معه نفر من أَصحابه . فأَخذ عمر سيفه متوشحَه ثم عَمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلل الباب فرجع وهو فَزِع[3] فقال : يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشِّحا السيفَ ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فَأْذن له فإن كان يريد خيرًا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرًّا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له فإن يُرد اللهُ به خيرا يهده فأَذِن له الرجل وفتحوا له ، وأَخذ رجلان بعَضُدَيْه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أَرسِلوه . فأَرسَلوه ، فنهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأَخذ بحُجْزته أَو بمجمع ردائه ثم جَبذه جَبْذةً شديدة وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أَراك[4] أن تنتهى حتى يُنْزِل الله بك قارعةً . فقال[5] : يارسول الله جئت لأُومن بالله وبرسوله وبما جاء مِنْ عند الله . فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرف أَهلُ البيت من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أَسلم ،

(١) ط : ودار أزهر .
(٢) الأصل : فنهمه .
(٣) ت ، م : وهو جزع .
(٤) ط : ما أرى .
(٥) غير ط : فقلت .

فكبّروا تكبيرة سُمعت بطرق مكة وتفرّقوا من مكانهم وقد عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوٍّهم .

وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذى المنِّ الذى وجبَتْ
له علينا أيادٍ كلها عِبَرُ

وقد بدأنا فكذَّبنا فقال لنا ... صِدْقَ الحديث نبىٌّ عنده الخبرُ
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطاب ثم هَدى ... ربِّى وقالوا جميعا قد صَبا عُمَرُ
وقد ندمتُ على ما كان من زَلَلى ... بظُلْمها حين تُتْلَى عندها السُّوَرُ
لمَّا دَعتْ ربَّها ذا العَرْش خالقَها ... وأن أحمد فينا اليوم مُشْتهر
نَبىٌّ صدق أَتى بالحق من ثقة ... وافِى الأمانة ما فى وعده خَوَرُ(١)

* * *

وروى ابن اسحاق عن بعض آل عمر قال : قال عمر لما أسلمتُ تلك الليلة تذكّرت أىّ أهلِ مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتّى آتيه فأُخبره أنى قد أسلمت . قال : فقلت : أبو جهل . فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج أبو جهل فقال : مرحباً وأهلا يا بن أختى ما جاء بك؟قلت : جئت لأُخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به . فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحَّك الله وقبح ما جئت به .

وروى أيضا بسند صحيح عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أىّ قريش أنْقَل للحديث ؟ قيل له : جميل بن مَعْمَر الجُمَحى . قال : فغدَا عليه . قال عبد الله : وغدوتُ معه أتْبع أثرَه وأنظر ماذا يفعل حتّى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميل أنى أسلمت ودخلتُ فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتّى قام يجرُّ رداءه وتبعه عمر ، واتبعتُ أبى حتّى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش – وهم فى أنديتهم حول

(١) لا يظهر على هذا الشعر أصالة ولا رواء ، بل هو نظم متكلف حاول به صانعه أن يحكي قصة إسلام عمر رضي الله عنه .

الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صَبأ . قال: يقول عمر مِنْ خَلْفه : كذَب ولكنى أسلمتُ وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه فما بَرِح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم وطَلَع فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدَا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها أو تتركوها لنا .

فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش عليه حُلة حِبَرة وقميص مُوَشًّى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر . قال : فمَهْ ، رجلٌ اختار لنفسه أمرًا فما تريدون منه ؟ أترون بنى عدىّ بن كعب يُسْلمون لكم صاحبَكم؟ هكذا خَلُّوا عن الرجُل. قال : فوالله فكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه . فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبى مَن الرجلُ الذى زجَر القومَ عنك بمكة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أى بُنىّ العاصى بن وائل السَّهْمى[1]. ومات مُشْركا .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بَيْنا عمر فى الدار خائفا إذ جاءه العاصى بن وائِل السَّهمى وعليه حلة حِبَرة وقميص مكْفُوف بحرير فقال: ما بك ؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى لأننى أسلمتُ.قال : لا سبيل إليك أَمِنْت . فخرج العاصى فلقى الناسَ قد سالَ بهم الوادى فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد ابنَ الخطاب الذى صَبأَ . قال : لا سبيل إليه . فكَرَّ الناس وتصدَّعوا عنه[2] .

وروى البخارى عن ابن مسعود قال : ما زلنا أَعِزَّةً منذ أَسْلَم عمر[3] .

وروى عنه قال : والله ما استطعنا أن نصلى عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر[4] .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أسلم عمرُ نزل جبريلُ فقال : يا محمد لقد استبشر أهلُ السماء بإسلام عمر[5] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٤٨/١ .
(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب .
(٣) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .
(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .
(٥) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب رقم ١١ .

وروى الإمام أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وابنُ حبان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم أعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجلين إليك : بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب . قال : وكان أحبَّهما إليه عمر[1] .

تنبيه

فى بيان غريب ما سبق

أَوْرَه : بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة : وهو الحمق[2] وقيل الخرق .

الكَهَام : بفتح الكاف وتخفيف الهاء : السيف الكَلِيل . ولسانٌ كَهام أى عَيِيٌّ، وفرس كَهام : بطىء . وكأن ذا فى الأصل والله أعلم مأخوذ من هذا . فيكون معناه : أكلكم أحمق وأخْرَق عَيِيّ أو كليل لم يُغْنِ شيئاً أو بطىء عن الحق والخير .

والصِّلات ـ بكسر الصاد : جمع صِلة وهى الإحسان إلى الأقارب .

وتقدم بيان ذَرِيح فى الباب الرابع .

المَخْدَع عندهم:البيت يكون فى جوف البيت شبه البَهْو الذى يصنعه الناس فى أوساط[3] المجالس .

الهَيْنمة : صوت وكلام لا يُفْهَم .

ارْعَوى : رجع ، يقال ارعويت عن الشىء إذا رجعت عنه وازدجرت .

جبَذه : بجيم فباء موحدة مفتوحتين جَبْذًا من باب ضرب مثل جَذَب أى مدَّه إلى نَفْسه .

الحَزْوَرة ـ بحاء مفتوحة مهملة فزاى ساكنة : سوق كانت بمكة وأدخلت فى المسجد لمَّا زِيد فيه .

---

(١) صحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٧ ومسند أحمد ٢/٩٥ .

(٢) كذا ، وقد سبق التنبيه على أن الأوره هو الأحمق .

(٣) ت ، م : فى البساط المجالس .

طَلِح : بفتح الطاء المهملة وكسر اللام : فعل ماض أى أعْيًا .

نهمَه : زجره .

الحِبَرة : ضرب من بُرود اليمن .

هكذا عن الرجل : قال أبو ذر : هكذا : هنا اسم سمًّى به فعل ومعناه : تنحوْا ولا يحتاج معه إلى زيادة خَلُّوا . وقال فى الرَّوْض : هكذا كلمة معناها الأَمر بالتنحِّى فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل إذا قلت : جلست هكذا . أى على هذه الحال وإن كان لابد من عامل إذا جعلتها للأَمر لأَنها كاف التشبيه دخلت على ذا وهاء التنبيه ، فيقدَّر العامل إذن مضمرا كأَنك قلت : ارجعوا هكذا وتأَخَّروا هكذا واستغنى بقولك : «هكذا» عن الفعل [كما استغنى[1]] برويدًا عن ارْفُقْ .

سال الوادى بالناس : أى امتلأَ كامتلائه من السَّيْل فى كثرتهم وسرعة مَشْيهم .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الباب الثامن عشر

فى دخول بنى هاشم وبنى المطَّلب بنى[1] عبد مناف الشِّعْب
وكتابة قريش الصحيفةَ الظالمة

قال أبو الأَسود والزُّهْرى وموسى بن عُقْبة وابن اسحاق : إنّ قريشا لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا . أَصابوا فيه أَمْنًا وقرارًا ، وأَن النجاشى قد منع من لجأَ إليه منهم . وأَن عمر قد أَسلم ، وكان رجلاً ذا شكِيمة لا يُرَام ما وراء ظهره امتنع به أَصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتّى عازُّوا قريشا فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابِه ، وجعل الإِسلامُ يَفْشُو فى القبائل . فأَجمعوا رأْيهم واتفق رأْيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أَفسدَ علينا أَبناءنا ونساءنا فقالوا لقومه : خذوا منّا دِيَةً مضاعفة وليقتله رجلٌ من غير قريش ويريحنا وتريحون أَنفسكم . فأَبى قومُه بنو هاشم من ذلك وظاهَرهم بنو المطَّلب بن عبد مناف .

فلما عرفت قريشٌ أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعَه قومُه فأَجمع المشركون من قريش على مُنَابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعْب وأَجمعوا وائتمروا أَن يكتبوا كتابا يتعاقَدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا يُنْكحوهم ولا يَنْكحوا إليهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، ولا يَقْبلوا منهم صُلْحا ولا تأْخذهم بهم رأْفة حتّى يُسْلموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم للقتل .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفةً ثم تعاهَدوا وتعاقدوا على ذلك .

والذى كتب الصحيفة : قال ابن اسحاق : منصور بن عكرمة . قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّت بعض أَصابعه .

---

(٢) ط : ابن عبد مناف .

وقال غيره : بغيض بن عامر . فشُلَّت يده . وقال غيره : هشام بن عمرو بن الحارث العامرى وأسلم بعد ذلك .

ويُجْمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كتب بها نُسَخ .

ثم علَّقوا الصحيفة فى جَوْف الكعبة توكيدًا على أنفسهم وقطعوا عنهم الأسواقَ ولم يتركوا طعاما ولا إداما ولا بَيْعا إلا بادروا إليه واشتروه دُونَهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطَّلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شِعْبه مُؤْمنهم وكافرهم ، فالمؤمن دِينًا والكافر حَمِيَّةً .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهَرهم ولَقِى هندَ بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشًا فقال : يا بنتْ عتبة هل نصرتُ اللات والعزّى وفارقتُ من فارقها وظاهرَ عليها ؟ قالت : نعم جزاك الله خيرًا يا أبا عتبة .

وروى البلاذُرىّ عن ابن عباس قال : حُصِرْنا فى الشِّعْب ثلاثَ سنين وقطعوا عنا المِيرةَ حتى إن الرجل ليَخرج بالنفقة فما يُبَايَع حتى يرجع ، حتى هلَك من هلك(١) .

وقال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك واجتمعوا له :

ألا بلِّغا عنِّى على ذات بَيْننـا	لُؤَيًّا وخصا من لؤى بنى كعـب
ألم يعلموا أنَّا وجَـدْنا محمـدًا	نبيًّـا كموسى خُـطَّ فى أول الكُتُب
وأن عليـه فى العبـاد محبـةً	ولا خير مِمَّن خصَّه الله بالحُبِّ
وأن الذى لَصَّقـتم فى كتابـكم	لكم كائن نَحْسًا كراغيةِ السَّقْب
أفيقوا أفِيقوا قبل أن يُحفر الثَّرى	ويُصْبح من لم يَجْن ذَنْبًا كذِى ذَنْب
ولا تَتْبعوا أمرَ الوشَـاةِ وتَقْطَعوا	أواصرنا بعدَ المودة والقُـرب
وتستجلبوا حَربًا عَوانًا وربمـا	أمرَّ على من ذَاقه حَلَب الحرب
فلسنا وربِّ البيت نُسْلم أحمدًا	لعَزَّاء من عَضِّ الزمان ولا كَـرب

(١) أنساب الأشراف ٢٣٤/١ . وفيه : فما يباع . وعلق عليها المحقق بقوله : « كذا فى الأصل ، لعله : يباع منه . أو يبتاع » . وما هنا صحيح لا يحتاج إلى التقدير .

ولمَّا تَبِنْ منَّاومنكم سوالفٌ وأَيْدٍ أُثرت بالقَسَاسِيَة الشُّهْب
بمعترك ضَنْكٍ[1] ترى كِسَر القَنَا به والنسُّورَ الطُّخْم يَعْكفنَ كالشَّرب
كأَن مجالَ الخيل فى حَجراته ومَعْمَعَة الأَبطال معركة الحربِ
أَليس أَبونا هاشمٌ شَدَّ أَزْرَه وأَوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّربِ
ولَسْنا نملُّ الحربَ حتى تملَّنا ولا نشتكى ما إن يَنُوب من النكْبِ
ولكننا أَهلُ الحفائِظ والنُّهى إذا طار أَرواحُ الكُمَاة من الرُّعب

* * *

قال ابن اسحاق وغيره : فأَقاموا على ذلك ثلاثَ سنين حتى جَهِدوا ، لا يصل إليهم شىء إلا سرًّا مستخفيًا به من أَراد صِلتهم من قريش .

وقدْ كان أَبو جهل لقى حكيمَ بن حِزَام معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة وهى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ، فتعلَّق به وقال : أَتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ ! لا تذهب أَنت وطعامك حتى أَفضحك بمكة . فقال له أَبو البَخْترىّ ابن هشام بن الحارث ـ وهلَك كافرا ـ : طعامٌ كان لعمّته عنده أَفتمنعه أَن يأْتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل . فأَبى أَبو جهل حتى نال كلٌّ واحد منهما من صاحبه فأَخذ أَبو البخترى لَحْىَ بعير فضربه به فشجَّه ووَطِئه وَطْئا شديدا ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك وهم يكرهون أَن يَبْلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابَه فيشمتوا بهم[2] .

وكان أَبو طالب فى طُول مدتهم فى الشِّعب يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأْتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أَراد به شرا أَو غائلة فإذا نام أَمر أَحد بنيه أَو إخوته أَو بنى عمِّه فاضطجع على فراشِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَمرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَن يأتى بعضَ فُرشهم فيرقد عليه .

فلم يزالوا إلى تمام ثلاث سنين .

---

(١) ت ، م : ضيق .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥٢ – ٣٥٤ .

وبعث الله تعالى على صحيفتهم الأَرَضة فأكلت أو لحسَتْ ما فى الصحيفة من عَهْد وميثاق–وفى رواية أنها لم تترك فى الصحيفة اسمًا لله إلا لحسَتْه وأبقت ما كان من شِرْك أو ظُلْم أو قطيعة .

وأَطْلَع الله سبحانه وتعالى رسولَه على ذلك فذكَره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب ، فقال عمه أبو طالب : أَربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . قالْ : فوالله ما يدخل عليك أحد – وفى رواية قال : لا والثواقِب ما كذَبْتنى فانطلق بعصابة من بنى هاشم وبنى المطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش ، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكَروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليُسْلموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم برُمَّته إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : جرت أُمورٌ بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأْتوا بصحيفتكم التى فيها مَواثيقكم فلعله أن يكون بَيْننا وبينكم صُلْح. وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأْتوا بها . فأتوا بصحيفتهم مُجْمعين لا يشكُّون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْفَع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا لأَبى طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أَحْدَثتم علينا وعلى أنفسكم . فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمرٍ هو نصف بَيْننا وبينكم : إن ابن أخى أخبرنى ولم يَكْذِبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابّة فأبقت اسمَ الله وأكلت غَدْركم وتظاهركم علينا بالظُّلْم - وفى رواية : فلم تترك فيها اسمًا لله تعالى إلا لحستْه وتركت غَدْركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما يقال فلا والله لا نُسْلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استَحْيَيْتم . فقالوا : قد رضينا بالذى تقول. ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادقَ المصْدوق صلى الله عليه وسلم قد أَخْبَر بخبرها قبل أن تُفْتح.

فلما رأت قريش صِدْق ما جاء به أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا سحرُ ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدوانا. فقال أُولئك النفر من بنى هاشم وبنى المطلب : إن أَوْلَانا بالكذب والسحر غَيْرُنا ، فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أَقْرَب إلى الجِبْت والسِّحر .

وقال أبو طالب : يا معشر قريش عَلام نُحْصَر ونُحْبَس وقد بان الأمر وتبيَّن أنكم

أوْلَى بالظلم والقطيعة والإساءة . ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال : اللهم انصرنا على من ظَلمنا وقطَع أرحامنا واستحل ما يَحْرُم عليه منا . ثم انصرفوا إلى الشِّعْب .

وكان أبو طالب لما خاف دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته اللامية التى تعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها وتودَّد إلى أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شِعْره أنه غير مُسْلِم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لشىء أبدا حتى يَهْلَك دونه .

وقد أوردها ابن إسحاق وأبو هَفَّان عبد الله بن أحمد المهزمى[1] فى جمعه لشعر أبى طالب بكماله وزاد على ابن إسحاق أبياتا كثيرة فى أماكن متعددة ، وقد أوردتُ هنا خلاصةَ ما ذكَراه وهى :

خَلِيلَىَّ ما أُذْنى لأول عـاذلٍ ... بِصَغْوَاء فى حقٍّ ولا عند باطل
خليلَىَّ إن الرأى ليس بشركة ... ولا نَهْنهٍ عند الأُمور البَلابِلِ
ولما رأيتُ القومَ لاوُدَّ عندهم ... وقد قطَعوا كل العُرَى والوسائِلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العَدوّ المزايـلِ
وقد حَالفوا قومًا علينا أظِنَّةً ... يَعُضُّون غيظًا خَلْفَنا بالأنامِلِ
صبرتُ لهم نفسى بسمراء سَمْحة ... وأبيض عَضْبٍ من تراث المقاولِ
وأَحْضرت عندالبيت رَهْطىوإخوتى ... وأمسكت من أثوابه بالوصائِلِ
قياما معًا مستقبلين رتاجَـه ... لدى حيث يقضى خَلْفه كلُّ نافلِ
أَعوذ برب الناس من كل طاعنٍ ... علينا بسوءٍ أو مُلحٍّ بباطـلِ
ومن كاشح يَسْعى لنا بمعيبةٍ ... ومِنْ مُلْحق فى الدِّين مالم نحاولِ
وثَوْرٍ ومن أَرْسَى ثَبيرًا مكانه ... وراقٍ ليَرْقَى حِـرَاء ونـازلِ
وبالبيت حقِّ البيت من بَطْن مكةٍ ... وباللهِ إن الله ليس بغافـلِ
وبالحَجر الأَسود إذ يَمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضُّحَى والأَصائِلِ

---

(١) المهزمى : عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمى العبدى ، أبو هفان ، راوية عالم بالشعر والأدب ، أخذ عن الأصمعى وغيره . اللباب ٣/١٩٤ . ولسان الميزان ٣/٢٤٩ .

وَمَوْطِئُ إبراهيم فى الصخر رطبةً	على قدميه حافيًا غير ناعـلِ
ومن حَجَّ بيت الله من كلِّ راكبٍ	ومن كل ذى نَذْرومن كل راجلِ
فهل بعد هذا من مَعاذٍ لعائـذ	وهل من مُعيذٍ يتقى الله عـاذلِ
يطاع بنا العِدَى وودُّوا لوانّنا	تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْك وكابـلِ
كذَبْتم وبيتِ الله نترك مـكةً	ونَظْعن إلا أمْركم فى بَلابِـلِ
كذبتم وبيت الله نبزى محمـدًا	ولما نطاعِنْ حَوْلـه ونُنَـاضِـلِ
ونُسْلمه حتى نصـرَّع حـولَه	ونَذْهـل عن أبنائِنـا والحلائِـلِ
وينهض قومٌ فى الحديد إليكم	نُهوض الرَّوايا تحت ذات الصلاصلِ
وحتى نرى ذا الضِّغْن يركب ردعه	من الطَّعْن فعل الأَنْكب المتحاملِ
وإنَّا لعَمْر الله إن جَدَّ مـا أرى	لتَلْتَبِسَنْ أسيـافُنـا بالأماثِـلِ
بكَفَّىْ فتًى مثل الشهاب سَمَيْدع	أخى ثقة حامى الحقيقة باسـلِ
وما تَرْك قوم ٍ لا أبالك سيـدًا	يَحُوط الذِّمار غير ذَرْب مواكلِ
وأبيض يُسْتسقى الغمام بوجهـه	ثِمال اليتامَى عصمـةٌ للأرامـلِ
يَلُوذ به الهُلَّاك من آل هـاشمٍ	فهم عنـده فى نعمـةٍ وفواضلِ
جزى الله عنا عبدَشمس ونوفـلاً	عقوبة شَرٍّ عاجـلاً غـير آجـلِ
بميزان قط لا يخيس شـعيرةً	له شاهد من نفسه غـير عائِـلِ
ونحن صميمٌ من ذؤابـة هـاشمٍ	وآل قُصَىٍّ فى الخطوب الأوائِلِ
فـكل صديق وابن أُخت نعدّه	لعَمْرى وجدنا غِبَّه غير طائِـلِ
سوى أنّ رهطًا من كلاب بن مُرَّة	بَرَاء إلينـا من مَعَقَّـة خـاذلِ
ونعم ابن أُخت القوم غير مكذَّب	زُهَـيْر حسامًا مُفْردًا من حمـائِلِ
أشمّ من الشم البهاليل يَنْتَـمى	إلى حَسَب فى حَوْمة المجد فاضـلِ
لعَمْرى لقد كلِّفت وَجْدا بأحمد	وإخوته دأب المحـبِّ المواصـلِ
فلا زال فى الدنيا جمالاً لأهلها	وزيْنًـا على رغم العدو المخاتلِ
فَمنْ مثله فى الناس أىّ مُؤَمَّـل	إذا قاسه الحكَّامُ عنـد التفاضلِ
حليمٌ رشيد عادلٌ غـير طائِش	يوالى إلهًا ليس عنـه بغافـلِ

فأيَّـــده ربُّ العبـــاد بنَصْـره وأظْهَر دينًـا حقُّـه غير ناصِـلِ

فوالله لولا أن أَجيء بسُبَّــــة تجرّ على أشياخنا فى القبــائِـل

لكنا اتبعناه عــلى كل حـالةٍ من الدهر جدًّا غير قول التهـازلِ

لقد علموا أن ابننــا لا مكذَّب لدينا ولا يُعْنى بقــول الأَباطلِ

فأَصبح فينا أحمدٌ فى أرُومــة يقصّر عنها سَــوْرة المتــطاولِ

حَدبتُ بنفسى دُونه وحَميْتـه ودافعت عنه بالذُّرَى والـكلاكِلِ

والقصيدة طويلة جدا وهذا الذى ذكرته منها عَيْنها . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : وهى قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه وهى أَفْحَل من المعلَّقات السَّبع وأبلغ فى تأدية المعنى[1] ، ذكر فيها ما يتعلق بالصحيفة الظالمة التى كتبتها قريش ، والأَشْبه أن أبا طالب إنما قالها بعد دخولها الشعب فذكرها هنا أنسب . انتهى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : تقدم الخلاف فى كتابة الصحيفة ، وجُمع بين الأَقوال باحتمال أن يكون كل ممن ذُكر كتب بها نسخة .

الثانى : فى رواية : أن الأَرضَة لحست اسمَ الله تعالى وأبقت ما عداه . وفى رواية : لحست ما فيها من ظلم وجَوْر وأَبقت اسم الله تعالى . وجُمع بين الروايتين : بأَنهم كتبوا نُسخًا فأَكلت الأَرضة من بعض النسخ اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى كرِه فعلهم ذلك فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم ، وأكلت من بعض النسخ ما عَدا اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى لم يرض هذا الفعل . والله أَعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٨٦/١ - ٤٩١ . وقال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

الثالث : فى بيان غريب ما تقدم .

الشِّعْب : بكسر الشين المعجمة : وهو الطريق فى الجبل ومَسِيل الماء فى بطن أرض ، والمراد به هنا شِعْب بنى هاشم بن عبد مناف . فقسّمه بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم حظُّ أبيه ، وهو كان مَنْزل بنى هاشم غير مساكنهم ، وهو الذى يعرف بشعب ابن يوسف . قاله فى المطَالع .

قال فى النور : وقوله « صار إليه حظُّ أبيه » فيه نظر لأن أباه توفى قبل جده عبد المطلب فلم ينتقل لعبد الله شىء حتى يقال إنه ورثه عليه الصلاة والسلام ، وحين توفى عبد المطلب حُجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولاده ؛ هذا شرعنا وما أظنهم كانوا يخالفون ذلك . ويحتمل أنه وصل إليه حظ أبيه بطريق آخر .

دِيَة مضاعَفة : الدية مائة من الإبل معروفة . والمضاعفة : قال الخليل : التضعيف أن يزاد على أصل الشىء فيجعل مثلين أو أكثر .

ظاهرَهم : عاونهم .

مُنَابذتهم : نَقْضهم العهد .

ذات بيننا : وصلنا .

ولا خير ممن خصه الله بالحب : خير مخفف من خيرٍّ كهَيْن ومَيْت . وممن متعلق بمحذوف كأنه قال لا خير أخْيَر ممن خصه الله بالحب .

السَّقْبُ : بسين مهملة مفتوحة فقاف ساكنة فباء موحدة وهو من الرُّغَاء وهو أصوات الإبل . والسَّقْب : ولد الناقة ، وأراد به هنا ولد ناقة صالح صلى الله عليه وسلم التى عَقَرها قُدَار ، فرغَا ولدُها وصاح برغائِه كلُّ شىء له صوت ، فهلكت ثمودُ عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلاً فى كل هَلَكة .

الأواصر : بالصاد والراء المهملتين : أسباب القرابة والمودة .

حَرْبا عَوانا : أى قوتِل فيها مرارا .

لعِزّاء : بعين مهملة مكسورة أى لشدة .

عَضُّ الزمان : شدته .

السوالف : بسين مهملة مفتوحة وفاء : صفحات الأعناق .

أُتِرَّت : بضم الهمزة وكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المشددة فتاء تأنيث : أى قُطعت .

القُسَاسِيَّة : بقاف مضمومة فسين مهملة فألف فسين أخرى مكسورة : سيوف منسوبة إلى قُسَاس وهو جبل فيه معدن الحديد .

المعترَك . موضع الحرب .

ضَنْك : بضاد معجمة مفتوحة فنون ساكنة فكاف : أى ضيق .

الطَّخْم : بطاء مهملة مفتوحة فخاء معجمة ساكنة : التى فى لونها سواد .

يَعْكفن : يقمن ويلازمن .

الشَّرب : بشين مشددة مفتوحة فراء ساكنة : الجماعة من القوم يشربون .

الحُجَرات : بحاء مهملة مضمومة وجيم فراء مفتوحتين .

المعمَعمة : بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فميم فعين أخرى مفتوحتين ، وهى الأصوات فى الحرب وغيرها .

الجُرْب : بضم الجيم وسكون الراء : الإبل التى بها جَرب فهى تحكّ بعضها بعضا .

أَزْره : بهمزة مفتوحة : وهى القوة والظهر أيضا أى ظهره .

الحفائِظ : بالحاء المهملة : جمع حفيظة وهى الغضب فى الحرب .

النُّهَى : بضم النون : العقول .

الكُمَاة : بضم الكاف : الشجعان .

الرُّعْب : الفزع .

الأَرضَة : بفتح الهمزة والراء والضادِ المعجمة الساقطة فتاء تأنيث : دُوَيِّبة تأكل الخشب .

الثواقب : النجوم ، جمع ثاقب وهو النجم المضىء .

ما كَذَبْتَنى : بتخفيف الذال المعجمة أى ما حدثتنى بحديث كذب .

العِصَابة : بكسر العين : الجماعة .

برُمَّته : بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة : قطعة من حَبْل بالية ، والجمع رِمَم ورِمَام ، وأصله أن رجلا دُفِع إلى عدوه بحبل فى عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته .

مُعْجَبين : بفتح الجيم .

نَصَف : بفتح النون والصاد المهملة : وهى فى الأَصل المرأة بين الحَدَثة والمسِنَّة أى فى أمر وسط بيننا وبينكم لا فيه حَيْف علينا ولا عليكم .

تفسير غريب قصيدة أبى طالب اللامية .

خليلَىّ : تَثْنية خليل ، وهو منادى مضاف حذف منه حرفه .

تَصْغو : بصاد مهملة وغين معجمة مائلة .

نَهْنه : يقال : نَهْنَهْتُ الرجلَ إذا كفَفْته .

والبَلابل بموحدتين : الأُمور المهمّة .

العُرَى : جمع عروة . وأراد بها ها هنا العهود .

الوسائل : جمع وسيلة وهى القُرْبة يقال : وَسَل إلى ربه وسيلةً إذا تقرّب بعمله إليه ، والوسيلة : المنزلة عند الملِك .

صارَحُونا : واجهونا مكافحةً .

المزايِل : المحاوِل المعالج .

حالَفوا : عاهدوا .

أَظنة : جمع ظَنِين وهو المتهم .

الأَنامل : أطراف الأَصابع .

بسمراء سمحة : يعنى قناة تسمح بالانعطاف عند هَزِّها .

العَضْب : بالعين المهملة والضاد المعجمة : القاطع .

تراث: أصله وُرَاث من ورثتُ ، ولكن لا تُبْدل هذه الواو ياء إلا فى مواضع مخصوصة والتراث : مال قد يورث وتوارثه قومٌ عن قوم .

المَقَاول : بالقاف : الملوك بلغَة حِمْير . ويقال : الذين يَخْلفون الملوك إذا غابوا[1] .

رَهْطى : قومى وقبيلتى .

الوصائل : ثياب حُمْر فيها خطوط كان البيتُ يُكْسَى بها .

الرِّتَاج : هنا بكسر الراء : والمراد به هنا الباب .

لَدى : بمعنى عند .

نافل : بالنون والفاء : أى كل مُتَبَرِّئ يقال : انتفل من كذا أى تبرأ منه ، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثى غير المزيد قال الأعشى : لا تَلْفَنا من دماء القوم نَنْتفلُ[2] .

ثَور : بثاء مثلثة وراء .

أَرْسَى : أثبت .

وثبيرا : بثاء مثلثة مفتوحة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية فراء .

وحِرَاء : بكسر الحاء : وتقدم الكلام عليه فى باب بدء الوحى . والثلاثة جبالٌ بمكة .

راق : صاعد .

لبرٍّ : من البرّ . وفى بعض التصانيف ليَرقَى من الرقّى وصححوا الأُولى وقالوا : الثانيةُ تصحيف ضعيف المعنى ، فإنه معلوم أن الراقى يرقى وإنما هو لبرٍّ أى فى طلب بَرّ وهو خلاف الإثم . أَقْسَم بطالب البرِّ بصعوده فى حراء التعبدّ فيه وبالنازل منه .

نازل : من النزول .

مُلِحّ : مُجْحف يقال : أَلحَّ على الشىء إذا أَقبل عليه مواظبًا .

الكاشح : العدوّ .

بمعيبة : بالعين المهملة : أى مَنْقَصة .

---

(1) ط : إذا قاموا .

(2) ديوان الأعشى ص ١٤٩ (ط صادر) ونصه :

لئن منيت بنا عن غب معركة   لم تلفنا من دماء القوم ننتفل

وبالحجر الأسود : فيه زحاف ويسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مَفَاعلن وهو بعد الراء من الأسود[1] .

ما لم يحاول : يريد .

اكتنفوه : أحاطوا به . وفى رواية : كثفوه بثاء مثلثة بعد الكاف : ازدحموا عليه من الشىء الكثيف وهو الملتفّ .

الأصائل : والأُصُل بضمتين جمع أصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

ومَوْطِئ إبراهيم فى الصخر رَطْبة : يعنى موضع قدميه حين غسلت امرأة ابنه رأسَه وهو راكب فاعتمدَ بقدمه على الصخرة ، أبقى الله تعالى أثَر قدمه آيةً . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

وتُرك : بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الراء . وكابل بضم الباء الموحدة : جيلان من العجم .

نَظْعن : بظاء معجمة مشالة : نرحل .

فى بلَابل : يروى بمثناتين فوقيتين أى فى حركة واضطراب وبموحدتين أى فى وساوس الهموم ، واحدها بَلْبال .

نُبْزَى : بنون مضمومة فباء موحدة ساكنة فزاى مفتوحة : معناه نُسلَب ونُغْلَب عليه .

نناضل : نرامى بالسهام .

نَذْهل : نَغْفل .

الحلائِل : الزوجات ، واحدها حليلة .

الرَّوايا : جمع راوية : الإبل التى تحمل الماء .

الصلاصل : بفتح الصاد المهملة الأولى وكسر الثانية : بقية الماء .

---

(١) كذا بالأصل .

الضِّغْن : بكسر الضاد وسكون الغين المعجمتين : العداوة .

يركب رَدْعَه : براء مفتوحة فدال ساكنة فعين مهملتين أى يسقط على وجهه فى دمه . الطَّعْن بفتح الطاء وسكون العين المهملتين .

الأنكَب : المائِل إلى جهة .

المتحامل : المائِل عن الحق .

لعَمْر الله : بفتح العين : بقاء الله .

جَدّ : بجيم فدال مهملة : عَظُم .

بالأماثِل : بالخيار من القوم .

سَمَيْدَع : بفتح السين المهملة لا بضمها : السيِّد .

الحقيقة : بحاء مهملة وقافين بينهما مثناة تحتية ما يحقّ على الرجل أن يحميه .

باسل : شجاع كريم .

لا أبالك : ويقال لا أبًا لك وهو مَدْح .

الذِّمَار : بذال معجمة مكسورة : ما يلزم الرجلَ حمايتُه والدفعُ عنه ويُلاَم على إضاعته .

الذَّرْب : بذال معجمة تفتح وتكسر : الفاسد.

مُوَاكِل : أى يتوكل على غيره.

ثمال اليتامَى : أى قائم بمصالحهم وغياثهم .

عصمة للأرامل : يمنعهن من الضياع والحاجة .

يلوذ : يلجأ .

الهُلاَّك : بضم الهاء وتشديد اللام .

غير عائل : مائِل عن الحق .

الصَّمِيم وزان كريم : الخالص . وصميم القلب وسطه .

من ذؤابة هاشم : الذؤابة بضم الذال المعجمة وبالهمزة وقد تبدل واوا وهى فى الأصل الشَّعر المضفور من شعر الرأس . وذؤابة الجبل : أعلاه ثم استعير للشرف والمرْتبة .

الخطوب : جمع خَطْب وهو الأمر الشديد .

غِبّه : بغين معجمة مكسورة فموحدة أى عاقبته .

غير طائل : أى غير رفيع ولا نَفِيس . وأصل الطائل النفع والفائدة ، وهذا اللفظ يقال للشيء الخسيس مشتق من الطَّوْل .

الرَّهْط : بسكون الهاء وتفتح : دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين .

برَاء : بموحدة مفتوحة فراء فمد فهمز أى برىء عن مساوئه .

المعقَّة : العقوق .

الخاذل : بالخاء والذال المعجمتين : تارك النُّصْرة والإعانة .

أشمّ : بالشين المعجمة : عزيز .

البهاليل : السادة واحدهم بُهْلول بضم الموحدة وسكون الهاء .

الحَوْمة : بفتح الحاء المهملة : من كل شيء معظمه .

الوجْد : الحب .

الدَّأب : العـادة .

على رَغْم العدوّ : بتثليث الراء : أى ألصقه الله بالرَّغام بفتح الراء وهو التراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل فى الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه .

المُخاتِل : بالخاء وكسر المثناة الفوقية : المُخادع .

المؤمَّل : بفتح الميم المشددة المرجو خيره .

طائش : خفيف العقل .

يُوَالى : يَعْبُد .

السُّبَّة : الشتم .

غير ناصل : بنون وصاد مهملة أى زائل .

التهازل : الهزل وهو ترك الجدّ فى قول أو فعل .

لا مكذَّب : بفتح الذال المعجمة المشددة . .

ولا يُعْنَى : يشتغل .

الأَرُومة : بفتح الهمزة وضم الراء : الأصل .

بسَوْرة روى بضم السين المهملة أى المنْزِلة ، وبفتحها أى الشدة والبطش .

المتطاوِل : بكسر الواو من الطول بفتح الطاء وهو الفضل والعلوّ .

حَدِبْتُ : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أى عطفت ومنعت .

الذُّرَى : جمع ذروة بذال معجمة تضم وتفتح وهى أعلى ظهر البعير .

الكَلاكل : جمع كلكل وهو معظم الصدر .

الباب التاسع عشر

فى رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة الثانية

قال ابن سعد : قالوا : لما قدم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مكة من الهجرة الأُولى اشتدَّ عليهم قومُهم وسطَتْ بهم عشائرهم ولقوا منهم أذىً شديدا ، فأَذِن لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية . فكانت خَرْجتهم الثانية أعظمَها مشقة ، ولقوا من قريش تعنيفًا شديداً ونالوهم بالأذى واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشى من حُسْن جواره لهم ، فقال عثمان بن عفان : يارسول الله فهجرتنا الأُولى وهذه الآخرة ولستَ معنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإلىّ ، لكم هاتان الهجرتان جميعا » .

قال عثمان : فحسبنا يا رسول الله[1] .

قال ابن إسحاق وابن سعد : وكان عِدَّة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثةً وثمانين .

قال ابن سعد : ومن النساء إحدى عشرة امرأة قُرَشية وسَبْع غرائب . وزاد غيرُهما على ذلك كما سيأْتى بيانُه .

وقد روى قصتهم الإمامُ أحمد عن ابن مسعود ، وأبو نُعَيْم والبيهقى عن أبى موسى الأشعرى ، وابن إسحاق عن أم سَلَمة ، والطبرانى وابن عساكر عن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم قالوا : لمّا نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جار النجاشىّ ، أَمِنَّا على دِيننا وعبَدْنا اللهَ تعالى لا نؤذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فينا رجلين جَلْدين وأن يُهْدوا للنجاشى هدايا مما يُسْتَظرف من متاع مكة ، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢٠٧ (ط بيروت) .

أَعجب ما يأْتيه منها الأَدَم فجمعوا له أَدَمًا كثيرا ولم يتركوا منْ بَطَارقته بِطْريقا إلا أَهدوا له هدية ، ثم بعثوا عُمَارة بن الوليد وعمرو بن العاص وأمروهما بأَمرهم وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطْرِيق هديته قبل أن تكلِّما النجاشيَّ فيهم ، ثم قدِّما إلى النجاشى هَداياه ثم اسأَلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلِّمهم .

فخرجا حتى قدِما على النجاشى ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يَبْق من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يَدْفعا إلى النجاشىّ هديته ويكلِّماه وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى إلى بلد الملِك منا غلمانٌ سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دِينكم ، وجاءوا بدين مبتدَع لانعرفه نحن ولا أَنتم وقد بعثَنا إلى الملِك فيهم أشرافُ قومهم ليردَّهم إليهم ، فإذا كلَّمنا الملِك فيهم فأَشيروا عليه بأَن يُسلِّمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أَعْلَى وأَعلم بما عابوهم فيه . فقالوا : نعم .

ثم إنهما لمّا دخلا على النجاشى سجدَا له وقدَّما له هداياهما فقبِلها ثم قالا له : أَيها الملك إنّ نفرا من بنى عمنا سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يَدْخلوا فى دينكم جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أَنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأَعمامهم وعشائرهم[1] لتردّهم عليهم فهم أَعْلَى وأَعلم بهم عينًا وبما عابوا عليهم وبما عيبوهم[2] فيه .

ولم يكن شىء أَبغضَ إلى عمرو بن العاص وعُمَارة بن الوليد من أَن يسمع النجاشىُّ كلام جعفر وأَصحابه فقالت بطارقته : صدَقَا أَيها الملك قومُهم أَعْلَى بهم عينًا وأَعلم بما عابوا عليهم . فأَسْلِمْهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم .

قال : فأَين هم ؟ قالا : فى أَرضك . فغضب النجاشى ثم قال : لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يُكَاد قومٌ جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على مَن سِوايَ حتى أدعوهم فاسأَلهم عما يقول هذان من أَمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أَسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهم وأَحسنتُ جِوَارهم ما جاورونى .

---

(١) ط : وعشرائهم .

(٢) ط : عتبوهم . هذه لا معنى لها وقد كرر المؤلف الكلمة فى افظ عابوا عليهم بعد عيوبهم وإذا تكون عتبوهم محرفة .

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما عَلِمْنا وما أمرنا به نبيُّنا كان فى ذلك ما هو كائن . فقال جعفر بن أبى طالب : أنا خطيبكم اليومَ .

وقد دعا النجاشى أسَاقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، فدخل جعفر وتبعه المسلمون فسلَّم فقالوا : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نَسْجد إلا لله عز وجل . فقال النجاشى ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومَكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه المِلَل .

فقال جعفر : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنامَ ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونُسِيء الجِوارَ ويأكل القويُّ الضعيفَ ، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نَعْرف نسَبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحِّده ونَعْبده ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدَّد عليه أمورَ الإسلام . ثم قال : وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصِلَة الرَّحِم وحُسْن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقولِ الزور وأكل مال اليتيم وقَذْف المحصَنات ، فصدَّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى ، فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به شيئا وحرَّمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا وفتَنونا عن ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجَوْنا ألا نُظْلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به من شيء فقال له جعفر : نعم . قال فاقرأه علىَّ . فقرأ عليه صدرًا من « كهيعص » فبكى والله النجاشىُّ حتى أخْضَل لحيتَه وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حينَ سمعوا ما يُتْلى عليهم .

ثم قال له النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة .

ثم قال النجاشي لعمرو : أعبيدُهم لكم ؟ قال : لا. قال : أفلكم عليهم دَيْنٌ ؟ قال : لا . قال : انطلقا فوالله لا أسْلمهم إليكما أبدًا ولا يُكَادون .

فلما خرجا[1] من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه عنهم غدًا بما أستأصل به خَضْراءهم . فقال له عُمَارة لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالَفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبدٌ .

ثم غدَا إلى النجاشي فقال : أيها الملِك إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيما فاسألهم عما يقولون فيه . فأرسل إليهم ليسألهم عنه فاجتمع المسلمون ولم يَنْزل بهم مثلُها . فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا كائنًا فى ذلك ما هو كائن . فقال جعفر : لا يتكلم أحدٌ أنا خطيبكم .

فلما دخلوا عليه فإذا هو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن شماله والقِسيسون جلوسٌ سِمَاطَيْن . فقال لجعفر وأصحابه : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء به نبينا ، نقول هو عبدُ الله ورسوله ورُوحه وكلمته ألقاها إلى مريم العَذْراء البَتُول . فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال ما عدَا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العُود ، يا معشر القسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذى فيه . فتناخرَتْ بطارقته حولَه حين قال ما قال فقال : وإن نَخرْتم والله .

ثم قال : مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشَّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من المُلْك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه . وأَمَر لنا بطعام وكسوة ، ثم قال : اذهبوا فأنتم آمنون. من سَبَّكم غَرِم ، من سبكم غرم ، مَنْ سبَّكم غرم . قالها ثلاثا . فما أحبّ أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم .

---

(١) ط : خرجوا . كانا رجلين فخرجوا تحريف ولا حاجة إلى التمحل .

(٢) ط : وما جاءنا .

وفى رواية أن النجاشي قال للمسلمين : أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم . فأمر مناديًا ينادى : من آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا . قال : فأضْعِفوها.

وعند موسى بن عُقْبة : من نظر إلى هؤلاء نظرةً تؤذيهم فقد غرِم . أى فقد عصانى .

ثم قال : ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منىّ الرشْوةَ حين ردَّ علىّ مُلْكى فآخذَ الرشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه .

فخرجَا من عنده مقبوحَيْن مردودٌ عليهما ما جاءا به .

ثم إن الحبشة اجتمعت فقالت للنجاشي : إنك فارقت ديننا – وخرجوا عليه فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيَّأ لهم سُفنًا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزِمْت فامضوا حتى تلحقوا حيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عَمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله فى قبَائه عند المَنْكِب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصُفُّوا له فقال : يامعشر الحبشة ألست أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؟ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد ، هو ابنُ الله . فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . وإنما يعنى ما كتَب . فرضُوا عنه وانصرفوا .

قالت أم سلمة : فأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ، فوالله إنَّا على ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلْكه ، فوالله ما حزِنَّا[1] قطُّ حزنًا كان أشدَّ من حزنٍ حزنَّاه عند ذلك تخوّفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتى رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يَعْرف منه . وسار إليه وبينهما عَرْض النِّيل ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ ينطلق حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوّام : أنا . قالوا : فأنت . وكان من أحْدَث القوم سنًّا . فنفخوا له

---

(١) ط : ما علمنا .

. قِرْبة فجعلها فى صدره ثم سبحَ عليهم حتى خرج إلى ناحية النِّيل التى بها يلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم .

وقالت : ودعَوْنا اللهَ للنجاشيِّ بالظهور على عدوِّه والتمكين له فى بلاده .

قالت : فوالله إنَّا على ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبيرُ بن العوَّام يسعى فلَمع بثوبه وهو يقول : أَبشروا فقد ظهر النجاشيُّ وأهلك اللهُ عدوَّه . قالت : فوالله ما علمتُنا فرحنا فرحةً قط مثلها . ورجع النجاشى وقد أهلك الله عدوَّه ومكَّن له فى بلاده واستوسق عليه أَمرُ الحبشة ، وكنا عنده فى خير مَنْزِل(١) .

* * *

وروى الطبرانى برجال الصحيح عن أَبى موسى الأَشعرى . والطبرانى وأبو الفرج الأُموى عن عبد الرحمن بن أَبى ليلى واللفظ لأَبى الفرج قال : وكان الله سبحانه وتعالى قد أَلقى العداوة بين عمرو وعُمَارة فى مسيرهما قَبْل أن يَقْدَما على النجاشى ، وذلك أن عمرًا كان رجلا دَمِيا ومعه امرأته ، وكان عمارة رجلا جميلا . فهَوِى امرأة عمرو وهَوِيَتْه . فعزَما على دفع عمرو فى البحر فدفع عمارة عمرا فى البحر فسبحَ عمرو ونادى أصحابَ السفينة فأَخذوه فرفعوه إلى السفينة ــ فأَضْمَرها عمرو فى نفسه ولم يُبْدها لعمارة . بل قال لامرأته : قبِّلى ابنَ عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه . فلما أَتيا أَرضَ الحبشة وردَّهما الله تعالى خائبَيْن مكَر عمرو بعمارة فقال له : أَنت امرؤ جميل وهن النساء يُحْبِبن الجمال ، فتعرَّضْ لامرأة النجاشى فلعلها أَن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا . ففعل عمارة وتكرَّر تردده إلى امرأة النجاشى وأَخذ عطرًا من عطرها . فلما رأى عمرو ذلك أَتى الملِكَ فذكر له أَمرَ عمارة ، فأَدركت الملك عزةُ الملك وقال : لولا أنه جارى لقتلته ، ولكن سأَفعل له ما هو شر من القتل . فدعَا بالسَّواحر فأَمرهن أن يسحرنه فنفخن فى إحليله نفخةً طار منها هائمًا على وجهه حتى لحق بالوحوش بالجبال ، فكان إذا رأى آدميا ينفر منه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب ، فجاء ابنُ عمه عبد الله بن أَبى ربيعة إلى عمر

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٢ – ٣٣٨ .

ابن الخطاب واستأذنه فى المسير إليه لعله يجده ، فأذِن له عمر ، فسار عبد الله إلى أرض الحبشة فأكثر النِّشْدة عنه والفحصَ عن أمره حتى أخبر أنه فى جبل كذا يَرِد مع الوحوش إذا وردت ويَصْدُرُ معها إذا صدرت ، فسار إليه فكمَن له فى طريقه إلى الماء فإذا هو قد غطَّاه شعره وطالت أظافيره وتمزقت عنه ثيابه حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبدُ الله وجعل يذكِّره بالرَّحِم ويستعطفه وهو ينتفض منه وهو يقول أرْسِلنى يا بجير أرسلنى يا بجير وأبَى عبدُ الله أن يرسله حتى مات بين يديه .

قال الزهرى : فحدثت هذا الحديثَ عروةَ بن الزبير فقال : أتدرى ما قولُه : « ما أخذ الله الرشوة منىَّ فآخذ الرشوة فيه ولا أطاع الناسَ فىَّ فأُطيع الناسَ فيه ؟ » فقلت : لا . قال عروة : فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملِك قومه وكان له أخ له من صُلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لأبى النجاشى ولد غير النجاشى ، فأدارت الحبشةُ رَأْيها بينها فقالوا : لو أنَّا قتلنا أبا النجاشى وملَّكنا أخاه فإن له اثنى عشر رجلا من صُلْبه فتوارثوا المُلْكَ لبقيت الحبشة عليهم دهرا طويلا لا يكون بينهم اختلافٌ ، فعدَوْا عليه فقتلوه وملَّكوا أخاه . فمكثوا على ذلك حينًا ونشأ النجاشىّ مع عمه فلا يدبِّر أمرَ عمه غيره ، وكان النجاشى حازمًا لبيبا من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : قد غلب هذا الغلامُ على أمر عمه فما نأمن من أن يملِّكه علينا . وقد عرَف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفًا إلا قتله ، فكلِّموه فيه فليقتله أو ليخرجه من بلادنا . فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكانَ هذا الغلام منك ، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأمن مَن أن يملَّك علينا فيقتلنا ، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم ؟! بل أُخرجه من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعُوه من تاجرٍ من التجار بستمائة درهم أو بسبعمائة درهم ، فرفعه فى سفينة فانطلق به ، فلما كان العشاء هاجت سحابةٌ من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطَّر تحتها فأصابته صاعقةٌ فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم مُحْمَقون ليس فى أحد منهم خيرٌ ، فمرَج أمرُ الحبشة . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن مَلِككم الذى يُصْلح أمْركم الذى بعتم بالغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب . فخرجوا فى طلبه فأدركوه فردُّوه

فعقدوا عليه التاجَ وأجلسوه على سريره وملَّكوه ، فقال التاجر : ردُّوا علىّ مالى كما أخذتم غلامى فقالوا : لا نعطيك . فقال التاجر : والله لأُكلمنَّه فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيها المِلك إنى ابتعت غلاما فقبض ثمنه الذين باعونيه ثم عدَوْا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردُّوا علىَّ مالِى ، فكان أول ما خُبر من صَلابة حُكْمه أن قال : لتردُّن عليه مالَه أو ليجعلن يدَ غلامه فى يده فيذهب به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه مالَه فأعطوه مَاله .

فلذلك يقول : « ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة فيه حين ردَّ على مُلكى وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه[1] » .

فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشى فى أحسن جوار وتعجَّل عبدُ الله بن مسعود فرجع إلى مكة ، فلما سمع المسلمون بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثمانى نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة وشهد بدرًا منهم أربعةٌ وعشرون رجلا . كما سيأتى بيان ذلك هناك . والله تعالى أعلم .

كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى

روى البيهقى عن ابن إسحاق قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النجاشىّ فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ رسول الله إلى النجاشى الأَصْحَم . سلامٌ عليك فإنى أحْمدُ إليك الله المِلِك القُدُّوس المؤمن المهَيْمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتول الطيبة الحصِينة . فحملت بعيسى فخلَقه من روحه ونفخه كما خلق آدمَ بيده ونفخه . وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله . وقد بعثت إليك ابنَ عمى جعفر بن أبى طالب ومعه نفر ـ من المسلمين فإذا جاءوك فأقِرَّهم ودَعِ التجبرَ فإنى أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلَّغتُ ونصحت فاقبلوا نصيحتى . والسلام على من اتبع الهدَى » .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٩ - ٣٤٠ .

فكتب إليه النجاشى : إلى محمدٍ رسول الله من النجاشى الأَصْحَم ابن الأَبْجَر . سلامٌ عليك يا نبيَّ الله من الله ورحمته وبركاته ، لا إله إلا الذى هدَانى[1] إلى الإسلام ، فقد بلَغنى كتابُك يا رسول الله فيما ذكرتَ من أمر عيسى فورب السماء والأَرض إن عيسى لم يزْد على ما ذكرتَ ، وقد عرفنا ما بعثتَ به إلينا وقد مر بنا ابنُ عمك وأَصحابه فأَشهد أنك رسول الله صادقاً مصدَّقا وقد تبعتُك وبايعتُ ابنَ عمك وأَسلمتُ على يديه لله رب العالمين وقد أَرسلت يا نبى أَريحا بن أَصْحَم بن أَبْجَر[2] ، فإنى لا أَملك إلا نفسى ، وإن أَمرتنى أن أَجئ فعلت يا رسول الله فإنى أَشهد أَن ما تقولَ حقٌّ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر ابن إسحاق أَن رفيق عمرو فى هذه السَّفْرة عبدُ الله بن أَبى ربيعة ، قالوا : والصحيحُ أَن رفيق عمرو فى هذه السفرة عُمَارة ، وعبد الله كان رفيق عمرو فى خروجهما بعد وقعة بدر .

الثانى : قولُ جعفر للنجاشى رضى الله عنهما : «وأَمرَنا بالصلاة » أَى التى كانت قبل فرض الصلوات الخمس . وقوله : « والزكاة » أَراد مُطْلَق الصدقة لأَن زكاة المال إنما فُرضت بالمدينة .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

البِطْريق : بالكسر كالقائد من العرب .

ضوى : أَوَى ، يقال ضَوْيت إليه إذا أَويت وانضممت .

---

(١) ط : الذى هدانا .

(٢) كذا بالأصول وفى القاموس : أصحمة بن بحر .

لاهَا الله إذن : الهاء بدل من الواو ، أى لا والله ، هكذا جاء فى الحديث لاها الله إذن قيل : والصواب لاها الله ذا : بحذف الهمزة ومعناه لا والله لا يكون ذا . أو والله الأمر ذا ، فحذف الكلام واختصر تخفيفا لكثرة الاستعمال . ولك فى ألفِها مذهبان : أحدهما تثبت ألفها لأن الذى بعدها مُدْغَم مثل دابّة . والثانى : أن تحذفها لالتقاء الساكنين قاله فى النهاية .

وقال ابن مالك : فى اللفظ بها أربعة أوجه :

أحدها : ها لله إذن : بهاء تليها اللام .

الثانى : ها لله : بألف ثابتة قبل اللام .

الثالث : الجمع بين ثبوت الألف وقطع الهمزة .

الرابع : أن تحذفه وتقطع همزة الله .

والمعروف فى كلام العرب ها الله ذا ، وقد وقع فى هذا الحديث : إذن . وليس ببعيد انتهى .

الأَساقِفة : جمع أَسْقُفّ بضم الهمزة وتشديد الفاء وتخفف؛ رأس من رءوسهم .

ولا يُكَاد : بتحتية مضمومة فكاف فألف فدال مهملة من الكَيْد وهو الاحتيال وإرادة السوء ومنه سمّى الحرب كَيْدا - .

خَضَلوا لِحَاهم : بَلُّوها بالدموع يقال خضل وأخضل إذا نَدِّىَ وأخضلته أنا .

المِشْكاة : الكُوّة .

أستأْصل : أى لا أدع لهم أصلا .

خَضْراءهم : سَوادهم ومعظمهم .

القسِّيسون جمع قسّ بفتح القاف : العالم العابد من رءوس النصارى .

سِمَاطين : جانبين .

العَذْراء : البِكْر .

البَتُول : التى انقطعت عن الرجال .

ما عَدا عيسى هذا العُودَ : قال فى الزَّهر : منصوب على الظرف تقديره : مقدار هذا العود أو قَدْر هذا العود .

تناخَرْت : قال فى النهاية : أى تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور .

الرِّشْوة : بكسر الراء وضمها : ما يعطيه الشخصُ الحاكمَ وغيرَه ليحكُم له أو يَحْمِله على ما يريد .

عَرِم[1] : بعين وراء مثلثة مهملتين والعارم الخبيث الشرير .

هاجت سحابةٌ : ثارت وطلعت .

الخريف : أحد فصول السنة ، سمِّى بذلك لأنه تُخْترَف فيه الثمار أى تقطع .

* * *

الرابع : فى معرفة أسماء الذين هاجروا الهجرة الثانية :

وفى ذلك فائدتان : إحداهما : معرفتهم . وثانيتهما : أنهم من أكابر الصالحين ، فقد روى ابن الجوزى فى مقدمة الصفوة عن سفيان بن عُيَيْنَة رحمه الله أنه قال : عند ذِكْر الصالحين تنزل الرحمة[2] .

وقد ذكرهم ابن إسحاق مرتِّبا لهم على القبائل والبطون ، فرأيت ذلك صعبا على من أراد الكشف عن اسم واحد منهم ، فرتبت أسماءهم على حروف المعجم .

---

(١) كذا ، بالعين ، والذى سبق فى الرواية : غرم . بالغين المعجمة .

(٢) صفوة الصفوة ١١/١ (ط حيدر آباد) .

الألف

أبَان بن سعيد بن العاصى بن أُمية القرشى الأُموى . ذكره ابن إسحاق فيهم وخالفه فى ذلك أهلُ العلم بالأَخبار وقالوا : أَسلم أَيَام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر القرشى التَّيْمى هاجر مع أَبيه .

الأَسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أَسد القرشى الأَسدى بن أَخى خديجة رضى الله عنهما .

البـاء الموحدة

بِشْر بن الحارث بن قيس بن عدىّ القرشى السَّهْمى .

التاء المثناة

تميم بن الحارث بن قيس بن عدى أَخو بشر السابق .

الجيم

جابر بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب الجمحى .

جعفر بن أَبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصىّ أَبو عبد الله رضى الله عنه . قاله الحافظ عماد الدين بن كَثِير[1] .

قلت : وفى ذلك نظر لأَن ابن إسحاق ذكر أَسماء الذين هاجروا الهجرة الأُولى ثم ذكر الذين هاجروا ثانيا .

جُنَادة بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب القرشى الجُمَحِى .

جَهْم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل العَبْدَرى .

---

(١) الذى فى سيرة ابن كثير ٦/٢ : قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبى طالب فيمن خرج ثانيا . ثم قال : وما ذكره ابن إسحق من خروجه فى الرعيل الأول أظهر .

الحارث بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ القرشي السهمي، قال البلاذريّ : ذكر بعضهم أنه هاجر مع أخويه إلى الحبشة وليست هجرته بثبت[1] .

الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحي . ذكر الزهري أنه ولد بأرض الحبشة ، وفي كلام مُصْعَب ما يدل على أن الحارث ولد قبل هجرة الحبشة .

الحارث بن خالد بن صخر بن عامر القرشي التيمي .

الحارث بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر القرشي التَّيمي الفِهْري .

حاطِب بن الحارث بن عديّ السَّهْمي . قال أبو عمر : أسلم وهاجر إلى الحبشة وتعقبه ابن الأثير بأنه كان من المستهزئين. وقال الذهبي : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبو عمر . قال الحافظ : نعم ذكره فيهم أيضا أبو عبيدة ومُصْعَب والطَّبري وغيرهم ، ولا مانع أن يكون تاب وهاجر ، فلا تنافي بين القولين . وبسط الكلام على ذلك .

قلت : وذكره ابنُ الجوزي في التَّلْقيح في مُهَاجرة الحبشة؛ وقال : مات بها .

حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي مات بها .

حاطب بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامريّ ، يقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة وبه جزم الزُّهْري . ورجع من الحبشة قبل الهجرة من المدينة .

الحجَّاج بن الحارث بن قيس القرشي السهمي . ذكره ابن عُقْبة وابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة وأنكر ذلك ابنُ الكَلْبي والزبير بن بكَّار .

حَطَّاب ـ بالحاء والطاء المهملتين ـ ابن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحي مات بها وهو أخو حاطب .

---

(١) أنساب الأشراف ٢١٦/١ .

خالد بن حِزَام ـ بالحاء المهملة وبالزاى ـ ابن خُوَيْلد القرشى الأسدى . قال البلاذرى وابن مَنْدَه عن عروة : إنه هاجر إلى الحبشة فنهشتْه حية فمات فى الطريق ، فنزل فيه : «ومن يَخْرج من بيته مُهَاجرًا إلى الله ورسوله » الآية[1] .

وروى ذلك مُصْعَب الزبيرى عن غير واحد من آل حِزَام . وجزم بذلك الواقدى .

قال الحافظ : لكن المشهور الذى نزلت فيه هذه الآية جُنْدَب بن ضمرة .

خالد بن سعيد بن العاصى بن أُمية القرشى الأُموى ،

خالد بن سفيان بن مَعْمَر بن خبيب القرشى الجمحى .

خُزَيمة بن جَهْم بن عبد بن شُرَحْبيل العَبْدَرى .

خُنَيْس ـ بضم الخاء المعجمة فنون مفتوحة فمثناة تحتية فسين مهملة ـ ابن حُذَافة ابن قيس بن عدى القرشى السهمى .

الراء

ربيعة بن هلال بن مالك .

الزاى

الزبير بن العوَّام بن خويلد القرشى الأسدى أبو عبد الله .

السين المهملة

السائب بن الحارث بن قيس القرشى السهمى .

السائب بن عثمان بن مَظْعون الجمحى .

سعد بن خَوْلة القرشى العامرى .

سعيد بن الحارث بن قيس القرشى السهمى .

سعيد بن عبد قَيْس بن لقيط القرشى الفهرى .

---

(١) أنساب الأشراف ٢٠٢/١ .

سعيد بن عمر التَّيْمى - ويقال اسمه معبد .

سفيان بن مَعْمَر - بفتح الميمين وإسكان المهملة بينهما - ابن حبيب القرشي الجُمَحى.

السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامرى .

سَلَمة بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومى .

سليط بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامرى ، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة.

سُهَيْل بن بيضاء وهى أمه واسمها دَعْد . واسم أبيه وهب بن ربيعة القرشي الفِهْرى

سُوَيْبط بن حَرْمَلة ويقال ابن سعد بن حرملة ، ويقال جُرَيْملة ، القرشي العبدرى .

الشين المعجمة

شُرَحْبيل بن عبد الله المطاع بن عبد الله الكِنْدى[1]ويقال التميمى ويعرف بأُمه حَسَنة .

شمَّاس بن عثمان بن الشَّريد القرشي المخزومى واسمه عثمان بن عثمان ، وإنما سمى شمَّاسا . لأن شماسا من الشمامسة قدِم مكة فى الجاهلية وكان جميلاً فعجب النَّاسُ من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه . فجاءَ بابن أُخته عثمان فسمى شمَّاسا . والشماس من رءوس النصارى يَحْلق وسط رأسه ويلزم البَيْعة وليس بعربى صريح .

الطاء المهملة

طُلَيْب - بالتصغير - ابن أَزْهَر بن عبد عوف القرشي الزُّهْرى .

طُلَيْب بن عمير - بالتصغير - أو عمرو بن وهب أبو عدى .

العين المهملة

عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العَنَزىّ - بفتح العين المهملة والنون - ويقال بفتح النون .

عامر بن أبى وقاص ،واسم أبى وقاص مالك بن أُهَيْب القرشي الزهرى أبو عمرو أخو سعد .

---

(١) الأصل : النكرى . محرفة . وما أثبته من أنساب الأشراف ١/٢١٤ .

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القُرَشىّ الفِهْرى ، أبو عبيدة .

عبد الله بن جحش بن ريَاب – براء فمثناة تحتية فألف فباء موحدَة – بن يَعْمُر القرشى الأسدى .

عبد الله بن الحارث بن قيس القرشى السَّهْمى .

عبد الله بن حُذَافة بن قيس القرشى السهمى .

عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد القرشى المخزومى .

عبد الله بن سُهَيْل[1] بن عمرو العامرى ، أبو سُهَيْل .

عبد الله بن شِهَاب بن عبد الله القرشى الزهرى .

عبد الله بن عبد أسد بن هلال القرشى المخزومى ، أبو سلمة ، هاجرَ الهجرتين، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة هو وامرأته .

عبد الله بن عُرْفُطَة – بضم العين وإسكان الراء ففاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة .

عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعرى . ذكره فيهم ابنُ إسحاق . قال أبو عمر : ليس كذلك ولكنه خرج فى طائفة من قومه من أرضهم باليمن يريد المدينة فركبوا البحرَ فرمتْهم الريحُ إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر .

قلت : وقد روى البيهقى وغيره بسند صحيح عن أبى موسى فى حديث الهجرة إلى الحبشة وفيه : أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة . فذكر الحديث[2] .

قال البيهقى : وظاهره يدلّ على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى موسى قال : بلَغنا مَخْرَجُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجْنا فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشى بالحبشة فوافَقْنا جعفرَ

---

(١) غير ط : ابن سهل . وما أثبته موافق لما فى أنساب الأشراف ٢١٩/١ .

(٢) الحديث فى دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٠٥ ، ونقله عنه ابن كثير فى سيرته ١١/٢ .

ابن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدِمْنا فوافقنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر . الحديث .

وقال الحافظ فى الفتح : ويؤيد ما ذكره ابن إسحاق ما رواه الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عُرْفُطة وعثمان بن مَظْعون وأبو موسى الأشعرى . فذكر الحديث[1] .

وقد استشكل ذِكْر أبي موسى فيهم لأن المذكور فى الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدين النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحَضَروا مع جعفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر .

ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فبعثه النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع من بعث إلى الحبشة فتوجه هو إلى بلاد قومه وهى مقابل الحبشة من الجانب الشرقى ، فلما تحققوا استقرارَ النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر هو ومن أَسْلَم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هَيجان الرِّيح إلى الحبشة .

فهذا مُحْتمل ، وفيه جمع بين الأخبار . فليعتمد والله أعلم .

وعلى هذا قول أبي موسى : «بلغَنا مخرجُ النبي صلى الله عليه وسلم» أى إلى المدينة وليس المراد : بلغنا مَبْعثه . ويؤيده أنه يَبْعُد كلَّ البعد أن يتأخر عِلْم مبعثه إلى مضىّ نحو عشرين سنة مع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلابد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك . وإلا فيبعد أن يخفى عليهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين .

ويحتمل أن إقامة أبي موسى بأرض الحبشة طالت لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة حتى يأتيه الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوم .

عبد الله بن مَخْرمة القرشي العامرى .

عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ الهُذَلى .

---

(١) فتح البارى ٩/٢٥ (ط الحلبى) .

عبد الله بن مظعون بن وهب القرشي الجمحي أخو عثمان .

عُبَيْد الله بن جحْش ، تنصَّر هناك ثم توفى على النصرانية .

عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهرى .

عُتْبة بن غَزْوان – بغين معجمة مفتوحة فزاى ساكنة – ابن جابر المازنى – بالزاى والنون .

عتبة[1] بن مسعود الهذلى أخو عبد الله .

عثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب القرشي الجمحي .

عثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبى شداد القرشي الفهرى .

عثمان بن عثمان بن أبى العاصى بن أمية القرشي الأموى .

عثمان بن مَظْعون – بالظاء المعجمة – المشالة بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي .

عدى بن نَضْلة – أو نُضَيْلة بالتصغير – القرشي العدَوى ، مات بأرض الحبشة .

عروة بن أبى أُثَاثَةَ – ويقال ابن أثاثة بإسقاط أبى – ابن عبد العُزَّى القرشي العدوى .

عمَّار بن ياسر بن عامر العَنْسى – بالنون – أبو اليقظان . اختلف فى هجرته إلى الحبشة قال السهيلى : والأصح عند أهل السير كابن عُقْبة والواقدى وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

عمرو بن رِئَاب بن حذيفة السهمى .

عمرو بن أمية بن الحارث الأسدى . مات بأرض الحبشة .

عمرو بن جَهْم بن قيس العَبْدرى .

عمرو بن الحارث بن زهير الفهرى .

عمرو بن سعيد بن العاصى القرشي الأموى .

عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد التيمى عم طلحة .

عمرو بن أبى سَرْح – بسين فراء ساكنة فحاء مهملات – ابن ربيعة الفِهْرى .

(١) غير ط : عثمان بن مسعود . وهو تحريف . وانظر أنساب الأشراف ٢٠٤/١ .

عُمَيْر بن رِئاب - براء مكسورة فمثناة تحتية مهموزة - فموحدة - ابن حُذَيْفة القرشى السَّهْمى .

عَيَّاش - بالمثناة التحتية والشين المعجمة - ابن أَبى ربيعة واسمه عمرو بن المغيرة القرشى المخزومى .

عِيَاض بن زهير بن أَبى شداد بن ربيعة القرشى الفهرى .

الفـاء

فِرَاس - بالسين المهملة - ابن النضر بن الحارث العبْدرى .

القاف

قُدامة بن مَظْعون بن حبيب القرشى الجمحى .

قيس بن حذافة بن قيس القرشى السهمى .

قيس بن عبد الله الأَسدى .

الميم

مالك بن زَمْعة بن قيس العامرى أخو أُم المؤمنين سَوْدَة .

محمد بن حاطب بن الحارث القرشى الجمحى .

مَحْمِيَة - بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية بعدها مثناة تحتية مفتوحة - ابن جَزْء - بفتح الجيم وسكون الزاى ثم همزة - ابن عبد يغوث الزُّبيدى - بضم الزاى وبالدال المهملة .

مُصْعَب بن عمير بن هاشم العبدرى ، ويقال إنه أَول من هاجر إليها .

المطَّلب بن أزهر بن عبد عوف القرشى الزهرى .

معْبَد بن الحارث بن قيس القرشى السهمى ، ويقال اسمه مَعْمَر .

مُعَتِّب بن عوف ، يعرف بابن الحمراء الخزاعى .

معْمَر بن الحارث . تقدَّم فى معبد .

مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة ، ويقال ابن عبد الله ، بن نافع بن نَضلة العدوى .

مُعَيْقب – بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فقاف مكسورة فمثناة تحتية فموحدة – ابن فاطمة الدَّوْسى – بفتح الدال المهملة وسكون الواو .

المِقْداد بن الأَسود الكِنْدى ، تبنَّاه الأَسود بن عبد يغُوث الزهرى وهو حليف له فنسب إليه وهو المِقْداد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك البَهْرانى – بفتح الموحدة وسكون الهاء وقَبْل ياء النسب نون .

النون

نبيه بن عثمان بن ربيعة القرشى الجمحى .

النعمان بن عدى بن نَضْلة العدوى .

الهاء

هاشم بن أَبى حذيفة بن المغيرة القرشى المخزومى ، ويقال اسمه هشام .

هَبَّار بن سفيان بن عبد الأَسد بن هلال القرشى المخزومى .

هشام بن عُتْبة . تقدم فى هاشم .

هشام بن العاصى بن وائل بن هاشم أَخو عمرو .

الياء

يزيد بن زَمْعة بن الأَسود القرشى الأَسدى .

يسَار أَبو فُكَيْهة أَحد المعذَّبين فى الله .

الكُنَى

أَبو الرُّوم – بالراء – بن عمير بن هاشم العَبْدرى أَخو مصعب .

أَبو سَبْرة بن أَبى رُهْم بن عبد العُزَّى القرشى العامرى .

أَبو سَلَمة بن عبد الأَسد هو عبد الله .

أبو عبيدة بن الجرّاح هو عامر بن عبد الله أبو فُكَيْهة ـ بضم الفاء وفتح الكاف ـ هو يَسَار .

أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدِيّ السَّهْمى

النساء

أسماء بنت عُمَيْس ـ بعين مهملة مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة ابن مَعْد ـ بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة وزن سَعْد ، ابن الحارث الخَثْعمية .

أمينة : تأتى فى همينة .

بَركة بنت يَسَار مَوْلاَة أبى سفيان بن حَرْب .

حُرَيْملة بنت عبد الأسود[1] الخزاعية . ماتت بأرض الحبشة ويقال فى اسمها حَرْمَلة بغير ياء .

حَسَنة بلفظ ضد السَّيئة أم شُرَحْبيل .

خُزَيْمة بنت جَهْم بن قيس العَبْدَرِيّة .

رُقَيَّة ـ بضم الراء وفتح القاف وتشديد المثناة التحتية بنت سيد الخلائق . وذكر ابن قدامة أن نفرا من الحبش كانوا ينظرون إليها فتأذَّت من ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا .

رَمْلة بنت أبى عوف القرشية السهمية .

رَيْطة ـ بفتح الراء وسكون المثناة التحتية بنت الحارث بن جبلة القرشية التميمية ويقال فى اسمها رايطة .

سَهْلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية .

سَوْدَة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية أُم المؤمنين .

عُمَيْرة ـ ويقال عمْرة بنت أسعد[2] بن وَقْدان ـ بفتح الواو وسكون القاف القرشية العامرية .

---

(١) ت ، م : بنت عبد الأسد .

(٢) كذا بالأصل وفى أنساب الأشراف ٢١٩/١ : عميرة بنت السعدى بن وقدان .

فاطمة بنت صفوان بن أمية .

فاطمة بنت عَلْقمة بن عبد الله القرشية العامرية .

فاطمة بنت المُجَلَّل بضم الميم وفتح الجيم واللام المشددة ابن عبد الله القرشية العامرية .

فُكَيهة بنت يسار السابق .

ليلى بنت أبي خيْثَمة[1] بن غانم العدوية .

هُمَيْنة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ويقال في اسمها أُمَيْنة .

هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة ، وقيل سهل بن المغيرة ـ القرشية المخزومية ، أم المؤمنين أم سلمة .

أم حَرْمَلة بنت عبد الأسود بن خزيمة الخزاعية .

أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو القرشية العامرية .

من ولد بأرض الحبشة

عبد الله وعون ومحمد أولاد جعفر بن أبي طالب من أسماء بنت عُمَيْس .

سعيد وأَمَة ـ بفتح الهمزة والميم بغير إضافة ـ ابنا خالد بن سعيد من أُمية بنت خلف .

عبد الله بن المطلب من رَمْلةبنت أبي عوف .

محمد بن أبي حذيفة من سهلة بن سهيل .

محمد والحارث ابنا حاطب من فاطمة بنت المجَلَّل .

روى الإمام أحمد والطبراني برجال الصحيح عن محمد بن حاطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني قد رأيت أرضًا ذات نخل فاخرجوا. قال: فخرج حاطب وجعفر في البحر قِبَل النجاشي . قال : فولدتُ أنا في البحر في تلك السفينة[2]» .

موسى وعائشة وزينب أولاد الحارث بن خالد من رَيْطة .

---

(١) أنساب الأشراف ٢١٧/١ : ليلى بنت أبي حثمة .

(٢) مسند أحمد ٢٥٨/٤ .

الباب العشرون

فى إرادة أبى بكر رضى الله عنه الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة

قالت عائشة رضى الله عنها : لم أَعْقل أبوىَّ قط إلا وهما يَدِينان الدِّينَ ، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأْتينا فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى النهار بُكْرة وعشيةً ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتّى إذا بلغ بَرْك الغمَاد لقيه ابن الدُّغنّة وهو سيّد القارَة . فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأُريد[1] أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى عز وجل – فقال ابن الدغنّة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرج [ولا يُخْرج][2] إنك تَكْسب المعدومَ وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقْرى الضيف وتعين على نوائب الحقِّ . فأنا لك جارٌ فارجع واعبد ربَّك ببلدك . وكان مع أبى بكر الحارث بن خالد ، فقال أبو بكر : فإن معى رجلاً من عشيرتى . فقال له ابن الدغنة : دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك . فقال له أبو بكر : فأين حق المرافقة ؟ فقال الحارث : أنت فى حلٍّ فامض فإنى ماض لوجهى مع أصحابى . فمضى حتّى صار إلى الحبشة .

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنّة فطاف ابن الدغنة فى أشراف كفار قريش فقال : إن أبا بكر لا يُخْرَج مثلُه أتُخْرجون رجلاً يَكْسب المعدومَ ويصل الرحمَ ويَحْمل الكَلَّ ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ ! فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة . وفى رواية : فأَنْفَذت قريشٌ جوارَ ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه فى داره وليُصَلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستَعْلن به فإنا نخشى أن يَفْتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبى بكر .

فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يَسْتعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدَا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلِّى فيه فيتقَصَّف عليه نساءُ المشركين

---

(١) ط : فأنا أريد .

(٢) من صحيح البخـارى .

وأبناؤهم يَعْجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بَكَّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين وأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجَرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلَن بالصلاة والقراءة . وإنا قد خشينا أن يَفْتن نساءنا وأبناءنا فأْته فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فَعل ، وإن أبىَ إلا أن يُعْلن بذلك فسَلْه أن يردَّ عليك ذمَّتك فإنا قد كرهنا أن نُخْفرَك ولسنا مقرِّين لأبى بكر الاستعلانَ .

فأتى ابنُ الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمتَ الذى عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تُرْجع إلىّ ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفرْت فى رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإنى أردُّ إليك جوَارك وأرضى بجوار الله تعالى .

والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى أُريت دارَ هجرتكم بسَبْخة[1] ذات نخل بين لابتَيْن ، وهما الحَرَّتَان . فهاجر من هاجر قبَل المدينة ، ورجع عامةُ من كان بأرض الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر قبَل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسْلك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك ؟ قال : نعم .

وسيأتى بقية الحديث فى باب الهجرة إلى المدينة.

رواه البخارى والبلاذُرىّ وغيرهما[2] .

وروى ابن إسحاق عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال : : لقيه – يعنى أبا بكر الصديق – حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامدٌ إلى الكعبة فحثَا على رأسه تراباً فمرَّ بأبى بكر الوليدُ بن المغيرة أو العاصى بن وائل فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت صنعتَ هذا بنفسك . قال وهو يقول : أىْ ربِّ ما أَحْلَمك . أى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك ! ثلاثا[3] .

---

(١) ت ، م : « سبخة »

(٢) صحيح البخارى كتاب الصلاة ، وكتاب المناقب . وكتاب الكفالة ، وأنساب الأشراف ١/٢٠٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٧٣ ، ٣٧٤ .

تنبيـه

فى بيان غريب ما سبق

الدِّين : بالنصب على نزع الخافض أى يدينان بدين الإسلام ، أو هو مفعول به على التجوز .

ابتلى المسلمون : أى بأذى المشركين لما حَصروا بنى هاشم والمطّلب فى شِعْب أبى طالب وأذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة .

بَرْك – بباء موحدة مفتوحة وتكسر فراء ساكنة فكاف . الغماد بغين معجمة مكسورة وقد تضم فميم مخففة فألف فدال مهملة : موضع على خمس ليال من مكة .

ابن الدُّغُنَّةُ – بدال مهملة فغين مضمومتين فنون مشددة عند أهل اللغة ، وعند أهـل الرواية : بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون . وثبت بالتخفيف والتشديد عند بعض رواة الصحيح وهى أُمُّه وقيل أم أبيه ومعنى الدغنّة : المسترخية، وأصلها الغَمامة الكثيرة المطر . واختلف فى اسمه فقال الزهرى ، كما رواه البلاذرى : الحارث بن يزيد . وحكى السُّهيلى أن اسمه مالك .

القارَة – بالقاف وتخفيف الراء ، وهى قبيلة مشهورة من بنى الُهون – بالضم والتخفيف – ابن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ابن الياس بن مضر ، ويُضْرب بهم المثلُ فى قوة الرَّمْى . قال الشاعر

* قد أنصفَ القارَة من رامَاها[1] *

أسيح – بسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أسير .

لا يَخْرج مثله . بفتح أوله أى من وطنه باختياره على نية الإقامة فى غيره مع ما فيه من النفع المتعدِّى لأهل بلده ولا يُخْرَج بضم أوله أى ولا يخرجه أحد بغير اختياره للمعنى المذكور .

---

(١) قال أبو ذر : هو بيت رجز وقبله : إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها .
وكانت القارة رماة لا يقوم لهم أحد ، فجـاء قوم من رماة الفرس فعارضوهم فى الرمي فقال الناس : قد أنصف القارة من راماها . فجري مثلا . شرح السيرة ص ٧٩ .

فلم تكذِّب قريش : أى لم تردّ عليه قوله فى أمان أبى بكر ، وكل من كذّبك فقد ردّ عليك قولَك ، فأطلق التكذيب وأراد لازمه .

بجوَار – بكسر الجيم وضمها وآخره راء .

الفنَاء – بكسر الفاء وتخفيف النون : سعَة أمام البيت وقيل ما امتدّ من جوانبه .

بدا – ظهر له رأى غير الأول .

يتقصَّف : بمثناة تحتية فمثناة فوقية فقاف فصاد مهملة مشددة مفتوحتين : يزدحمون عليه حتى يَسْقط بعضُهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق يتقصّف مبالغة .

بَكَّاء : بالتشديد : كثير البكاء .

ذِمتك : أمانك .

نُخْفرك – بضم أوله وبالخاء المعجمة وبالفاء .

مُقرِّين لأبى بكر الاستعلان : أى لا نسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذى ذكروه .

بجوار الله : أى أمانه وحمايته .

قِبَل المدينة – بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة المدينة .

على رِسْلك : بكسر الراء : أى على مهلك ، والرِّسْل السير الرفيق .

ودل قول أبى بكر رضى الله عنه : ما أحْلَمك على جواز قول : ما أعظم الله . وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتاب « رياض الأبرار فى الدعوات والأذكار » والله أعلم .

الباب الحادى والعشرون

فى نقض الصحيفة الظالمة

قال ابن إسحاق : ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب جماعةٌ من قريش ، ولم يُبلَ فيها بلاءٌ أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث رضى الله عنه . وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة ابن هاشم بن عبد مناف لأُمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرفٍ فى قومه فكان يأتى ليلاً بالبعير قد أوْقَره طعاماً بالليل وبنو هاشم وبنو المطلب بالشِّعْب حتى إذا أقْبَله فَمَ الشِّعبِ قَلع خِطَامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبه فيدخل عليهم الشعبَ ، ويأتى بالبعير قد أوْقره بُرًّا فيفعل مثل ذلك .

قال ابن سعد : وكان أوْصَل قريش لبنى هاشم حين حُصِروا فى الشعب ، أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلَّموه فى ذلك فقال : إنى غيرُ عائد لشىء خالَفكم . فانصرفوا عنه . ثم عاد الثانيةَ فأدخل عليهم ليلاً حِمْلا أو حِمْلين فغالظَتْه قريشٌ وهمَّت به . فقال أبو سفيان بن حرب : دَعُوه ، رجلٌ وصَل أهلَ رَحِمه ، أمَا إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحْسنَ بنا .

ثم إن هشاما مشى إلى زهير بن أبى أُمية رضى الله عنه ، وأُمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير أرضيتَ أن تأْكل الطعامَ وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالُك حيث قد علمتَ لا يُبَايَعون ولا يُبْتاع منهم ، ولا يَنْكِحون ولا يُنْكَح إليهم ؟ أمَا إنى أحلف بالله أنْ لو كانوا أخوالَ أبى الحكَم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابَك إليه . فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نَقْضها . قال : قد وجدتَ رجلاً . قال : من هو ؟ قال : أنا : فقال له زهير : ابْغِنا رجلاً ثالثا .

فذهب إلى المطعِم بن عدىّ فقال له : يا مطعم أرضيتَ أن يَهْلك بَطْنان من بنى عبد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أمَا والله لئن مكَّنتموهم من هذه لتجدنَّهم

إليها منكم سِرَاعا . فقال : ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدتَ ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلتُ . قال : من هو ؟ قال زهير ابن أبي أمية . قال : ابغنا رابعا .

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيّ بن هشام فقال له نحوًا مما قال للمطعِم بن عديّ فقال : وهل أحدٌ يعين على هذا الأمر ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهيرُ ابن أمية والمطعِم بن عَدِيّ وأنا معك . قال : ابغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود فكلَّمه وذكر له قرابتَهم وحقَّهم فقال : وهل على هذا الأمر الذى تَدْعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم . وسمَّى له القَوم .

وعند الزبير ابن أبي بكر : أن سهيل بن بَيْضاء الفِهْرى هو الذى مشى إليهم فى ذلك ، ويؤيده قولُ أبي طالب فى قصيدته الآتية :

* همُ رجعوا سَهْلَ بن بيضاء راضياً[1] *

وزاد ابن سعد فى الجماعة : عديَّ بن قيس . وأسلم منهم هشام وزهير وسهيل وعديّ ابن قيس .

فاتَّعَدُوا خطم الحَجُون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرَهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدَؤكم فأكون أولَ من يتكلم .

فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم وغدا زهير وعليه حُلَّة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكى لا يُبَاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة .

فقال أبو جهل ، وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشَقّ .

قال زَمْعة بن الأسود : أنت والله أكْذَب ما رضينا كتابتها حين كُتبت .

قال أبو البختريّ : صَدق زَمْعة لا نرضى ما كُتب فيها ولا نُقرّ به .

---

(1) عجزه كما سيأتى : وسر أبو بكر بها ومحمد .

قال المطعم : صدقتما وكذَب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كُتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضى بليل تُشوور فيه فى غير هذا المكان .

وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأَرَضَة قد أكلتها إلا : « باسمك اللهم » كما تقدم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنهم مكثوا مَحْصورين فى الشِّعب ثلاثَ سنين .

رواه أبو نعيم .

وقال محمد بن عمر الأسلمى : سألت محمدَ بن صالح وعبدَ الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : فى سنة عَشْر يعنى من المبعث قبل الهجرة بثلاث سنين .

وقال صاعِد فى الفُصُوص : إنه صلى الله عليه وسلم خرج من الشعب وله تسع وأربعون سنة قال ابن إسحاق : فلما مزِّقت الصحيفة وبطَل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم :

أَلا هل أَتَى بَحْرِيَّنا صنعُ ربنـا ... على نَـأْيِهم والله بالناس أَرْوَدُ
فيخبرهم أن الصحيفة مُزِّقـت ... وأَنْ كل مالم يَرْضَه الله مُفْسَدُ
تراوَحها إفْكٌ وسِحْر مجمَّـع ... ولم يُلْفَ سحرٌ آخر الدهر يَصْعَدُ
فمن ينس من حُضَّار مكة عـزةً ... فعِزَّتنـا فى بطن مـكة أتْـلَدُ
نشأْنا بها والناسُ فيها قلائـل ... فـلم ننفكِكْ نزداد خيرا ونُحْمَدُ
ونُطْعِم حتى يترك الناس فضلَهم ... إذا جعلت أيدى المفيضين تُرْعَدُ
جزَى الله رَهْطًا بالحَجُون تتابعَوا ... على ملإٍ يهدى لحَزْم ويرْشـدُ
قعودٌ لدى خَطْم الحَجُون كأَنهم ... مَقَاولـةٌ بل هم أَعزُّ وأَمْجَـدُ
أَعان عليها كلُّ صـقر كأَنـه ... إذا ما مشى فى رَفْرف الدِّرْع أَحْرَدُ

جرىء عـلَى جُلِّ الخطوب كأنه شِهَابٌ بـكفىّ قابس يتوقـد
من الأكرمين من لؤى بن غالبٍ إذا سِيمَ خسفاً وجـهُه يتربَّـدُ
ألـظٌّ بهـذا الصلح كلٌّ مـبرأً عظيمِ اللـواء أمْرُه ثم يُحْمَـدُ
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا على مَهل وسائِر الناسِ رُقَّـدُ
همُ رجعوا سهلَ بن بيضاء راضيا وسُرَّ أبو بكر بهـا ومحمـدُ
متى شرك الأقوامُ فى جُلِّ أمرنا وكنـا قديمـا قبلهـا نُتَـودَّدُ
وكنـا قديمـا لا نُقِرُ ظُـلامـةً وندرك ما شِئنـا ولا نتشـدَّدُ
فيالَقُصَىٍّ هـل لـكم فى نفوسكم وهـل لكمُ فيما يجىء به غـدُ
فإنى وإياكم كما قـال قائـل لدَيْك بيـانٌ لو تـكلَّمْتَ أسْوَدُ(1)

[تفسير الغريب]

البحرىّ : هنا يراد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة فى البحر .

نأيهم : بعدهم . أرْوَد : أرفق .

يُراوحها(2) بمثناة تحتية فراء فألف فواوٍ فحاء مهملة أى تعتمد على الإفك مرة وعلى السِّحْر المجمع أخرى .

يُلْفَ : بالفاء : يوجَد .

فمن ينس : أراد ينسى فحذف الألف .

أتْلَد : أقْدَم .

الخير : الكرم .

المُفِيضون : بميم مضمومة ففاء مكسورة فمثناة تحتية فضاد معجمة : المراد بهم هاهنا : الضاربون بقِدَاح المَيْسر ، وكان لا يفيض معهم فى الميْسر إلا سَخىّ .

الحَجُون : بحاء مهملة مفتوحة فجيم مضمومة : موضع بأعلى مكة .

---

(1) الروض الأنف ١/٢٣٣ (ط الجمالية) .

(2) كذا ، والذى سبق فى الأبيات : تراوحها . بالتاء .

خَطْم الحجون : قال فى الصحاح الخُطْمة بالضم[1] : رَعْنُ الجبل أى أنفه المتقدم . وقال فى موضع آخر : أنف كل شىء أوله وأنف الجبل بارز يشخص منه .

الرَّهْط : بسكون الهاء وتحريكها دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين .

الملأُ : جماعة الناس وأشرفهم .

المَقَاولة : الملوك .

رَفْرف الدرع : ما فضل من درعها .

أَحْرَد : بالحاء والدال المهملتين : بطىء المشى لثقل الدرع التى عليه .

جُلّ الخطوب : معظمها ويروى جُلَّى وهى الأمر العظيم .

قابِس : مُوقد .

سِيم : بكسر أوله كلِّف .

الخسْف : بالخاء المعجمة والسين المهملة : الذل .

يتربَّدُ : بالراء والباء الموحدة : يتغير إلى السواد .

ألظَّ : لزم ولحَّ .

أسود : قال الخشنى اسم رجل وأراد يا أسود ، وهو مثل يُضْرب للقادر على الشىء ولا يفعله . وقال السهيلى : هو هنا اسم جبل كان قُتل عنده قتيل لم يُعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلَّم لأبان عن القاتل ويعرف الجانى ، ولكنه لا يتكلم فذهبت مقالتهم مثلا[2] .

(١) الصحاح : الخطمة : بالضم .

(٢) الروض الأنف ١/٢٣٤ .

الباب الثانى والعشرون

فى إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسى رضى الله عنه

روى ابن سعد عن أَبى عَوْن الدَّوسى ، والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، وابن جَرير وأَبوالفَرَج الأُموى عن العباس بن هشام ، عنْ أَبيه أَنْ الطفيل بن عمرو حدَّث أنه قدِم مكةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجالٌ من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيباً فقالوا له : يا طفيل إنك قدِمْت بلادَنا وهذا الرجل الذى بين أَظهُرنا قد أَعْضَل بنا وفرَّق جماعتنا وشتَّت أَمرَنا . وإنما قوله كالسِّحر يفرِّق بين المرء وأَبيه وبين الرجل وأَخيه وبين الرجل وزوجته . وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلِّمه ولا تَسْمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بى حتى أَجمعت أَن لا أَسمع منه شيئا ولا أُكلِّمه وحتى حَشْوت فى أُذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً فَرقاً من أَن يَبْلغنى شىء من قوله .

فغدوت إلى المسجد فإِذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلِّى عند الكعبة فقمت قريبا منه ، فأَبَى الله تعالى إلا أَن يُسْمعنى بعضَ قوله . فسمعت كلاماً حَسناً فقلت فى نفسى : إنى لَرجل لبيبٌ شاعرٌ ما يخفى علىَّ الحَسَنُ من القبيح . فما يمنعنى من أَن أَسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذى يأتى به حَسناً قبلتُ وإن كان قبيحا تركت ؟

فمكثت حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتبعته فقلت : إنَّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، وإنى شاعر فاسمع ما أَقول .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات . فأَنشدتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأَنا أَقول فاسمع . ثم قرأَ : أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم « بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أَحدٌ » إلى آخرها و « قل أَعوذ برب الفلق » إلى آخرها و « قل أَعوذ برب الناس » إلى آخرها وعرَض على الإسلامَ فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أَحسنَ منه ولا أَمراً أَعْدَل منه

فأسلمتُ وقلت : يا نبيَّ الله إنى امرء مُطَاع فى قومى ، وإنى راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عَوْناً عليهم . فقال : اللهم[1] اجعل له آية .

فخرجت إلى قومى فى ليلة مَطِيرة ظَلْماء حتى إذا كنت بثَنِيّة تُطْلعنى على الحاضر وقع نورٌ بين عَيْنى مثل المصباح . فقلت : اللهم فى غير وجهى إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت فى وجهى فتحوَّل فوقع فى رأس سَوْطى كالقنديل المعلَّق . وأنا أهبط عليهم من الثنيَّة حتى جئتهم فلمانزلت أتانى أبى فقلت : إليك عنى يا أبت فلستَ منى ولستُ منك . فقال : لِمَ يا بنىَّ ؟ فقلت : قد أسلمتُ وتابعت دينَ محمد . قال : أىْ بُنىَّ فدينى دينُك . فقلت : فاغتسل وطهِّر ثيابك ففعل ثم جاء . فعرضتُ عليه الاسلامَ فأَسلمَ . ثم أتتنى صاحبتى فقلت : إليك عنِّى فلستُ منكِ ولستِ منِّى . قالت : ولم بأَبى أنت وأمى ؟ قلت : فرَّق بينى وبينك الإسلامُ وتابعتُ دين محمد[2] قالت : فدينى دينك . فقلت : اذهبى فتطهَّرى ففعَلَتْ فعرضتُ عليها الإسلامَ فأسلمت ولم تُسْلم أمى . ثم دعوت دَوْساً فأبطأُوا علىَّ ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبى الله إنه قد غلبنى على دَوْس الزِّنا فادع الله عليهم . فقال : اللهم اهدِ دَوْساً وائت بهم . ارجع إلى قومك وارفُقْ بهم .

فرجعتُ فلم أَزَلْ بأَرض قومى أدعوهم حتّى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بَدْرٌ وأُحُدٌ والخندق فقدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أَسْلَمَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتا من دَوْس ، ثم لحقْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأَسْهَم لنا مع المسلمين .

وقال الطُّفَيْل لمّا أَسْلَمَ :

أَلا بلِّغ لديك بنى لؤىٍّ ... على الشَّنآن والغضب المُرَدِّى
بأَن الله ربَّ الناس فَرْدٌ ... تعالى جَدُّه عن كل نِدٍّ
وأَن محمداً عَبْدٌ رسولٌ ... دليل هُدًى ومُوضِح كلِّ رُشْدِ
رأَيت له دلائِل أنبأَتْنى ... بأَن سبيله يَهْدى لقصدِ

(١) ط : إليهم .
(٢) ت : تابعت محمدا .

وأن الله جَلَّلَـه بَهـاءً وأَعْلَى جَـدَّه فى كل جَـد
وقالت لى قريش عَـدٍّ عنـه فإن[1] مقاله كالعُـرِّ يُعْـدِى
فلما أن أَمَلْتُ إليـه سَمْعى سمعتُ مقالَه كمَشُورِ شَهْـدِ
وأَلهمـنى هـدايا اللهُ عنـه وبَدَّل طالعى نحسى بسَعْـدِى
ففُزْت بمـا حبَـاه الله قلبى وفـاز محمدٌ بصفاء ودِّى[2]

[تفسير الغريب]

أَعْضَل بنا : أى اشتد أمره ، يقال أعضل الأَمر إذا اشتد ولم يوجد له وجه ومنه الداء المعْضِل .

الكُرْسف : بضم الكاف وإسكان الراء وضم السين المهملة ففاء وهو القطن .

الثنيّة : الطريق فى الجبل .

الحاضر : القومُ النازلون على المـاء .

أَبطأُوا : بهمزة مضمومة آخره أى تـأخروا .

---

(١) ت ، م : كأن .

(٢) قصة إسلام الطفيل فى سيرة ابن هشام ٣٨٢/١ . وسيرة ابن كثير ٧٢/٢ والخصائص الكبرى ٣٣٦/١ .

الباب الثالث والعشرون

فى قصتى الإراشىّ والزبيدى اللذين ابتاع أبو جهل إبلهما

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى وكان واعية ، قال : قدِم رجل من إراش بإبل له فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل حتى وقف على نادى قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يعيننى على أبى الحكَم بن هشام ؟ فإنى غريب وابن سبيل وقد غلَبنى على حقِّى . فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ - لِرسولِ الله صلى الله عليه وسلم - يَهْزأُون به لِمَا يَعْلمون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة ، اذهب إليه فهو يُعينك عليه .

فأقبل الإراشىُّ حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فقام معه فلما قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابَه فقال : من هذا ؟ قال محمد . فاخرج إلىّ . فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة لقد انْتُقِع لَوْنُه ، فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تَبْرح حتى أعطيه الذى له . فدخل ثم خرج إليه بحقه فدفعه إليه .

فأقبل الإراشىّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لى بحقى .

وجاء الرجلُ الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : رأيت عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أنْ ضرب عليه بابَه فخرج إليه وما معه روحه فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرح حتى أُخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا : ويلك مالك ؟ والله ما رأينا مثلَ ما صنعته قط . قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضَرب علىَّ بابى فسمعتُ صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه

وإنَّ فوق رأسه لَفحلاً من الإبل مارأيتُ مثل هامته ولاقصْرته ولاأنيابه لِفحل قط، والله لوأَبَيْتُ لأَكلني(١) .

[تفسير الغريب]

الإراشي هذا : اسمه كَهْلة الأَصغر بن عصام بن كهلة الأكبر ينسب إلى جد له اسمه إراشة .

قال الرشاطيّ : رأيته بخط عبد الغنى بن سعيد بفتح الهمزة ، وضبطَه ابن الأَثير بكسرهَا فى جامعه .

من رائحة أى بقية روح قال السهيلى : فكأن معناه روح باقية .

انتُقع لونُه مبنى للمفعول أى تغير لونه .

هامته : بتخفيف الميم : الرأس . قصرته أصل عنقه .

* * *

وروى محمد بن عمر الأَسلمى عن يزيد بن رُومان ، وأبو نعيم عن أَبى يزيد المدَنى ، وأَبى فرعة الباهلىّ ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد معه رجال من أَصحابه إذ أَقبل رجلٌ من زُبَيْد يقول : يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المـادَّة أَو يُجْلب إليكم جَلَبٌ أَو يحلّ تاجر بساحتكم وأَنتم تَظْلمون من دخل عليكم فى حَرَمكم ؟ يقف على الحَلَق حَلْقة حَلْقة ، حتى انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى أَصحابه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن ظَلمك ؟ فذكر أنه قد قدِم بثلاثة أَجْمَال كانت خير إبله فسامه أَبو جهل ثُلُث أثمانها ، ثم لم يَسُمْه بها لأَجل أَبى جهل أَحدٌ شيئا ثم قال : فأَكْسَد علىّ سِلْعتى وظلَمنى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأَين جِمَالك ؟ قال هى هذه بالحَزْوَرة . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أَصحابه فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فُرْهاً فساوَم الزُّبَيْدى حتى أَلحقه برضاه . فأَخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فباع جَملين منها بالثمن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٨٩ .

وأفضل بعيرا باعه وأعطى أراملَ بنى عبد المطلب ثمنه ، وأبو جهل جالس فى ناحية السوق لا يتكلم ثم أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمرو إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابى فترى منى ما تكره فجعل يقول : لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبل أميةُ بن خَلَف ومن حضر فقالوا : ذَلَلْت فى يدى محمد فإما أن تكون تريد أن تَتْبعه وإما رُعْب دَخلك منه . فقال : لا أتبعه أبداً إن الذى رأيتَ منى لِمَا رأيت معه ، قد رأيت رجالاً عن يمينه وشِماله معهم رِماح يَشْرعونها إلىّ لو خالفتُه لكانت إياها . أى لأتَوْا على نَفْسى .

زُبَيْد : بزاى مضمومة فباء موحدة مفتوحة .

المادّة : بتشديد الدال[1] .

أو يَحُل : بضم الحاء أى يَنْزل .

خير إبله : بتشديد المثناة التحتية وتخفيفها أى أفضلها .

الحزْوَرة : بحاء مهملة مفتوحة فزاى ساكنة فواو فزاء مفتوحتين فتاء تأنيث وزن قَسْوَرة وتقدم الكلام على ذلك بأبسط مما هنا .

فُرْهاً بضم الفاء وإسكان الراء والفاره : الحاذق بالشىء . يَشْرعونها : أى يميلونها .

---

(١) المادة هنا : السلع والتجارات .

الباب الرابع والعشرون

فى وفد النصارى الذين أسلموا

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى اللهعليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريبا من ذلك من النصارى حين بلَغهم خبرهُ من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه فكلَّموه وساءلوه ، ورجالٌ من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مَسْأَلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أَرادوا دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآنَ فاضت أَعينهُم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدَّقوه وعرَفوا منه ما كان يُوصَف لهم فى كتابهم من أَمْرِه .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيَّبكم الله مِن رَكْبٍ !بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتادون لهم لتأْتوهم بخبر الرجل . فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال ؟! ما نَعْلم رَكْبًا أحمقَ منكم . أو كما قالوا لهم .

فقالوا : سلامٌ عليكم لا نُجَاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نَأْلُ أنفسَنا خيراً .

ويقال إن النفر كانوا من أهل نَجْران . فالله أَعلم أَىّ ذلك كان .

فيقال : والله أَعلم – إن فيهم نزلت هذه الآيات : «الذين آتَيْناهم الكتابَ مِنْ قَبْله » أَى القرآن . «هُمْ به يؤْمنون . وإذا يُتْلَى عليهم » القرآنُ « قالوا آمنَّا به إنه الحقُّ مِن ربِّنا إنا كُنَّا مِنْ قَبْله مُسْلمين » موحِّدين . « أُولئك يُؤْتَوْن أَجْرَهم مرَّتين » بإيمانهم بالكتابين « بما صَبروا » بصَبْرهم على العمل بهما « ويَدْرَءُون » أَى يدفعون « بالحسَنةِ السيئة » منهم « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون » يتصدقون « وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْو » الشتم والأَذى من الكفار « أَعْرَضُوا عنه وقالوا لنا أَعمالُنا ولكم أَعمالُكم سَلَامٌ عليكم » سلامَ مُتَارَكة أَى سلمتم منا من الشتم

وغيره « لانَبْتَغى الجاهلين [1]» لانصحبهم .

قال ابنَ إسحاق : وقد سألتُ ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزَلْنَ فقال لى : مازلت أسمع من علمائِنا أنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه . والآيات من سورة المائِدة قول الله عز وجل : « ولَتَجدَنَّ أقْرَبهم مَودَّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نَصارى ، ذلك » أى قرب مودتهم المؤمنين « بأَنَّ» أى بسبب أن « منهم قِسِّيسين » علماء « ورُهْباناً » عُبَّاداً « وأنهم لايَسْتكبرون » عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهلُ مكة « وإذا سَمِعوا ما أُنْزِل إلى الرسولِ » من القرآن « تَرى أَعينَهم تَفيضُ من الدَّمْع مِمَّا عَرَفُوا من الحق »[2] الآيات .

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم : بلدة معروفة ، كانت منزلا للنصارى ، وهى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة .

الأَنْدِية : جمع نادٍ وهو متحدَّث القوم .

يَرْتادون لهم : يطلبون لهم الأَخبار .

الحُمْق : بإسكان الميم وضمها : قِلَّةُ العقل .

لم نَأْلُ أنفسنا خيرا : أى لم نقتصر بها عن بُلوغ الخير ، يقال ما أَلَوْت ، أى ما فعلت كذا وكذا ، أى ما قصرت .

---

(١) سورة القصص ٥٢ — ٥٥

(٢) سورة المائدة : ٨٢ و ٨٣ .

الباب الخامس والعشرون

فى سبب نزول أول سورة « عَبَس »

روى الترمذى وحسَّنه وابن المنذِر وابن حبّان عن عائشة وعبد الرزاق وعَبد بن حُمَيْد ، وأبو يَعْلَى عن أنس ، وابنُ جرير وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس ، وسعيد بن منصور عن أبى مالك ، وابنُ سعد وابن المنذر عن الضحَّاك ، وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى رجلاً من أَشراف قريش فدعاه إلى الإسلام وهو يرجو أن يُسْلم . قال ابن إسحاق : وهو الوليد بن المغيرة . وقال أَنس وأَبو مالك : أُمية بن خَلَف . وقالت عائشة ومجاهد : كان فى مَجْلس فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعُتْبة بن ربيعة وأُمية بن خَلف فيقول لهم : أليس حسناً ما جئتُ به ؟ فيقولون بلى والله . وفى رواية هل ترون بما أَقول بَأْساً ؟ فيقولون : لا .

فجاء ابنُ أمِّ مَكْتوم الأَعمى وهو مشتغل بهم فسأَله ولم يَدْر أَنه مشغول بذلك وجعل يستقرئه القرآنَ ويقول : يا رسول الله أَرشِدْنى علِّمنى مما علَّمك الله . فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أَضْجَره . وذلك أَنه شَغله عما كان فيه من أَمْر أُولئك النفر وما طمع فيه من إسلامهم . فلما أَكثَر على رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفَ عن ابن أُم مكتوم وتركه .

فعاتبه الله تعالى فى ذلك فقال « عَبَس » النبيُّ صلى الله عليه وسلم كلَح وجهه « وتولَّى » أَعرض لأَجْل « أَنْ جاءه الأَعْمَى » عبد الله بن أُم مكتوم .

قال السُّهيلى : وفى ذِكْره إياه بالعَمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العَتْب لأَنه قال : « أن جاءه الأَعمى » فذكر المجىء مع العَمى . وذلك كله يُنْبِىء عن تجشّم كُلْفة ومن تجشَّم القَصْدَ إليك على ضَعْفه فحقُّك الإقبال عليه لا الإعراضُ عنه . وفائدة أُخرى : وهى تعليق الحكم بهذه الصفة متى وجدت وجب تركُ الإعراض ، فإذا كان النبى

صلى الله عليه وسلم معتوبا على تولِّيه عن الأعمى فغَيْره أحقٌّ بالعَتْب (١) .

« وما يُدْريك » يُعْلمك « لَعَلَّه » أى الأعمى أو الكافر « يَزَّكَّى » فيه إدغام التاء فى الأصل فى الزاى « أو يَذَّكَّر » أى يتعظ « فتنفعُه الذكرى » العظة المسموعة منك . وفى قراءة بنصب تنفعه جواب الترجِّى .

« أمّا من استغنى » بالمال . فأنت له تصدَّى . وفى قراءة بتشديد الصاد وبإدغام الثانية فى الأصل فيها ، أى تُقْبل وتتعرَّض « وما عليك ألاَّ يَزَّكَّى » يؤمن « وأما من جاءك يسعى » حال من فاعل جاء « وهو يَخْشَى » اللهَ حالٌ من فاعل يسعى وهو الأعمى . « فأنت عنه تلَهَّى » فيه حذف التاء الأخرى فى الأصل أى تتشاغل « كلاَّ » لا تفعل مثلَ ذلك .

فلما نزلت هذه الآيات دعاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأكرمَه . واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة كما ذكره أبو عمر . ويأتى بيانها فى ترجمته عند ذكر مؤذِّنيه صلى الله عليه وسلم . وكان يقول له إذا جاءه : مرحباً بمَنْ عاتبنى فيه ربى ! ويَبْسُط له رداءه .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما ذكرتْه عائشةُ ومجاهد جامعٌ بين الأقوال السابقة فى تفسير الْمُبْهَمْ .

الثانى : قال الحافظ : لم يختلف السَّلَفُ فى أن فاعل « عَبس » النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأغْرَب الداوودىُّ فقال : هو الكافر .

الثالث : من الغرائب قولُ القاضى أبى بكر بن العربىِّ : قولُ علمائنا : إن الرجل المبهم الوليد بن المغيرة وقال آخرون إنه أُمية بن خلف والقياس على هذا كله باطل وجَهْل من المفسرين .وذلك أن أُمية والوليد كانا بمكة وابن أُم مكتوم كان بالمدينة وماحضر معهما ولاحضَرا معه ، وكان موتهما كافرين أحدهما قبلَ الهجرة والآخر فى بدر ولم يقصد قط أُميةُ المدينةَ ولا حَضر عنده مُفْرَدا ولا مع أحد كذا نقله عنه تلميذه السُّهيلىّ والقرطبى وأقرَّاه .

وهو كلامٌ خرجَ من القاضى عن غير رويّة لأن ابن أُم مكْتوم من أهل مكة بلا خلاف ،

---

(١) الروض الأنف ١/٢٢٨ .

وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين . أسْلَم قديما وكان من المهاجرين الأولين ، قَدِم المدينة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل بل بعدَه وصحَّحوا الأول ، وسورة عبس مَكِّية بلا خلاف ، فأى شيء يمنع من اجتماع ابن أم مكتوم والوليد أو أمية ؟

ثم القائل لذلك إنما هو الصحابة والتابعون كما تقدم ، نقل ذلك عنهم وهم أَعْلَم من غيرهم ، ولو كانت سورة عبس نزلت بالمدينة أو أن ابن أم مكتوم أسْلَم بها لصح ما قاله ، والحالُ أن الأمر بخلاف ذلك ولم أرَ من نبَّه على ذلك . وعجبتُ من سكوت صاحب الزَّهْر عن ذلك مع أنه يناقش فى أسْهَل شيء .

الرابع : من الغرائب أيضا قولُ السُّهيلى : إن ابن أم مكتوم لم يكن آمن بعدُ أى حين أنزلت سورة عبَس وبسط الكلام على ذلك .

قال فى الزهر : ينبغى أن يُتَثبَّت فى هذا الكلام ، فإنى لم أر من قاله جزما ولا نَقْلا من مؤرخ ومفسِّر . فيُنْظَر قولُ جميعهم فيه : قديمُ الإسلام يردّه .

قال : ثم إن السُّهيلى أكدَّ ذلك بقوله : استدنينى يا محمد . ولم يقل يا رسول الله . قال مُغْلَطاى ، ولفظة « استدنينى يا محمد » لم أرها ، فتُنْظر .

قلت : أما لفظ السيرة التى شرحها السهيلى : فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآنَ . ولفظ رواية الترمذى وحسَّنها وصححها ابنُ حبّان عن عائشة : فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى . الخ ولفظ رواية ابن عباس عند ابن مردويه : فجعل عبدُ الله يستقرىء النبيَّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن . قال يا رسول الله علِّمني مما علَّمك الله .

الباب السادس والعشرون

فى سبب نزول « قل يـأيها الكافرون »

روى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس ، وابن جرير وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف عن سعيد بن مينا ، وعبد الرزاق عن وهب ، و[1] عن ابن إسحاق قالوا :

اعترض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسودُ بن المطَّلب والوليدُ ابن المغيرة وأُمية بن خلف والعاصى بن وائل السهمى ، وكانوا ذوِى أَسنان فى قومهم فدَعوه إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك يا محمد وكُفَّ عن شَتْم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإنا نَعْرض عليك خَصْلةً واحدة فيها صَلاحٌ . قال ما هى ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ونَعْبد إلٰهك سنةً . وفى لفظ : هلمّ يا محمد فلنَعْبد ما تعبد وتَعْبد ما نَعْبد فنشترك نحن وأنت فى الأَمر ، فإن كان الذى نعبده خيرا مما تعبد كنت قد أَخذت منه بحظك ، وإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظِّنا .

فأَنزل الله تعالى : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبدُ » فى الحال « ما تعبدون » من الأَصنام « ولا أَنتم عابدون » فى الحال « ما أَعْبدُ » وهو الله تعالى وحده « ولا أنا عابدٌ » فى الاستقبال « ما عَبْدتم ولا أَنتم عابدون » فى الاستقبال « ما أعبد » علِم الله تعالى منهم أَنهم لا يؤمنون وإطلاق « ما » على الله تعالى على جهة المقابلة « لكم دِينكم » الشِّرْك « ولِيَ دِين » الإسلام ؛ وهذا قبل أن يُؤْمر بالحرب ، وحذف ياء الإضافة السبعةُ ، وقفاً ووصلا وأثبتها يعقوب فى الحالين[2].

---

(١) بياض بالأصول . والخبر فى سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

(٢) تفسير الطبرى : ٢١٤/٣٠ (ط الأميرية) .

الباب السابع والعشرون

فى سبب نزول أول سورة الروم

روى الإمام أحمد والترمذى وحسّنه ، والنسائى والبيهقى والضياء المقْدسى عن ابن عباس وابن جرير والبيهقى من وجهٍ آخر عنه ، وابن جرير عن ابن مسعود وأبو يعلى وابن أبى حاتم عن البرَاء بن عازب ، والترمذىُّ وصححه والطبرانى عن نِيار – بنون مكسورة فمثناة تحتية مخففة – ابن مُكْرَم – بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء – وابنُ عبد الحكَم فى فتوح مصر . وابنَ أبى حاتم عن ابن شهاب ، وابن جرير عن عِكْرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الأَرض . وأدنى الأَرض يومئذ أَذْرعات بها التقوا . فهُزمت الرومُ . فبلَغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأَصحابَه وهو بمكة ، فشقَّ ذلك عليهم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أَن يظهر الأُميُّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفارُ بمكة وشمتوا . فلقوا أَصحابَ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أَهلُ كتاب وقد ظهر إخواننا من أَهل فارس على إخوانكم من أَهل الكتاب ، وإنكم إذا قاتلتمونا لنَظهرنَّ عليكم .

فأَنزل الله تعالى : « أَلم[1] » الله أَعلم بمراده به « غُلبت الرومُ » وهم أَهل كتاب غلبَتها فارس وليسوا أَهل كتاب بل يعبدون الأَوثان « فى أَدْنَى الأَرض » أى أقرب أَرض الروم إلى فارس بالجَزيرة . التقى فيها الجيشان والبادىء بالغزو الفُرْس .

« وهم » أى الروم « من بعد غَلَبهم » أَضيف المصدر إلى المفعول ، أى غلبة أَهل فارس إياهم « سيَغْلبون » فارسَ « فى بِضْع سنين » هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر ، فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأَول وغلبت الرومُ فارسَ .

« لله الأَمرُ من قَبْلُ ومن بعدُ » من قبل غلَب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأَمر الله أى بإرادته « ويومئذ » أى يوم يَغْلب الرومُ « يفْرح

---

(١) سورة الروم ١ – ٦

المؤمنون بنصر الله » إياهم على فارس ، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يومَ وقوعه يومَ بَدْر ونزول جبريل بذلك مع فَرحهم بنصرهم على المشركين فيه « يَنْصر من يشاء » نُصْرتَه « وهو العزيزُ » الغالب « الرحيم » بالمؤمنين « وَعْدَ الله » مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعَدهم الله النصرَ « لا يُخْلف الله وَعْدَه » به « ولكنّ أكثر الناسِ » كفار مكة « لا يعلمون » وعده تعالى بذلك .

فلما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبي بكر : ألا ترى إلى ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس . قال : صدَق صاحبي . وفى رواية : فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يُقرّ الله عَيْنكم فوالله ليَظهرنّ الرومُ على فارس أخبرنا بذلك نبينا فقام إليه أُبَيُّ بن خَلف فقال : كذَبْتَ. فقال أبو بكر : أنت أكْذَب يا عدو الله . قال : أُنَاحبك عَشْر قَلائص منيّ وعَشْر قلائص منك ، فإن ظهرت الرومُ على فارس غرمتُ وإن ظهرت فارسُ غرمتَ إلى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايِدْه فى الخَطَر[1] ومادّه فى الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أُبَيًّا فقال : لعلك ندمتَ ؟ قال : لا . قال تعالَ أزيدك فى الخَطَر وأمادّك فى الأجل فأجعلها مائة قَلُوص بمائة قلوص إلى تسع سنين . قال فعلت . وذلك قبل تحريم الرِّهَان ، فلما خشى أُبَيُّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزِمه وقال : إنى أخاف أن تخرج من مكة فأقِم كفيلاً فكفَلَه ابنه عبدُ الله . فلما أراد أُبَيُّ بن خَلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله ابن أبي بكر وقال له ؛ لا والله لا أدَعك تخرج حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا . فخرج إلى أُحُد ثم رجع إلى مكة وبه جراحةٌ جَرحه النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين بارزه يوم أُحد فمات منها بمكة ، وظهرت الرومُ على فارس فغلب أبو بكر أُبيًّا وأخذ الخطر

---

(١) الخطر : السبق يتراهن عليه .

من ورثته ، فجاء يحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا سُحْت تصدَّق به .

أُنَاجِبُك : بالحاء المهملة والباء الموحدة : أى أُراهنك .

القَلاَئص : بقاف فلام مفتوحتين فهمزة مكسورة فصاد مهملة : مفرده قَلُوص وهى الناقة الشابة .

الباب الثامن والعشرون

فى وفاة أبى طالب ومَشْى قريش
إليه ليكفَّ عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور أنه مات قبل موت خديجة وكان موتهما فى عام واحد قبل مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين[1] .

وقال صاعد فى كتاب « الفُصوص » : بعد ثمانية وعشرين يوماً من خروجهم من الشِّعْب .

وقال ابن حزم : توفى أبو طالب فى شوال فى النصف منه .

وروى ابن أبى شيبة والإمام أحمد والترمذى وصححه عن ابن عباس ، وابنُ جرير وابن أبى حاتم عن السُّدِّى ، والبخارى والبيهقى عن سعيد بن المسيِّب عن أبيه ، ومسلم والبيهقى عن أبى هريرة : أن أبا طالب لما اشتكى وبلغ قريشٌ ثِقَلَه قال بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأْخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأْمن أن يبتزُّونا أمْرَنا .

فمشوا إلى أبى طالب فكلَّموه : وهم أشرافُ قومه ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ابن هشام ، وأُمية بن خلَف . وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمتَ وقد حضَرك ما ترى وتخوَّفْنا عليك وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادْعه وخُذْ له منا وخذ لنا منه ليكفَّ عنا ونكفَّ عنه ، وليَدعَنا ودِينَنا وندعَه ودينَه .

فبعث إليه أبو طالب ، فجاء النبىُّ صلى الله عليه وسلم فدخل البيتَ وبينهم وبين أبى طالب قَدْر مَجْلس رَجُل ، فخشى أبو جهل إن جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى

---

(١) سيرة ابن كثير ١٢٢/٢ .

طالب أن يكون أرقَّ عليه ، فوثب أبو جهل فجلس فى ذلك المجلس ، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قُرْب عمِّه ، فجلس عند الباب . فقال : يابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم كلمة واحدة يُعْطونيها يَمْلكون بها العربَ وتدين لهم بها العَجمُ . وفى رواية : تدين لهم بها العربُ وتؤدِّى إليهم بها العجمُ الجزيةَ . ففزعوا لكلمته ولقوله . فقال القوم : كلمة واحدة ؟ قال : نعم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك عشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه . فصفَّقوا بأيديهم ثم قالوا : يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن أمرك لعَجب .

ثم قال بعضهم لبعض : ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

فأنزل الله فيهم أول سورة « صٓ » .

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يابن أخى ما رأيتك سألتهم شَحْطًا . فلما قالها طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول : أىْ عم فأنت فقلها أستحلُّ لك بها الشفاعةَ يوم القيامة فلما رأى حرصَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك قال : لولا مخافة السُّبة عليك وعلى بنى أبيك من بَعْدى وأن تظن قريشٌ أنى إنما قلتها جزَعًا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرَّك بها .

وذكر ابن الكَلْبى أن أبا طالب لما حضرتْه الوفاةُ جمع إليه وجوهَ قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم إلْب . وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البَنِيَّة فإن فيها مرضاة للرب وقِوَاما للمعاش وثباتا للوطأة . صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن فى صلة الرحم مَنْسَأة فى الأجل وزيادة فى العدد ، واتركوا البغىَ والعقوقَ ففيهما هلكت القرونُ قبلكم ، أجيبوا الداعى وأعطوا السائِل فإن فيهما شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومَكْرمة فى العامّ ، وإنى أوصيكم بمحمد

خيرا فإنه الأمين فى قريش والصدّيق فى العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، وايم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البرّ فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدَّقوا كلمته وعظَّموا أمره فخاض بهم غمراتِ الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودُورها خراباً وضعافها أرباباً وأعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحْظاهم عنده . قد مَحضَتْه العربُ ودَادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيَادها ، دونكم يا معشر قريش ابنَ أبيكم كونوا له ولاة ، ولحربه حُمَاة . والله لا يَسْلك أحدٌ منكم سبيلَه إلا رَشد ولا يأْخذ أحدٌ بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأْخير لكفيت عنه الهزَاهزَ ولدافعت عنه الدواهى .

ثم إن أبا طالب مات بعد ذلك.

وروى الشيخان عن المسيّب بن حَزْن رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبدَ الله بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد – وفى لفظ : أُحَاجّ – لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب أترْغب عن مِلّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعْرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبَى أن يقول : لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك . فأنزل الله بعد ذلك : « ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قُرْبَى من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحابُ الجحيم »[1] ونزل فى أبى طالب : « إنك لاتَهْدى من أَحْبَبْت ولكنّ الله يَهْدى من يشاء وهو أَعْلَم بالمهتدين[2] » .

ورويا أيضا عن العباس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إن أبا طالب كان يَحُوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجتُه إلى ضَحْضاح منها[3] .

---

(١) سورة التوبة ١١٣ .

(٢) سورة القصص ٥٦ . والحديث فى صحيح البخارى كتاب المناقب ، وكتاب التفسير (سورة التوبة) وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٩ . (٣) صحيح البخارى كتاب المناقب . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٨ .

وفى لفظ : « ولولا أنا لكان فى الدَّرْك الأسفل من النار » .

وروى البخارى عن أبى سعيد رضى الله عنه أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وذُكر عنده عمُّه ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيُجعل فى ضَحْضاح من النار يبلغ كعْبَيه يغلى منه دماغُه .

وفى لفظ : أمّ دماغه » .

وروى الشيخان وابن إسحاق عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أَهْوَنَ أَهلِ النارِ عذاباً يوم القيامة لَرجلٌ يوضع فى إخمص قدميه جَمْرة - وفى لفظ على إخمص قدميه جمرتان .

وفى لفظ عند مسلم : له نَعْلان وشِرَاكان من نار يَغْلى منهما دماغه . وفى لفظ : يغلى دماغه من حرارة نَعْله .

وفى لفظ عند ابن إسحاق : حتى يسيل على قدميه . وفى لفظ عند البخارى : لا يرى أن أحدًا أَشدّ عذابا منه وإنه لَأَهْونهم[1] .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهون أَهل النار عذابا أبو طالب وهو مُنْتعل بنعلين يَغْلى منهما دماغُه » .

وهذه الأَحاديث الصحيحة تبين بُطْلان ما نقل عن العباس أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .

قال البيهقى وأبو الفتح والذهبى : وقد أسلم العباسُ بعد وسأَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن حال أَبى طالب ، أى كما تقدم قريبا .

ولو كانت هذه الشهادة عنده لأَدَّاها بعد إسلامه وعلم حال أَبى طالب ولم يسأَل عنه ، والمعتبَر حالة الأَداء دون التحمّل .

وقال الحافظ : لو كان أَبو طالب قال كلمة التوحيد ما نَهى الله تعالى نبيَّه عن الاستغفار له .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم حديث رقم ٣٦٢ - ٣٦٤ .

وروى عبد الرزاق والفِرْيابي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « وهم يَنْهون عنه ويَنْأَوْن عنه وإن يُهْلكون إلاَّ أنْفُسَهم »[1] . نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويَنْأَى عما جاء به .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه عن علىّ رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله مات عمُّك الضالّ . وفى لفظ أن أبا طالب مات فقال النبي – صلى الله عليه وسلم : اذهب فواره . قال : فلما واريتُه جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قال اغتسل[2] .

وبما ذكر أيضا تبين بطلان ما نقله المسعودى المؤرخ أنه أسلم ، لأن مثل ذلك لا يعارض الأحاديثَ الصحيحة .

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال السهيليُّ : الحكمة فى كون أبى طالب منتعلا بنعلين من نار أن أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته إلا أنه كان مثبِّتا لقدمَيْه على مِلَّة عبد المطلب حتى قال عند الموت : هو على ملة عبد المطلب فسلِّط العذابُ على قدميه خاصةً لتثبيته إياهما على ملة آبائه .

الثانى : قال الحافظ : الآية التى فيها النهيُ عن الاستغفار نزلت بعد موت أبى طالب بمدة وهى عامة فى حقه وحق غيره ، ويوضح ذلك ما عند البخارى فى كتاب التفسير بلفظ : فأنزل الله بعد ذلك . إلى آخره .

الثالث : إنما عَرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن يقول لا إله إلا الله . ولم يقل فيها : محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة . ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ، ولكن كان لا يقرّ بتوحيد الله تعالى ولهذا قال فى أبياته النونية :

---

(١) سورة الأنعام ٢٦ .

(٢) مسند أحمد ١/٩٧ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ . وسنن النسائى كتاب الجنائز .

ودعَوْتني وعلمتُ أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثمَّ أمِينًا

فاقتصر على أمره له بقول : لا إله إلا الله ، فإذا أقر بالتوحيد لم يتوقف عن الشهادة بالرسالة له .

الرابع : من عجيب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلامُ من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وهم : أبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العُزَّى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس رضى الله عنهما .

الخامس : زعم بعض غُلَاة الرافضة أن أبا طالب أسلم ، واستدل بأخبارٍ واهية ردَّها الحافظ فى الإصابة فى القسم الرابع من الكنى .

السادس : قوله : « لعله تنفعه شفاعتى » . ظهر من حديث العباس وقوعُ هذا الترجِّى واستشكل قوله : « تنفعه شفاعتى » بقوله تعالى : « فما تَنْفعهم شفاعةُ الشافعين[1] » وأُجيب بأنه خُصَّ ولذلك عدُّوه فى خصائص النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : معنى المنفعة فى الآية يخالف معنى المنفعة فى الحديث ؛ والمراد بها فى الآية الإخراج من النار ، وفى الحديث المنفعة بالتخفيف وبهذا الجواب جَزم القرطبىُّ .

وقال البيهقى فى البعث : صحت الرواية فى شأن أبى طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية .

ووجْهُه عندى أن الشفاعة فى الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق فى أنه لا يَشْفع فيهم أحد ، وهو عامٌّ فى حق كل كافر ، فيجوز أن يُخَص منه من ثبتَ الخبرُ بتخصيصه .

قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن يضع الله تعالى عن بعض الكفار بعضَ جزاء معاصيهم تطييبًا لقلب الشافع لا ثوابا للكفر ، لأن إحسانه صار بموته على الكفر هباءً .

وقال القرطبى فى المُفْهِم : اختلف فى هذه الشفاعة هل هى بلسان قولىّ أو بلسان حالىّ ،

---

(١) سورة المدثر ٤٨ .

والأول يُشكل بالآية ، وجوابه جواز التخصيص . والثانى أن يكون معناه أن أبا طالب لما بالَغ فى إكرام النبى صلى الله عليه وسلم والذبِّ عنه جُوزِى على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها سببَه .

ويجاب عنه أيضا : أن المخفَّف عنه لم يجد أمر التخفيف ، فكأنه لم ينتفع بذلك..

ويؤيد ذلك ما تقدم من أنه يَعْتقد أنه ليس فى النار أشدَّ عذابا منه ، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال ، فالمعذَّب لاشتغاله بما هو فيه يَصْدُق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف .

السابع : فى بيان غريب ما سبق :

يدين : أى يطيع ويخضع .

يبتزُّونا أمرَنا : بفتح التحتية فباء موحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فزاى مشددة مضمومة ، يقال ابتزَّه يبتزُّه أى استلبه وبزَّه يبزُّه أى سلَبه . ومنه : من عَزَّ بَزَّ أى من غلَب أخذ السَّلَب .

شحْطًا : بشين معجمة فحاء ساكنة فطاء مهملتين: أى بعدًا . يقال شحط يشحط شحطًا وشحوطا ويقال شحط المزارُ وأشحطتُه أبعدتُه ، ومعنى الكلام : ما سألتهم شيئا بعيدا عليهم التماسُه وتناوله ، بل هو أمرٌ قريب .

السُّبة بسين مهملة مضمومة فباء موحدة مشددة مفتوحة فتاء تأنيث : العار الذى يُسبُّ به . ورجل سبّة أى تسبه الناس .

خرَعًا : بخاء معجمة فراء فعين مهملتين : وهو الخَور والضعف ، وتروى بالجيم والزاى وهو الخوف .

أمَا والله : قال النووى : فى كثير من الأصول أو أكثرها بالألف وغيرها : أم والله بلا ألف ، وكلاهما صحيح قال ابن الشجرىّ فى أماليه : «ما» المزيدة للتوكيد ركّبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعهما على وجهين : أحدهما : أن يراد به معنى حقا فى قولهم: أمَا والله لأفعلن . والآخر : أن تكون افتتاحًا للكلام بمنزلة ألاَ كقولك أمَا إن زيدًا منطلق وأكثر ما تحذف الألف إذا وقع بعدها القسم ليدلُّوا على شدة اتصال الثانى بالأول ، لأن

الكلمة إذا بقيت على حرف لم تقم بنفسها ، فعُلم بحذف ألف ـ «ما» افتقارُها إلى الاتصال بالهمز .

الضَّحْضَاح : بضادين معجمتين الأُولى مفتوحة وحاءين مهملتين الأُولى ساكنة ، وهو فى الأَصل مارقٌ من المـاء على وجه الأَرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار .

المِرْجَل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم : قِدْر من نحاس . وقيل يطلق على كل قِدْر يطبخ فيها .

الباب التاسع والعشرون

فى وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها

روى البخارى عن عروة قال : توفيت خديجة قبل مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم
وروى البلاذرىّ عنه قال : توفيت قبلَ الهجرة بسنتين أو قريب من ذلك[1].

وقال بعضهم : ماتت قبل الهجرة بخمس سنين . قال البلاذرى : وهو غلط .

وروى ابن الجوزى عن حكيم بن حِزَام وثعلبة بن صُعَيْر ـ بصاد فعين مهملتين مصغرا ـ أنه كان بين وفاة أبى طالب ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام[2] .

وروى الحاكم أن موتها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام .

وقال محمد بن عمر الأسلمى : توفيت لعشرٍ خلَوْن من رمضان وهى بنت خمس وستين سنة .

ثم روى عن حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بنى هاشم من الشِّعْب ودفنت بالحجون ، ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبرها ، ولم تكن الصلاة على الجنازة شُرِعت .

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضى الله عنها قالت : ماتت خديجةُ قبلَ أن تُفْرض الصلاةُ .

وكانت خديجة رضى الله عنها وزيرةَ صِدْق للنبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام وكان يَسْكن إليها ، وكانت تدْعَى فى الجاهلية الطاهرة ، وستأتى ترجمتها وبعض مناقبها فى أبواب أزواجه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنساب الأشراف ٤٠٦/١ .

(٢) الوفا لابن الجوزى ٢١٠/١ . وطبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

الباب الثلاثون

فى بعض ما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بعد موت أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع فيه فى حياة أبي طالب .

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب اعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سفيهٌ من سفهاء قريش فنثَر على رأسه تراباً فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والترابُ على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه وهى تبكى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكى فإن الله مانعٌ أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت قريش منِّى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب[1] .

وروى الطبرانى وأبو نعيم عن أبي هريرة رضوان الله عنه قال : لما مات أبو طالب تجهَّمُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمّ ما أسرَع ما وجدتُ فَقْدَك .

وروى البيهقى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما زالت قريش كاعِّين حتى مات أبو طالب[2] .

ورواه الطبرانى والبيهقى من طريق آخر عن عائشة مرفوعا .

وروى ابن سعد عن حكيم بن حزام وثعلبة بن صُعَيْر قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان . فلزم بيتَه وأقلَّ الخروجَ ، ونالت قريش منه ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه . فبلغ ذلك أبا لهب فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردت وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه لا واللات والعزَّى لا يوصَل إليك حتى أموت .

(١) سيرة ابن هشام ٤١٦/١ .

(٢) سيرة ابن كثير ١٤٦/١ عن البيهقى .

وسبَّ ابنُ الغَيْطلة النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب فنَال منه فولَّى وهو يصيح يا معشر قريش صبأَ أبو عتبة : فأقبلت قريشُ حتى وقفوا على أبى لهب فقال : ما فارقتُ دِينَ عبد المطلب ولكن أمنع ابنَ أخى أن يُضَام حتى يمضى لما يريد . قالوا : قد أحسنت وأجْملْت ووصلْتَ الرحم .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك أيامًا يذهب ويأتى لا يعترض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب . إلى أن جاء عُقْبة بن أبى معيط وأبو جهل بن هشام إلى أبى لهب فقالا له : أخبرَك ابنُ أخيك أين مُدْخَل أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يا محمد أين مُدْخَل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه فخرج أبو لهب إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه فقالا : يزعم أنه فى النار . فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ومن مات على مثلِ ما مات عليه عبدُ المطلب دخل النارَ . فقال أبو لهب : لا برِحْتُ لك عدوًّا وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

فاشتد عليه هو وسائر قريش[1] .

قال ابن إسحاق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته : أبو لهب والحكَم بن أبى العاصى بن أمية ، وعقْبة بن أبى مُعَيط وعدىّ بن الحمراء ، وابن الأصْدَاء الهُذَلى . وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحدٌ إلا الحكم بن أبى العاصى . وكان أحدهم ، فيما ذُكر لى . يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلِّى . وكان أحدهم يطرحها فى بُرمته إذا نصبت له . حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِجرًا يستتر به منهم إذا صلى[2].

وروى البخارى وابن المنذر وأبو يعلى والطبرانى عن عروة قال : سألت عمرو بن العاصى فقلت : أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حِجْر الكعبة إذ أقبل عليه عقبةُ بن أبى مُعَيْط فوضع ثوبَه على عنقه ، فخنقه خنقًا شديدا ، فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢١١ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤١٥ ، ٤١٦ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أَتَقْتلون رَجُلاً أن يقولَ ربِّى اللهُ وقد جاءكم بالبيِّنات من ربكم[1] » الآية .

زاد الأَخيران : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس فى ظل الكعبة فقال : يا معشر قريش أمَا والذى نفسى بيده ما أُرسلت إليكم إلا بالذَّبح وأشار بيده إلى حَلْقه فقال أَبو جهل : يا محمد ما كنت جَهُولا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنت منهم .

وروى البزار وأَبو يعلى[2] برجال الصحيح عن أَنس رضى الله عنه : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غُشِى عليه فقام أَبو بكر ينادى : ويلكم أَتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أَبو بكر المجنون .

وروى الشيخان والبزار والطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال «مارأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورَهْطٌ من قريش جلوس وسلاَ جزور نُحرت بالأَمس قريبا فقالوا – وفى رواية فقال أَبو جهل – من يأْخذ سَلاَ هذا الجزور فيضعه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث أَشقاهم عقبة بن أَبى معيط فجاء به فقذفه على ظهره صلى الله عليه وسلم ، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ما يرفع رأْسه ، وجاءت فاطمة رضى الله عنها فطرحته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع رأْسه فحمد الله تعالى وأَثنى عليه ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأَل سأَل ثلاثا ثم قال : اللهم عليك بالملإ من قريش ، اللهم عليك بأَبى جهل وعُتْبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عقبة وأُمية بن خلف وعُقْبة بن أَبى معيط » . وذكر السابع فلم أَحفظه . فوالذى بعثه بالحق لقد رأَيت الذين سمَّى صَرعى ببدر ثم سُحبوا إلى القَلِيب قليب بدر غير أمية بن خلف فإنه كان رجلا بادنا فتقطع قبل أَن يبلغ به إليه » .

زاد البزار والطبرانى فى الأَوسط : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة ، وكتاب التفسير (سورة غـافر) ومسند أحمد ٢/٢٠٤ .

(٢) ت : وأبو نعيم .

فلقيه أبو البخترى ومع أبى البخترى سوط يتخصّر به فلما رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنكر وجهه فقال : مالك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خلِّ عنى قال : عَلِم الله لا أُخلِّى عنك أو تخبرنى ما شأنك فلقد أصابك شىء . فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُخَلٍّ عنه أخبره قال : إن أبا جهل أمر فطرح علىّ فَرْث . قال أبو البَخْترى : هلم إلى المسجد . فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو البَخْترى فدخلا المسجد ثم أقبل أبو البَخْترى على أبى جهل فقال يا أبا الحكم أنت الذى أمرتَ بمحمد فطُرح عليه الفرث ؟ فقال : نعم . فرفع السَّوْط . فضرب به رأسه فثار الرجال بعضها إلى بعض وصاح أبو جهل : ويحكم إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه .

وروى ابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال : لقد ضربوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى غُشى عليه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

وروى البزار وأبو نعيم فى الفضائل عن على رضى الله عنه أنه قال : أيها الناس أخبرونى بأشجع الناس . قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر ، لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، هذا يجَأه وهذا يُتَلْتله وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا . قال : والله مادنا منه منّا أحدٌ إلا أبو بكر يضرب هذا ويجالِدُ[1] هذا ويتلتل هذا ويقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! ثم رفع علىٌّ بردةً كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبونى ؟ فوالله لسَاعة من أبى بكر خير من مثلى[2] مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه .

وروى الدارقطنى فى الأفراد عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال : أكثر ما نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبى طالب

يجأه : بالمثناة التحتية والجيم والهمزة : أى يضربه .

يتلتله : بمثناة تحتية ففوقية فلامين بينهما مثناة ثم هاء : أى يَخيسه ويذلله ، وخاسه : راضه .

والله تعالى أعلم .

(١) ت : ويجـأ .

(٢) ط : من مثل .

الباب الحادى والثلاثون

فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

قال موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما : ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه فى حياته خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده ماشيا .

وفى حديث جبير بن مطعم عند ابن سعد : أن زيد بن حارثة كان معه[1] ، فى ليال من شوال سنة عشر يلتمس النصرَ من ثقيف والمَنَعة بهم من قومه ، ورجا أن يَقْبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى .

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب : بنو عمرو بن عمير بن عوف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمَح . وهى صفية بنت مَعْمَر بن حبيب بن قدامة بن جمح ، وهى أم صفوان بن أمية .

فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالَفه من قومه .

فقال له أحدهم : هو يَمْرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! .

وقال الآخر : أما وجد الله أحدًا يُرْسله غيرك .

وقال الثالث : والله لا أُكلِّمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنت تَكْذب على الله ما ينبغى لى أن أُكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خَيْر ثَقِيف .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

وقد قال لهم : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ . وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه .

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يَدع أحدًا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلَّمه ، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا : يا محمد اخرج من بلدنا . وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس .

قال ابن عقبة : وقفوا[1] له صفَّين على طريقه ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوْا رجليه .

زاد سليمان التيمى : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أذْلَقتْه الحجارة يقعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجَموه وهم يضحكون .

قال ابن سعد : وزيدُ بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجَاجًا[2].

قال ابن عقبة : فخلص منهم ورِجْلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظل حُبْلة منه وهو مكروب مُوجَع وإذا فى الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لِمَا يعلم من عداوتهما لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما اطمأن فى ظل الحُبْلة قال ما سيأتى .

وروى الطبرانى برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم أتى ظلَّ شجرة فصلى ركعتين ثم قال : « اللهم إنى أشكو إليك ضَعْف قوَّتِى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تَكِلنى إلى بعيد يتجهَّمنى أو إلى عدوٍّ ملكته أمرى إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أُبَالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصَلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنْزل بى غضبَك أو تحلَّ على سَخَطك لك العُتْبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رآه ابنا ربيعة وما لقى تحركت له رَحِمهما فدعوا غلامًا لهما يقال له عَدَّاس – فقالا

---

(١) ط : وقعدوا .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٢١٢ (ط بيروت) .

له : خذ له هذا القطْف من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأْكل منه . ففعل عدّاس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله . ثم أكل . فنظر عدّاس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِن أىِّ البلاد أنت يا عدّاس وما دِينك ؟ قال : نصرانى وأنا من أهل نِينَوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس ابن مَتَّى . قال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ والله لقد خرجت منها - يعنى من أهل نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما يونُس بن متّى فمن أين عرفت أنت يونَس ابن متى وأنت أُمّىّ وفى أُمّة أُمّيّة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى . فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل ، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى . قال : ويحك يا عداس لا يَصْرفنك عن دِينك فإن دينك خير من دينه .

وقال عداس لسيديه لما أرادا الخروج إلى بدر وأمراه بالخروج معهما فقال لهما : قِتَال ذلك الرجل الذى رأيتُ فى حائطكما تريدان ؟ فوالله ما تقوم له الجبال . فقالا : ويحك يا عداس قد سَحرك بلسانه .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وهو مَحْزُون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

وقال خالد العدوانى : إنه أبصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعَيْتها فى الجاهلية وأنا مُشْرك ثم قرأْتها فى الإسلام .

قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأْتها عليهم . فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقوله حقا لاتبعناه .

رواه الإمام أحمد[1] والبخارى فى تاريخه .

وقالت عائشة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أُحد ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومكِ وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومُ العقبة ، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلاَل فلم يجبنى إلى ما أردتُ أحدٌ ، فانطلقت على وجهى وأنا مَهْموم فلم أستفِقْ إلا وأنا بقَرْن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى وقال : إن الله تعالى قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال فتأْمره بما شئت فيهم . فنادانى ملَك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملَك الجبال قد بعثنى الله عز وجل لتأْمرنى بما شئت ، إن شئت أن أُطْبق عليهم الأَخْشَبَيْن . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخْرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ولا يُشْرك به شيئا .

رواه الإمام أحمد والشيخان[2] .

وقال عكرمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جاءنى جبريل فقال يا محمد إن ربك يُقْرئك السلام وهذا ملَك الجبال قد أرسله وأمره ألاَّ يفعل شيئا إلا بأمرك . فقال له ملَك الجبال : إن شئتَ رمهت عليهم الجبال ، وإن شئت خسفتُ بهم الأَرضَ فقال : يا ملَك الجبال : فإنى آنَى بهم لعلهم أن يخرج منهم ذريةٌ يقولون لا إله إلا الله . فقال ملك الجبال : أنت كما سمَّاك ربك رءوف رحيم .

رواه ابن أبى حاتم مرسَلا .

وذكر الأموى وابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصْرته أقام بنخلة أيامًا وأراد الرجوعَ إلى مكة فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعلٌ لما ترى فرَجا ومَخْرَجا وإن الله مُظْهر دِينه وناصرُ نبيه . ثم انتهى إلى حِرَاء وبعث

(١) مسند أحمد ٣٣٥/٤ .

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق .

وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ١١١ .

عبدَ الله بن أُرَيْقط إلى الأَخْنس بن شَرِيق – وأسلم بعد ذلك فيما يقال – ليجيره فقال : أنا حليفٌ والحليف لا يُجير على الصَّرِيح . فبعث إلى سُهَيْل بن عمرو – وأسلم بعد ذلك – فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب . فبعث إلى المطْعِم ابن عدى – ومات كافرًا – فأَجابه إلى ذلك وقال : نعم قل له فليأْت . فرجع إليه فأَخبره فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أَصبح خرج المطعِم بن عدىّ وقد لبِسَ سلاحه هو وبنوه ستّة أَو سبعة . فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفْ . واحتَبوْا بحمائل سيوفهم بالمطاف فأَقبل أَبو سفيان إلى المطْعِم بن عدىّ فقال : أَمُجيرٌ أَم تابع ؟ قال : بل مُجِير . قال : إذن لا تُخْفَر قد أَجَرْنا من أَجَرْتَ . فجلس معه حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طوافَه ، فلما انصرف إلى بيته انصرفوا معه ، فذهب أَبو سفيان إلى مجلسه .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَياما ثم أَذِن له الله عز وجل فى الهجرة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم توفى المطْعِم ابن عدىّ بعده ، ولأَجل هذه السابقة التى سبقتْ للمطْعِم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو كان المطْعِم ابن عدى حيًّا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتْنَى – يعنى أسارى بدر لأَطْلقتهم له»[1] .

تنبيهات

الأول : قال ابن الجوزى : ربما عرض للمحد قليل الإِيمان فقال: ما وَجْه احتياج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى أَن يَدْخل فى خَفَارة كافر وأَن يقول فى المواسم : من يُؤْوِينى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى .

فيقال له : قد ثبت أَن الإله القادر لا يفعل شيئا إلا لحكمة ، فإذا خَفِيت حكمةُ فِعْله علينا وجب علينا التسليم . وما جرى لِرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صَدَر عن الحكيم الذى أَقام قوانين الكلِّيات وأَدارَ الأَفلاكَ وأَجْرَى المياهَ والرياح ، كلُّ ذلك بتدبير الحكيم القادر ، فإذا رأَينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ الحجرَ من الجوع ويُقْهَر ويُؤْذَى

(١) سيرة ابن كثير ١/١٥٣ – ١٥٤ عن الأموى فى مغازيه .
وليس فى سيرة ابن هشام إلا صدر هذا الخبر ، ثم قصة استماع الجن لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة .

علمنا أن تحت ذلك حِكَما إن تَلَمَّحْنا بعضَها لاحَتْ من خلال سُجُف البلاء حكمتانْ ،

إحداهما : اختبار المبْتَلَى ليَسْكُن قلبُه إلى الرضا بالبلاء فيؤدِّى القلبُ ما كلِّف من ذلك **والثانية** : أن تُبَثَّ الشبهةُ فى خلال الحُجَج ليُثَاب المجتهِد فى دَفْع الشبهة[1] .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق .

المنعَة : بفتح النون : النُّصْرة والحماية .

عَمَد : بعين مهملة فميم مفتوحة فى الماضى وفى المستقبل بكسرها : وعن الليلى[2] كسرها أيضاً فى الماضى . يَمْرط : يمزِّق .

أَمَا وحقّ : بفتح الهمزة وتخفيف الميم : حرف تنبيه واستفتاح .

خطرا : بخاء معجمة مفتوحة فطاء مهملة فراء : القَدْر والمنزلة .

أغروا : سلَّطوا . رضَخوهما : شَدخوهما .

أَذْلَقَتْه : بذال معجمة وقاف أى وجد أَلَمها ومسَّها .

شجَّ فى رأْسه : الضمير عائد على زيد .

الحائط : البستان إذا كان عليه حائِط . وهو الجدار ، وجمعه حوائِط .

حَبَلة بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين وربما سكنت الباء وهى الأَصل أَو القضيب من شجر العنب .

يتجهَّمنى : يَلْقانى بالغِلْظة والوجه الكريه .

العُتْبَى : بضم العين : الرضا .

عَدَّاس ونينوى تقدم الكلام عليهما فى شرح بدء الوحى .

مَتَّى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية مقصور .

يا سيِّدىّ بتشديد الياء تثنية سَيد .

ويحك : كلمة يتعجب بها العرب ولا يريدون بها الذمَّ .

ابن عبد ياليل بمثناة تحتية فألف فلام مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام واسمه كنانة ويقال مسعود .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢١٦/١ .

(٢) كذا فى ط ، ص . وفى ت : النيـلى .

ابن عبد كُلاَل : بضم الكاف وتخفيف اللام .

كذا فى الحديث ابن عبد ياليل والذى ذكره أهل المغازى أن الذى كلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ .

قَرْن الثعالب : بفتح القاف وسكون الراء وهو قَرْن المنازل ميقات نجد تلقاء مكة على يوم وليلة منها ، وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير .

الأَخشَبَيْن[1] : تثنية أخشب بفتح الهمزة فخاء فشين معجمتين فموحدة : الجبلان[1] .

---

(١) كذا على الحكاية فى الأخشبين وعلى تقدير مبتدأ أى : هما الجبلان .

الباب الثانى والثلاثون

فى إسلام الجن

قد تقدم فى أبواب البعثة استماعهم لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن كثير وابن حَجر : وقول من قال إن وفودهم كان بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ليس صريحا فى أولية قدوم بعضهم ، والذى يظهر من سياق الحديث الذى فيه المبالغة فى رَمْى الشهب لحراسة السماء عن استراق السمع دالٌّ على أن ذلك كان بعد المبْعَث ، وإنزال الوحى إلى الأرض ، فكَشفوا عن ذلك إلى أن وقفوا على السبب فرجعوا إلى قومهم .

ولما انتشرت الدعوة وأَسْلَم من أسلم قدِموا فسمعوا فأَسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ، ثم تعدَّد مجيئهم حتى فى المدينة[1] انتهى .

وروى محمد بن عمر الأَسلمى ، وأَبو نعيم ، عن أَبى جعفر رضى الله عنه وعن آبائه قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنُّ فى ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من النبوة .

قال ابن إسحاق وابن سعد وغيرهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خَيْر ثَقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلِّى فمر به النفرُ من الجن الذين ذكرهم الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذكر لى سبعة نفرٍ من جن أَهل نَصِيبين ، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم مُنْذرين قد آمنوا وأَجابوا إلى ما سمعوا . فقصَّ الله تعالى خبرَهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

«و» اذكر «إذ صَرَفْنا» أَمَلْنا «إليك نفرًا من الجن» جن نصيبين أَو جن نِينَوى ،

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الأحقاف) .
وفتح البارى ٨/١٧٢ (ط الحلبى) .

وكانوا سبعة أو تسعة ، وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نَخْلة يصلى بأصحابه الفجر. رواه الشيخان .

«يَسْتمعون القرآن فلما حَضَرُوه قالوا» أى قال بعضهم لبعض : «أَنصِتوا» لاستماعه فلَّما قُضِى » فرَغ من قراءته «ولَّوا» رجعوا «إلى قَوْمهم مُنْذِرين» مخَوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودًا .

«قالوا يا قومَنا إنَّا سمِعْنا كتاباً» هو القرآن «أُنْزِل مِنْ بَعْد مُوسَى مُصَدِّقا لما بَيْن يَديْه » أى تقدَّمه كالتوراة . «يَهْدِى إلى الحقِّ» الإسلام «وإلى طريق مستقيم» أى طريقه «يا قومَنا أَجيبوا داعِىَ الله» محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان «وآمِنُوا به يَغْفر» الله «لكم من ذنوبكم» أى بعضِها لأن منها المظالم ولا تُغْفَر إلا برضا أربابها . الآيات[1] .

وروى ابن أبى شَيْبة وأحمد بن مَنِيع والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقى ، عن ابن مسعود قال : هبطوا على النبىِّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأُ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا أنصتوا . قالوا صَهْ وكانوا تسعة أحدهم زَوْبعة فأنزل الله تعالى : «وإذ صرَفْنا إليك نفرًا من الجن» الآيات .

وروى ابن جرير والطبرانى عن ابن عباس قالوا كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسُلا إلى قومهم .

وروى الشيخان عن مَسْروق قال : قلت لابن مسعود : من آذَن النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : آذنَتْه بهم شجرةٌ وفى لفظ : سَمُرة[2] .

وروى محمد بن عمر الأسلمى وأبو نعيم عن كَعْب الأحبار قال : لما انصرف النفر التسعة[3] من أهل نصيبين من بطن نخلة وهم فلان وفلان[4] والأَحْقَب جاءوا قومَهم مُنْذرين فخرجوا بعدُ وافدين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثمائة فانتهوا إلى

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ – ٣١ .
والخبر فى طبقات ابن سعد ٢١٢/١ (ط بيروت) وسيرة ابن هشام ٤٢١/١ .
(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب عبد الله بن مسعود وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٣ .
(٣) ت : السبعة .
(٤) بعدها بياض فى الأصول .

الحَجُون فجاء الأَحقب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن قومنا قد حضروا الحجونَ يَلْقونك . فوعدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساعةً من الليل بالحجون .

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذى عن عَلْقَمة قال : قلت لابن مسعود : هل صَحِب النبيَّ صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجنِّ منكم أَحدٌ . قال : ما صحبه منا أَحدٌ ولكنا فقدْناه ذاتَ ليلة فقلنا استُطِير أَو اغتيل فبِتْنا بشرِّ ليلةٍ باتها قومٌ ، فلما أَصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء فقلنا يا رسول الله إنا فقدناك فطلبناك فلم نجدْك فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم . فقال : إنه أتانى داعِى الجنِّ فذهبت معهم فقرأْت عليهم القرآنَ . فانطلقَ فأَرانا آثارهم وآثار نيرانهم[1] .

وقال ابنُ مسعود أَيضاً : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : بتُّ الليلَ أَقرأُ على الجن رفقا — وفى لفظٍ : واقفًا — بالحَجُون .

رواه ابن جرير[2].

قلت : تبيَّن من الأَحاديث السابقة أَن الجن سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة فأَسلموا . فأَرسلهم إلى قومهم مُنْذِرين ، ثم أَتوه وهم ثلاثمائة[3]، فقرأَ عليهم القرآن وهذه المرّة لم يحضرها ابنُ مسعود : بل حضر فى مرة بعدها .

وروى ابنُ جرير والطبرانى وأَبو نعيم والبيهقى وغيرهم من طرق ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة : من أَحبَّ منكم أَن يحضر الليلة أَمْرَ الجن فليفعلْ . فلم يحضر منهم أَحد غيرى ، فانطلقنا فقال : إن بنى إخوة وبنى عمّ يأْتونى الليلة فأَقرأُ عليهم القرآن . فسِرْنا حتى إذا كنا بأَعلى مكة خطَّ لى برجله خطًّا ثم أَمرنى أَن أَجلس فيه وقال : لا تبرح منه حتى آتيك . ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن فغشِيَه أَسْوِدَةٌ كثيرة . وفى رواية فذكر هيئة كأَنهم الزطُّ ليس عليهم ثياب ، ولا أَرى سَوْأَتهم طِوَالا قليلا . فجئتهم فرأَيت الرجالَ ينحدرون عليه من الجبال ، فازدحموا

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٠ وصحيح الترمذى كتاب التفسير (سورة الأحقـاف) .

(٢) تفسير الطبرى ٢٦/٢١ (ط الأميرية) ونصه :

« بت الليلة أقرأ على الجن ربعا بالحجـون » .

(٣) ت : ثلاثمائة نفر .

عليه فقال سيدٌ لهم يقال له وردان : أنا أرحلهم عنك . فقال : إنى لن يُجيرنى من الله أحدٌ . فحالُوا بينى وبينه حتى ما أسمع صوته فانطلقوا فطفقوا يتقطَّعون مثلَ السحاب ذاهبين حتى بقى رَهْطٌ ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر ، فنزل ثم أتانى فقال : أُرْسلتُ إلى الجن . فقلت : فما هذه الأصواتُ التى سمعتُها قال : هذه أصواتهم حين ودَّعونى وسلَّموا علىّ . ما فعل الرهطُ ؟ فقلت : هم أولئك يا رسول الله . فسألوه الزادَ فأخذ عَظْما ورَوْثا فأعطاهم إياهما . فقال : لكم كلُّ عظم عَراق ولكم كل روثة خضرة . قالوا : يا رسول الله يَقْذِرهما الناسُ علينا . قلت : يا رسول الله وما يُغْنى ذلك عنهم ؟ فقال : إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يومَ أُكل ، ولا رَوْثة إلا وجدوا فيها حَبَّها يوم أُكلت ، فلا يَتَنَقَّيَنَّ أحدُكم إذا خرج من الخَلاء بعظم ولا بَعْرة ولا رَوْثة . فلما أصبحتُ رأيت مَبْرك ستين بعيرا[1] .

قصة أخرى

روى ابن أبى حاتم عن عكرمة فى الآية قال : هم اثنا عشر ألفا جاءوا من جزيرة الموْصِل .

وذكر أبو حمزة الثمالىّ قال : إن هذا الحىّ من الجن كان يقال لهم بنو الشَّيْصَبان ، وكانوا أكثر الجن عَددا وأشْرَفهم وكانوا عامةَ جُنْدِ إبليس .

تَنْبيهات

الأول : روى سفيانُ الثَّوْرى عن عاصم عن زِرّ عن ابن مسعود قال : كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه فى أصل نخلة . وتقدم عنه أنهم كانوا خمسةَ عشر . وفى رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم أن اسم سيدهم وردان . وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثنى عشر ألفا . فنى هذا الاختلاف دليل على تكْرار وِفَادَتهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة كما سيأتى بيان ذلك هناك .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٦/٢١
والخصائص الكبرى ١/٣٤٢ .

الثانى: فى من وقفت على اسمه من الجن الذين اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم أن اسم النفر السبعة أو التسعة على الاختلاف . فقال مجاهد كانوا سبعة ثلاثة من أهل حَرَّان وأربعة من نصيبين وكانت أسماؤهم حسى ومنسى وشاصر وما صر والأرد وإينان والأحْقَب .

رواه ابن أبى حاتم .

وقال إسماعيل ابن أبى زياد : هم تسعة : سليط وشاصر وخاضر وحسا ومسا[1] والأرقم والأدرس وحاصر[1] .

وروى البيهقى عن أبى مَعْمَر الأنصارى قال : بينا عمر بن عبد العزيز يمشى إلى مكة بفَلَاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال على بمِحْفار . فحفرَ له ولفَّه فى خِرْقة ودفنه ، وإذا بهاتف يهتف لا يرونه : رحمةُ الله عليك ياسرق فأشهد لَسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَموت ياسرق فى فلاة من الأرض فيدفنك خيرُ أُمَّتى . فقال عمر : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن ، وهذا سرق ولم يبق ممن بايعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أحدٌ من الجن غيرى وغيره ، وأشهدُ لَسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تموت ياسرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أُمتى[2].

وذكر ابن سلَّام من طريق أبى إسحاق السَّبِيعىّ - بسين مهملة مفتوحة فموحدة فمثناة تحتية - عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يمشون فرُفع لهم إعصار ثم جاء إعصار أعظم منه ثم انقشع فإذا حية قتيلة ، فعَمد رجلٌ منا إلى ردائه فشقَّه وكفَّن الحية ببعضه ودفنها ، فلما جَنَّ الليلُ إذا امرأتان تسألان : أيكما دفنَ عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى ما عمرو بن جابر قالتا : إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه ، إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو بن جابر وهو الحية التى رأيتم ، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم[3] .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عَبَّاد بن موسى ، العُكَلىّ ، حدثنا المطلب ابن

---

(١) بياض بالأصول .

(٢) الخصائص ١/٣٥٣ .

(٣) الخصائص ١/٣٥٠ بنحوه .

زياد الثقفى ، حدثنا أبو إسحاق أن ناسًا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا فى مَسِير لهم وإن حيتين اقتتلتا فقتلت إحداهما الأخرى فعجبوا من طيب ريحها وحسنها ، فقام بعضهم فلفَّها فى خرقة ثم دفنها ، فإذا قوم يقولون السلام عليكم - لا يرونهم - إنكم دفنتم عَمْرًا إن مُسْلمتنا وكفارنا اقتتلوا فقتل الكافرُ المسلمَ الذى دفنتم ، وهو من الرهط الذين أسلموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المسند والطبرانى والحاكم عن صفوان بن المعَطَّل نحوه . وفيه : أنه كان آخر السبعة[1] الذين أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا الحسن بن جهور ، حدثنا ابن أبى إياس ، وعن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن عمه ، عن معاذ بن عبد الله ابن مَعْمَر قال : كنت جالسًا عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء رجلٌ فقال : ألا أُخبرك يا أمير المؤمنين عجَبًا ؟ بَيْنا أنا بفلاة كذا وكذا إذ إعْصَاران قد أقبلاَ أحدهما من هاهنا والآخر من هاهنا فالتقيا فتعارَكا ثم تفرَّقا وإذا أحدهما أكبر من الآخر فجئت معتركهما : فإذا من الحيات شىءٌ ما رأت عيناى مثله قط . وإذا ريحُ المِسْك من بعضِها . وإذا حية صفراء ميتة فقمت فقلبت الحيات كما أنظر من أيها هو فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة . فظننت أن ذلك لخيرٍ فيها فلففتها بعمامتى ودفنتها . فبينما أنا أمشى نادانى منادٍ ولا أراه : يا عبد الله ماهذا الذى صنعت فأخبرته بالذى رأيت ووجدت . فقال : إنك قد هُدِيت ، ذانك حَيّان من الجن بنو شيبان[2] وبنو أقَيْش ، التقوا فاقتتلوا وكان بينهم ما قد رأيتَ واستُشهد الذى رأيت . وكان أحدَ الذين استمعوا الوحىَ من النبى صلى الله عليه وسلم[2].

وروى ابن أبى الدنيا وأبو نعيم من طريق بشر ابن الوليد الكِنْدى حدثنا كثير بن عبد الله أبو هاشم الناجى . قال دخلنا على أبى رجاء العُطَارِدى فسألناه : هل عندك علمٌ من الجن ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فتبسَّم فقال : أُخبركم بالذى رأيت وبالذى سمعت ، كنا فى سفر حتى إذا نزلنا على الماء فضربنا أَخْبيتنا وذهبت أَقِيل ، فإذا أنا

---

(١) ط : التسعة .

(٢) ط : بنوشعيبان .

بحية دخلت الخباء وهي تضطرب فعمدت إلى إداوتي فنضحتُ عليها من الماء فسكنتْ ، فلما صلينا العصر ماتت ، فعمدت إلى عَيْبتي فأخرجت منها خرقة بيضاء فلففتها فيها وحفرت لها ودفنتها .وسِرْنا بقية يومنا وليلتنا ، حتى إذا أصبحنا ونزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا وذهبت أَقِيل فإذا أنا بأصوات : السلام عليكم . مرتين لا واحد ولا عشرة ولامائة ولا ألف أكثر من ذلك ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الجن بارك الله عليك قد صنعتَ مالا نستطيع أن نجازيك . قلت : ما صنعتُ إليكم ؟ قالوا : إن الحية التي ماتت عندك كان آخر من بقي ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم من الجن[1].

ورواه الباوردي – بالموحدة – في معرفة الصحابة من طريق آخر وفيه أنه آخر من بقي من النفر الذين كانوا يستمعون القرآن . قال الحافظ في الإصابة : هذه القصة مغايرة لما قَبْلها وقد أثبت لكل منها الآخِريَّة ، فيمكن أن الأول مقيَّد بالتسعة . والثاني بمن استمع بناء على أن الاستماع كان من طائفتين مثلا .

قال : وقد وقع في قصة سرق أنه آخر من بايع . فتكون آخريّتُه مقيدة بالمبايعة[2] .

وروى أبو نعيم في الدلائل عن إبراهيم النَّخَعي قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تتثنَّى على الطريق ، أبيض يَنْفح منه ريحُ المسك . فقلت لأصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحية . فما لبثت أن ماتت . فعمدْتُ إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها . ثم نحَّيتها عن الطريق فدفنتها . ثم أدركت أصحابي . فوالله إنا لَقُعود إذ أقبل أربع نسوة من قِبَل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عَمْرًا ؟ قلنا : ومن عمرو ؟ قالت : أيكم دفن الحية ؟ قلت : أنا . قالت : أمَا والله لقد دفنت صَوَّاما قوَّاما يأمر بما أنزل الله ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته في السماء قبل أن يُبْعَث بأربعمائة سنة . فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجَّنا ، ثم مررت بعمر ابن الخطاب بالمدينة فأنبأْته بأمر الحية فقال : صدقتَ . سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد آمن بي قبل أن أُبْعث بأربعمائة سنة[3].

---

(١) الخصائص ١/٣٤٧ .

(٢) الإصابة ٢/٢٠ بمعناه .

(٣) الخصائص ١/٣٤٩ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد حدثني محمد بن زياد ، حدثني أبو مُصْلح الأسدى ، حدثني يحيي بن صالح ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي الجَهْم ، عن حذيفة العدَوى قال : خرج حاطب بن أبي بَلْتعة من حائط له يريد النبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالمسحاء التفت إليه عجاجتان ثم أَجْلَتا عن حيّة كيف الحوار ، يعنى الجلد ، فنزل ففحص له بِسيَة قَوْسه ثم واراه ، فلما كان الليل إذا هاتف يهتف به :

يا أيهـا الراكب المزجى مَطِيَّتَـه ... ارْبَعْ عليك سلامُ الواحـدِ الصمدِ
رأيت عَمْرًا وقد أَلْقَى كَلاكَـله ... دون العشيرة كالضِّرغامة الأَسـدِ

فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ذاك عمرو بن الجوماية وافد نصيبين لقيه مِحْصَن بن جَوْشن النصرانى فقتله ، أَمَا إنى قد رأيتها – يعنى نصيبين – فرفعها إلىّ جبريل ، فسألت الله تعالى أن يُعْذب نَهْرَها ويُطيب ثمرَها ويكثر مطرها .

والآثار فى هذا المعنى كثيرة ذكر طرفا منها الشيخ رحمه الله تعالى فى كتابه «لقط المرجان فى أخبار الجان»[1]

* * *

الثالث : أنكر ابنُ عباس رضى الله عنهما اجتماعَ النبى صلى الله عليه وسلم بالجن . ففى الصحيحين عنه قال : ما قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، انطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامِدين إلى سوق عكَاظ وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشُّهب . قالوا : ما ذاك إلا من شيء قد حَدَث فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها . فمر النفر الذين أخذوا نحو تِهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامد إلى سوق عُكَاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عَجَبًا يَهْدى إلى الرُّشْد» فأنزل الله تعالى على نبيه : «قل أُوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن» وإنما أُوحى إليه قول الجن[2] .

---

(١) وأكثرها واه لا سند له.

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الجن ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٩ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله تعالى : وهذا الذى حكاه ابن عباس إنما هو فى أول ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبى صلى الله عليه وسلم وعلمتْ بحاله ولم يرهم ، ثم أتاه داعى الجن مرة أُخرى فذهب معهم وقرأ عليهم القرآن كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

ويؤيد قولَ البيهقى أثر كعب السابق أول الباب .

قال البيهقى : وابنُ مسعود قد حفظ القصتين فرواهما .

وقال غيره : أثر ابن مسعود أَثْبَت أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن ورآهم ، فكان ذلك مقدَّماً على نَفْى ابن عباس .

وقد جاء عن ابن عباس ما يوافق ابنَ مسعود . فروى ابنُ جرير بسند جيد قوى عن ابن عباس فى قوله تعالى : «وإذ صرفْنا إليك نفرا من الجن» الآية . قال : كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسلاً إلى قومهم .

فهذا يدل على أن ابن عباس روى القصتين كابن مسعود .

* * *

الرابع : قال الحافظ : لا يعكر على قولنا حديثُ ابن عباس كان فى أول البعثة ، كما تقرر قوله إنهم رأوه يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فيحتمل أن يكون ذلك بعد[1] فرض الصلوات ليلة الإسراء لأنه صلى الله عليه وسلم كان قبل الإسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا فيصح هذا على قول من قال إن الفرض كان أولاً صلاةً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى «وسبح بحَمْد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» ونحوها من الآيات . فيكون إطلاق صلاة الفجر فى هذا الحديث باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء فتكون قصة الجن متقدمة من أول البعثة[2].

وقد أخرج الترمذى والطبرى هذا الحديث بسياق سالم عن الإشكال الذى ذكرته من

---

(١) ط : قبل فرض .

(لا يعكر على قولنا حديث ابن عباس) «ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن»

(٢) فتح البارى ١٧١/٨ .

طريق أبي إسحاق السَّبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت الجن تصعد إلى السماء يستمعون الوحي . الحديث . وتقدم هو وأحاديث أُخر تدل على أن هذه القصة وقعت أول البعثة وهو الذي تظافرت به الأخبار وهو المعتمد .

الخامس في بيان غريب ما سبق .

الإعصار : قال في الصحاح ريح تثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنّه عمود .

العُكْلي : بضم العين المهملة وسكون الكاف . الإداوة بالكسر : المِطْهرة .

أقيل : أنام وقت القيلولة وهي نصف النهار .

العَيْبة بفتح العين المهملة زنْبيل من جِلْد وما يجعل فيه الثياب .

تتثنّى : تتقلب .

المطية : المطا ، وزان العصا : الظهر ومنه قيل للبعير مطيّة فعيلة بمعنى مفعولة لأنه يركب مَطاه ذكرا كان أو أنثى ويجمع على مطى ومطَايا .

المُزْجي مطيته : السائقها .

ارْبَعْ : فعل أمر ، أي ارفق .

نصيبين : بلد معروف بأرض الجزيرة .

الباب الثالث والثلاثون

فى عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على القبائل ليؤووه وينصروه ودعائه الناسَ إلى التوحيد

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسه بالموقِف ، فيقول : ألا رجلٌ يحملنى إلى قومه فإن قريشا منَعونى أن أبلغ كلامَ ربى .

رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح[1].

قال محمد بن عمر الأسلمى: مكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول نبوته مُسْتخفيا ثم أعلن فى الرابعة فدعا الناسَ إلى الإسلام عشر سنين ، يوافى الموسمَ كلَّ عام يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه حتى إنه سأل عن القبائِل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : يا أيها الناس قولوا :لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة . وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابىء كاذب ، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : قومُك بك أعْلَم .

وقال ابن اسحاق : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أى من الطائِف وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسه فى المواسم إذا كانت ، على قبائِل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبىّ مُرْسَل ويسألهم أن يصدِّقون ويمنعوه حتى يبيِّن عن الله عز وجل ما بعثَه به[2].

وروى ابن اسحاق والبيهقى والإمام أحمد وابنه عبد الله والطبرانى برجال ثقات ، عن ربيعة بن عِبَاد ــ بكسر العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة ــ قال : إنى لَغلام شاب مع أبى بمنًى ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تَخْلعوا ما تعبدون من

---

(١) سنن أبي داود كتاب السنة باب رقم ٢٠ . وصحيح الترمذى كتاب ثواب القرآن باب ٢٤ ــ وسنن ابن ماجه المقدمة باب رقم ١٣ .
(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٢٢ .

دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثنى به . والناس متقصفون عليه ما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت . قال : وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءهم من الجن وبنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فقلت لأبى : يا أبت من هذا الرجل الذى يرد عليه ما يقول يتبعه حيث ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفر منه ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب[1] .

وروى الطبرانى عن طارق بن عبد الله قال : إنى بسوق ذى المجاز إذ مر رجل بى[2] عليه حلة من برد أحمر وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا: غلام بنى هاشم الذى يزعم أنه رسول الله وهذا عمه عبد العزى .

وروى الطبرانى برجال ثقات عن مدرك بن [منيب[3]] رضى الله عنه قال : حججت مع أبى فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هذا الصابئ . وإذا رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى فى الكبير واللفظ له عن مدرك بن منيب – بضم أوله وكسر النون وآخره موحدة – العامرىّ عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا . فمنهم من تفل فى وجهه ومنهم من حثا[5] عليه التراب ، ومنهم من سبه ، حتى انتصف النهار فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : يابنية لا تخشى على أبيك غلبة ولا ذلة . فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى جارية وضيئة[6] .

(١) سيرة ابن هشام ٤٢٣/١ . ومسند أحمد ٤٩٢/٣ .
(٢) ط : إذ مر رجل شاب .
(٣) بياض بالأصل ، وما أثبته مما ذكره المؤلف فى الرواية التالية .
(٤) ط : وإذا برسول الله .
(٥) ط : من حفن .
(٦) الذى فى التاريخ الكبير للبخارى الجزء الرابع من القسم الثانى جـ ٢ : مدرك بن منيب الأزدى عن أبيه روى عنه ابنه منيب .

وروى الطبرانى برجال ثقات نحوه عن الحارث بن الحارث .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجَاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا . وإذا رجل خلفه يَسْفى عليه الترابَ ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرّنكم هذا عن دِينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللاتِ والعزى يتبعه حيث ذهبَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفرّ منه، وما يلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : المحفوظ : أبو لهب . وقد يكون أبو جهل وَهْمًا ، ويحتمل أن يكون ذا تارةً وذا تارة ، وأنهما يتناوبان على أذيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

قلت : وهذا هو الظاهر .

* * *

وذكر ابن اسحاق عَرْضَه صلى الله عليه وسلم نفسَه الكريمة على كِنْدة وكلب وبنى عامر بن صَعْصَعة وبنى حنيفة . قال : ولم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردًّا عليه منهم .

زاد الواقدى : وعلى بنى عَبْس وغَسَّان وبنى مُحَارِب وبنى فَزَارة وبنى مُرَّة وبنى سُلَيْم وبنى نَصْر بن هوازن وبنى ثعلبة بن عُكَابة - بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة - وبنى الحارث بن كعب وبنى عُذْرة وقيس بن الخَطِيم . وساق أخبارهم .

وروى محمد بن عمر الأَسْلمى عن عامر بن سلمة الحنفى وكان قد أسلم فى آخر عُمْر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : نسأل الله أن لا يَحْرِمنا الجنة ، لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ ومجنّة وبذى المجَاز ، يدعونا إلى الله - عز وجل - وأن نمنع له ظهره حتى يبلِّغ رسالات ربه ، ويَشْرط لنا الجنَّة ، فما استجبنا له ولا ردَدْنا عليه ردًّا جميلا فخشنَّا عليه وحَلُم عنا. قال عامر : فرجعت إلى هَجَر فى أول عام فقال لى هَوْدة بن على : هل كان فى موسمكم هذا خبر ؟ قلت : رجل من قريش يطوف

---

(١) سيرة ابن كثير ٢/١٥٦ - ١٥٧ .

على القبائل يدعوهم إلى الله تعالى وحده وأن يمنعوا ظَهْره حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة . فقال هَوْذَة : من أى قريش هو ؟ قلت : هو من أَوْسَطهم نسبًا من بنى عبد المطلب . قال هودة : أهو محمد بن عبد المطلب ؟ قلت : هو هو . قال : أمّا إن أمره سيظهر على ما هاهنا . فقلت : هنا قط من بين البلدان ؟ قال : وغير ما ها هنا . ثم وافيت السنة الثانية هَجر فقال : ما فعل الرجل ؟ فقلت : والله رأيته على حاله فى العام الماضى . قال : ثم وافيت فى السنة الثالثة وهى آخر ما رأيته وإذا بأمره قد أُمِرَ وإذا ذِكْره كَثُر فى الناس . الحديث .

وروى الحاكم والبيهقى وأبو نعيم وقاسم بن ثابت عن على رضى الله عنه قال : لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَعْرِض نفسَه على قبائل العرب خرج وأنا معه . فذكر الحديث إلى أن قال : ثم دفَعْنا إلى مجلس آخر عليهم السَّكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر فسلَّم فقال : من القومُ ؟ قالوا : مِنْ شَيْبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبى وأمى هؤلاء غُرَر الناس وفيهم مَفْروق بن عمرو وهانئ ابن قَبِيصة والمثنَّى بن حارثة والنعمان بن شَرِيك ، وكان مفروق قد غَلبهم لساناً وجمالا وكانت له غَدِيرتان تسقطان على تَرِيبته ، وكان أَدْنَى القوم مجلساً من أبى بكر فقال أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قِلة . فقال أبو بكر : وكيف المَنَعة فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضبا حين نَلْقى . وأشد ما نكون لقاءً حين نَغْضب . وإنا لنُؤْثر الجِيَاد على الأولاد . والسلاحَ على اللِّقاح ، والنصر من عند الله يُديلنا مرةً ويديل علينا أُخرى ، لعلك أخا قريش ؟ فقال أبو بكر : إن كان بلَغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا . فقال مفروق إلامَ تدعونا يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى عبد الله ورسوله ، وإلى أن تُؤْوونى وتَنْصُرونى فإن قريشًا قد تظاهرتْ على الله وكذَّبت رسولَه واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنىُّ الحميد .

فقال مفروق وإلامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعتُ كلاما أحسن من هذا .

فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قل تعالَوْا أَتْلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم : أن لا تشركوا

به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نَرْزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطَن ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصَّاكم به لعلكم تَعْقلون » (١)

فقال مفروق : دعوتَ - والله - إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفَكَ(٢) قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك .

ثم رد الأمر إلى هانئ بن قَبِيصة فقال : وهذا هانئ شيخُنا وصاحبُ دِيننا .

فقال هانئ : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وإنى أرى تَرْكَنا ديننا وإتباعنا دينَك لِمَجلسٍ جلستَ إلينا لا أول له ولا آخر لَذلٌّ فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة ، إن الزلَّة مع العَجلة وإنا نكره أن نعْقد على من وراءنا عَقْدًا ولكن نرجع وترجع ونَنْظر وتنظر .

ثم كأنه أحب أن يَشْرَكه المثنَّى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حَرْبنا .

فقال المثنَّى - وأسلم بعد ذلك - قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جوابُ هانئ بن قبيصة فى تَرْكنا ديننا ومتابعتنا دِينَك وإنا إنما نزلنا بين صِرْيين : أحدهما اليمامة والآخر السمامة .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذان الصريان . ؟ قال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذَنْبُ صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان مما يلى مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نُحْدِث حَدثًا ولا نُؤْوىَ مُحْدِثا وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك ، فإنْ أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياهَ العرب فعَلْنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم فى الرد إذ أفْصَحْتم بالصدق . وإن دِين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطَه من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا

(١) سورة الأنعام ١٥١ .

(٢) كذا ضبطها المؤلف فى تنبيهاته الآتية بعد .

حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارَهم وأموالهم ويُفرِشكم نساءهم أتسبحون الله تعالى وتقدِّسونه ؟ .

فقال النعمان : اللهم فلك ذاك .

فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرا ونَذِيرا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا»[1] .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وروى سعيد بن يحيي بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه ، وأبو نعيم عن عبدالرحمن العامرى عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال : مَنِ القومُ ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة بنو كعب بن ربيعة ؟ فقال : إنى رسول الله إليكم وأتيتكم لتمنعونى حتى أبلِّغ رسالَة ربى ولا أُكْره أحدًا منكم على شىء .

قالوا : لا نؤمن بك وسنمنعك حتى تبلغ رسالةَ ربك .

فأتاهم بيْحرة بن فراس[3] القُشَيْرى فقال : من هذا الرجل الذى أراه عندكم أنْكره ؟ قالوا : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعم أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال : ما ردَدْتم عليه ؟ قالوا : بالرَّحْب والسعة نُخْرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه أنفسنَا . فقال بَيْحرة : ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشرَّ من شىء ترجعون به ! أتعمدون إلى رَهِيق قوم طردوه وكذَّبوه فتؤْوُوه وتنصروه تُنَابذوا العْربَ عن قوس واحدة ، قومُه أَعْلَم به فبئس الرأى رأيكم . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم فالحق بقومك فوالله لولا أنك عند قومى لضربتُ عنقك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته ليركبها فغمز الخبيث بَيْحرة شاكِلَتها فقمصتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم فألْقَتْه . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر

---

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٢) دلائل النبـوة لأبى نعيم ٢٣٧ .

(٣) ط : ابن فارس .

ابن حَوْط كانت من النسوة اللاتى أسلمن بمكة جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت : يا لَعامر ولا عامر لى ، أيُصْنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظْهركم ولا يمنعه أحدٌ منكم . ؟

فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بَيْحرة واثنين أعاناه فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علَوْا وجوههم لطما .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء . فأسلم الثلاثة الذين نصَروه وقُتلوا شهداء ، وهم غطيف وغطفان ابنا سهل وعروة أو عزرة بن عبد الله ، وهلَك الآخرون[1] .

فلما صدَر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم أدركته السِّنُّ حتى لا يقدر أن يوافى معهم موسمهم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون فى ذلك فى الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأْسه ، ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تَلاف هل لذنا بها من مَطْلَب ! والذى نفسى بيده ما تقوَّلها إسماعيلىٌّ قط كاذبا وإنه[2] لَحقّ ، فأين رأْيكم كان عنكم[3] .

وروى أبو نعيم عن خالد بن سعيد عن أبيه عن جده أن بكر بن وائِل قدِم مكة فى الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : إيتهم واعرض عليهم . فأتاهم فعرض عليهم . فقالوا : حتى يجيء شيخنا حارثة. فلما جاء قال : إن بيننا وبين الفُرْس حربًا فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عُدْنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا بذى قارهم والفُرْس قال لهم شيخهم : ما اسم الرجل الذى دعاكم إلى ما دعاكم إليه ؟ قالوا : محمد . قال : فهو شعاركم . فنُصروا على الفُرْس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِى نُصِروا .

وروى محمد بن عمر الأسلمى عن جَهْم بن أبى جهم أن رسول الله صلى الله عليه سلم وقف على بنى عامر يدعوهم إلى الله تعالى ، فقام رجل منهم فقال له : عجبا لك والله قد

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٤٣ . وسيرة ابن كثير ١/١٦٠ . ثم قال ابن كثير : وهذا أثر غريب كتبنـاه لغـرابتـه .

(٢) ط : وإنها .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ .

أَعْيَاك قومُك ثم أَعياك أحياء العرب كلها حتى تأْتينا وتتردَّد علينا مرةً بعد مرة ؟ والله لأَجعلنك حديثا لأَهل الموسم . ونهض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا فكسر الله ساقَ الخبيث ، فجعل يصيح من رِجْله وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو نعيم عن عبد الله بن وابصة العَبْسى عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فدعانا فاستجبنا له ، وكان معنا مَيْسرة بن مسروق العَبْسى فقال لنا : أَحلف بالله لو صدَّقْنا هذا الرجلَ وحملناه حتى نحلَّ به وسطَ رِحَالنا لكان الرأْى ، فأَحلف بالله لَيظهرّن أَمره حتى يَبْلغ كلَّ مَبْلَغ فأَبَىَ القومُ وانصرفوا . فقال لهم ميسرة : مِيلوا بنا إلى فَدَك فإن بها يهودَ نسأَلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود فأَخرجوا سِفْرهم فوضعوه ثم دَرسوا ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الأُمى العربى يَرْكب الحمارَ ويَجْتزئ بالكِسْرة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسَّبْط فى عينيه حُمْرة مُشْرب اللون . قالوا : فإن كان هو الذى دعاكم فأَجيبوه وادخلوا فى دينه فإنا نحسده ولا نتبعه ولنا منه فى مواطن بلاءٌ عظيم ، ولا يبقى أَحدٌ من العرب إلا اتبعه أَو قتله . فقال ميسرة : يا قوم إن هذا الأَمر بيِّن فأَسْلَم ميسرة(١).

وروى أَبو نعيم عن ابن رُومان وعبد الله بن أَبى بكر وغيرهما قالوا : جاء النبى صلى الله عليه وسلم كِنْدة فى منازلهم فعرض نفسه عليهم فأَبَوْا . فقال أَصغر القوم : يا قوم اسبقوا إلى هذا الرجل قبل تُسْبقوا إليه ، فوالله إن أَهل الكتاب ليحدثونا أَن نبيًّا يخرج من الحرَم قد أَظلَّ زمانه فأَبوا .

وروى البيهقى عن عاصم بن عمر بن قَتادة عن أَشياخ من قومه قالوا : قدِم سُوَيْدُ ابن الصامت أَخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجًّا أَو معتمرا ، وكان سويد إنما يسميه قومُه الكاملَ لجَلده وشِعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

أَلارُبَّ من تدعو صديقا ولو ترى ... مقالَته بالغَيْب ساءك ما يَفْرى
مقالتُه كالشَّهْد ما كان شاهدا ... وبالغيب مأْثور على ثغرة النحر

---

(١) سيرة ابن كثير ١/١٧٠ عن الواقدى .

يسرُّك باديه وتحت أديمــه تميمةُ غِش تَبْترى عَقِبَ الظَّهرِ
تُبِين لك العَيْنان ما هـو كـاتِمٌ من الغلِّ والبغضاء بالنظَر الشَّزْرِ
فرِشْنى بخيرٍ طـالَ ما قـد برَيْتَـنى وخيرُ الموالى من يَريش ولايَبْرِى[1]

فتصدَّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله تعالى وإلى الاسلام . فقال له سُوَيد : لعل الذى معك مثلَ الذى معى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مَجلَّة لُقْمان . يعنى حكمته

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ . فعرضها عليه . فقال : هـذا كلامٌ حسن والذى معى أفضل من هذا: قرآن أنزله الله تعالى هو هُدًى ونور . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ودعاه إلى الإيمان فلم يَبْعُد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدِم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلتْه الخزرج ، فإنْ كان رجالٌ قومه ليقولون إنا لَنراه قد قُتل وهو مُسْلم . وكان قَتْله قَبْل بُعَاث[2] .

تنبيـه

[فى بيان غريب ما سبق]

عُكَاظ ـ بضم العين المهملة : سوق بقرب مكة وراء قَرْن المنازل ، يُصْرف ويُمْنع.

ذى المجَاز ـ بالجيم والزاى : سوق كانت تقام فى الجاهلية على فرسخ من عرفة .

مَجَنَّة ـ بفتح الميم والجيم والنون المشددة : سوق أُخرى .

مَفْروق ـ بفتح الميم ففاء ساكنة فراء مضمومة فواو ساكنة .

هانئ ـ بالهمزة فى آخره .

قَبِيصة ـ بفتح القاف وكسر الباء الموحدة ومثناة تحتية آخره صاد مهملة .

(١) الروض الأنف ١/٢٦٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ ، وسيرة ابن كثير ١/١٧٢ .

مثنّى بن حارثة – بالحاء المهملة والثاء المثلثة : أَسْلَم المثنى بعد ذلك ، وكان سببا فى فتح العراق وأَبْلَى فيه بلاء حسنا . رضى الله عنه .

هَوْدَة – بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الدال المهملة .

قطّ : أى حَسْب .

التَّرِيبة – بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء : واحدة الترائِب وهى عظام الصدر .

رَهِيق قوم : أى سفيههم .

ذو قار – بالقاف والراء : موضعٌ به ماء معروف .

من تَلَاف (١) .

لِذُنَاباها من مَطْلب : الذنابى : وزان الخُزَامى فى الأَصل لغة فى الذَّنَب ويقال هو فى الطائِر أفصح من الذَّنَب ؛ ثم استعارها هنا للقصة .

تقَوَّلها : أدعاها .

الشِّعَار – بكسر الشين المعجمة : العلامة فى الحرب وهو ما ينادون به ليعرف بعضهم بعضا .

أَدْنَى : أَقْرَب .

المَنَعة – بفتح الميم والنون : قال فى التقريب : أى فى قوم يمنعونه ويحمونه جمع مانع ، ككاتب وكَتَبة ويسكَّن على معنى مَنْعة واحدة والسكون عامّىّ . وقال الزمخشرى : يسكن فى الشعر لا فى غيره .

الجَهْد – بفتح الجيم وضمها : الطاقة .

الجَدّ – بفتح الجيم : الحظ والسعادة . والمعنى أَن علينا أَن نجهد وليس علينا أَن يكون لنا الظفر والنصر إنما هو من عند الله .

لحين : الأَكثر جَرّ حين هنا ، وهو ظرف زمان .

نَلْقى – بفتح النون وإسكان اللام وفتح القاف : مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول فيكون مضموم النون .

---

(١) بياض بالأصول . والمراد : من تدارك .

الجِيَاد : جمع جواد ، يقال جاد الفرس جوادا بالفتح وجودة بالضم صار جواد بالجرى .

اللِّقاح – بكسر اللام المشددة وبالقاف والحاء المهملة : جمع لقحة وهى هنا ذوات الدَّرِّ من الإبل بعد الولادة بشهر أو شهرين ثم هى ذات لَبُون .

يُديلنا – بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة : أى ينصرنا .

أخو قريش : أى الذى هو منهم .

أوَقد بَلَغكم – بفتح الواو على الاستفهام .

ظاهرت : عاونت .

أفَك – بفتح الهمزة والفاء : صَرف عن الحق ومَنع منه .

أن يشركه – بفتح أوله وثالثه ويقال رباعى أيضاً : أى يجعله شريكه .

الصَّرَيَّيْن : بصاد مهملة فراء مفتوحتين فمثناتين تحتيتين الأُولى مفتوحة مشددة[1] والثانية ساكنة تثنية صرى – وفى بعض نسخ العيون صِيرين تثنية صِير – بكسر الصاد . قال فى المصباح والتقريب : صَرى الماءُ صَرًى من باب تَعِب : طال مُكْثه وتغيرُه ويقال طال استنقاعه فهو صَرًى وصف بالمصدر. وقال فى النهاية : الصير الماء الذى يحضره الناس وقد صار القوم يصيِّرون إذا حضروا الماء .

اليمامة – بفتح المثناة التحتية : مدينة من اليمن على مرحلتين من الطائف وأربع من مكة .

السِّمامة – بكسر السين المهملة وميمين مفتوحتين: ولم أر لها ذكرا فى معجم البَكْرى ولا فى معجم البلدان لياقوت ، ولا فى كتاب الزمخشرى فى الأماكن ولا فى كتاب نصر ، ولا فى القاموس الذى وقفت عليه .

يَفْرى : يقطع فى عرضك .

المأْثور : السيف الموشَّى .

---

(١) كذا بالأصول ، وهو سهو ، والصواب تخفيف الياء الأولى وسكون الياء الثانية . وانظر اللسان ١٩/١٩٢ .

الثَّغْرة : الحفرة التي في الصدر .

تَبْتَرى ـ بتاء مثناة فوقية فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة .

العقب : عصب الظهر .

الشزر : هو نظرة العدو .

فِرشني : قوّني .

بَرَيْتني : أضعفتني .

المجلة ـ بفتح الميم والجيم واللام : الصحيفة هذا هو أصلها .

بُعَاث ـ بالعين المهملة ويقال بإعجامها : اسم موضع .

حاطَه : كلأه ورعاه .

يُفْرشكم ـ بضم المثناة التحتية وكسر الراء .

الباب الرابع والثلاثون

فى خبر بعض المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان هلاكهم

قال الله سبحانه وتعالى : « ولقد استهزئ برسل من قبلك » كما استهزئ بك . وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم «فأَمْلَيْتُ» أمهلت «للذين كَفروا ثم أَخَذْتُهم» بالعُقوبة «فكيف كان عقاب[1]» أى فكيف رأيت ما صنعتُ بهم فكذلك أصنع بمن استهزأ بك .

وقال تبارك وتعالى : «إنا كفَيْناك المستهزئين» بأن أهلكناهم بآفة «الذين يجْعلون مع الله إلهً آخَر»[2] صفة وقيل مبتدأ ولتضمّنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو فسوف يعلمون عاقبة أمرهم «ولقد» للتحقيق «نَعلم أنك يَضِيق صَدْرُك بما يقولون» من الاستهزاء والكذب «فسَبِّحْ» متلبسا « بَحَمْد ربِّك » أى قل سبحان الله وبحمده «وكن من الساجدين» المصلِّين « واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين»[3] الموت .

قال الجمهور ومنهم ابن عباس فى أكثر الروايات عنه : كانوا خمسة . وقال فى رواية : كانوا ثمانية وصححه فى الغُرَر وجزم به أبو عمرو العراقى فى الدُّرَر .

الأول : الأسودبن عبد يغوث بن وهب بن زُهْرة ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البلَاذُرى : كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه : قد جاءكم ملوكُ الأرض الذين يرثون مُلْك كسرى وقَيْصر . ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أمَا كلِّمت اليومَ من السماء يا محمد . وما أشْبه هذا القول . فخرج من عند أهله فأصابته السَّمُوم فاسودَّ وَجْهُه حتى صار حبشيًّا ، فأتى أهلَه فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب ، فرجع متلدِّدا حتى مات عطشا.

ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أومأ إلى رأسه فضربته الأكلة فامتخض رأْسُه قيحًا ويقال أومأ إلى بطنه فسَقى بطنه ومات حَبَنًا . ويقال إنه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه[4] .

---

(١) سورة الرعد ٣٢ .
(٢) سورة الحجر ٩٥ .
(٣) سورة الحجر ٩٧ – ٩٩ .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٣١ ، ١٣٢ .

قلت : والقول الأول رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس ، ورواه أيضا عن الربيع بن أنس . وزاد : وكان رجلا أبيض حسَن الجسم . والقول الثانى رواه الطبرانى والبيهقى والضياء بسند صحيح . والقول الثالث رواه أبو نعيم[1] من طريقين ضعيفين . والقول الرابع رواه[2].

وروى ابن أبى حاتم والبلاذرى بسند صحيح عن عِكْرمة أن جبريل حنَى ظَهْر الأسودِ حتى احقَوْقَفَ صدرُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى . فقال : دَعْه عنك يا محمد فقد كُفِيته[3] .

ولا تَخَالُف بين هذه الروايات لاحتمال أن جميعها حصل له .

امتَخَضَ : بالخاء والضاد المعجمتين أى تحرك .

احقوقف : انحنى .

الحبَن ــ بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين : عِظَم البطن .

* * *

الثانى : الحارث بن قيس السهمى وهو ابن العَنْطِلة يُنسب إلى أمه ، وكان يأخذ حجرا يعبده فإذا رأى أحسنَ منه تركه وأخذ الأحسن .

وفيه نزلت : «أرأيتَ من اتخذَ إلٰه هَواه» أى مَهْوِيَّه قدّم المفعول الثانى لأنه أهم وجمله «من» مفعول أول لأرأيت . «أفأنت تكون عليه وكيلا[4]» حافظا تحفظه من اتباع هواه لا .

وكان يقول : لقد غرَّ محمد نفسَه وأصحابَه أنْ وعدهم أن يحيَوْا بعد الموت ، والله ما يُهْلكنا إلا الدهرُ ومرور الأيام والأحداث . فأكل حوتًا مَمْلوحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقدَّ بطنه . ويقال إنه أصابته الذبحة . وقال بعضهم : امتخضَ رأسُه قيحا .

قلت : القول الأول رواه عبد الرازق وابن جرير وغيرهما عن قتادة ومِقْسَم مولى ابن عباس .

* * *

(١) ط : رواه الطبرانى .

(٢) بياض بالأصول .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ١٣٢ .

(٤) سورة الفرقان ٤٣ .

الثالث : الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزى .

قال البلاذُرىّ رحمه الله : كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقولون : قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ثم يمكُّون ويصفِّرون . وكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بكلام شقَّ عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعْمى الله بصرَه ويُثْكله ولدَه فخرج يستقبل ابنه وقد قدِم من الشام ، فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل صلى الله عليه وسلم يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء وبشوك من شوكها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه . فقال له غلامه : ما أرى أحدا يصنع بك شيئًا غير نفسك . ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أوْمأَ إلى عينيه فعمى فشغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود ، قتله أبو دُجانة ويقال قتله ثابت [بن] [1] الجذع ، قُتل ابنُه عقيل أيضا . قتله حمزة بن عبد المطلب وعلى رضى الله عنهما اشتركا فيه . وقيل قتله علىٌّ وحده رضى الله عنه[2] .

* * *

الرابع : مالك بن الطُّلاَطِلة – بطائين مهملتين الأُولى مضمومة والثانية مكسورة – بن عمرو بن غُبشان – بضم الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة بعدها شين معجمة – ذكره فيهم ابن الكلبي والبلاذرى ، وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل بطنه حتى خرج خلاؤه من بطنه[3] فمات .

وقال البلاذرى وقال غير ابن الكلبي ؛ أشار جبريلُ إليه فامتخضَ رأسُه قيحا[3] وقال آخر : هو عمر بن الطلاطل . وذلك باطل .

* * *

الخامس : العاصى بن وائل السَّهْمى . قال البلاَذرى : ركب حمارا[4] له ويقال بغلة

(١) من أنساب الأشراف .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٤٨ – ١٤٩ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٤ : من فـيـه .

(٤) غير ط : جملا . وما هنا موافق للبلاذرى فى أنساب الأشراف ١/١٣٩ .

بيضاء فلما نزل شِعْبا من تلك الشعاب وهو يريد الطائف ربضَ به الحمارُ أو البغلة على شِبْرِقة فأصابت رجله شوكةٌ منها فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ومات . ويقال إنه لما ربض به حماره أو البغلة لُدِغَ فمات مكانه قلت : القول الأول رواه [البلاذرى] (١) والقول الثانى رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس .

الشِّبْرِقة - بكسر الشين المعجمة والراء : رَطْب الضَّريع .

وروى الشيخان وابن إسحاق عن خبَّاب بن الأَرتّ قال : كنت قَيْنا . أى حدَّادًا - فى الجاهلية فعملت للعاصى بن وائل سيوفا - وفى رواية سيفا - فجئته أتقاضاه فقال : لا أُعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقلت : لا أكفر حتى يُميتك الله ثم تُبْعث . قال : وإنى لَميت ثم مبعوث ؟! قلت : بلى . قال: دعنى أموت وأُبْعَث فنُؤتى مالا وولدا فأُعطيك هنالك حقك ووالله لا تكون أنت وصاحبك يا خبَّاب آثرَ عند الله منى ولا أعظم حظًّا (٢) . فأنزل الله تعالى فيه « أفرأَيْتَ الذى كفر بآياتنا » العاصى بن وائل وقال لخباب بن الأَرت القائِل له : تُبعث بعد الموت والمطالب له بمال : « لأُوتينَّ » على تقدير البعث « مالاً وولدا » فأقضيك . قال تعالى : « أطّلع الغيب » أى أعَلِمه وأن يوتى ما قاله . واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت « أَم اتخذَ عند الرحمن عَهْدا » بأن يوتى ما قاله « كَلاَّ » أى لا يوتى ذلك « سَنَكْتب » نأْمر بكتب « ما يقول ونمدُّ له من العذاب مَدًّا » نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره « ونَرِثه ما يقول » من المال والولد « ويأْتينا يومَ القيامة فَرْدًا (٣) » لا مال له ولا ولد .

* * *

السادس : الحكم بن أَبى العاصى بن أُمية .

قال البلاذرى : كان ممن يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشتمه ويُسْمعه ما يكره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو خلفه يَخْلج بأنفه وفمه فبقى على ذلك . وأظهر الإسلام يوم الفَتْح وكان مغموصًا عليه فى دينه ، - فاطَّلع يومًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض حُجَر نسائه فخرج إليه بِعَنزة وقال : من

(١) بياض بالأصل . وقد رواه البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/١٣٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة مريم) ، وكتاب الإجـارة .

(٣) سورة مريم ٧٧ - ٨٠ .

عَذِيرى من هذا[1] الوزَغَة ؟ لو أدركته لفقأْت عينه أو كما قال صلى الله عليه وسلم . ولعنه وما ولَد وغرَّبه من المدينة فلم يزل خارجًا منها إلى أن مات عمر بن الخطاب رضى الله عنه[2] .

قلت : وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم يحاكيه ويَلْمض فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذلك كن . فرجع إلى أهله فلُبط به مغشيًّا عليه شهرا ثم أفاق حين أفاق وهو كما يحاكى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وهذا المُبهَم الظاهر أنه الحَكَم .

* * *

السابع : الوليد بن المغيرة :

قال البلاذرى فمرَّ الوليد برجل يقال له حَرَّاث - بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ابن عامر بن خزاعة ، وهو الثَّبْت - وبعضهم يقول حَرَّاب بالحاء المهملة والباء الموحدة ، وهو يَرِيش نَبْلا له ويصلحها فوطئ على سهم منها فخدَشته خَدْشا يسيرا ، ويقال عَلِق بإزاره فخدش ساقه خدشا خفيفا فأهوى إليه جبريل فانتفض الخدش وضربته الأَكلة فى رجله أو ساقه فمات[3] .

* * *

الثامن : أبو لهب ، وكان من أشد الناس[4] عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم .

قال البلاذُرىّ : وكان يَطْرح القَذَر والنتن على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآه حمزة بن عبد المطلب وقد طرح من ذلك شيئا فأخذه وطرحه على رأسه ، فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول : صابئ أحمق . فأقصرَ عما كان يفعل ، لكنه كان يدسّ من يفعله[5] .

قال : وروى ابن أبى الزِّنَاد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت بين شرِّ جارين ، بين أبى لهب وعُقْبة بن أبى مُعَيْط ، إن كانا ليأْتيان بالفُروث فيطرحانها على بابى .

---

(١) البلاذرى : من هذه الوزغة .
(٢) أنساب الأشراف ١/١٥١ .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٣٤ .
(٤) ط : من أشد المشركين
(٥) أنساب الأشراف ١/١٣١ .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بنى عبد مناف أىّ جِوَار هذا ؟ ثم يُميطه عن بابه .

قالوا : وبعث أبو لهب ابنه عتبة بشيء يؤذى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ « والنجم إذا هوى » فقال : أنا كافر برب النجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلط الله عليك كلبا من كلابه ، فخرج فى تجارة فجاء الأسد وهو بين أصحابه نائم بحُوران من أرض الشام فجعل يهمس ويشمّ حتى انتهى إليه فمضغه مضغة أتتْ عليه ، فجعل يقول وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم إن محمدا أَصْدَق الناس ؟! ثم مات .

قلت : صوابه عُتَيْبة بالتصغير كما سيأتى بسط ذلك فى أبواب إجابة دعواته .

ومات أبو لهب بداء يعرف ـ بالعَدَسة ، كانت العرب تتشاءم به وتفرّ ممن ظهر به[1]، فلما أصاب أبا لهب تركه أهلُه حتى مات ومكث مدة لا يُدْفن حتى خافوا العار فحفروا له حفرة فرموه فيها . كما سيأتى بيان ذلك .

وكانت امرأته أُم جميل ابنة حرب تؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كثيرا وهى حَمَّالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى بذلك لأنها كانت تحمل الشوكَ فتطرحه بالليل على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمرّ هو وأصحابه لتعْقرهم بذلك . فبينا هى ذات يوم تحمل حزمةً أَعْيَتْ فقعدت على حَجر تستريح أتاها ملك فجذبها مِن خلفها بالحبل الذى فى عنقها فخنقها به .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت « وأنذر عشيرتك الأقربين » صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فِهْر ، يا بنى عدى لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقىَّ ؟ قالوا : نعم ما جرَّبْنا عليك إلا صدقا قال : فإنى لكم نذير بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تَبًّا لك سائرَ اليوم ألهذا جمعتنا[2] !

(١) العدسة : بثرة تخرج بالبدن فتقتل . وقد هلك أبو لهب بعد غزوة بدر .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ .

فأُنزل الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم « تَبَّتْ » خَسِرت . والتباب : الخسران المُفْضِى إلى الهلاك « يدا أَبى لهب » جُمْلته ، وعبر عنها باليدين مجازا لأَن أَكثر الأَفعال تُدَاول بهما ، وكنى بأَبى لهب لحسنه وجماله وإنما كناه لأَنه كان مشتهرا بكنيته دون اسمه وقيل لأَن اسمه عبد العزى فلا يناسب فى القرآن عَبْدِيّة شخص إلى غير الله تعالى وهذه الجملة دعاء « وتَبَّ » : خسر هو ، وهذه خبر كقولهم أَهْلَكه الله وقد أَهْلَكه .

ولمّا خوَّفه النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال : إن كان ما يقول ابن أَخى حقاً فإنى أَفتدى منه بمالى وولدى ، نزل « ما أَغْنَىَ عنه مالُه وما كَسَب » وكسبه : أَى ولده وأَغْنَى بمعنى يُغْنِى «سَيَصلَى نارًا ذاتَ لهب » أَى تلهّب وتوقد فهى مآل تكنيته «وامرأَتُه » : عطف على ضمير يصلى سَوَّغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أُم جميل « حَمَّالةُ » بالرفع « الحطب » الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم « فى جِيدها » : عنقها « حَبْلٌ من مسَد » أَى ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأَته أَو خبر مبتدأ مقدر .

ولهذا مزيد بيان – فى المعجزات .

* * *

وذكر البلاذرى ممن كان يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : أَبو[1] الأَصْدَاء[2] وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعلمك أَهلُ الكتاب أَساطيرهم ويقول الناس هو معلَّم مجنون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لَعلَى جبل إذ اجتمعت عليه الارْوَى[3] فنطحَتْه حتى قتلته[4] .

* * *

وذكر ابن اسحاق فيهم : أُمية بن خَلَف الجمحى .

---

(١) كذا بالرفع ، وإن كانت مفعول « ذكر » فحقها النصب بالألف . وفى أنساب الأشراف : ابن الأصداء وفى الهامش أثبت المحقق : خ : أبو .

(٢) الأصل : الأصدى . وما أثبته من أنساب الأشراف .

(٣) الأروى : أنثى الوعل .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٥٠ .

قال ابن إسحاق : وكان إذا رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم همَزه ولمزَه فأنزل الله سبحانه وتعالى : « ويلٌ لكلِّ همزة لُمَزة الذى جَمع مالاً وعَدَّدَه » .

قال ابن هشام : الهُمَزة : الذى يشتم الرَّجُلَ علانيةً ويَكْسِر عينَه عليه ويغمز به وجمعه هُمَزات . واللُّمَزة : الذى يعيب الناس سرًّا ويؤذيهم[1] .

والنضرَ بن الحارث .

قال ابن إسحاق : بن كَلَدة بن عَلْقَمة .

قال الخُشَنى : والصواب علقمة بن كلدة .

كان إذا جلس رسول الله مجلسا فدعا فيه إلى الله وتلاَ عليهم القرآن وحذَّر قريشا ما أصاب الأُممَ الماضية[2] خَلَفه فى مجلسه إذا قام فحدَّثهم عن ملوك الفُرْس ، ثم يقول : والله ما محمدٌ بأحسن حديثا منِّى ، وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتُها فأنزل الله : « وقالوا أساطير الأوَّلين » أكاذيبهم ، جمع أُسْطورة بالضم « اكْتَتَبها » انتسخَها من القوم بغيره « فهى تُمْلَى » تُقْرأُ « عليه » ليحفظها « بُكْرَةً وأَصِيلا » غُدْوَة وعشيا .

قال تعالى ردا عليهم : « قل أنزله الذى يَعْلم السرَّ » الغيبَ « فى السموات والأرضِ إنه كان غفورا » للمؤمنين « رحيما » بهم .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فيما بلغنى مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النَّضْر فكلَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفْحمه ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم » يا أهل مكة « وما تَعْبدون مِنْ دُون الله » أى غيره من الأوثان « حَصَبُ جهنم » وقودها « أنتم لها وارِدُون » داخلون فيها « لو كان هؤلاء » الأوثان « آلهةً » كما زعمتم « ما وَرَدُوها » دخلوها « وكُلٌّ » من العابدين والمعبودين « فيها خالدون » لاخلاص لهم عنها « لهم » للعابدين « فيها زَفِير » صياح « وهم فيها لايَسْمعون »[3]

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥٦ .
(٢) ط : الخالية .
(٣) سورة الأنبياء ٩٨ – ١٠٠ .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِّبِعْرَى - بزاى فباء موحدة مكسورتين[1] فعين مهملة ساكنة فراء فألف مقصورة - وأسلم بعد ذلك ، حتى جلس إليهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا وما قعد وقد زعم محمد أنَّا وما نَعْبد من - آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم . فقال عبد الله : أمَا والله لو وجدتُه لَخَصَمْتُه فسَلُوا محمدا أكُلُّ ما يُعْبَد من دون الله فى جهنم مع مَن عَبَده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عُزيْرًا والنصارى تعبد عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصَم .

فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ من أحبَّ أن يُعْبَد من دون الله فهو مع من عَبَده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتْهم بعبادته .

فأنزل الله تعالى : « إنّ الذين سبَقَتْ لهم منَّا » المنزلةُ « الحُسْنَىَ » وهى السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة ومنهم من ذُكر « أولئك عنها مُبْعَدون » لأنهم يُرْفَعون إلى أعلى علِّيين « لا يَسْمعون حَسِيسها » صوتها : « وهم فيما اشتَهتْ أنفسُهم » من النعيم « خالدون » دائمون « لا يَحْزُنُهم الفَزَعُ الأَكْبَرُ » وهو أن يُؤمَر بالعبد إلى النار « وتتَلَقَّاهم » تستقبلهم « الملائكة » عند خروجهم من القبور يقولون لهم « هذا يومُكم الذى كنتم توعدون[2] » فى الدنيا[3] .

تنبيه

قال السُّهَيْلى : لو تأمل ابن الزِّبَعْرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى أن اعتراضه غير لازم من وجهين :

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش عبَدة الأصنام ، وقوله « إنا نعبد الملائكة » حَيْدة ، وإنما وقع الكلامُ والمحاجَّة فى اللات والعُزَّى وهُبَل وغير ذلك من أصنامهم .

والثانى : أن لفظ التلاوة : « إنكم وما تَعْبدون » ولم يقل « ومن تعبدون » فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة ، وهم يَعْقِلون والأصنام لا تَعْقل ؟ ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل[4] . انتهى .

(١) الذى فى القاموس : بكسر الزاى وفتح الباء .
(٢) سورة الأنبياء ١٠١ - ١٠٣ .
(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨ - ٣٦٠ .
(٤) الروض الأنف ١/٢٢٥ .

وقال بعض العلماء : إن ابن الزبعرى من فصحاء العرب لا يخفى عليه موضع « مَنْ » مِن « ما » وإنما إيراده من جهة القياس والعموم المعنوى الذى يعمّ الحُكْمُ فيه لعموم علته أى إن كان كونه معبودا يوجب أن يكون حصَب جهنم فهذا المعنى موجود فى الملائكة والمسيح وعُزَيْر .

وأُجيب بالفارق من وجوه :

الأول : الآية المتقدمة[1] . لأن عزيراً والمسيح ممن سبقت لهم الحسنى فالتسوية بين الملائكة والأنبياء وبين الأصنام والشياطين من جنس التسوية بين البَيْع والرِّبا وهو شأن أهل الباطل يُسَوُّون بين ما فرَّق الشرعُ والعقلُ والفِطْرةُ بَيْنه ، ويفرِّقون بين ما سَوَّى الله عز وجل ورسوله بَيْنه .

الثانى : الأوثان حجارة غير مكلَّفة ولا ناطقة ، فإذا حُصِب بها جهنم إهانة لها ولعابديها – لم يكن فى ذلك تعذيب من لا يستحق العذاب .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزَعْمه فإنهم لم يَدْعوا إلى أنفسهم ، وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهموا أن العبادة لهؤلاء ، وقد برَّأ الله تعالى الملائكةَ والمسيح وعُزَيْرًا من ذلك ، فما عَبَد إلا الشياطين .

وهذه كلها منتزعه من قوله تعالى : « إن الذين سبقَتْ لهم مِنَّا الحُسْنَى » وإذا تأمل قوله تعالى : « وَقُودها الناسُ والحجارة[2]» خرج من خِلاَله أن معبودهم مُعَذِّبهم المشتعل عليهم ، فهو أبْلَغ فى النَّكَال وقَطْع الآمال .

الحَيْدة[3] : بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وهى العُدُول .

* * *

ومنهم الأَخْنَس بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح النون فسين مهملة ، ابن شَرِيق – بفتح الشين المعجمة وبالقاف – الثقفى واسمه أُبَىّ وذكر غير واحد أنه أسلم بعد ذلك .

---

(١) وهى قوله سبحانه : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى » .

(٢) سورة التحريم ٦ .

(٣) الواردة فى كلام السهيلى آنفـا .

قال ابن إسحاق : وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه وكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ » كثير الحَلفِ بالباطل « مَهِين » حقير « هَمَّاز » عَيَّاب أى مغتاب « مَشَّاءٍ بنَمِيم » أى ساعٍ بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم .

« مَنَّاع للخير » يمنع الناس من الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح « مُعْتَدٍ » ظالم « أثيم » كثير الإثم « عُتُلٍّ » غليظ جافٍ « بعد ذلك » بعد ما عُدَّ من مَثَالِبِه « زَنِيم » دَعِيٌّ فى قريش قاله ابن عباس وأنشد على ذلك قول الشاعر :

زَنِيم تَدَاعـاه الرجالُ زيـادة كما زِيد فى عَرْضِ الأَدِيم أكارعهُ[1]

رواه عبد بن حميد وابن عساكر وبه قال عكرمة وأنشد قول الشاعر :

زَنِيم ليس يُعْرَف مَن أبـوه بغىُّ الأُم ذو حَسَبٍ لئـيم

وقيل إنه كان له زَنَمتان[2] حقيقة .

وروى البخارى والنسائى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : هو رجل من قريش نَعِت فلم يُعْرف حتى قيل زنيم وكانت له زَنَمة زائدة فى عُنقه يُعرف بها[3] .

تنبيه

ما جزم به ابن إسحاق من أن هذه الآيات أُنزلت فى حق الأخنس رواه ابن أبى حاتم عن السُّدِّى وابن سعد وعبد بن حميد عن الشعبى وعبد الرازق وابن المنذر عن الكلبى وقيل أُنزلت فى حق الأسود بن عبد يغوث . رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أبى حاتم عن مجاهد وقيل أُنزلت فى الوليد بن المغيرة . ذكره يحيى بن سلام فى تفسيره وجزم به غير واحد .

* * *

ومنهم[4] أُبَىّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبى مُعَيط .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٠ – ٤٦١ . والبيت كما قال السهيلى : الأعرف أنه لحسان الروض ١/ ٢٢٦ .
(٢) الزنمتان : هنتان تليان الشحمة وتقابلان الوترة فى الأذنين .
(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير « سورة ن » .
(٤) من المستهزئين بالرسول صلوات الله عليه .

قال ابن إسحاق : وكانا متصافيَيْن حَسَنًا ما بينهما .

روى ابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جُبَيْر وعبد الرزَّاق فى المصنَّف وابن جرير وابن المنذر عن مِقْسَم مولى ابن عباس كلاهما عنه ، أن أبا مُعيط وفى رواية عقبة بن أبى معيط كان يجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولا يؤذيه وكان رجلًا حليما ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذَوْه وكان لأبى مُعيط خليل غائب عنه بالشام . وفى رواية أنه أُمية بن خَلَف فقالت قريش : صبأ أبو مُعَيْط . وفى رواية وكان لا يَقْدَم من سفر إلا صنع طعاما فدعا أهلَ مكة كلهم فصنع طعاما ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فقال : ما أنا بالذى آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فقال : اطْعَمْ يابن أخى . فقال : ما أنا بالذى أفعل حتى تقول . فشهد بذلك وطَعِم من طعامه . وقدِم خليلُه من الشام لَيْلاً فقال لامرأته ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت : أَشَدّ ما كان أمْرًا . فقال : ما فعل خليلى أبو معيط ؟ فقالت : صَبَأ . فبات بليلة سُوء فلما أصبح أتاه أبو معيط فحيَّاه فلم يردّ عليه التحية فقال : مالَك لا تردّ علىَّ تحيتى . فقال : كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبأْتَ . قال : أَوَقَدْ فَعَلَتْها قريش ؟ لا والله ما صبأْت ولكن دخلَ علىَّ رجلٌ فأَبى أن يأْكل من طعامى إلا أن أشهد له . فاستحييتُ أن يخرج من بيتى قبل أن يَطْعَم ، فشهدتُ له قال : ما أنا بالذى أرضى عنك حتى تأْتيه فتَبْزُق فى وجهه . وفى رواية : فقال : ما يبرئُ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال : تأْتيه فى مجلسه فتبزق فى وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم . ففعل فلم يزد النبى صلى الله عليه وسلم أن مسَح وجهه من البزاق .

ونقل جماعة منهم أبو ذر الخُشَنى عن أبى بكر النقَّاش أن عقبة لما تَفل فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم رجع ما خرج منه إلى وجهه فصار برَصًا . انتهى .

ثم التفت إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن وجدتُك خارجًا من جبال مكة ضربت عنقك صَبْرًا .

وقال أُبَىّ بن خَلف : والله لأقتلن محمدا . فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فلما بلغ أُبَيًّا ذلك أَفْزَعه لأنهم لم يسمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم قولاً إلا كان حقا .

فلما كان يوم بدر ، وخرج أصحابُ عُقْبة ، أَبَى أن يخرج فقال له أصحابه : اخرج معنا . فقال : قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقى صَبْرا . فقالوا : لك جمل أحمر لا يُدْرَك فلو كانت الهزيمة طِرْت عليه . فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين وحل به جمله فى أُخْدُود من الأرض فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى سبعين من قريش وقدِّم إليه أبو معيط فقال : أتقتلنى بَيْن هؤلاء ؟ قال : نعم . فقام إليه على بن أبي طالب فضرب عنقه . ولم يقتل من الأسارى يومئذ غيره .

فلما كان يوم أحد خرج أُبَىّ مع المشركين فجعل يلتمس غفلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَحْمِل عليه فيَحُول رجلٌ بَيْن النبى صلى الله عليه وسلم وبينه ، فلما رأى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : خَلُّوا عنه . فأخذ الحَرْبة ورماه بها فوقعت فى تَرْقُوَته فلم يخرج منه دمٌ كثير واحتقن الدم فى جوفه ، فجعل يَخُور كما يخور الثَّوْر فاحتمله أصحابه وهو يخور فقالوا : ما هذا الذى بك ! فوالله ما بك إلا خَدْش . فقال : والله لو لم يُصِبْنى إلا بِريقه لقتلنى ! أليس قد قال : أنا أقتله . والله لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لقتلهم . فما لبث إلا يومًا حتى مات .

وأنزل الله تعالى فى أبى مُعَيْط : « ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يديه » ندَما وتحسُّرا فى القيامة . قال سفيان الثورى : يأكل يديه ثم تَنْبت . رواه ابن أبى حاتم . وقال أبو عمران الجَوْنى : بلَغنى أنه يعضهما حتى ينكسر العظم ثم يعود .

يقول : « يا » للتنبيه « ليتنى اتخذتُ مع الرسول » محمد صلى الله عليه وسلم « سبيلا » طريقا إلى الهدى « يا وَيْلتا » الألف عِوَض عن ياء الإضافة أى وَيْلتى ومعناه هَلكتى « ليتنى لم أتخذْ فلانًا خَليلا . لقد أَضَلَّنى عن الذِّكر » القرآن « بعد إذ جاءنى » بأن ردنى عن الإيمان به . قال تعالى : « وكان الشيطانُ للإنسان » الكافر « خَذُولا » بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال ابن سعد : قلت للواقدى قال الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين » وهذه السورة مكية ؟ فقال : سألت مالكا وابن أبى ذئب عن هذا فقال : كفاه إياهم فبعضهم عَمِى وبعضهم مات فشغل عنه وبعضهم كفاه إياه إذ هيأ الله له من أسباب مفارقته بالهجرة ما هيأه له[1] .

وقال غيرهما : كفاه أمرهم فلم يضروه بشىء .

الثانى : قال البلاذرى ذكر غير الواقدى أن المستهزئين جميعا هلكوا فى وقت واحد وقول الواقدى أثبت[2] .

الثالث : أكثر الروايات على أن عُقْبة بن أبى مُعيط هو الذى أَسْلَم وأن أُبَيًّا هو الذى ردَّه . وفى بعضها ضد ذلك . فالله أعلم .

* * *

ومنهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال البَلاَذُرِىّ : وغيره : كناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يُكْنى قبل ذلك أبا الحكم .

قال : وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لأبى جهل أبا الحكم فقد أخطأ خطيئة يستغفر الله منها .

وروى عنه أنه قال : لكل نبىّ فرعون وفرعون هذه الأُمة أبو جهل[3] .

قال ابن إسحاق : ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ فقال له : والله يا محمد لتتركن سبّ آلهتنا أو لَنَسُبَّنَّ إلهك الذى تَعبد . فأنزل الله تعالى :

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٥٤ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٢٥ .

« ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعون من دون الله فيسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغير عِلْم[1] » فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَفَّ عن سَبِّ آلِهَتِهِمْ وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل .

ولما أنزل الله عز وجل : « إن شَجرة الزَّقُّوم »[2] تخويفا لهم بها قال أبو جهل : يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوِّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يثرب بالزُّبد ! والله لئن استمكنَّا منها لَنتزقَّمنَّ منها . فأنزل الله تعالى : « إنَّ شجرة الزقوم » هى من أخبث الشجر المرّ بتهامة نَبتُها فى الجحيم « طعامُ الأَثيم » أى أبى جهل وأصحابه ذوى الإثم الكثير « كالمُهْل » أى كدُرْدِىّ الزيت الأسود خبرثان « يَغْلى فى البطون » بالفوقانية خبر ثان وبالتحتانية حال من المهل « كغَلْى الحميم » الماء الحار الشديد الحرارة . الآيات[3]

انتهى هذا الجزء

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .
(٢) كذا بالأصول . وفى ابن هشام : ولما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم .
(٣) سورة الدخان الآيات ٤٣ – ٤٧ والخبر فى سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

الفهـــرس

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٣/٢٢٩٧




Bibliotheca Alexandrina
0267281